

مجموع خطب المناسبات الجزء الثالث

خطب شهر رمضان



جمع ورتب

من خطب ومحاضرات فضيلة الشيخ

أبي عبد الله محمد بن سعيد السيلان

حفظه الله تعالى

كَيْفَ نَسْتَقْبِلُ

شَهْرَ الصِّيَامِ؟

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا
وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا
إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُونَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل

عمران: ١٠٢].

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا
رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ۖ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾

[النساء: ١].

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ
وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

• أَمَا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ،
وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ
ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

• أَمَا بَعْدُ:

مَوَاسِمُ الطَّاعَاتِ رَحْمَةً مِنَ اللَّهِ بِالْأُمَّةِ

فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمْ يُخَلِّ زَمَانًا مِنْ رَحِمَاتٍ غَامِرَةٍ، وَفِيُوضَاتٍ شَامِلَةٍ، وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى هَذِهِ الْأُمَّةَ مَرْحُومَةً، وَهِيَ كَالْغَيْثِ لَا يُدْرَى أَوَّلُهُ خَيْرٌ أَمْ آخِرُهُ، وَهَذِهِ هِيَ أُمَّةُ خَيْرِ الْأَنْبِيَاءِ وَسَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ ﷺ.

وَقَدْ عَلِمَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَا يَكُونُ مِنْ قِصْرِ أَعْمَارِ أَبْنَائِهَا؛ فَجَعَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُمْ مِنْ مَوَاسِمِ الطَّاعَاتِ مَا يُحَصِّلُونَ بِهِ الْغَايَاتِ، بَلْ وَيُوفُونَ بِهِ عَلَى الْغَايَاتِ، وَيَسْتَشْرِفُونَ بِهِ عَلَى النَّهَائَاتِ، وَكُلُّ ذَلِكَ مِنْ إِكْرَامِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِهَذِهِ الْأُمَّةِ الْمَرْحُومَةِ.

جَعَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنْ مَوَاسِمِ الرَّحْمَةِ شَهْرَ رَمَضَانَ.



جُمْلَةٌ مِنْ فَضَائِلِ الصَّيَامِ

لَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِلصَّيَامِ مِنَ الْفَضَائِلِ وَالْمَنَاقِبِ مَا اللَّهُ -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ- بِهِ عَلِيمٌ، فَالصَّيَامُ بِإِطْلَاقٍ لَهُ مِنَ الْمَنَاقِبِ، وَمِنَ الْفَضَائِلِ، وَمِنَ الثَّوَابِ عِنْدَ رَبِّنَا الْكَرِيمِ الرَّحْمَنِ مَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا الدِّيَّانُ.

وَالنَّبِيُّ ﷺ لَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِدْلًا، فَعَنْ أَبِي أَمَامَةَ رضي الله عنه قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! ذُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ أَدْخُلُ بِهِ الْجَنَّةَ.

قَالَ: «عَلَيْكَ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَا عِدْلَ لَهُ»^(١).

وَفِي رِوَايَةٍ^(٢): «عَلَيْكَ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَا مِثْلَ لَهُ».

وَعِدْلٌ (مِثْلٌ) بِمَعْنَى، فَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ الرَّسُولُ ﷺ نَظِيرًا وَلَا مَثِيلًا وَلَا عِدْلًا.

وَأَخْبَرَ ﷺ: «أَنَّ مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ؛ بَاعَدَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَجْهَهُ عَنِ

(١) أخرجه النسائي في «المجتبى»: ١٦٥/٤، رقم (٢٢٢٢ و ٢٢٢٣).

والحديث صححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»: ١/٥٨٠، رقم (٩٨٦).

(٢) للنسائي أيضا: رقم (٢٢٢٠ و ٢٢٢١).

النَّارِ بِذَلِكَ الْيَوْمِ سَبْعِينَ خَرِيفًا» (١).

فَجَعَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِلصِّيَامِ مِنَ الْفَضَائِلِ، وَرَتَّبَ عَلَيْهِ مِنَ الثَّوَابِ مَا لَا يُقَادَرُ قَدْرُهُ كَمَا بَيَّنَّ لَنَا ذَلِكَ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّنَا ﷺ، فِيمَا يَرُوهُ عَنْ رَبِّ الْعِزَّةِ جَلَّ وَعَلَا: «كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ، الْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِ مِئَةٍ ضِعْفٍ إِلَّا الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ» (٢).

وَالرَّسُولُ ﷺ بَيْنَ الْكَثِيرِ مِنْ فَضَائِلِ الصِّيَامِ، وَاللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فَرَضَ عَلَى الْأُمَّةِ صِيَامَ رَمَضَانَ، وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ذَلِكَ مِنْ أَجْلِ أَنْزَالِ الْقُرْآنِ فِيهِ.

فَقَدْ قَالَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥].

(١) أخرجه البخاري في «الصحیح»: ٤٧/٦، رقم (٢٨٤٠)، ومسلم في «الصحیح»: ٨٠٨/٢، رقم (١١٥٣)، من حديث: أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ: «مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، بَعَدَ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا». وفي رواية لمسلم: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَصُومُ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، إِلَّا بَاعَدَ اللَّهُ، بِذَلِكَ الْيَوْمِ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا».

(٢) أخرجه البخاري في «الصحیح»: ٤/ ١١٨، رقم (١٩٠٤)، ومسلم في «الصحیح»: ٨٠٦، رقم (١١٥١)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَتَمَامُهُ: «... وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ، فَإِذَا كَانَ يَوْمٌ صَوْمِ أَحَدِكُمْ، فَلَا يَرُفْثُ يَوْمِيذٍ وَلَا يَسْحَبُ، فَإِنْ سَابَهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ، فَلْيَقُلْ: إِنِّي أَمْرٌ صَائِمٌ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ».

وَاللَّهُ -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ- جَعَلَ فِي هَذَا الشَّهْرِ مِنَ الْعَطَاءِ مَا أَخْبَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، «فَإِنْ مَنْ صَامَهُ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا؛ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَنْ قَامَهُ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا؛ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا؛ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»^(١)، وَلَا تَجِدُ ذَلِكَ لِأُمَّةٍ سِوَى أُمَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

فَهَذَا مَوْسِمُ الطَّاعَةِ الْأَكْبَرِ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ. (*).



(١) أخرجه البخاري في «الصحیح»: ٩١ / ١ و ٩٢، رقم (٣٥ و ٣٧ و ٣٨)، ومسلم في

«الصحیح»: ٥٢٣ / ١ و ٥٢٤، رقم (٧٦٠)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(*): مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «عَلَى أَبْوَابِ رَمَضَانَ» - الْجُمُعَةَ ٢٥ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٣١هـ / ٦ -

اسْتِقْبَالَ رَمَضَانَ بِالْفَرَحِ بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ

أَمَرَ اللَّهُ بِالْفَرَحِ بِالذِّينِ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهِ؛ فَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَرِحْمَتِهِ، فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨].

قُلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَيَا كُلَّ دَاعٍ إِلَى اللَّهِ مِنْ أُمَّتِهِ! قُلْ لِلنَّاسِ مُبِينًا وَمُقْنِعًا: اسْتَمْسِكُوا بِإِضْطِحَالِ اللَّهِ عَلَيْكُمْ، وَرَحْمَتِهِ الْعَظِيمَةِ بِكُمْ، وَمَا آتَاكُمْ فِي كِتَابِهِ الْمَجِيدِ مِنَ الْمَوَاعِظِ وَشِفَاءِ الصُّدُورِ، فَبِذَلِكَ الَّذِي جَاءَكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ، وَالْحِرْصِ عَلَى الْإِسْتِمْسَاكِ بِهِ وَاتِّبَاعِهِ؛ فَلْيَفْرَحُوا.

وَاعْلَمُوا أَنَّ مَا أَعَدَّ اللَّهُ لَكُمْ فِيَمَا لَوْ اسْتَمْسَكْتُمْ بِهِ، وَاتَّبَعْتُمْ وَصَايَاهُ؛ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ مِنْ كُلِّ مَا يَجْمَعُونَ مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا وَلذَاتِهَا الْفَانِيَةِ. (*)

وَمِنْ ذَلِكَ مَا جَعَلَهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِلْمُسْلِمِينَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ مِنْ هَذِهِ الْمَوَاسِمِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي تُغْفَرُ فِيهَا الذُّنُوبُ، وَتُحَطُّ فِيهَا السَّيِّئَاتُ، وَتُضَاعَفُ فِيهَا الْحَسَنَاتُ مَا أَكْرَمَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِهِ أُمَّةَ نَبِيِّهِ ﷺ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ. (*) (٢).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ التَّغْلِيْقِ عَلَى: «مُخْتَصَرُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» [سورة يونس: ٥٨].

(*) (٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «الْإِسْتِعْدَادُ لِرَمَضَانَ» - الْجُمُعَةُ ١٩ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٢٦هـ/

٢٣-٩-٢٠٠٥م، بِتَصَرُّفٍ وَاحْتِصَارٍ.

اسْتِقْبَالُ رَمَضَانَ بِالتَّوْبَةِ وَتَطْلِيقِ الْعَادَاتِ السَّيِّئَةِ

عِبَادَ اللَّهِ! لَا بُدَّ مِنْ اسْتِعْدَادٍ لِدُخُولِ هَذَا الْمَوْسِمِ؛ بِتَطْلِيقِ عَادَاتٍ قَدْ تَجَدَّرَتْ فِي حَبَّةِ الْقَلْبِ، وَصَارَتْ نَمَطًا فِي الْحَيَاةِ لَا يُقْلَعُ عَنْهُ.

فَلَا بُدَّ مِنَ الْوَقْفَةِ الْمُتَأَنِّيَةِ؛ مِنْ أَجْلِ اقْتِلَاعِ جُذُورِ تِلْكَ الْعَادَاتِ مِنَ الْقُلُوبِ، مِنْ أَجْلِ أَنْ يَتَخَفَّفَ الْمَرْءُ مِنْ ثِقَلِ قَدْ أَضْنَى كَاهِلِيهِ، وَقَدْ أَقْضَى مَضْجَعَهُ، وَقَدْ أَحْنَى ظَهْرَهُ؛ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَكُونَ خَفِيفًا فِي مُنْطَلَقِهِ فِي سَبِيلِ رَبِّهِ جَلَّ وَعَلَا.

لَا بُدَّ مِنْ تَقْلِيلِ الطَّعَامِ وَالْكَلامِ وَالْمَنَامِ.

وَلَا بُدَّ مِنَ التَّوْبَةِ إِلَى اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَالْأُوْبَةِ، لَا بُدَّ مِنَ الْإِخْلَاصِ فِيهَا؛ مِنْ أَجْلِ أَنْ تَكُونَ خَالِصَةً لِلَّهِ جَلَّ وَعَلَا.

وَلَا بُدَّ مِنَ الْإِقْلَاعِ عَنِ الذُّنُوبِ عَلَى الْفَوْرِيَّةِ وَالنَّدَمِ عَلَى مَا سَلَفَ مِنْهَا، مَعَ الْعَزْمِ عَلَى عَدَمِ الْمُعَاوَدَةِ، مَعَ رَدِّ الْمَظَالِمِ إِلَى أَرْبَابِهَا؛ لِأَنَّهُ يُشْتَرَطُ فِي التَّوْبَةِ مِنَ حُقُوقِ الْعِبَادِ أَنْ تُودَى الْمَظَالِمُ إِلَى أَرْبَابِهَا.



اسْتِقْبَالَ رَمَضَانَ بِتَطْهِيرِ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ

عَلَيْنَا -عِبَادَ اللَّهِ- أَنْ نَلْتَفِتَ لِفَضَائِلِ هَذَا الشَّهْرِ الَّذِي أَكْرَمَنَا اللَّهُ بِالْقُدُومِ عَلَيْهِ، وَلَا يَعْلَمُ إِلَّا اللَّهُ مَنْ يَبْلُغُهُ، فَاللَّهُمَّ بَلِّغْنَا رَمَضَانَ، وَاجْعَلْنَا فِيهِ مِنَ الْمُحْسِنِينَ الْمَقْبُولِينَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، وَيَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، وَيَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

أَقْبِلْ عَلَيَّ رَبِّكَ جَلَّ وَعَلَا بِمَجْمُوعِ قَلْبِكَ وَجِمَاعِ رُوحِكَ؛ بِنِيَّةِ خَالِصَةٍ صَالِحَةٍ وَقَلْبٍ مُوقِنٍ مُؤْمِنٍ مُحْتَسِبٍ، عَسَى اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ أَنْ يُغَيِّرَ مَا بَنَا ﴿إِنِ اللَّهُ لَا يُغَيِّرُ مَا يَقُومُ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

فَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ يُغَيِّرَ اللَّهُ مَا بَنَا عَلَيَّ الْمُسْتَوَى الْفَرْدِيِّ وَعَلَيَّ الْمُسْتَوَى الْمَجْمُوعِيِّ؛ فَعَلَيْنَا أَنْ نَغَيِّرَ مَا بِأَنْفُسِنَا.

يَنْبَغِي أَنْ نُحْصَلَ -عِبَادَ اللَّهِ- أُمُورًا قَبْلَ الدُّخُولِ عَلَيَّ ذَلِكَ الْمَوْسِمِ الْأَعْظَمِ مِنْ مَوَاسِمِ الطَّاعَةِ لِلْأُمَّةِ وَمِنْهَا:

١- أَنْ نَتُوبَ إِلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى تَوْبَةً نَصُوحًا، وَالتَّوْبَةُ النَّصُوحُ إِلَّا تَعُودَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ اللَّبَنُ إِلَى الضَّرْعِ، التَّوْبَةُ النَّصُوحُ عَزْمٌ وَنَدَمٌ، وَإِقْبَالٌ عَلَيَّ مَرَاضِي اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَبُعْدٌ عَنِ مَسَاخِطِهِ، عَزْمٌ عَلَيَّ إِلَّا تَعُودَ حَتَّىٰ يَعُودَ اللَّبَنُ إِلَى الضَّرْعِ!!

فَهَذَا أَوَّلُ شَيْءٍ.

* بِتَصْحِيحِ الإِعْتِقَادِ، وَالتَّوْبَةِ مِنْ كُلِّ مَا يُخَالِطُهُ مِنْ شِرْكٍَ وَبِدْعَةٍ وَمِنْ تَخْلِيْطٍ وَتَهْوِيْشٍ.

* وَبِسَلَامَةِ الصَّدْرِ لِلْمُسْلِمِينَ..

وَعِشْ سَالِمًا صَدْرًا وَعَنْ غِيْبَةٍ فِغْبٍ

تُحَضِّرُ حِظَارَ الْقُدْسِ أَنْقَى مُغَسَّلًا (١)

فَيَنْبَغِي عَلَيْنَا أَنْ نَقْتَشَ فِي قُلُوبِنَا، وَأَنْ نُخَلِّصَهَا مِنْ شَوَائِبِهَا وَأَفَاتِهَا.

يَنْبَغِي عَلَيْنَا أَنْ تَسْلَمَ صُدُورُنَا لِإِخْوَانِنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَأَنْ يَكُونَ الْقَصْدُ نَفْعَهُمْ، وَأَنْ يَكُونَ الْقَصْدُ الْأَخْذَ بِأَيْدِيهِمْ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ؛ لَا التَّشْفِي فِيهِمْ.

* وَيَنْبَغِي عَلَيْنَا أَنْ نَعْلَمَ أَنَّ جَمِيعًا كَالْجَسَدِ الْوَاحِدِ؛ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ

ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ الْوَاحِدِ

(١) البيت للإمام العالم سيّد القراء: القاسم بن فيّره، أبو محمّد الشاطبي، (المتوفى: ٥٩٠هـ)،

من كتابه: «حرز الأمانى ووجه التهاني» المعروف بـ «متن الشاطبية» مع شرح أبو شامة:

«إبراز المعاني»: ص ٥٥، البيت رقم (٨٠)، وقال بعده:

وَهَذَا زَمَانُ الصَّبْرِ مَنْ لَكَ بِالتِّي
كَقَبْضٍ عَلَى جَمْرِ فَنَنْجُو مِنَ الْبَلَا
وَلَوْ أَنَّ عَيْنًا سَاعَدَتْ لَتَوَكَّفَتْ
سَحَابُهَا بِالِدَّمْعِ دِيمًا وَهَطَّلَا
وَلَكِنَّهَا عَنْ قَسْوَةِ الْقَلْبِ قَحْطُهَا
فِيَا ضَيْعَةَ الْأَعْمَارِ تَمْشِي سَبْهَلَا

إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عَضُوٌّ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَى» (١).

فَالْمُسْلِمُونَ جَسَدٌ وَاحِدٌ، وَالْمُؤْمِنُونَ كَالْبُنْيَانِ الْمَرْصُوصِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا.

يُنَبِّغِي عَلَيْنَا أَنْ نُرَاقِبَ قُلُوبَنَا وَضَمَائِرَنَا وَأَنْفُسَنَا وَأَرْوَاحَنَا وَالسِّتَنَاتِنَا وَجَوَارِحَنَا؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ حَدَرْنَا، فَقَالَ: «مَنْ لَمْ يَدْعُ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلِ بِهِ».

عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَجْتَهِدَ فِيهِ؛ مِنْ مُدَارَسَةِ الْقُرْآنِ، وَالْعُكُوفِ عَلَى آيَاتِ الرَّحِيمِ الرَّحْمَنِ، وَالنَّبِيِّ ﷺ كَمَا فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»: «كَانَ إِذَا صَلَّى الصُّبْحَ لَمْ يَقُمْ مِنْ مُصَلَّاهُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ». هَكَذَا.

* عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَجْتَهِدَ فِي تَقْدِيمِ الطَّعَامِ لِلْمُحْتَاجِينَ وَغَيْرِ الْمُحْتَاجِينَ؛ لِأَنَّ «مَنْ فَطَرَ فِي هَذَا الشَّهْرِ صَائِمًا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجْرِهِ شَيْءٌ» (٢)؛ حَتَّى وَلَوْ كَانَ غَيْرَ مُحْتَاجٍ، وَلَكِنَّهُ يَتَقَرَّبُ بِذَلِكَ إِلَى اللَّهِ.

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «الصَّحِيحِ»: ١٠ / ٤٣٩، رَقْم (٦٠١١)، وَمُسْلِمٌ فِي «الصَّحِيحِ»:

٤ / ١٩٩٩، رَقْم (٢٥٨٦) وَاللَّفْظُ لَهُ، مِنْ حَدِيثِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنه.

وَفِي رِوَايَةِ الْبُخَارِيِّ، بِلَفْظٍ: «تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحِمِهِمْ وَتَوَادُّهِمْ وَتَعَاطِفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ...» الْحَدِيثِ.

وَفِي رِوَايَةِ لِمُسْلِمٍ: «الْمُؤْمِنُونَ كَرَجُلٍ وَاحِدٍ إِنْ اشْتَكَى رَأْسُهُ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالْحُمَى وَالسَّهْرِ»، وَفِي رِوَايَةٍ لَهُ أَيْضًا: «الْمُسْلِمُونَ كَرَجُلٍ وَاحِدٍ، إِنْ اشْتَكَى عَيْنَهُ اشْتَكَى كُلَّهُ، وَإِنْ اشْتَكَى رَأْسُهُ اشْتَكَى كُلَّهُ».

وَالْحَدِيثُ بِنَحْوِهِ فِي «الصَّحِيحِينَ» مِنْ حَدِيثِ: أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه، بِلَفْظٍ: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا».

(٢) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي «الْجَامِعِ»: ٣ / ١٦٢، رَقْم (٨٠٧)، وَابْنُ مَاجَةَ فِي «السِّنَنِ»:

١ / ٥٥٥، رَقْم (١٧٤٦)، مِنْ حَدِيثِ: زَيْدِ بْنِ خَالِدِ الْجُهَنِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«مَنْ فَطَرَ صَائِمًا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ الصَّائِمِ شَيْئًا».

وَبَيْنَ لَنَا نَبِيْنَا ﷺ: «أَنَّ النَّاسَ لَا يَزَالُونَ بِخَيْرٍ مَا عَجَلُوا الْفِطْرَ» (١)، وَهُوَ مِنْ شِعَائِرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَمِنْ شِعَارَاتِهَا، وَمِنْ عَلَامَاتِهَا.

وَ«فَصَلُّ مَا بَيْنَ صِيَامِنَا وَصِيَامِ أَهْلِ الْكِتَابِ: أَكَلَةُ السَّحْرِ» (٢).

فَهَذَا مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي فَرَطَ فِيهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ!! مَعَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَخْبَرَ: «أَنَّ الْأُمَّةَ مَا تَزَالُ بِخَيْرٍ مَا عَجَلُوا الْفِطْرَ» (٣). فَهَذَا يَنْسِرِحُ عَلَى مَجْمُوعِ الْأُمَّةِ.

فَاللَّهُمَّ سَلِّمْنَا رَمَضَانَ، وَسَلِّمْنَا إِلَى رَمَضَانَ، وَاللَّهُمَّ سَلِّمْنَا لَنَا رَمَضَانَ، وَتَسَلِّمْنَا مِنْ رَمَضَانَ يَا كَرِيمُ يَا رَحْمَنُ.*



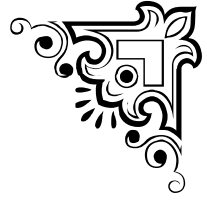
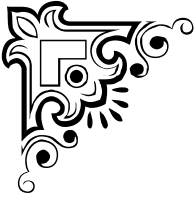
قال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»، والحديث صححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»: ١/ ٦٢٣، رقم (١٠٧٨).

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح»: ٤/ ١٩٨، رقم (١٩٥٧)، ومسلم في «الصحيح»: ٢/ ٧٧١، رقم (١٠٩٨)، من حديث: سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «لَا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا عَجَلُوا الْفِطْرَ».

(٢) أخرجه مسلم في «الصحيح»: ٢/ ٧٧٠، رقم (١٠٩٦)، من حديث: عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) تقدم تخريجه.

(* مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ خُطْبَةٍ: «عَلَى أَبْوَابِ رَمَضَانَ» - الْجُمُعَةَ ٢٥ مِنْ شَعْبَانَ



بَيْنَ يَدَيْ رَمَضَانَ، وَالْتَحْذِيرُ مِنَ الْوُقُوعِ فِي الْمَحْرَمَاتِ

فَالْعَجَبُ - عِبَادَ اللَّهِ! - أَنْ يُجْعَلَ هَذَا الشَّهْرُ - الَّذِي هُوَ لِتَحْصِيلِ الطَّاعَةِ؛ مِنْ أَجْلِ تَحْصِيلِ الرُّضْوَانِ - مِنَ الْعَجَبِ أَنْ يُجْعَلَ تَحْصِيلاً لِلْسَّيِّئَاتِ، وَتَكْثِيرًا لِلْآثَامِ وَالْأَوْزَارِ؛ بِإِطْلَاقِ الْبَصْرِ إِلَى الْمَحْرَمَاتِ، وَبِالْعُكُوفِ عَلَيْهَا فِي الْأَمْسَاءِ وَالْأَصْبَاحِ وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ!!

مِنَ الْعَجَبِ أَنْ يُجْعَلَ الشَّهْرُ - الَّذِي تُفْطَمُ فِيهِ النَّفْسُ عَنْ شَهَوَاتِهَا - مُسْتَرَاحًا لِلرَّتْعِ فِي لَذِيذِ الْمَطْعَمِ وَالْمَشْرَبِ وَحُلُوِّ الْمَنَامِ، كُلُّ ذَلِكَ مِمَّا أَبَاحَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى؛ وَلَكِنَّهُ لَيْسَ مَقْصِدًا فِي شَهْرِ الصِّيَامِ.

يَنْبَغِي عَلَيْنَا أَنْ نَفْعَلَ الْخَيْرَ، وَلَا نَجْعَلَ الصَّوْمَ تُكَاةً مِنْ أَجْلِ إِخْرَاجِ خَبَائِثِ النَّفْسِ.

الصَّائِمُ مُنْكَسِرٌ لِلَّهِ، خَاضِعٌ بِتَقْوَاهُ لِسُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ؛ الَّذِي أَمَرَهُ بِأَنْ يَكُونَ فِي سَكِينَةٍ وَدَعَا، وَأَنْ يُقَدَّمَ الْمَعْرُوفَ، وَأَنْ يَتَّعَدَ عَنْ جَمِيعِ الْمُنْكَرَاتِ.

فَيَنْبَغِي عَلَيْنَا أَنْ نَتَأَمَّلَ قَبْلَ الدُّخُولِ فِي هَذَا الْمَوْسِمِ الْعَظِيمِ فِي أَحْوَالِنَا، وَأَنْ نَقِفَ عَلَى رَأْسِ طَرِيقِنَا؛ لِكَيْ نُرَاجِعَ مَا مَرَّ مِنْ أَعْمَارِنَا، لِكَيْ نَنْظُرَ فِيهَا مَرًّا - مُنْذُ

الإحتلام إلى هذا الوقت - نظرة فاحصة متأملّة واعية ثاقبة، وأن يجتهد الإنسان في بيان ما له وما عليه، وفي النظر في تقويم وتثمين نفسه.

أَيْنَ أَنْتَ مِنْ أَخْلَاقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ!!؟

وَأَيْنَ أَنْتَ مِنَ الْخُضُوعِ لِدِينِ رَبِّكَ بِأَحْكَامِهِ وَشَرِيعَتِهِ!!؟

أتق الله في نفسك وفيما بقي من عمرك، واستعن بالله ربك وأخلص،
وصف حتى يصفى لك، ولا تخلط حتى لا يخلط عليك، والله يرعاك وبكلاءته
يتولأك، وهو من وراء القصد، وهو على كل شيء قدير.

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَى الْبَشِيرِ النَّذِيرِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ
أَجْمَعِينَ. (*)



(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصِرٌ مِنْ خُطْبَةٍ: «عَلَى أَبْوَابِ رَمَضَانَ» - الْجُمُعَةَ ٢٥ مِنْ شَعْبَانَ

اِسْتِقْبَالُ رَمَضَانَ
بِتَطْهِيرِ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا
وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا
إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُونَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل

عمران: ١٠٢].

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا
رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ۖ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾

[النساء: ١].

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ
وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

• أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ،
وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ
ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

• أَمَّا بَعْدُ:

عَلَى أَبْوَابِ مَوْسِمِ الرَّحْمَةِ وَالْمَغْفِرَةِ

فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى جَعَلَ لِلْمُسْلِمِينَ مِنْ كَرَامَتِهِ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ مَا يَتَوَصَّلُونَ بِهِ إِلَى طَاعَتِهِ؛ فَيَغْفِرُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ لَهُمْ بِذَلِكَ ذُنُوبَهُمْ، وَيَحِطُّ عَنْهُمْ آثَامَهُمْ وَأَوْزَارَهُمْ.

وَمِمَّا جَعَلَهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِلْمُسْلِمِينَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ مِنْ هَذِهِ الْمَوَاسِمِ الْعَظِيمَةِ -الَّتِي تُغْفَرُ فِيهَا الذُّنُوبُ، وَتُحِطُّ فِيهَا السَّيِّئَاتُ، وَتُضَاعَفُ فِيهَا الْحَسَنَاتُ- مَا أَكْرَمَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِهِ أُمَّةَ نَبِيِّهِ ﷺ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، الَّذِي أَكْرَمَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ زَمَانَهُ بِإِنزَالِ الْقُرْآنِ؛ وَلَا جُلَّ ذَلِكَ فَرَضَ فِيهِ الصِّيَامَ، وَسَنَّ النَّبِيُّ ﷺ لِأُمَّتِهِ فِيهِ الْقِيَامَ، وَيُضَاعَفُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فِيهِ الْعَطِيَّاتِ، وَيَبْدُلُ فِيهِ لِلْمُحْسِنِينَ الدَّرَجَاتِ، وَيُقَرِّبُهُمُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنْ رِضْوَانِهِ تَقْرِيْبًا.



تَحْذِيرُ الصَّائِمِينَ مِنْ ظَاهِرَةِ الْإِفْلَاسِ الْخُلُقِيِّ

النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ حَالَةِ الْإِفْلَاسِ الْخُلُقِيِّ الَّذِي لَا عِلَاقَةَ لَهُ فِي حَقِيقَةِ الْأَمْرِ بِالْإِفْلَاسِ الْمَادِّيِّ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ ذَا رَصِيدٍ وَذَخِيرَةٍ مِنْ خُلُقٍ وَافِرٍ حَمِيدٍ وَهُوَ مُفْلِسٌ مِنْ حَيْثُ الْمَادَّةِ، لَا يَمْلِكُ تَقِيرًا وَلَا قِطْمِيرًا، وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ الْأَمْرُ مَعْكُوسًا.

فَبَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ حَالَةَ خُلُوعِ النَّفْسِ مِنْ فَضَائِلِهَا، وَحَالَةَ تَوَرُّطِهَا فِي شَهَوَاتِهَا وَرَغَبَاتِهَا وَنَزَوَاتِهَا، لَا يَكْفُهَا عَنْ ذَلِكَ كَافٌّ وَلَا يَزَعُهَا عَنْهُ وَازِعٌ، فَعِنْدَ مُسْلِمٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الصَّحِيحِ» (١): أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَأَلَ أَصْحَابَهُ يَوْمًا، فَقَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟».

قَالُوا: الْمُفْلِسُ مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ.

قَالَ: «الْمُفْلِسُ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَصَدَقَةٍ، وَلَكِنَّهُ يَأْتِي وَقَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا».

فَبَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ حَالَةَ إِفْلَاسِ خُلُقِيٍّ؛ بِخُلُوعِ الْقَلْبِ مِنْ وَازِعٍ يَكْفُ الْجَوَارِحَ

(١) «صحيح مسلم»: ٤ / ١٩٩٧، رقم (١٩٩٧)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

عَنِ الْإِتْيَانِ بِالْمَعْصِيَةِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِي بَيَانِ أَثَرِ ذَلِكَ الْإِفْلَاسِ: «فَيَأْخُذُ هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، حَتَّى إِذَا فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ؛ أَخَذَ مِنْ سَيِّئَاتِهِمْ فَطَرَحَ عَلَيْهِ ثُمَّ طَرَحَ فِي النَّارِ».

وَالْمُتَأَمَّلُ فِي الْحَدِيثِ يَعْجَبُ: أَيِنَّ الْوَقْتِ الَّذِي كَانَ عِنْدَ هَذَا الْمُفْلِسِ لِصِيَامِهِ، أَوْ لِذِكْرِهِ، أَوْ لِإِقْبَالِهِ عَلَى رَبِّهِ، أَوْ لِرِعَايَةِ ضَمِيرِهِ وَحِفْظِ سِرِّهِ مَعَ مَوْلَاهُ؟!!

وَعِنْدَ الْبُخَارِيِّ فِي «صَحِيحِهِ»^(١): عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ؛ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ».

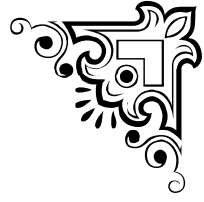
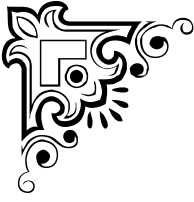
فَبَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ حَدًّا لِلصَّائِمِ فِي مِيزَانِ الشَّرْعِ: «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ؛ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ».

وَهَذَا لَا يَتَحَصَّلُ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْإِمْسَاكِ عَنِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ إِلَّا عَلَى الْجُوعِ وَالظَّمَا، كَمَا أَنَّهُ إِذَا قَامَ رِيَاءً وَسُمْعَةً، وَإِذَا لَمْ يُرَاقِبْ خَاطِرَهُ وَيَحْفَظْ سِرَّهُ؛ فَإِنَّهُ لَا يَتَحَصَّلُ مِنْ قِيَامِهِ إِلَّا عَلَى السَّهْرِ كَمَا بَيَّنَّ الرَّسُولُ ﷺ (*).



(١) «صحيح البخاري»: ٤ / ١١٦، رقم (١٩٠٣) وفي: ١٠ / ٤٧٢، رقم (٦٠٥٧).

(*): مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «بَيْنَ يَدَيْ رَمَضَانَ» - الْجُمُعَةَ ١٦ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٣٠هـ / ٧-٨-



الاسْتِعْدَادُ لِرَمَضَانَ

كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَدْخُلُ عَلَى مَوَاسِمِ الطَّاعَةِ مِنْ غَيْرِ اسْتِعْدَادٍ، وَهَذَا أَمْرٌ عَجِيبٌ؛ لِأَنَّهُ يُخَالِفُ هَدْيَ السَّلَفِ الصَّالِحِينَ الَّذِينَ كَانُوا يَنْتَظِرُونَ قُدُومَ رَمَضَانَ سِتَّةَ أَشْهُرٍ، ثُمَّ إِنَّهُمْ يَدْعُونَ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى سِتَّةَ أَشْهُرٍ أَنْ يَتَقَبَّلَ مِنْهُمْ الْعَمَلَ الصَّالِحَ مِنَ الصِّيَامِ وَالْقِيَامِ وَالصَّدَقَةِ وَالتَّلَاوَةِ فِي رَمَضَانَ.

يَظْلُونَ سِتَّةَ أَشْهُرٍ يَدْعُونَ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا أَنْ يَتَقَبَّلَ مِنْهُمْ، وَيَدْعُونَ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى سِتَّةَ أَشْهُرٍ أَنْ يُبَلِّغَهُمُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ رَمَضَانَ.

فَهِيَ حَالَةٌ نَفْسِيَّةٌ مُتَاهِبَةٌ مُتَوَثِّبَةٌ مُتَرْقِبَةٌ لِهَذَا الْمَوْسِمِ الْجَلِيلِ الْعَظِيمِ، يُرَدُّ الْإِنْسَانُ الْمَظَالِمَ، وَيَدْخُلُ الشَّهْرَ مُسْتَعِدًّا لِصِيَامِهِ وَقِيَامِهِ مُحْتَسِبًا ذَلِكَ كُلَّهُ عِنْدَ رَبِّهِ. (*)



(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «بَيْنَ يَدَيِ رَمَضَانَ» - الْجُمُعَةَ ١٦ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٣٠هـ / ٧-٨-

الاستعداد لرمضان بتطهير اللسان من آفاته

عِبَادَ اللَّهِ! كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَسْتَرْسِلُ فِي أُمُورٍ يَعُدُّهَا هَيْئَةً وَهِيَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمَةٌ، فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا ذَكَرَ الْغِيْبَةَ - وَهَذَا أَمْرٌ مُسْتَشْرٍ لَا يَخْلُو مِنْهُ زَمَانٌ - لَا فِي رَمَضَانَ وَلَا فِي غَيْرِ رَمَضَانَ -، بَلَ النَّاسُ يَسْتَرْسِلُونَ مَعَ أَهْوَائِهِمْ يَخْبِطُونَ بِأَلْسِنَتِهِمُ الْحَدَادِ؛ يَفْرُونَ بِهَا الْأَعْرَاضَ، وَيَتَسَلَّلُونَ بِهَا إِلَى الْخَفِيَّاتِ، وَالنَّبِيُّ ﷺ يَتَوَعَّدُ هَوْلًا -.

فَقَدْ أَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَمَّا عُرِجَ بِي مَرَرْتُ عَلَى أَقْوَامٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ يَخْمِشُونَ بِهَا وُجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ، فَقُلْتُ: مَا هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيْلُ؟».

قَالَ: «هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَقْعُونَ فِي أَعْرَاضِ النَّاسِ» (١).

هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَعْتَدُونَ عَلَى الْأَعْرَاضِ، يَفْرُونَهَا بِأَلْسِنَتِهِمْ فَرِيًّا؛ فَجَعَلَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ لَهُمْ عِقَابًا فِي الْبَرْزَخِ قَبْلَ الْقِيَامَةِ، إِذَا مَا مَاتُوا يُعَذَّبُونَ كَذَلِكَ فِي الْبَرْزَخِ

(١) أخرجه أبو داود في «السنن»: ٤ / ٢٦٩ و ٢٧٠، رقم (٤٨٧٨ و ٤٨٧٩)، من حديث:

أنسٍ رضي الله عنه.

والحديث صححه الألباني في «الصحيححة»: ٢ / ٦٩، رقم (٥٣٣).

حَتَّى يُعْرَضُوا عَلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنْ أَجْلِ الْقِصَاصِ.

اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا لَمْ يَجْعَلِ الصِّيَامَ إِمْسَاكًا عَنِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ - كَمَا مَرَّ فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ ﷺ، - وَإِنَّمَا هُوَ ضَبْطٌ لِلْقَلْبِ عَلَى مِنْهَاجِ اعْتِقَادٍ صَحِيحٍ سَلِيمٍ مُسْتَقِيمٍ لَا عَوْجَ فِيهِ وَلَا اتِّوَاءَ، وَضَبْطٌ لِللِّسَانِ بِحِفْظِ الْمُنْطِقِ؛ بِحِفْظِ اللِّسَانِ عَنِ الْوُقُوعِ فِي كُلِّ آفَاتِهِ.

وَالنَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ لَنَا أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا نَمَّ فَتَقَلَّ الْحَدِيثَ؛ فَهُوَ مُعَذَّبٌ فِي قَبْرِهِ كَمَا فِي الْحَدِيثِ الَّذِي فِي «الصَّحِيحِينَ»^(١): لَمَّا مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِقَبْرَيْنِ، فَقَالَ: «إِنَّهُمَا لِيُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ»؛ يَعْنِي: فِي كَبِيرٍ كَانَا يَقُولَانِ عَلَى الْإِثْيَانِ بِهِ وَلَيْسَ بِكَبِيرٍ فِي حَقِيقَةِ الْأَمْرِ، «وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ» وَهُوَ كَبِيرٌ عِنْدَ اللَّهِ، فَإِنَّ النَّمِيمَةَ مِنْ كِبَائِرِ الْإِثْمِ بِلَا خِلَافٍ بَيْنَ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنَ الْمُعْتَبَرِينَ؛ وَكَذَلِكَ الْغَيْبَةُ.

«إِنَّهُمَا لِيُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ» يَعْنِي: فِي كَبِيرٍ عَلَيْهِمَا اجْتِنَابُهُ، وَأَيْضًا فِي أَمْرٍ كَانَا يُعَذَّبَانِهِ غَيْرِ كَبِيرٍ، «إِنَّهُمَا لِيُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ» - بِزَعْمِهِمَا -؛ فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لَا يَسْتَنْزُهُ مِنَ الْبَوْلِ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بَيْنَ النَّاسِ

(١) «صحيح البخاري»: ٣٢١/١، رقم (٢١٨)، و«صحيح مسلم»: ٢٤٠/١، رقم (٢٩٢)، من حديث: ابن عباسٍ رضي الله عنهما، قال: قال: مرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِقَبْرَيْنِ، فَقَالَ: «إِنَّهُمَا لِيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لَا يَسْتَنْزُهُ مِنَ الْبَوْلِ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ».

وفي رواية لمسلم: ٢٤١/١، بلفظ: «...، وَكَانَ الْآخَرُ لَا يَسْتَنْزُهُ عَنِ الْبَوْلِ - أَوْ مِنَ الْبَوْلِ -».

بِالنَّمِيمَةِ».

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»^(١): عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ نَمَامٌ». فَهَذِهِ الْأُمُورُ الَّتِي لَا يَتَوَرَّعُ عَنْهَا جَمَاهِيرُ الْمُسْلِمِينَ فِي رَمَضَانَ؛ فَضْلًا عَنْ تَوَرَّعِهِمْ عَنْهَا فِي غَيْرِ رَمَضَانَ مِنَ الْأُمُورِ الْكَبِيرَةِ عِنْدَ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا. وَالنَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ حَدِّ الْغَيْبَةِ فَقَالَ ﷺ: «أَنْكَ إِذَا ذَكَرْتَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ»، يَعْنِي: فِي غِيَابِهِ.

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ بَهْتَهُ»^(٢).

وَالْبُهْتَانُ: الْكَذِبُ وَالزُّورُ، وَأَنْ يَرْمِيَ الْإِنْسَانَ أَخَاهُ بِمَا لَيْسَ فِيهِ. فَلَا بُدَّ مِنَ التَّدْرِيبِ عَلَى حِفْظِ اللِّسَانِ قَبْلَ رَمَضَانَ، وَهَذِهِ فِتْرَةٌ كَافِيَةٌ مِنْ أَجْلِ أَنْ يُرَاقِبَ الْإِنْسَانُ نَفْسَهُ.

وَلْتُعَاهِدْ رَبَّكَ عَلَى أَنْ تَمْضِيَ يَوْمًا - وَالْيَوْمُ إِذَا أُطْلِقَ دَخَلَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ فِيهِ

(١) «صحيح البخاري»: ٤٧٢/١٠، رقم (٦٠٥٦)، و«صحيح مسلم»: ١/١٠١، رقم (١٠٥)، عَنْ هَمَّامِ بْنِ الْحَارِثِ، قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا مَعَ حُذَيْفَةَ فِي الْمَسْجِدِ، فَجَاءَ رَجُلٌ حَتَّى جَلَسَ إِلَيْنَا فِقِيلٌ لِحُذَيْفَةَ: إِنَّ هَذَا يَرْفَعُ إِلَى السُّلْطَانِ أَشْيَاءَ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ إِزَادَةَ أَنْ يُسْمِعَهُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَاتٌ». وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ نَمَامٌ».

(٢) أخرجه مسلم في «الصحيح»: ٤/٢٠٠١، رقم (٢٥٨٩)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

مَعًا- مِنْ أَيَّامِكَ مِنْ أَيَّامِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا غَيْرِ وَاقِعٍ فِي عَرَضٍ أَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ،
وَعَيْرٍ نَاقِلٍ لِحَدِيثِ الْمُسْلِمِينَ بَعْضِهِمْ إِلَى بَعْضٍ، وَإِنَّمَا تَكُونُ عَلَى الْجَادَّةِ وَعَلَى
السَّوِيَّةِ، مُرَاقِبًا لِللسَانِ، حَافِظًا لِمَنْطِقِكَ، فَإِذَا مَرَّ يَوْمُكَ عَلَى الْجَادَّةِ فَقَدْ أَفْلَحْتَ
وَأَنْجَحْتَ، وَسَيَأْتِي مِنْكَ خَيْرٌ كَبِيرٌ.

يَوْمٌ بِطَوْلِهِ يَمُرُّ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَغْتَابَ فِيهِ أَحَدًا!! مَا هَذَا؟!!

مِنَ الصِّدِّيقِينَ أَنْتَ فِي هَذَا الزَّمَانِ؟!! أَمْ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ الصَّالِحِينَ؟!!

مِنْ أَيِّ فَصِيلٍ أَنْتَ؟!!

يَمُرُّ يَوْمٌ بِحَالِهِ بِكَامِلِهِ لَا تَغْتَابُ فِيهِ أَحَدًا!! مَا أَسْعَدَكَ وَمَا أَقْرَبَكَ مِنَ
الصَّلَاحِ وَالْفَلَاحِ وَالنَّجَاةِ!! - نَسَأَلُ اللَّهَ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْنَا أَجْمَعِينَ -.

عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَجْتَهِدَ فِي رِقَابَةِ مَا يَدْخُلُ بَطْنَهُ، وَمَا يَخْرُجُ مِنْ فِيهِ، مَا
يَدْخُلُ بَطْنَهُ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَخْبَرَ: «أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا مَا ضَمِنَ - لِلنَّبِيِّ ﷺ - مَا بَيْنَ
لَحْيَيْهِ، وَمَا بَيْنَ فَخْذَيْهِ ضَمِنَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ الْجَنَّةَ» (١).

فَعَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يُرَاقِبَ مَا يَخْرُجُ مِنْ لَفْظِهِ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ شَدَّدَ فِي هَذَا
الْأَمْرِ جِدًّا، وَقَالَ ﷺ: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا يَتَبَيَّنُ مَا فِيهَا، يَهْوِي بِهَا فِي

(١) أخرج البخاري في «الصحيح»: ٣٠٨/١١، رقم (٦٤٧٤)، من حديث: سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ،
عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «مَنْ يَضْمَنُ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنَ لَهُ الْجَنَّةَ».
وفي رواية له: ١١٣/١٢، رقم (٦٨٠٧)، بلفظ: «مَنْ تَوَكَّلَ لِي مَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ وَمَا بَيْنَ
لَحْيَيْهِ، تَوَكَّلْتُ لَهُ بِالْجَنَّةِ».

النَّارِ، أَبْعَدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ» (١).

كَلِمَةً وَاحِدَةً يَكْتُبُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ عَلَيْهِ بِهَا سَخَطُهُ إِلَى يَوْمٍ يَلْقَاهُ؛ فِي حَيَاتِهِ وَفِي بَرْزَخِهِ إِلَى أَنْ يَلْقَى رَبَّهُ جَلَّ وَعَلَا.

نَسَأَلُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ أَنْ يَمُنَّ عَلَيْنَا بِالتَّوْبَةِ النَّصُوحِ وَبِالإِقَامَةِ عَلَى ذَلِكَ، إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. (*).

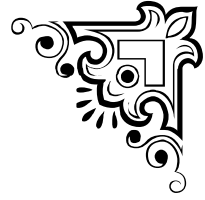
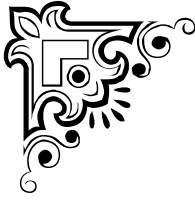


(١) أخرجه البخاري في «الصحیح»: ١١ / ٣٠٨، رقم (٦٤٧٧)، ومسلم في «الصحیح»:

٤ / ٢٢٩٠، رقم (٢٩٨٨)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

وفي رواية للبخاري: ١١ / ٣٠٨، رقم (٦٤٧٨)، بلفظ: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ، لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ، لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ».

(*): مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «بَيْنَ يَدَيِ رَمَضَانَ» - الْجُمُعَةَ ١٦ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٣٠هـ / ٧-٨-



الاسْتِعْدَادُ لِرَمَضَانَ: بِتَطْهِيرِ الْقَلْبِ وَتَصْحِيحِ الْإِعْتِقَادِ

فَعَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يُعِدَّ الْعِدَّةَ لَشَهْرِ أَنْعَمَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ عَلَى الْأُمَّةِ بِهِ،
وَجَعَلَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ الْمَغْفِرَةَ وَاصِلَةً إِلَى الْمُسْلِمِينَ فِيهِ، وَجَعَلَ اللَّهُ رَبُّ
الْعَالَمِينَ سُوقَ الْخَيْرَاتِ فِيهِ نَافِقَةً، وَجَعَلَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ
إِلَيْهِ مُوَصَّلَةً، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا؛ غُفِرَ لَهُ مَا
تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» (١).

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ
ذَنْبِهِ» (٢).

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ
مِنْ ذَنْبِهِ» (٣).

فَبَيْنَ النَّبِيِّ ﷺ عَظِيمَ الْعَطَاءِ فِي هَذَا الشَّهْرِ، وَلَا يُعْقَلُ أَنْ يَكُونَ بِهِ

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) تقدم تخريجه.

الْمَثَابَةِ؛ مَبَاءَةَ طَهْرٍ، وَمَحَلَّ مَثْوِيَةٍ، وَقِيَامَ عَطَاءٍ، وَيَدْخُلُهُ الْمَرْءُ مُلَوَّنًا بِحَالِهِ، وَبِمَا فِيهِ مِنْ ضَعْفِ صَدْرٍ وَغِلٍّ فَوَادٍ وَحَقْدِ قَلْبٍ!! (*)

يُنْبَغِي عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَكُونَ نَاقِيًا نِيَّةَ الْخَيْرِ؛ بِأَنْ يَكُونَ بَازِلًا لِلَّيْلِ لِرَبِّهِ عَلَى نَحْوِ مَرَضِيٍّ؛ إِمَّا بِالْعِبَادَةِ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ بَدَنًا لَا يَفْتَرُّ وَلَا يَكِلُ - اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ - عَلَى قَدْرِ الْوُسْعِ وَالطَّاقَةِ.

وَعَلَى الْمَرْءِ أَنْ يَكُونَ آخِذًا بِالْحَلَالِ، مُعَدًّا ذَلِكَ لِذَلِكَ الشَّهْرِ.

وَاعْلَمُوا - عِبَادَ اللَّهِ - أَنَّ طَهَارَةَ الْقَلْبِ هِيَ أَصْلُ الْمَسْأَلَةِ، وَهُوَ حَرْفُهَا الَّذِي يَدُورُ عَلَيْهِ شَأْنُهَا.

طَهَارَةُ الْقَلْبِ مِمَّا يَعْلُقُ بِهِ مِنْ تِلْكَ الشَّائِبَاتِ الَّتِي تَكُونُ قَاطِعَةً عَنِ الْوُصُولِ إِلَى مَرْضَاةِ رَبِّ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ؛ فَعَلَى الْمَرْءِ أَنْ يَجْتَهِدَ فِي تَطْهِيرِ قَلْبِهِ، وَأَنْ يُفْتَشَّ فِيهِ قَبْلَ دُخُولِ هَذَا الْمَوْسِمِ مِنْ مَوَاسِمِ الطَّاعَاتِ. (*) (٢).



(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «بَيْنَ يَدَيْ رَمَضَانَ» - الْجُمُعَةُ ١٦ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٣٠هـ / ٧-٨ - ٢٠٠٩م.

(*) (٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «الْإِسْتِعْدَادُ لِرَمَضَانَ» - الْجُمُعَةُ ١٩ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٢٦هـ / ٢٣-٩-٢٠٠٥م، بِتَصَرُّفٍ وَاخْتِصَارٍ.

نصيحة غالية إلى طلاب العلم

النبي ﷺ جعل الدين النصيحة، ففي «صحيح مسلم»^(١)، من رواية: أبي رقية تميم بن أوس الداري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلوات الله وسلامته عليه: «الدين النصيحة».

قلنا: لمن يا رسول الله؟

قال: «الله ورسوله وكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم».

والنصيحة التي يمكن أن تبذل لطلاب العلم هي: أن يكفوا أيديهم، وأن يكفوا ألسنتهم، وأن يقبلوا - في هذا الموسم العظيم من مواسم تحصيل الثواب، وغفران السيئات، والقرب من الكريم الوهاب؛ أن يكفوا عن كل ما اجترحوه بأيديهم وبألسنتهم - وأن يقبلوا على الله تبارك وتعالى في المحضن الطاهر الذي تطهر فيه القلوب؛ لأنه إذا لم تطهر القلوب في رمضان فمتى تطهر القلوب؟!!!

على طلاب العلم أن يمسكوا ألسنتهم، وأن يكفوا أيديهم، وأن يقبلوا على العلم تطبيقاً وعملاً، لا تحصيلاً وترفاً ومتاعاً فقط، وإنما ينبغي عليهم أن

(١) «صحيح مسلم»: ١ / ٧٤، رقم (٥٥).

يُحَوِّلُوهُ إِلَىٰ وَاقِعِ عَمَلِيٍّ مَّنْظُورٍ.

عَلَيْهِمْ أَنْ يَكْفُوا أَيْدِيَهُمْ، وَأَنْ يَتَّقُوا اللَّهَ - جَلَّتْ قُدْرَتُهُ - فِي أَعْرَاضِ الْمُسْلِمِينَ، وَيَبْغِي عَلَيْهِمْ أَنْ يَهْذِبُوا الْقُلُوبَ، وَأَنْ يُصَفُّوا الْأَفْئِدَةَ، وَأَنْ يَهْذِبُوا الْأَرْوَاحَ، وَأَنْ يُقْبَلُوا عَلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِالذِّكْرِ.

وَأَنْ يُقْبَلُوا عَلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِتِلَاوَةِ كِتَابِهِ الْعَظِيمِ وَالتَّفَقُّهِ فِي مَرَامِيهِ، وَالنَّظَرِ فِي زَوَاجِرِهِ، وَالِاتِّعَاضِ بِمَوَاعِظِهِ، وَتَطْبِيقِ أَوْامِرِهِ، وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ، وَالدَّعْوَةِ إِلَيْهِ، وَالْقِيَامِ عَلَيْهِ مَعَ الصَّبْرِ عَلَى الْأَذَى فِيهِ؛ لِأَنَّ هَذَا الشَّهْرَ هُوَ شَهْرُ الْقُرْآنِ، أَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِيهِ الْقُرْآنَ، فَهَذَا شَهْرُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ.

فَعَلَيْنَا أَنْ نَتَّسَىٰ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَنْ نُقْلَعَ عَنِ الْوُلُوغِ فِي أَعْرَاضِ الْمُسْلِمِينَ كِتَابَةً وَلَفْظًا، وَأَنْ نَتَّقِيَ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِي إِخْوَانِنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَعَلَيْنَا أَنْ نَرْفُقَ بِهِمْ، وَأَنْ نَدْعُوَ إِلَى اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ مُتَرَفِّقِينَ.

وَمَهْمَا كَانَ مِنْ خُشُونَةٍ لَفْظٍ فَلَمْ تَكُنْ مَقْصُودَةً لِذَاتِهَا، وَإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ كَمَا تَكُونُ إِحْدَى الْيَدَيْنِ قَدْ أَصَابَهَا وَسَخٌ؛ فَتَحْنُو عَلَيْهَا الْأُخْرَىٰ بِنَوْعِ تَخَشُّينٍ؛ لِأَنَّ الْوَسَخَ لَا يُقْلَعُ إِلَّا بِهَذَا النَّوْعِ مِنَ التَّخَشُّينِ، فَمَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ فَذَلِكَ مَقْصُودُهُ، وَإِنَّمَا يَكُونُ الْكَلَامُ بِعِلْمٍ وَحِلْمٍ وَعَدْلٍ، فَإِذَا لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ؛ كَانَ غِيْبَةً مُحَرَّمَةً.

وَالنَّبِيُّ ﷺ أَخْبَرَ أَنَّ الْغِيْبَةَ مِنْ كَبَائِرِ الذُّنُوبِ، وَأَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَصِحَّ لَهُ دِينٌ طَالَمَا كَانَ عَاكِفًا عَلَىٰ ذَلِكَ، طَالَمَا كَانَ وَالِغَا فِي أَعْرَاضِ الْمُسْلِمِينَ.

يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْإِنْسَانُ مُتَكَلِّمًا بِعِلْمٍ وَعَدْلٍ، وَلَوْ كَانَ مُتَكَلِّمًا بِعِلْمٍ وَعَدْلٍ
 مَعَ الْهَوَىٰ وَقَصْدِ السُّوءِ - مَعَ أَنَّهُ يَتَكَلَّمُ بِعِلْمٍ وَعَدْلٍ - فَلَا يَتَجَاوَزُ وَلَا يَجْهَلُ؛
 وَلَكِنَّهُ لَا يَكُونُ مُحْسِنًا، وَلَا يُقْبَلُ عَمَلُهُ عِنْدَ اللَّهِ، وَإِنَّمَا يَكُونُ الْكَلَامُ بِعِلْمٍ وَعَدْلٍ
 مَعَ الْإِخْلَاصِ وَقَصْدِ وَجْهِ اللَّهِ الْكَرِيمِ؛ هَذَا هُوَ الْأَصْلُ فِي الْمَسْأَلَةِ، وَهَذَا هُوَ
 الْمَحْضَنُ قَدْ جَاءَ. (*)



(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «عَلَىٰ أَبْوَابِ رَمَضَانَ» - الْجُمُعَةَ ٢٥ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٣١هـ / ٦ -

رِسَالَةٌ إِلَىٰ أُنْبَاءِ الْأُمَّةِ قَبْلَ رَمَضَانَ

عِبَادَ اللَّهِ! إِنَّ أُمَّتَكُمْ تَحْتَاجُكُمْ..

إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ الْمَرْحُومَةَ تَحْتَاجُ أُنْبَاءَهَا تَائِبِينَ مُنِيبِينَ، خَاشِعِينَ لِلَّهِ ذَلِيلِينَ، عَلَيْهِ مُقْبِلِينَ عَنِ سِوَاهُ مُدْبِرِينَ..

أُمَّتَكُمْ تَحْتَاجُكُمْ؛ لِأَنَّكُمْ تُنْصَرُونَ عَلَىٰ أَعْدَائِكُمْ بِطَاعَتِكُمْ لِرَبِّكُمْ وَبِمَعْصِيَتِهِمْ لِرَبِّهِمْ، فَإِذَا اسْتَوَيْتُمْ أَنْتُمْ وَهُمْ فِي الْمَعَاصِي؛ مَعَ مَا آتَاكُمْ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا مِمَّا أَكْرَمَكُمْ بِهِ مِنَ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ، مِنَ الْقُرْآنِ الْمُنَزَّلِ وَحَيًّا مَعْصُومًا لَا يُبَدَّلُ وَلَا يُغَيَّرُ، وَلَا يُحَرَّفُ وَلَا يُصَحَّفُ، وَلَا يَزَادُ فِيهِ وَلَا يُنْقَصُ مِنْهُ، فَهُوَ حَبْلُ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا الْمَتِينُ؛ مَنْ تَمَسَّكَ بِهِ تَمَسَّكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَكَانَ عَلَىٰ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ.

مَعَ مَا آتَاكُمْ اللَّهُ مِنَ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَاتَّبَاعِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ ﷺ؛ فَذَنْبُ مَنْ عَصَىٰ مِنْكُمْ أَكْبَرُ؛ لِأَنَّ الْأَخْرِينَ مِنْ أَهْلِ الضَّلَالِ لَمْ يَلْتَفِتُوا إِلَىٰ هَذَا الْخَيْرِ وَلَمْ يُؤْتَوْهُ، وَأَمَّا أَنْتُمْ فَمَا عُدْرَتُكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ؟!!

مَا تَقُولُونَ لَهُ إِذَا وَقَفْتُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ؟!!

أَلَمْ أُرْسِلْ إِلَيْكُمْ رَسُولِي؟!!

أَلَمْ يُبَلِّغْكُمْ كِتَابِي؟!؟

أَلَمْ أَعْصِمْ وَحْيِي مِنَ التَّبْدِيلِ وَالتَّغْيِيرِ وَالتَّحْرِيفِ الَّذِي وَقَعَ فِي الْأُمَّمِ

السَّابِقَةِ؟!؟

لِمَ لَمْ تَتَمَسَّكُوا بِهِ؟!؟

وَلِمَ لَمْ تَقُومُوا بِحَقِّهِ؟!؟

أَنْتُمْ مَسْئُولُونَ عِنْدَ رَبِّكُمْ جَلَّ وَعَلَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ الَّتِي تُوَثِّرُ فِيهَا
مَعَاصِيكُمْ.

مَعَاصِينَا تُوَثِّرُ فِي أُمَّتِنَا؛ ذُلًّا نَازِلًا، وَمَذَلَّةً حَالَةً، وَانْحِطَاطًا قَوِيًّا، وَكُلُّ هَذَا
بَيْنَهُ الرَّسُولُ ﷺ: «إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضِيْتُمْ بِالزَّرْعِ،
وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ؛ سَلَطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ عَنْكُمْ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى
دِينِكُمْ»^(١).

فَبَيَّنَ الرَّسُولُ ﷺ أَنَّ هَذَا الذُّلَّ النَّازِلَ عَلَى الْأُمَّةِ، الَّذِي سُلِّطَ عَلَيْهَا؛ إِنَّمَا
هُوَ بِمَا قَدَّمْتَ أَيْدِي أِبْنَائِهَا، وَبِمَا اقْتَرَفْتَهُ جَوَارِحُهُمْ، وَبِحَيُودِهِمْ عَنْ مَنْهَاجِ رَبِّهِمْ
وَسُنَّةِ نَبِيِّهِمْ ﷺ.

كُونُوا مُصْلِحِينَ، وَلَنْ تَكُونُوا مُصْلِحِينَ حَتَّى تَكُونُوا صَالِحِينَ..

(١) أخرجه أبو داود في «السنن»: ٢٧٤ / ٣، رقم (٣٤٦٢)، من حديث: ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

والحديث صححه بمجموع طرقه الألباني في «الصحيححة»: ٤٢ / ١، رقم (١١).

عِشُوا الْإِسْلَامَ وَتَنَفَّسُوهُ، وَتَمَسَّكُوا بِهِ وَتَمَسَّكُوا بِغُرْزِ نَبِيِّكُمْ ﷺ..

ادْعُوا إِلَى اللَّهِ، وَتَمَسَّكُوا بِدِينِ اللَّهِ، وَكُونُوا عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ، وَإِيَّاكُمْ
وَبُنَيَاتِ الطَّرِيقِ فَإِنَّهَا الْمُهْلِكَاتُ، عَلَى رَأْسِ كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ.

فَعَلَيْنَا أَنْ نَتَجَهَّزَ مُسْتَعِدِّينَ لِهَذِهِ السَّفَرَةِ عَسَى أَنْ نَخْرُجَ مِنْهَا فَالْحَيِّنَ
مُفْلِحِينَ.

النَّبِيُّ ﷺ أَمَّنَ عَلَى دُعَاءِ جِبْرِيلَ وَهُوَ يَقُولُ: «وَرَعِمَ أَنْفُ عَبْدٍ انْسَلَخَ عَنْهُ
رَمَضَانَ فَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ، قُلْ: آمِينَ».

فَقَالَ الْمَعْصُومُ: «آمِينَ» ﷺ (١).

(١) أخرجه الحسين بن حرب في «البر والصلة»: ص ٢٤، رقم (٤٨)، والبخاري في
«الأدب المفرد»: ص ١٦٨، رقم (٦٤٦)، والقاضي إسماعيل بن إسحاق في «فضل
الصلاة على النبي ﷺ»: ص ٣٤، رقم (١٨)، وأبو يعلى في «المسند»: ١٠ / ٣٢٨،
رقم (٥٩٢٢)، وابن حبان في «الصحيح» بترتيب ابن بلبان: ٣ / ١٨٨، رقم (٩٠٧)، من
طرق: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَقِيَ الْمَنْبَرِ فَقَالَ: «آمِينَ آمِينَ آمِينَ» فَقِيلَ لَهُ: يَا
رَسُولَ اللَّهِ، مَا كُنْتَ تَصْنَعُ هَذَا؟ فَقَالَ: قَالَ لِي جِبْرِيلُ: «رَعِمَ أَنْفُ عَبْدٍ دَخَلَ عَلَيْهِ
رَمَضَانَ لَمْ يُغْفَرْ لَهُ»، فَقُلْتُ: «آمِينَ»، ثُمَّ قَالَ: «رَعِمَ أَنْفُ عَبْدٍ أَدْرَكَ أَبُوَيْهِ أَوْ أَحَدَهُمَا لَمْ
يُدْخِلْهُ الْجَنَّةَ»، فَقُلْتُ: «آمِينَ»، ثُمَّ قَالَ: «رَعِمَ أَنْفُ عَبْدٍ ذُكِرَتْ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْكَ»،
فَقُلْتُ: «آمِينَ».

وفي رواية: «مَنْ أَدْرَكَ شَهْرَ رَمَضَانَ وَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ فَدَخَلَ النَّارَ فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ، قُلْ: آمِينَ،
فَقُلْتُ: آمِينَ، ...» الحديث.

لَا تَحْسَبَنَّ أَنَّكَ تَدْخُلُ فَتَخْرُجُ كَمَا دَخَلْتَ؛ أَنْ ذَلِكَ يَمُرُّ لَا لَكَ وَلَا عَلَيْكَ،
لَا؛ إِنَّمَا هُوَ الذُّلُّ النَّازِلُ، وَالْمَهَانَةُ الْمُحِيطَةُ «رَغِمَ أَنْفُهُ»، وَالِدَّاعِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ،
وَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَالنَّبِيُّ الْهُمَامُ.

أَتَظُنُّ أَنَّ هَذَا لَا يُقْبَلُ؟!!

أَتَظُنُّ أَنَّ هَذَا الدَّعَاءَ يُرَدُّ؟!!

سُبْحَانَ اللَّهِ!! إِنْ رُدَّ هَذَا فَمَا الَّذِي يُقْبَلُ؟!!

«رَغِمَ أَنْفُ عَبْدٍ انْسَلَخَ عَنْهُ رَمَضَانُ فَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ، قُلْ: آمِينَ».

فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «آمِينَ».

عَلَيْنَا أَنْ نَتُوبَ إِلَى اللَّهِ، أَنْ نُرَاقِبَ سِرَّنَا وَضَمِيرَنَا، وَأَنْ نَحْفَظَ نَجْوَانَا، وَأَنْ
نُقِيمَ قُلُوبَنَا عَلَى الْجَادَّةِ الْمُسْتَقِيمَةِ مِنْ عَقِيدَةِ السَّلَفِ الصَّالِحِينَ وَمَا كَانَ عَلَيْهِ
أَصْحَابُ النَّبِيِّ الْأَمِينِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَنْ نُجَانِبَ الْبِدَعَ الْإِعْتِقَادِيَّةَ كُلَّهَا، وَأَنْ نَتَّكِبَ
الشَّهَوَاتِ جَمِيعَهَا، وَالشُّبُهَاتِ أَيْضًا.

والحديث صححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»: ١/ ٥٨٤، رقم (٩٩٧)،
و٢/ ٢٩٩، رقم (١٦٧٩)، وروى مثله عن جابر وكعب بن عجرة وأنس وعبد الله بن
الحارث وعمار وجابر بن سمرة ومالك بن الحويرث وابن عباس رضي الله عنهم، وعن سعيد بن
المسيب مرسلًا.

والحديث أصله في «صحيح مسلم»: ٤/ ١٩٧٨، رقم (٢٥٥١)، مختصرًا.

وَعَلَيْنَا أَنْ نَحْفَظَ مَنْطِقَنَا وَلِسَانَنَا، وَأَنْ نَغُضَّ عَنِ الْمُحَرَّمَاتِ أَبْصَارَنَا، وَأَلَّا
نُمَدَّ إِلَى الْخَنَا آذَانَنَا.

عَلَيْنَا أَنْ نَغَيِّرَ الْحَيَاةَ لِتَغْيِيرِ الْحَيَاةِ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا
بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

وَمَا نَزَلَ بَلَاءٌ وَلَا عَذَابٌ إِلَّا بِذَنْبٍ؛ وَلَا رُفِعَ إِلَّا بِطَاعَةٍ وَتَوْبَةٍ.
وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ وَعَلَيْهِ التُّكْلَانُ.

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (*).



(*): مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «بَيْنَ يَدَيْ رَمَضَانَ» - الْجُمُعَةَ ١٦ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٣٠هـ / ٧-٨-



الاستعداد لرمضان..

وكيف نحياه؟

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا
وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا
إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُونَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل

عمران: ١٠٢].

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا
رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ۖ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾

[النساء: ١].

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ
وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

• أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ،
وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ
ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

• أَمَّا بَعْدُ:

النَّفْسُ الْإِنْسَانِيَّةُ كَالرَّحَى الدَّائِرَةُ!!

فَإِنَّ اللَّهَ - جَلَّتْ قُدْرَتُهُ - خَلَقَ النَّفْسَ الْإِنْسَانِيَّةَ كَالرَّحَى الدَّائِرَةَ الَّتِي لَا بُدَّ أَنْ يُلْقَى فِيهَا شَيْءٌ، فَإِنَّ أَلْقَى فِيهَا حَبًّا؛ طَحَّتَهُ، وَإِنْ أَلْقَى فِيهَا تَرَابًا أَوْ حَطَبًا؛ طَحَّتَهُ.

وَإِنَّ الْخَوَاطِرَ الَّتِي تَدُورُ فِي النَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ كَالَّذِي يُلْقَى فِي تِلْكَ الرَّحَى الدَّائِرَةَ الَّتِي لَا بُدَّ أَنْ تَطْحَنَ شَيْئًا، فَإِذَا مَا أَلْقَى الْإِنْسَانُ فِي تِلْكَ الرَّحَى الدَّائِرَةَ حَبًّا؛ أَخْرَجَتِ الرَّحَى دَقِيقًا نَفَعَهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِهِ، وَنَفَعَ النَّاسَ، وَإِنْ أَلْقَى فِيهَا تَبْنًا أَوْ حَطَبًا؛ أَخْرَجَتْ لَهُ طِحْنًا، فَذَلِكَ غِذَاؤُهُ.

وَسَيَنْظُرُ كُلُّ عِنْدَمَا يَرِيدُ أَنْ يَتَحَصَّلَ عَلَى شَيْءٍ يَنْتَفِعُ بِهِ إِلَى طَحِينِهِ؛ إِنْ كَانَ دَقِيقًا، أَوْ كَانَ تَبْنًا، أَوْ كَانَ تَرَابًا، كُلُّ بِكُلٍّ، وَاللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ كَتَبَ الْمَسْئُولِيَّةَ الْفَرْدِيَّةَ عَلَى النَّاسِ فِي كُلِّ حِينٍ وَحَالٍ.



إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أَحْصِيهَا عَلَيْكُمْ!

أخرج مسلمٌ في «صحيحه»^(١) بسنده عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فِيمَا يَرَوِيهِ عَنْ رَبِّهِ: «إِنَّ اللَّهَ -تَعَالَى- قَالَ: يَا عِبَادِي؛ إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ مُحَرَّمًا بَيْنَكُمْ؛ فَلَا تَظَالَمُوا»^(٢)، يَا عِبَادِي؛ كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ؛ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي؛ كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ؛ فَاسْتَطْعِمُونِي أَطْعِمَكُمْ.

(١) أخرجه مسلم في «الصحيح»: كتاب البر والصلة: بَابُ تَحْرِيمِ الظُّلْمِ، (٢٥٧٧)، من طريق: سعيد بن عبد العزيز، عن ربيعة بن يزيد، عن أبي إدريس الخولاني، عن أبي ذر، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فيما روى عن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي،...» الحديث، إِلَّا أَنْ فِيهِ: «وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا»، بدلا من «وَأَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ»، وفيه: «أَحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أَوْفِيكُمْ بِهَا»، بدلا من «أَحْصِيهَا عَلَيْكُمْ». وفي رواية له: «إِنِّي حَرَمْتُ عَلَى نَفْسِي الظُّلْمَ وَعَلَى عِبَادِي، فَلَا تَظَالَمُوا».

(٢) «فَلَا تَظَالَمُوا» بفتح التاء وتشديد الظاء وتخفف، وأصلها: (تتظالموا) حذف إحدى التاءين تخفيفا، والمراد: لا يظلم بعضكم بعضا.

انظر: شرح النووي على صحيح مسلم: (١٣٢/١٦)، و«مرقاة المفاتيح»:

(٤/١٦١١/رقم ٢٣٢٦)، و«فيض القدير»: (٤/٤٧٦/رقم ٦٠٢٠).

يَا عِبَادِي؛ كَلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ؛ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ^(١)، يَا عِبَادِي؛
 إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ^(٢)، وَأَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ؛ فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ
 لَكُمْ، يَا عِبَادِي؛ إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي
 فَتَنْفَعُونِي، يَا عِبَادِي؛ لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنِّكُمْ كَانُوا عَلَيَّ

(١) «إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي»، أي: اطلبوا مني الكسوة، «أَكْسُكُمْ» بضم السين، أي:
 أيسر لكم حالاتكم، وأزيل عنكم مساويء كشف سواآتكم.

انظر: «مرقاة المفاتيح»: (٤/١٦١٢).

(٢) «إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ» الرواية المشهورة بضم التاء وكسر الطاء، وفي رواية بفتح التاء والطاء
 (تَخْطِئُونَ) على وزن (تَقْرؤونَ)، يقال: أَخْطَأَ يُخْطِئُ رِبَاعِيًّا: إذا فعل عن غير قصد،
 ومنه قوله: ﴿وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً﴾ [النساء: ٩٢]، وقوله: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا
 أَخْطَأْتُمْ بِهِ، وَلَكِنْ مَّا نَعَمَدْتُمْ قُلُوبَكُمْ﴾ [الأحزاب: ٥]، ويقال: خَطِئَ يَخْطِئُ كَعَلِمَ يَعْلَمُ
 ثلاثياً: إذا فعل عن قصد، ومنه قوله: ﴿إِنَّا كُنَّا خَطِئِينَ﴾ [يوسف: ٩٧]، وقوله: ﴿إِنَّا كُنَّا
 كُنْتُمْ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ [يوسف: ٢٩]، وصحح النووي الروایتان، وأوجب ابن
 الملقن وغيره أن يكون هاهنا (تخطئون) ثلاثياً؛ لأنه جَعَلَهُ ذَنْبًا يُغْفَرُ، لقوله: «وَأَنَا أَغْفِرُ
 الذُّنُوبَ جَمِيعًا»، والخطأ عن غير قصدٍ مَعْفُوٌّ عنه لا يُعْتَدُّ به أصلاً ذنباً ولا غيره؛ لِذَفْعِ
 الخطأ والنسيان عن هذه الأمة.

انظر: شرح النووي على صحيح مسلم: (١٦/١٣٣)، «التعيين في شرح الأربعين»
 لسليمان بن عبد القوي الصرصري: (ص ١٨٣)، و«المعين على تفهم الأربعين» لابن
 الملقن: (ص ٢٩٦)، و«مجمع بحار الأنوار»: (٢/٥٩)، و«مرقاة المفاتيح»:
 (٤/١٦١٢)، و«فيض القدير»: (٤/٤٧٧)، و«المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ
 القرآن الكريم»: الخاء والطاء وما يثلاثهما، (١/٥٧٦).

أَتَقَى قَلْبَ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ؛ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي؛ لَوْ أَنَّ
أَوْلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ كَانُوا عَلَيَّ أَفْجَرَ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ - وَلَمْ
يَقُلْ: مِنْكُمْ؛ فَالْمُتَكَلَّمُ اللهُ-؛ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا.

يَا عِبَادِي؛ لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ،
فَسَأَلُونِي، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ؛ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنِّي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ
الْمَخِيطُ إِذَا أُدْخِلَ فِي الْبَحْرِ - وَالْمَخِيطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ وَأُخْرِجَ مِنْهُ؛ لَا يَنْقُصُ
الْبَحْرَ شَيْئًا، زِيَادَةً عَلَى أَنَّ الْإِبْرَةَ الَّتِي هِيَ الْمَخِيطُ مَصْقُولَةٌ لَا يَعْلُقُ بِهَا مِنَ الْمَاءِ
شَيْءٌ، وَإِنَّمَا هُوَ مِثْلُ ضَرْبِهِ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ؛ لِيُقَرَّبَ إِلَيَّ أَفْهَامِنَا وَأَذْهَانَنَا
الْمَسْأَلَةَ-، يَا عِبَادِي؛ إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أَحْصِيهَا عَلَيْكُمْ، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا؛
فَلِيُحْمَدِ اللهُ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ؛ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ.

قَالَ سَعِيدٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ^(١): «كَانَ أَبُو إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيُّ^(٢) إِذَا حَدَّثَ بِهَذَا الْحَدِيثِ؛
جَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ؛ مِنْ جَلَالِ مَا يَرُوي مِنْ كَلَامِ اللهِ الَّذِي أَوْحَى بِهِ إِلَيَّ نَبِيِّهِ ﷺ
حَدِيثًا قَدْسِيًّا.

«إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أَحْصِيهَا لَكُمْ، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا؛ فَلِيُحْمَدِ اللهُ، وَمَنْ وَجَدَ
غَيْرَ ذَلِكَ؛ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ».

(١) سَعِيدٌ، هُوَ الْإِمَامُ الثَّقَةُ: سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ أَبِي يَحْيَى التَّمُوزِيِّ الدَّمَشْقِيِّ، رَاوَى
الْحَدِيثَ، وَكَانَ مِنْ كِبَارِ أَتْبَاعِ التَّابِعِينَ.

(٢) أَبُو إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيُّ، هُوَ الْإِمَامُ الْقَاضِي الْوَاعِظُ: عَائِدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو،
الْعَوَظِيُّ الشَّامِيُّ، وُلِدَ عَامَ حُنَيْنٍ، وَكَانَ مِنْ كِبَارِ التَّابِعِينَ.

فَبِمَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ، وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا.

«فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا؛ فَلْيَحْمِدِ اللَّهَ» عَلَى تَوْفِيقِهِ لِمَطَاعَتِهِ، وَذِكْرِهِ، وَالْإِنَابَةِ إِلَيْهِ،
وَالْإِخْبَاتِ لِجَلَالِ وَجْهِهِ، وَصَفِّ الْأَقْدَامِ فِي أَجْوَابِ اللَّيَالِي بَيْنَ يَدَيْهِ.

«وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ» وَلَمْ يَقُلْ: شَرًّا؛ إِذِ الْمُتَكَلِّمُ اللَّهُ، «وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ
- وَلَا يَكُونُ بَضِدًا خَيْرًا إِلَّا شَرًّا-؛ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ».

فَبِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ، وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ.



مُصَاحِبَةُ الْأَتْقِيَاءِ الذَّاكِرِينَ

إِنَّ صُحْبَةَ الصَّالِحِينَ وَمَجَالَسَةَ الْمُتَّقِينَ الطَّيِّبِينَ خَيْرٌ وَبَرَكَهٌ، وَنَفْعٌ وَمَغْنَمٌ؛ فَعَلَى الْعَبْدِ الْمُسْلِمِ أَنْ يُصَاحِبَ الْأَتْقِيَاءَ الذَّاكِرِينَ وَلَوْ كَانُوا فُقَرَاءَ مُسْتَضْعَفِينَ، وَاللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ أَخْبَرَ نَبِيَّهُ الْأَمِينَ بِذَلِكَ فِي كِتَابِهِ الْعَظِيمِ؛ فَقَدْ أَخْرَجَ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ»^(١) بِسَنَدِهِ عَنْ سَعْدِ بْنِ مَالِكٍ -هُوَ ابْنُ أَبِي وَقَّاصٍ، سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ أَنَا، وَابْنُ مَسْعُودٍ، وَرَجُلٌ مِنْ هُدَيْلٍ، وَبِلَالٌ، وَرَجُلَانِ لَا أَسْمِيَهُمَا»^(٢)، فَجَاءَتْ قَرِيشٌ، فَقَالَتْ: اطْرُدْ هَؤُلَاءِ لَا يَجْتَرِئُونَ عَلَيْنَا»^(٣).

(١) أخرجه مسلم في «الصحيح»: كتاب فضائل الصحابة: باب في فضل سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (٢٤١٣).

(٢) «ورجلان لست أسميهما» بتشديد الميم ويجوز تخفيفها، أي: لا أتذكرهما.

انظر: «مرقاة المفاتيح»: (٩/٣٩٩٩/رقم ٦٢٠٢).

(٣) «لا يجترئون علينا»، أي: لا يكون لهم جراءة علينا في مخاطبتهم بنا إن كنت تريد أن تؤمن بك وتدخل عليك.

انظر: «مرقاة المفاتيح»: (٩/٣٩٩٩/رقم ٦٢٠٢).

قال سعد رضي الله عنه - وهو راوي الحديث، وكان حاضرًا -: فَدَارَ فِي نَفْسِ الرَّسُولِ صلوات الله وسلاماته مَا دَارَ، فَحَدَّثَ نَفْسَهُ بِمَا شَاءَ اللَّهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ - جَلَّتْ قَدْرَتُهُ -: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدْوَةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٢].

أخبر الله رب العالمين رسوله صلوات الله وسلاماته أَنَّ كُلَّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ، وَأَنَّ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ جَعَلَ مِخْنَةً فِي الْحَيَاةِ قَائِمَةً إِذَا مَا حَادَ الْمَرْءُ عَنْ مَوَازِينِ اللَّهِ؛ فَإِنَّ الْقِيَمَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ الدِّينُ الْعَظِيمُ لَا تَرْتَبُطُ إِلَّا بِهِ، وَلَا تَصْدُرُ إِلَّا عَنْهُ، وَلَا تَدُورُ إِلَّا عَلَيْهِ، وَأَمَّا قِيَمُ الْبَشَرِ؛ مِنْ الْجَاهِ، وَالتَّمَلُّكِ، وَالرَّفْعَةِ، وَالسُّودِدِ، وَمَا أَشْبَهَ مِمَّا يَحُوزُهُ الْخَلْقُ تُرَابًا فَوْقَ التُّرَابِ؛ فَكُلُّ ذَلِكَ لَيْسَ مِنْ قِيَمِ الْإِسْلَامِ فِي شَيْءٍ.

وهؤلاء كانت قريش تسميهم (الجلابيب) ^(١)؛ مِنْ شِدَّةِ الْعَوَزِ الَّذِي كَانُوا يُعَانُونَهُ، وَمِنْ الْفَقْرِ الَّذِي كَانُوا يَمَسُّهُمْ بِمِيسَمِهِ، وَيَكْوِيهِمْ بِنَارِهِ، وَهُمْ صَابِرُونَ

(١) «الجلابيب»: لقب لمن كان أسلم من المهاجرين، لقبهم بذلك المشركون؛ لأنهم كانوا يلتحفون بها وكناية عن شدة فقرهم، وأصل (الجلابيب): الأزر الغلاظ الجافية التي يُشتمل بها فتعم جميع الجسد، واحدها: جِلْبَابٌ، وكان لبسها سمة للفقراء، ومنه قول علي رضي الله عنه: «من أحبنا أهل البيت فليعد للفقير جلبابًا»، وفي هؤلاء يقول حسان بن ثابت رضي الله عنه، وهو في ديوانه (٦٩):

(أَمْسَى الْجَلَابِيْبُ قَدْ عَزُّوا وَقَدْ كَثُرُوا... وَابْنُ الْفُرَيْعَةِ أَمْسَى بِيَضَةَ الْبَلَدِ)

أي: أن المهاجرين عزوا وكثروا بعد ذلتهم وقتلتهم، وابن فريعة الذي كان ذا ثروة وثراء

مُحْتَسِبُونَ، مجاهدون في سبيل الله جَلَّ وَعَلَا، بَادِلُونَ لِالأَرْوَاحِ وَالمُهَجِ (١)، وما دُونَ الرُّوحِ لَيْسَ بِعَالٍ، وإنما هو رَخِيسٌ.

وكان هؤلاء يُحِيطُونَ بالنبي ﷺ، وقد وَصَفَهُمُ اللهُ رَبُّ العَالَمِينَ بِإِدْمَانِ الذِّكْرِ لَهُ، وَبِعَدَمِ نِسْيَانِ الذِّكْرِ لِجَلَالِ وَجْهِهِ، مع ما شَهِدَ بِهِ مِنْ إِخْلَاصِهِمْ؛ إِذْ يَبْتَغُونَ وَجْهَهُ، يَبْتَغُونَ ذَاتَهُ، يَبْتَغُونَ رِضْوَانَهُ، يَبْتَغُونَ جَنَّتَهُ، يَبْتَغُونَ لِقَاءَهُ فِي الفِرْدَوْسِ الأَعْلَى مِنَ الجَنَّةِ، فيقولُ اللهُ جَلَّ وَعَلَا لِنَبِيِّهِ الكَرِيمِ ﷺ: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾، وما بَيْنَ ذَلِكَ، وما وَرَاءَ ذَلِكَ، يَرِيدُونَ وَجْهَهُ، لا يَرِيدُونَ شَيْئاً سِوَاهُ، فَشَهِدَ لَهُمُ اللهُ رَبُّ العَالَمِينَ بِالإِخْلَاصِ.

قَدْ أُخْرِعَ عَنْ قَدِيمِ شَرَفِهِ وَسُودَدِهِ، وَاسْتَبَدَّ بِالأَمْرِ دُونَهُ فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ بَيْضَةِ البَلَدِ الَّتِي تَبْيَضُّهَا النِّعَامَةُ ثُمَّ تَتْرُكُهَا بِالأَفْلَاقِ فَلا تَحْضُنُهَا، فَتَبْقَى تَرِيكَةً بِالأَفْلَاقِ.

انظر: «السيرة» لابن إسحاق اختصار ابن هشام: (٢/٣٠٤)، و«تهذيب اللغة»: (١١/٦٥) و(١٢/٦٠)، و«لسان العرب»: (١/٢٧٣) و(٧/١٢٦).

(١) «البذل»: ضد المنع، وهو: الإعطاء عن طيب نفس، و«المُهَج» جمع مُهَجَة، وهي: دُمُ القَلْبِ، ولا بقاء للنفس بعد ما تُراق مُهَجَتُها، وفيها من البلاغة ما فيها...! إذ ليس وراء بذل المهجة واستفراغ القوة غاية يطلبها طالب، ويرتجئها راغب، وبهذا قال الشاعر:
(قومٌ شعارُهُمُ قَدَمًا وَدَيْدَنُهُمْ... في اللهُ أَنْ يَبْذُلُوا الأَرْوَاحَ وَالمُهَجَا)
وقال آخر:

(إذ بات العرين بغير حام... وريع حمى الخلائف فاذا كرينا)

(لك المهجات نبذلها فداء... ولسنا في الفداء بمسرفينا)

ثُمَّ بَيْنَ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ أَوْلِيَاءَ الَّذِينَ حَرَصَ عَلَى أَنْ يَدْخُلُوا الدِّينَ؛ حَتَّى يَرْتَفِعَ طَرَفٌ مِنْ أَطْرَافِ هَذَا الدِّينِ بِسَبَبِ دُخُولِهِمْ فِيهِ؛ حَتَّى يَنْفُذَ مِنْ تَحْتِ هَذَا الطَّرَفِ الْمَرْفُوعِ مَنْ شَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ مِنَ الْمُسْتَضْعَفِينَ، وَمِنَ الْكِبْرَاءِ النَّاخِرِينَ عَلَى حَدِّ سَوَاءٍ، فَأَخْبَرَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ نَبِيَّهُ ﷺ أَنَّ الْمَسْأَلَةَ لَيْسَتْ كَمَا دَارَتْ فِي نَفْسِهِ، فِيمَا أَخْبَرَ بِهِ ابْنُ أَبِي وَقَاصٍ (رضي عنه): «فَحَدَّثَ النَّبِيُّ ﷺ نَفْسَهُ بِمَا شَاءَ اللَّهُ»، فَهَمَّ بِأَنْ يَطْرُدَ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَجْذِبَ إِلَيْهِ قُلُوبَ الْكِبْرَاءِ وَالسَّادَةِ، فَعَاتَبَهُ اللَّهُ -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ- بِهَذَا الْعِتَابِ الشَّدِيدِ: ﴿فَطْرُدْهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾، وَهُوَ يُخَاطَبُ نَبِيَّهُ الْأَمِينَ ﷺ.

وَالْمَسْئُولِيَّةُ الْفَرْدِيَّةُ قَائِمَةٌ فِيمَا بَيْنَهُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ: ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾، فَحِسَابُكَ عَلَى نَفْسِكَ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ.

وهؤلاء الذين جعل الله رب العالمين قلوبهم مصروفةً إلى الدين، فإزعةً إلى اليقين؛ هؤلاء المستضعفون من أتباع محمد المأمون (عليه السلام) جاء فيهم وصفه (عليه السلام)، عندما مرَّ رجلٌ مهيبٌ، حسنُ الشارة، عظيمُ البزة^(١)، فخمُ المركوب، فقال النبي (عليه السلام): «مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا؟».

قالوا: هذا رجلٌ حريٌّ -جديرٌ^(٢)- إذا تكلم أن يُسمع، وإذا أمر أن يُمتثل أمره، وإذا خطب أن يُزوج، وإذا شفع أن يُشفع، فسكت.

(١) «الشارة» و«البزة»، أي: الحسنُ والهيئةُ واللباسُ.

انظر «لسان العرب»: (٤ / ٤٣٤، مادة: شور)، و(٥ / ٣١٢، مادة: بز).

(٢) انظر «فتح الباري»: (١١ / ٢٧٧).

ثُمَّ مَرَّ آخِرُ رِثٍ فِي هَيْئَتِهِ، مُسْتَضْعَفٌ فِي بَرِّتِهِ، ذَلِيلٌ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ فِي مَجْمُوعِ حَالِهِ، فَقَالَ الرَّسُولُ ﷺ: «مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا؟».

فَقَالُوا: هَذَا رَجُلٌ جَدِيرٌ إِذَا تَكَلَّمَ أَلَّا يُسْمَعَ لَهُ، وَإِذَا أَمَرَ أَنْ يُعْصَى، وَإِذَا شَفَعَ أَلَّا يُشْفَعَ، وَإِذَا حَاطَبَ أَلَّا يُرَوَّجَ.

مُقْيَاسُ النَّاسِ، وَقَانُونُ الْخَلْقِ فِي الْحَيَاةِ فِي الصُّورَةِ الظَّاهِرَةِ، وَالْهَيْئَةِ الْمَنْظُورَةِ الْبَادِيَةِ، وَلَيْسَ مِنْ وِرَاءِ ذَلِكَ مِنْ حَقِيقَةِ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ، فَأَخْبَرَ الرَّسُولُ ﷺ بِحَقِيقَةِ الْأَمْرِ فَقَالَ: «هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلْءِ الْأَرْضِ مِنْ ذَلِكَ»^(١).

وَانظُرْ إِلَى قَوْلِهِ ﷺ: «مِنْ مِلْءِ الْأَرْضِ».

لَوْ أَنَّ الْأَرْضَ امْتَلَأَتْ بِأَشْبَاهِهِ وَأَمْثَالِهِ وَأَضْرَابِهِ، وَاحِدًا فِي قَفَا مَنْ أَمَامَهُ، حَتَّى تَمْتَلِئَ الْأَرْضُ، وَقَدْ مُدَّتْ، فَلَا بَحْرَ، وَلَا جَبَلَ، وَلَا سَهْلَ، وَلَا وَعْرَ، وَلَا نَجْدَ، وَإِنَّمَا هِيَ أَرْضٌ مُسْتَوِيَةٌ، فَمِلْتِ مِنْ أَمْثَالِ هَذَا وَأَضْرَابِهِ؛ لَكَانَ هَذَا الثَّانِي الرَّثُ فِي هَيْئَتِهِ، الْمُسْتَضْعَفُ فِي صُورَتِهِ خَيْرًا مِنْ مِلْءِ الْأَرْضِ مِنْ ذَلِكَ.

النَّبِيُّ ﷺ يَأْمُرُهُ رَبُّهُ - جَلَّتْ قُدْرَتُهُ -: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ

رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَشَىٰ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الكهف: ٢٨].

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح»: كتاب النكاح: باب الأكل في الدين، (٥٠٩١)،

وكتاب الرقاق: باب فضل الفقر، (٦٤٤٧)، من حديث: سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه،

وَرَوَى هَذَا الْمَعْنَى أَبُو ذَرٍّ رضي الله عنه، مرفوعاً.

يَأْمُرُهُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِأَنْ يَصْبِرَ نَفْسَهُ مَعَهُمْ فِي دُعَائِهِمْ لِرَبِّهِمْ جَلَّ وَعَلَا، وَيَأْمُرُهُ هُنَالِكَ بِالْأَلَّا يَطْرُدَهُمْ، وَهَاهُنَا أَمْرُهُ بِأَنْ يُصَاحِبَهُمْ، وَأَنْ يَكُونَ عَظِيمَ الصَّبْرِ عَلَى مُصَاحِبَتِهِمْ، وَهُؤُلَاءِ هُمُ الْمُصَاحِبُونَ حَقًّا، وَمِنْهُ تَأْخُذُ أَنَّ خُلُطَةَ الْبَطَّالِينَ يَنْبَغِي أَلَّا تَكُونَ، وَأَنَّ عَلَى الْمَرْءِ أَنْ يَتَّبِعَ سَبِيلَ مَنْ أَنْابَ إِلَى اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ^(١)، وَأَنْ يَفِرَّ مِنْ كُلِّ غَافِلٍ سَاهٍ لَاهٍ عَنِ دِينِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ كَمَا يَفِرُّ مِنَ الْأَسَدِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ جَعَلَ الطَّعَّ سَرَّاقًا، وَجَعَلَ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ الْإِنْسَانَ لِلْإِنْسَانِ تَبَاعًا.

فَإِذَا خَالَطَ الْإِنْسَانُ مَنْ يُعَدُّ قِيَامَ سَاعَةٍ بِاللَّيْلِ لِلَّهِ جَلَّ وَعَلَا مَعْنَمًا، وَغَايَةَ الْمَرَادِ مِنَ الْحَيَاةِ؛ فَإِنَّهُ لَنْ يَنْطَلِعَ إِلَى الْأَوْتَادِ الَّذِينَ يَصْنُفُونَ الْأَقْدَامَ فِي جَوْفِ اللَّيَالِي بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَهُمْ قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ، وَهُمْ نَصَبُوا أَقْدَامَهُمْ لِلَّهِ جَلَّ وَعَلَا فِي جَوْفِ اللَّيْلِ؛ تَبْتُلًا وَإِنَابَةً^(٢)، وَرَعْبَةً وَرَهْبَةً، وَرَعْبًا وَرَهْبًا، وَأَوْبَةً لِلَّهِ وَعَوْدَةً، يَبْتَغُونَ مَرْضَاةَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَنْ يَجُولَ فِي ذَهْنِ الْإِنْسَانِ شَيْءٌ مِنْ حَالِ هَؤُلَاءِ إِذَا مَا نَظَرَ إِلَى الْمَعْنَمِ الَّذِي حَصَلَهُ الْأَوَّلُونَ.

وَاللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ قَدْ أَمَرَ نَبِيَّهُ ﷺ بِأَنْ يَأْخُذَ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ، وَأَمَرَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ أَنْ تَأْخُذَ الْأُمُورَ بِعَزْمٍ؛ لِأَنَّهُ يُحِبُّ مَعَالِيَ الْأُمُورِ، وَيَكْرَهُ سَفْسَافَهَا^(٣).

(١) «أُنَابَ»، أَي: تَابَ وَرَجَعَ. انظر «لسان العرب»: (١ / ٧٧٥، مادة: نوب).

(٢) «التَّبْتُلُ»، أَي: الانْقِطَاعُ لِلْعِبَادَةِ. انظر «لسان العرب»: (١١ / ٤٢، مادة: بتل).

(٣) يَشِيرُ إِلَى حَدِيثِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكِرْمَاءَ جَوَادٍ يُحِبُّ الْجُودَةَ، يُحِبُّ مَعَالِيَ الْأَخْلَاقِ وَيَكْرَهُ سَفْسَافَهَا».

أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي «الْجَامِعِ»: كِتَابُ الْأَدَبِ: بَابُ مَا جَاءَ فِي النِّظَافَةِ، (٢٧٩٩)، وَابْنُ

إِنَّ اللَّهَ - جَلَّتْ قُدْرَتُهُ - قَدْ جَعَلَ لِلْإِنْسَانِ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ مَوَاسِمَ لِلطَّاعَاتِ،
وَقَدْ مَنَّ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ عَلَى أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ ﷺ بِمَوْسِمٍ لِلطَّاعَةِ عَظِيمٍ، مَنَّ عَلَى
الْأُمَّةِ بِمَوْسِمٍ لِلطَّاعَةِ عَظِيمٍ.

ولو أَنَّ الْإِنْسَانَ أُخْبِرَ عَنْ عَمَلِ رَجُلٍ مِنَ السَّاعِينَ فِي طَرِيقِ الْآخِرَةِ إِلَى
مَرْضَاةِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا، فَزَادَ حَالَهُ عَلَى حَالِهِ، فَمَاتَ غَمًّا؛ لَكَانَ قَلِيلًا.

لو أَنَّ إِنْسَانًا أُخْبِرَ عَنْ حَالِ آخَرَ مِمَّنْ يَسْعُونَ إِلَى اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ فِي طَرِيقِ
الْآخِرَةِ يَلْتَمِسُونَ مَرْضَاتَهُ؛ لو أَنَّهُمْ أُخْبِرُوا بِذَلِكَ، فَمَاتُوا كَمَدًّا، وَنَفَقُوا حُرْنًا؛
لَكَانَ ذَلِكَ قَلِيلًا فِي جَنبِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا.

إِنَّ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ جَعَلَ الْحَيَاةَ مَزْرَعَةً لِلْآخِرَةِ، وَمِضْمَارًا لِلسَّبَاقِ.

وَالرَّسُولُ ﷺ كَانَ يَنْصَبُ وَيَتَعَبُ فِي الْعِبَادَةِ وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ
وَمَا تَأَخَّرَ، فَيَقُومُ اللَّيْلَ حَتَّى تَتَوَرَّمَ قَدَمَاهُ، وَيَقُومُ وَالرَّسُولُ ﷺ حَتَّى تَتَشَقَّقَا، وَيَقُومُ ﷺ
حَتَّى تَتَفَخَّخَا، فَإِذَا مَا عُوْتَبَ فِي ذَلِكَ ﷺ قَالَ: «أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا؟!» (١).

أبي الدنيا في «مكارم الأخلاق» ضمن موسوعة ابن أبي الدنيا الحديثية: (٦/ ٧٠/ رقم
٨)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق»: (١٤/ ٢٨٨/ ترجمة ١٥٨٥) واللفظ له.
وفي رواية - عند الترمذي - بلفظ: «إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ يُحِبُّ الطَّيِّبَ، نَظِيفٌ يُحِبُّ النَّظَافَةَ،
كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكَرَمَ، جَوَادٌ يُحِبُّ الْجُودَ، فَنَظَّفُوا أَفْنِيَتَكُمْ وَلَا تَشَبَّهُوا بِالْيَهُودِ».
قال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ»، والحديث حسنه الألباني في هامش «مشكاة
المصابيح»: (٢/ ١٢٧١ / رقم ٤٤٨٧)، وروي أيضا عن سهل بن سعد وجابر
والحسن بن علي رضي الله عنهما، وَعَنْ طَلْحَةَ بْنِ كَرِيزٍ الْخُرَاعِيِّ مَرَسَلًا، بِنَحْوِهِ.
(١) أخرجه البخاري في «الصحيح»: كتاب التهجد: بَابُ قِيَامِ النَّبِيِّ ﷺ...، (١١٣٠)،
ومسلم في «الصحيح»: كتاب صفة المنافقين: بَابُ إِكْتِثَارِ الْأَعْمَالِ...، (٢٨١٩)، من

«ضُرُورَةُ خُرُوجِ التَّائِبِ مِنَ الْبَيْتَةِ الْفَاسِدَةِ إِلَى الْبَيْتَةِ الصَّالِحَةِ»

إِنَّ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ جَعَلَ الطَّبْعَ سَرَّاقًا؛ فَيَنْبَغِي عَلَيْنَا أَنْ نَخْرُجَ مِنَ الْبَيْتَةِ الْفَاسِدَةِ إِلَى الْبَيْتَةِ الصَّالِحَةِ، وَالرَّسُولُ ﷺ ذَلَّ عَلَيَّ ذَلِكَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ (١)، عَنْ ذَلِكَ الرَّجُلِ الَّذِي قَتَلَ تِسْعَةَ وَتَسْعِينَ نَفْسًا - مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا -، ثُمَّ إِنَّ نَفْسَهُ حَنَّتْ إِلَى التَّوْبَةِ، فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ، فَذَلَّ عَلَى عَابِدٍ، فَسَأَلَهُ، فَقَالَ: قَتَلْتُ تِسْعَةَ وَتَسْعِينَ نَفْسًا؛ فَهَلْ لِي مِنْ تَوْبَةٍ؟

فَقَالَ: لَا، فَقَتَلَهُ، فَكَمَّلَ بِهِ الْمِائَةَ، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ، فَذَلَّ عَلَى عَالِمٍ، فَذَهَبَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: قَتَلْتُ مِائَةَ نَفْسٍ؛ فَهَلْ لِي مِنْ تَوْبَةٍ؟

فَقَالَ: وَمَنْ ذَا الَّذِي يَحُولُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ؟! وَلَكِنْ إِنْ أَرْضَكَ أَرْضٌ سُوءٌ، فَارْتَحِلْ عَنْهَا إِلَى أَرْضٍ كَذَا؛ فَإِنَّ فِيهَا قَوْمًا يَعْبُدُونَ اللَّهَ، فَأَعْبُدِ اللَّهَ عَلَى مِلَّتِهِمْ.

فَخَرَجَ الرَّجُلُ إِلَى الْبَيْتَةِ الصَّالِحَةِ، مُغَادِرًا الْبَيْتَةَ الْفَاسِدَةَ، فُقْبِضَ فِي الطَّرِيقِ، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ، تَقُولُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ: خَرَجَ إِلَى رَبِّهِ تَائِبًا، وَتَقُولُ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ: لَمْ يَصْنَعْ خَيْرًا قَطُّ، فَأَرْسَلَ اللَّهُ إِلَيْهِمْ مَلَكًا عَلَى هَيْئَةِ رَجُلٍ؛ لِيَفْصَلَ فِي الْقَضِيَّةِ، فَقَالَ: قِيسُوا بَيْنَ الْمَوْضِعِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ وَالْأَرْضِ الصَّالِحَةِ الَّتِي ذَاهَبَ هُوَ إِلَيْهَا، وَبَيْنَ الْمَوْضِعِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ وَالْأَرْضِ

حديث: الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ رضي الله عنه.

(١) أخرجه البخاري في «الصحیح»: كتاب أحاديث الأنبياء: بابُ حَدِيثِ الْغَارِ، (٣٤٧٠)،

ومسلم في «الصحیح»: كتاب التوبة: بابُ قَبُولِ تَوْبَةِ الْقَاتِلِ...، (٢٧٧٦)، واللفظ له،

من حديث: أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه.

السَّيِّئَةِ الَّتِي تَحَوَّلَ عَنْهَا، فَقَاسُوا، فَوَجَدُوهُ أَقْرَبَ إِلَى الْأَرْضِ الصَّالِحَةِ بِشَبْرٍ، فَقَبَضَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ.

في الحديث: أنه ينبغي أن يتحوَّل المرءُ عن أصحابِ السُّوءِ، وعن خُلطاءِ السُّوءِ، وعن المُخَالِطِينَ الْفَالِثِينَ الْمُتَنَفِّلِينَ لِسَانًا وَعَمَلًا وَحَالًا^(١)، وأنَّ على الإنسان أن يتحوَّلَ عن المكان الذي لا يستطيع أن يعبد الله رب العالمين فيه على النحو الصحيح.

وهذا بيان من نبينا ﷺ، فيه: أن الإنسان بمجرّد النيّة في الخروج مع الشُّروع فيه لو قبض؛ لكان مع الصالحين؛ لأنّه نوى مُطَارَدَةَ الْهَوَى بِالْخُرُوجِ وَالتَّحَوُّلِ عَنِ الْأَرْضِ الَّتِي فَسَدَ أَهْلُهَا، وَأَنْ يَذْهَبَ مِيَمًا أَمَا^(٢) صَوْبَ وَجْهَةِ الْمَوْضِعِ الَّتِي فِيهِ أَهْلُ الصَّلَاحِ.



(١) ويدل عليه أيضا قوله ﷺ: «مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوِّءِ، كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكَبِيرِ، فَحَامِلِ الْمِسْكِ: إِمَّا أَنْ يُحْدِثَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخِ الْكَبِيرِ: إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً».

أخرجه البخاري في «الصحيح»: كتاب البيوع: باب في العطار وبيع المسك، (٢١٠١)، وكتاب الذبائح والصيد: باب المسك، (٥٥٣٤)، ومُسلّم في «الصحيح»: كتاب البر والصلة: باب استحباب مجالسة الصالحين...، (٢٦٢٨)، من حديث: أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

وقوله: «يحدثك»، أي: يعطيك شيئاً من المسك يتحفك به.

(٢) «مِيَمًا أَمَا»، أي: مُقْصِدًا قَاصِدًا. انظر «لسان العرب»: (١٢ / ٢٣، مادة: أمم).

تَهْيِئَةُ النَّفْسِ وَإِعْدَادُ الْعِدَّةِ لِلدُّخُولِ عَلَى رَمَضَانَ

هَذَا الْمَوْسِمُ مِنْ مَوَاسِمِ الطَّاعَاتِ لَا يَصْلُحُ فِيهِ أَبَدًا أَنْ يُخَالِطَ الْمَرْءُ الْبَطَالِينَ، وَإِنَّمَا يَنْبَغِي عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَبْتَعِدَ عَنِ رُفَقَاءِ الشُّوْءِ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَخْبَرَنَا كَمَا فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»^(١): «يَا أَيُّهَا النَّاسُ تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ؛ فَإِنِّي أَتُوبُ إِلَى اللَّهِ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ».

وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، وَكَانَ يُعَدُّ لَهُ فِي الْمَجْلِسِ الْوَاحِدِ أَنْ يَقُولَ سَبْعِينَ مَرَّةً... مِائَةَ مَرَّةٍ: «رَبِّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ»^(٢).

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «الصَّحِيحِ»: كِتَابُ الذِّكْرِ وَالِدُعَاءِ: بَابُ اسْتِحْبَابِ الْإِسْتِغْفَارِ وَالْإِسْتِكْنَارِ مِنْهُ، (٢٧٠٢)، مِنْ حَدِيثِ: الْأَعْرَابِيِّ الْمُزَنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي «السُّنَنِ»: كِتَابُ الصَّلَاةِ: بَابُ فِي الْإِسْتِغْفَارِ، (١٥١٦)، وَالتِّرْمِذِيُّ فِي «الْجَامِعِ»: كِتَابُ الدُّعَوَاتِ: بَابُ مَا يَقُولُ إِذَا قَامَ مِنْ مَجْلِسِهِ، (٣٤٣٤)، وَابْنُ مَاجَةَ فِي «السُّنَنِ»: كِتَابُ الْأَدَبِ: بَابُ الْإِسْتِغْفَارِ، (٣٨١٤)، مِنْ حَدِيثِ: ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَفِي رِوَايَةٍ -عِنْدَ التِّرْمِذِيِّ-: «... إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الْغَفُورُ».

قَالَ التِّرْمِذِيُّ: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ»، وَكَذَا صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»: (٢/٦٩/٥٥٦)، وَرَجَّحَ لَفْظَ: «التَّوَّابُ الْغَفُورُ» عَلَى الْلفْظِ الْآخَرِ

فَيَسْتَغْفِرُ اللَّهُ رَبَّ الْعَالَمِينَ فِي كُلِّ حِينٍ وَحَالٍ، وَعَلَى كُلِّ صِفَةٍ، وَإِلَى كُلِّ مَالٍ يَصِيرُ إِلَيْهِ ﷺ، لَا يُعَادِرُ مَقَامَ التَّوْبَةِ؛ لِأَنَّهُ مِنْ أَعْظَمِ الْمَقَامَاتِ عِنْدَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

فَعَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَهَيِّئَ نَفْسَهُ، وَأَنْ يُعِدَّ الْعِدَّةَ لِلدُّخُولِ عَلَى هَذَا الْمَوْسِمِ مِنْ مَوَاسِمِ الطَّاعَاتِ؛ فَإِنَّ الدُّخُولَ فِيهِ لَيْسَ كَالخُرُوجِ مِنْهُ، كَمَا أَخْبَرَ الرَّسُولُ ﷺ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ الَّذِي دَعَا فِيهِ جَبْرِيْلُ، وَأَمَّنَ الْأَمِينُ مُحَمَّدٌ ﷺ عَلَى دُعَائِهِ، يَقُولُ: «وَأَبْعَدَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ عَبْدًا أَنْسَلَخَ عَنْهُ رَمَضَانَ فَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ، قُلْ: آمِينَ، فَقَالَ الْأَمِينُ: آمِينَ ﷺ» (١).

رواية ودراية.

(١) أخرجه مسلم في «الصحیح»: كتاب البر والصلة: باب رغم أنف من أدرك أبويه...، (٢٥٥١)، والترمذي في «الجامع»: كتاب الدعوات: باب قول رسول الله ﷺ «رغم أنف رجل»، (٣٥٤٥)، والبخاري في «الأدب المفرد»: (ص ١٦٨، رقم ٦٤٦)، وأبو يعلى في «المسند»: (١٠ / ٣٢٨، رقم ٥٩٢٢)، وابن حبان في «الصحیح» بترتيب ابن بلبان: (٣ / ١٨٨، رقم ٩٠٧)، وابن خزيمة في «صحيحه»: (٣ / ١٩٢، رقم ١٨٨٨)، والطبراني في «الأوسط»: (٩ / ١٧، رقم ٨٩٩٤)، من حديث: أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ صعد المنبر فقال: «آمين، آمين، آمين» فقل: يا رسول الله، إنك حين صعدت المنبر قلت: «آمين، آمين، آمين؟» قال: «إن جبريل أتاني فقال: من أدرك شهر رمضان فلم يغفر له فدخل النار، فأبعده الله، قل: آمين، فقلت: آمين، ومن أدرك أبويه -أو أحدهما- فلم يبرهما، فمات، فدخل النار فأبعده الله، قل: آمين، فقلت: آمين، ومن ذكرت عنده فلم يصل عليك فمات فدخل النار فأبعده الله، قل: آمين، فقلت: آمين».

فَدَعَا جَبْرِيلَ الْأَمِينُ، وَأَمَّنَ مُحَمَّدٌ الْأَمِينُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وفي الرواية الأخرى: «وَرَغِمَ أَنْفٌ^(١) عَبْدٌ أَنْسَلَخَ عَنْهُ رَمَضَانٌ فَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ، قُلٌّ: آمِينَ، فَقَالَ: آمِينَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».

فَدَعَا بِالذُّلِّ وَالصَّغَارِ عَلَى كُلِّ مَنْ أَنْسَلَخَ عَنْهُ رَمَضَانٌ فَلَمْ يَخْرُجْ مِنْ رَمَضَانَ مَغْفُورًا لَهُ، فَلَيْسَ دُخُولُ رَمَضَانَ كَالخُرُوجِ مِنْهُ، وَإِنَّمَا يَدْخُلُ النَّاسُ عَلَيْهِ رَاغِبِينَ، وَيَخْرُجُونَ مِنْهُ مُنْسَلَخِينَ رَاهِبِينَ.

أَمَّا مَنْ غَفَرَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ لَهُ؛ فَذَلِكَ، وَإِلَّا؛ فَكَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ الصَّحِيحِ: «فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا؛ فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ؛ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ»^(٢).

وروايته -عند مسلم-: مختصرة، بلفظ: «رغم أنف، ثم رغم أنف، ثم رغم أنف»، قيل: من؟ يارسول الله قال: «من أدرك أبويه عند الكبر، أحدهما أو كليهما فلم يدخل الجنة».

وروايته -عند الترمذي- بدون تأمين جبريل صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بلفظ: «رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي، ورغم أنف رجل دخل عليه رمضان ثم انسلخ قبل أن يغفر له، ورغم أنف رجل أدرك عنده أبواه الكبر فلم يدخله الجنة».

والحديث صححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»: (١/ ٥٨٤، رقم ٩٩٧) و(٢/ ٢٩٩، رقم ١٦٧٩)، وروى عن جابر بن سمرة، وعمار بن ياسر، وابن مسعود، وابن عباس، وعبد الله بن الحارث بن جزء، وأنس بن مالك، وكعب بن عجرة، ومالك بن الحويرث، مرفوعا، بنحوه.

(١) «رغم أنفه»: دعاء بالذل والخزي على من قصر في برهما عند ضعفهما بالخدمة أو النفقة أو غير ذلك وفاته دخول الجنة، أو إخبار بأنه ذليل مخذول في الدنيا والآخرة.

(٢) تقدم تخريجه.

إِنَّ الرَّسُولَ ﷺ أَخْبَرَ أَنَّ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ جَعَلَ بَابَ التَّوْبَةِ مَفْتُوحًا إِلَى أَنْ تَطْلُعَ مِنْهُ الشَّمْسُ، وَهُوَ إِلَى الْغَرْبِ مَسِيرَةٌ مَا بَيْنَ عِضْدَيْهِ - عِضَادَتَيْهِ - سَبْعِينَ عَامًا، كَمَا أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ (١).

فَالْبَدَارَ الْبَدَارَ، وَالْعَجَلَةَ الْعَجَلَةَ بِالتَّوْبَةِ وَإِلَيْهَا، وَإِلَّا؛ فَإِنَّ الْمَوْتَ يَأْتِي فَجَاءً، كَمَا أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ (٢).

(١) أخرجه الترمذي في «الجامع»: كتاب الدعوات: باب في فضل التَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ... (٣٥٣٥ و ٣٥٣٦)، والنسائي في «المجتبى»: كتاب الطهارة: بابُ التَّوْقِيَةِ فِي الْمَسْحِ عَلَى الْخُفَيْنِ لِلْمَسَافِرِ، (١٢٧)، وابن ماجه في «السنن»: كتاب الفتن: بابُ طُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، (٤٠٧٠)، من حديث: صَفْوَانَ بْنِ عَسَّالِ الْمُرَادِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ مِنْ قَبْلِ مَغْرِبِ الشَّمْسِ بَابًا مَفْتُوحًا، عَرْضُهُ سَبْعُونَ سَنَةً، فَلَا يَزَالُ ذَلِكَ الْبَابُ مَفْتُوحًا لِلتَّوْبَةِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ نَحْوِهِ، فَإِذَا طَلَعَتْ مِنْ نَحْوِهِ، لَمْ يَنْفَعِ نَفْسًا إِيمَانُهَا، لَمْ تَكُنْ آمَنْتَ مِنْ قَبْلُ، أَوْ كَسَبْتَ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا...» الحديث، وفيه قصة.

وروايته - عند النسائي - مختصرة.

قال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»، وصحح إسناده الألباني في «صحيح سنن الترمذي»: (٣/ ٤٥٣، رقم ٣٥٣٦).

(٢) أخرجه أحمد في «المسند»: (٢/ ١٧١، رقم ٦٥٩٤)، والطبراني في «الأوسط»: (١/ ٦٢، رقم ١٧٣)، والبيهقي في «الدعوات الكبير»: (١/ ٤٦٣، رقم ٣٥٣)، من حديث: عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:

أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ اسْتَعَاذَ مِنْ سَبْعِ مَوَاتٍ: «مِنْ مَوْتِ الْفَجَاءَةِ، وَمِنْ لَدَغِ الْحَيَّةِ، وَمِنْ أَكْلِ السَّبْعِ، وَمِنْ الْغَرَقِ، وَمِنْ الْحَرَقِ، وَمِنْ أَنْ يَخْرَ عَلَى شَيْءٍ أَوْ يَخْرَ عَلَيْهِ شَيْءٌ، وَمِنْ الْقَتْلِ عِنْدَ فِرَارِ الزَّحْفِ».

والحديث صحح إسناده أحمد شاكر في هامش «المسند»: (٦/ ١٦٩).

إِنَّ الْمَوْتَ يَأْتِي بَغْتَةً^(١)، وَإِنَّ الْمَرْءَ لَعَلَّهُ لَا يُرَاجِعُ، وَلَعَلَّ الْإِنْسَانَ تَأْتِيهِ مِنْتَهُ
وهو عَلَى حَالَةٍ مِنْ حَالَاتِ الْمَعْصِيَةِ، عَلَى حَالَةٍ لَا تَسُرُّ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ، وَلَا
تُفْرِحُ حَبِيبًا يَكُونُ عَلَيْهِ حَدَبًا وَبِهِ شَفِيقًا؛ لَعَلَّ الْمَوْتَ يَأْتِيهِ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ،
فِيَلْقَى اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ فِي أَسْوَأِ حَالٍ.

إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَسْتَعِدُّ لِلدُّخُولِ عَلَى رَمَضَانَ.

فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «مَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَصُومُ فِي شَهْرِ قَطٍّ خَلَا
رَمَضَانَ مَا كَانَ يَصُومُ مِنْ شَعْبَانَ، وَإِنْ كَانَ لِيَصُومُ شَعْبَانَ كُلَّهُ، كَانَ يَصُومُ
شَعْبَانَ إِلَّا قَلِيلًا»^(٢).

(١) أخرج أبو داود في «الزهد»: (١ / ١٥٩ - ١٦٠، رقم ١٦٩)، والطبراني في «الكبير»:
(٩ / ١١٠، رقم ٨٥٥٣)، وغيرهما، بإسناد صحيح، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ
كَانَ يَقُولُ إِذَا قَعَدَ:

«إِنَّكُمْ فِي مَمَرِ اللَّيْلِ فِي آجَالٍ مَنْقُوصَةٍ وَأَعْمَالٍ مَحْفُوظَةٍ، وَالْمَوْتُ يَأْتِي بَغْتَةً فَمَنْ يَزْرَعُ
خَيْرًا يُوْشِكُ أَنْ يَحْصُدَ رَغْبَةً، وَمَنْ يَزْرَعُ شَرًّا يُوْشِكُ أَنْ يَحْصُدَ نَدَامَةً، وَلِكُلِّ زَارِعٍ لَا
يَسْبِقُ بَطِيءٌ بِحَظِّهِ وَلَا يُدْرِكُ حَرِيصٌ مَا لَمْ يُقَدِّرْ لَهُ، فَمَنْ أُعْطِيَ خَيْرًا فَاللَّهُ أَعْطَاهُ، وَمَنْ
وُقِيَ شَرًّا فَاللَّهُ وَقَاهُ».

(٢) أخرجه البخاري في «الصحيح»: كتاب الصيام: بَابُ صَوْمِ شَعْبَانَ، (١٩٦٩ و ١٩٧٠)،
ومسلم في «الصحيح»: كتاب الصيام: بَابُ صِيَامِ النَّبِيِّ ﷺ فِي غَيْرِ رَمَضَانَ...،
(١١٥٦)، ولفظ: «كَانَ يَصُومُ حَتَّى نَقُولَ: قَدْ صَامَ وَيُفْطِرُ حَتَّى نَقُولَ: قَدْ أَفْطَرَ، وَلَمْ أَرَهُ
صَائِمًا مِنْ شَهْرِ قَطٍّ، أَكْثَرَ مِنْ صِيَامِهِ مِنْ شَعْبَانَ كَانَ يَصُومُ شَعْبَانَ كُلَّهُ، كَانَ يَصُومُ
شَعْبَانَ إِلَّا قَلِيلًا».

فَكَانَ الرَّسُولُ ﷺ يَأْتِي إِلَى هَذَا الشَّهْرِ، وَهُوَ الَّذِي كَانَ لَا يَتْرُكُ الصِّيَامَ، وَإِنَّمَا كَانَ يَصُومُ حَتَّى يُقَالَ: لَا يُفْطِرُ، وَيُفْطِرُ حَتَّى يُقَالَ: لَا يَصُومُ، يُمَرِّنُ الْأُمَّةَ وَيُعَلِّمُهَا وَيُعَوِّدُهَا عَلَى هَذَا الْإِخْلَاصِ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ لِأَنَّ هَذَا الصِّيَامَ يُنْتِجُ التَّقْوَى، كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فِي عِلَّةِ فَرَضِ هَذَا الشَّهْرِ عَلَى الْأُمَّةِ ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، فَتَحْصِلُونَ التَّقْوَى لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ بِهَذِهِ الْمُرَاقَبَةِ لِلَّهِ جَلَّ وَعَلَا؛ إِذْ هُوَ سِرُّ بَيْنِ الْعَبْدِ وَرَبِّهِ.

وَكَانَ مِنْ سَلَفِنَا الصَّالِحِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَنْ يَصُومُ أَرْبَعِينَ سَنَةً؛ لَا تَعْلَمُ بِذَلِكَ امْرَأَتُهُ وَلَا أَهْلُهُ، كَانَ يَعْمَلُ خَزَاوًا^(١)، يَخْرُجُ إِلَى السُّوقِ فِي الصَّبَاحِ وَمَعَهُ غَدَاؤُهُ، فَإِذَا خَرَجَ خَارِجَ الْبَيْتِ؛ تَصَدَّقَ بِهِ عَلَى الْمَسَاكِينِ، ثُمَّ يَذْهَبُ إِلَى السُّوقِ، فَيَظُلُّ إِلَى الْعِشِيِّ، ثُمَّ يَنْقَلِبُ، يَظُنُّ أَهْلَ السُّوقِ أَنَّهُ قَدْ أَكَلَ عِنْدَ أَهْلِهِ، وَيَظُنُّ أَهْلُهُ أَنَّهُ إِنَّمَا أَكَلَ فِي السُّوقِ^(٢)؛ لِأَنَّهُ كَانَ يَأْخُذُ الصِّيَامَ مَأْخِذَ الْجِدِّ، يَصُومُ لِيَتَحَصَّلَ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ عَلَى التَّقْوَى لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَيَظُلُّ أَرْبَعِينَ سَنَةً صَائِمًا إِلَّا مَا مَنَعَ الشَّرْعُ مِنْ صِيَامِهِ مِنَ الْأَيَّامِ^(٣)، وَيُحْصِلُ الصِّيَامَ وَالتَّقْوَى،

(١) «الخرزاز»: صانع (الخرز)، هو: ثيابٌ تُنْسَجُ مِنْ صُوفٍ.

انظر «لسان العرب»: (٥ / ٣٤٥، مادة: خرز).

(٢) أخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد»: (٩ / ٣١٤، ترجمة ٤٤٠٨)، بإسناده، عن ابن أبي عدي، قال: «صام داود الطائي أربعين سنة، ما علم به أهله، وكان خرازا وكان يحمل غداه معه ويتصدق به في الطريق ويرجع إلى أهله يفطر عشاء، لا يعلمون أنه صائم».

(٣) أخرج البخاري في «الصحيح»: كتاب الصوم: باب صَوْمِ يَوْمِ النَّحْرِ، (١٩٩٣)، ومسلم

وَيَحْصُلُ الصَّدَقَةَ وَالسَّعْيَ إِلَى الْخَيْرِ، وَالْعَمَلَ الصَّالِحَ؛ كُلَّ ذَلِكَ حَصَلَهُ فِي أَنْ
وَاحِدٍ رَحِمَهُ اللهُ، وَلَا يَعْلَمُ بِذَلِكَ أَهْلُهُ.

وَإِنْ كَانَ أَحَدُهُمْ لِيَبْكِي بِاللَّيْلِ وَرَأْسُهُ عَلَى وَسَادَتِهِ، حَتَّى يُبَلِّغَ وَسَادَتَهُ، وَلَا
تَعْلَمُ بِذَلِكَ امْرَأَتُهُ^(١)؛ مِنْ شِدَّةِ حِرْصِهِ عَلَى أَنْ يَكُونَ لِرَبِّهِ مُعَامِلًا، وَعَنِ الْخَلْقِ
مُتَوَارِيًا؛ لِأَنَّهُ حَصَلَ التَّقْوَى حَقًّا وَصِدْقًا.



في «الصحيح»: كتاب الصيام: بَابُ النَّهْيِ عَنِ صَوْمِ يَوْمِ الْفِطْرِ وَيَوْمِ الْأَضْحَى،
(١١٣٨)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه:

«أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَهَى عَنِ صِيَامِ يَوْمَيْنِ يَوْمِ الْأَضْحَى، وَيَوْمِ الْفِطْرِ».

(١) أخرج ابن أبي الدنيا في «الإخلاص والنية» ضمن موسوعة ابن أبي الدنيا: (١) / ٤٤ و

٤٧، رقم ٣٦ و ٥١)، وفي «الرقعة والبكاء»: إخفاء البكاء، (٣) / ١٤٠ - ١٤١، رقم ١٦٣

و (١٦٥)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء»: (٢) / ٣٤٧، ترجمة مُحَمَّدِ بْنِ وَاسِعٍ (١٩٩)،

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ وَاسِعٍ، قَالَ:

«لَقَدْ أَدْرَكْتُ رَجُلًا كَانَ الرَّجُلُ يَكُونُ رَأْسُهُ مَعَ رَأْسِ امْرَأَتِهِ عَلَى وَسَادَةٍ وَاحِدَةٍ قَدْ بَلَّ مَا
تَحْتَ خَدِّهِ مِنْ دُمُوعِهِ لَا تَشْعُرُ بِهِ امْرَأَتُهُ وَلَقَدْ أَدْرَكْتُ رَجُلًا يَقُومُ أَحَدُهُمْ فِي الصَّفِّ
فَتَسِيلُ دُمُوعُهُ عَلَى خَدِّهِ وَلَا يَشْعُرُ بِهِ الَّذِي إِلَى جَانِبِهِ».

وفي رواية: «إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لِيَبْكِي عِشْرِينَ سَنَةً وَامْرَأَتُهُ مَعَهُ لَا تَعْلَمُ بِهِ».

وروي عن الحسن، أنه قال: «قَدْ كَانَ أَحَدُهُمْ يَبْكِي إِلَى جَنْبِ صَاحِبِهِ فَمَا يَعْلَمُ بِهِ».

الصَّيَامُ مُعَامَلَةٌ بَيْنَ الْعَبْدِ وَرَبِّهِ

إِنَّ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ جَعَلَ فِي هَذَا الصَّيَامِ سِرًّا لَطِيفًا جَدًّا؛ إِذْ هُوَ الْمُعَامَلَةُ الْحَقَّةُ بَيْنَ الْعَبْدِ وَرَبِّهِ، وَلِذَلِكَ فَهُوَ عِبَادَةٌ بَدَنِيَّةٌ مَحْضَةٌ، لَيْسَ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ سِوَى ذَلِكَ، وَمَا هِيَ فِي الْمُنْتَهَى إِلَّا كَفٌّ بِنِيَّةٍ، وَامْتِنَاعٌ عَنْ تَلَذُّذِ بَشَهْوَةِ وَقَاعٍ أَوْ شَهْوَةِ طَعَامٍ وَشَرَابٍ، مَعَ إِمْسَاكِ لِلْجَوَارِحِ عَنِ الْوُلُوغِ فِيهَا يَسُوءٌ، ثُمَّ إِقْبَالٌ عَلَى اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ عَابِدٍ مُخَبِتٍ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَلِذَلِكَ كَانَ هَؤُلَاءِ الصَّالِحُونَ -رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ- إِذَا دَعَا الْوَاحِدُ مِنْهُمْ دَعْوَةً؛ لَبَّاهُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فِي الْحِينِ، وَهَذَا وَاحِدٌ مِنْهُمْ -كَمَا فِي الْحَدِيثِ الْمُتَّفَقِ عَلَى صِحَّتِهِ- يَدْعُو اللَّهُ رَبَّ الْعَالَمِينَ دَعْوَةً عَجِيبَةً، فَيُؤْتِيهِ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ آثَارَ الدَّعْوَةِ فَيَمُنُّ دَعَا عَلَيْهَا؛ حَتَّى لَتَعْتَرِفَ بِذَلِكَ، فَتَقُولُ: دَعْوَتُهُ، دَعْوَتُهُ -أَلَا رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ-.

فِي «الصَّحِيحَيْنِ»^(١) عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ رضي الله عنه قَالَ: خَاصَمْتُ أَرْوَى بِنْتُ أَوْسٍ سَعِيدَ بْنِ زَيْدٍ عِنْدَ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ، وَسَعِيدٌ مِنَ الْعَشْرَةِ الْمُبَشِّرِينَ بِالْجَنَّةِ،

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «الصَّحِيحِ»: كِتَابُ الْمَظَالِمِ: بَابُ إِثْمٍ مَنْ ظَلَمَ شَيْئًا مِنَ الْأَرْضِ، (٢٤٥٢)، وَمُسْلِمٌ فِي «الصَّحِيحِ»: كِتَابُ الْمَسَاقَاةِ: بَابُ تَحْرِيمِ الظُّلْمِ وَعَظْبِ الْأَرْضِ

فَخَاصَمْتُهُ عِنْدَ وَالِي الْمَدِينَةِ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ فِي شَيْءٍ مِنْ أَرْضٍ ادَّعَتْ أَنَّهُ اغْتَصَبَهَا، فَدَعَا مَرْوَانَ سَعِيدًا، فَلَمَّا كَانَ عِنْدَهُ قَالَ: إِنَّ هَذِهِ تَدْعِي أَنَّكَ قَدْ اغْتَصَبْتَ شَيْئًا مِنْ أَرْضِهَا.

فَقَالَ: أَنَا أَغْتَصَبُ شَيْئًا مِنْ أَرْضِهَا وَقَدْ سَمِعْتُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ مَا سَمِعْتُ؟!!

قَالَ: وَمَا سَمِعْتَ؟

قَالَ: سَمِعْتُ الرَّسُولَ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ اغْتَصَبَ شَيْئًا مِنْ أَرْضٍ؛ طُوقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرْضِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

قَالَ: لَا أَسْأَلُكَ بَيِّنَةً بَعْدَهَا.

فَاكْتَفَى بِمَا رَوَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بَيِّنَةً عَلَيْهِ؛ إِذْ مَا الَّذِي يُطْلَبُهُ الْمَرْءُ بَعْدَ هَذِهِ الْبَيِّنَةِ مِنْ مِثْلِ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؟!!

قَالَ: أَنَا أَغْتَصَبُ شَيْئًا مِنْ أَرْضِهَا بَعْدَ أَنْ سَمِعْتُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ مَا سَمِعْتُ؟!!

قَالَ: وَمَا سَمِعْتَ؟

قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ اغْتَصَبَ - مَنْ أَخَذَ - شَيْئًا مِنْ أَرْضٍ؛ طُوقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرْضِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

وَعَبْرَهَا، (١٦١٠)، والسياق لمسلم، إلا أن لفظه عندهما: «من أخذ شبرا من الأرض ظلما، فإنه يطوقه يوم القيامة من سبع أرضين».

وفي رواية - عند البخاري -: «من ظلم من الأرض شيئا طوقه من سبع أرضين».

وفي رواية - عند أبي يعلى -: «من أخذ من الأرض ما ليس له طوقه إلى السابعة».

لَا أَسْأَلُكَ بَيْنَهُ بَعْدَهَا.

وَلَمْ يَكْفَ سَعِيدٌ رضي الله عنه، وَإِنَّمَا أَحْرَجَتْهُ الْمَسْأَلَةُ جِدًّا، فَهُوَ تَشْنِيعٌ بِرَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ الرَّسُولِ ﷺ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ أَعْمِ بَصَرَهَا، وَاجْعَلْ قَبْرَهَا فِي أَرْضِهَا، اجْعَلْ مَوْتَهَا فِي دَارِهَا؛ حَتَّى تَكُونَ قَبْرًا لَهَا».

وهو أمرٌ مُخَالِفٌ لِلْمَعْهُودِ عِنْدَ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ، إِنَّهُمْ لَا يَدْفِنُونَ الْمَوْتَى فِي الْبُيُوتِ، وَإِنَّمَا يَجْعَلُونَهُمْ فِي الْجَبَانَةِ، فِي الْمَقْبَرَةِ بِظَاهِرِ الْبَلَدِ حَيْثَمَا تَكُونُ، وَمَضَّتِ السُّنُونُ، وَكَبُرَتْ حَتَّى عَمِيَتْ.

يَقُولُ رَاوِي الْحَدِيثِ: فَأَنَا رَأَيْتُهَا امْرَأَةً عَجُوزًا عَمِيَاءَ تَحَسَّسُ الْجُدْرَ، ثُمَّ إِنَّهَا هَوَتْ فِي بَيْتِ لَهَا فِي دَارِهَا، فَلَمْ يُعْلَمَ بِمَوْتِهَا إِلَّا بَعْدَ حِينٍ، وَكَانَتْ عِنْدَمَا أُصِيبَتْ بِدَعْوَةِ سَعِيدٍ فَسُلبَتْ نَاطِرِيهَا تَقُولُ: لَقَدْ أَصَابَتْنِي دَعْوَةُ سَعِيدٍ.

أَتَحَسَبُ أَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا يَأْتِي عَفْوًا؟!

إِنَّهُمْ قَوْمٌ كَمَا قَالَ فِيهِمْ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فِي حَدِيثٍ قَدِيسِيٍّ صَحِيحٍ، تَفَرَّدَ بِهِ الْبُخَارِيُّ^(١)، يُسَمَّى بِحَدِيثِ الْأَوْلِيَاءِ؛ بَيْنَ فِيهِ رَبَّنَا - جَلَّتْ قُدْرَتُهُ - لَنَا أَنْ

(١) حديث الأولياء، أخرجه البخاري «الصحيح»: كتاب الرقاق: باب التواضع، (٦٥٠٢)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أَحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِن سَأَلَنِي لِأَعْطَيْتَهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لِأَعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ».

الواحد مِنْ هَؤُلَاءِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لِأَبْرَهُ^(١)، وَأَنَّ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ مِنْ شِدَّةِ مَحَبَّةِ الْعَبْدِ لَهُ يَكُونُ رِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَذِرَاعَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَيَكُونُ لِسَانَهُ الَّذِي يَنْطِقُ بِهِ؛ لِأَنَّهُ يَمْتَثِلُ أَمْرَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَيَتَمَثَّلُ حَالَهُ مَعَ اللَّهِ فِي جَمِيعِ آنَائِهِ.

وكذلك قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح، في بيان الإحسان: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ؛ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»^(٢).

أَلَا مَا أَكْثَرَ الْحُجْبَ!!



(١) أخرج البخاري في «الصحيح»: كِتَابُ الصُّلْحِ: بَابُ الصُّلْحِ فِي الدِّيَةِ، (٢٧٠٣)، ومسلم في «الصحيح»: كِتَابُ الْقَسَامَةِ: بَابُ إِثْبَاتِ الْقِصَاصِ فِي الْأَسْنَانِ، (١٦٧٥)، من حديث: أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَهُ».

(٢) جزء من حديث جبريل الكليلا المشهور، أخرجه البخاري في «الصحيح»: كتاب الإيمان: بَابُ سُؤْلِ جِبْرِيلَ النَّبِيِّ ﷺ...، (٥٠)، ومسلم في «الصحيح»: كتاب الإيمان: بَابُ الْإِيمَانِ مَا هُوَ وَيَبَيِّنُ خِصَالَهُ، (٩)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. والحديث عند مسلم أيضا: بَابُ مَعْرِفَةِ الْإِيمَانِ...، (٨)، من حديث: ابْنِ عُمَرَ، عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، بِنَحْوِ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَفِيهِ قِصَّةٌ.

الاستعداد الحق لرمضان

إِنَّ عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَسْتَعِدَّ لِمَوْسِمِ الطَّاعَةِ اسْتِعْدَادًا حَسَنًا، فَعَلَيْهِ أَنْ يُخَفِّفَ مِنْ أَعْبَائِهِ وَأَعْمَالِهِ الْمُتَرَكَمَاتِ؛ حَتَّى إِذَا مَا دَخَلَ الشَّهْرُ؛ وَجَدَهُ لَهُ مُتَفَرِّغًا نَحْوًا مِنَ التَّفَرُّغِ، لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا.

وَأَمَّا مَا يَكُونُ مِنْ عَزْمٍ عَلَى تِلَاوَةِ لِكِتَابِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا؛ إِذْ جَعَلَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ هَذَا الشَّهْرَ مُكْرَمًا؛ لِأَجْلِ أَنْزَالِهِ الْقُرْآنَ فِيهِ، وَجَعَلَهُ مَحَلًّا لِأَنْزَالِ الْقُرْآنِ فِيهِ، فَجَعَلَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فِيهِ مِنَ الْفَضَائِلِ مَا فِيهِ لِهَذَا الَّذِي بَيْنَهُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ [البقرة: ١٨٥]، فَإِنَّمَا جَعَلَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ كَرَامَةً رَمَضَانَ بِسَبَبِ أَنْزَالِ الْقُرْآنِ فِيهِ، فَهُوَ شَهْرُهُ.

وَالنَّبِيُّ ﷺ كَانَ يَعْرِضُ الْقُرْآنَ عَلَى جَبْرِيلَ فِي رَمَضَانَ؛ حَتَّى إِذَا كَانَ الْعَامَ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ عَرَضَ عَرَضَتَيْنِ (١).

(١) أخرجه البخاري في «الصحیح»: كتاب المناقب: بابُ عَلَامَاتِ النُّبُوَّةِ...، (٣٦٢٣)، ومسلم في «الصحیح»: كتاب فضائل الصحابة: بابُ فَضَائِلِ فَاطِمَةَ بِنْتِ النَّبِيِّ ﷺ، (٢٤٥٠)، من حديث: عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ:

«كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْرِضُ الْقُرْآنَ عَلَى جَبْرِيلَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً، فَلَمَّا كَانَ الْعَامَ الَّذِي

فهذا الشهرُ تَكُونُ فيه التلاوةُ على نَحْوِ مُسْتَطَاعٍ بِبَدَلِ الجُهْدِ وَبَدَلِ المَجْهُودِ، مَعَ التَّفَرُّغِ لذلكِ بَصَفَاءِ الذَّهْنِ، والبُعْدِ عن كُلِّ ما يَشْغَلُ؛ إذ لَيْسَ الشَّأْنُ أَنْ يُرْتَلَ الإنسانِ آيَاتِ لا يَتَدَبَّرُهَا بِقَلْبِهِ، وَلَا يَعِيهَا بِعَقْلِهِ، وَلَا يَفْهَمُهَا بِفَهْمِهِ، وإنما هي مما يَتَحَرَّكُ به اللسانُ بَيْنَ الأشْداقِ خَابِطًا، وإنْ كانتِ التلاوةُ في حَدِّ ذاتِهَا مُثَابًا عليها؛ غَيْرَ أَنَّ اللهَ رَبَّ العالمينَ إنما جَعَلَ القرآنَ لِيَتَدَبَّرَ، وَجَعَلَ القرآنَ لِيَتَفَكَّرَ فيه، وَجَعَلَ القرآنَ لِيُعْمَلَ به بَعْدَ أَنْ يَتَدَبَّرَ وَيَتَفَكَّرَ فيه، وكان هذا هو شَأْنُ أصحابِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

وينبغي على الإنسانِ أَنْ يَكُونَ ناوِيًا نِيَّةَ الخَيْرِ؛ بَأَنْ يَكُونَ باذِلًا لِلْيَلَّةِ لِرَبِّهِ على نَحْوِ مَرَضِيٍّ؛ إمَّا بالعبادةِ لله رَبِّ العالمينَ بِيَدَنْ لا يَفْتُرُ وَلَا يَكُلُّ - اللهُ رَبُّ العالمينَ- على قَدْرِ الوُسْعِ والطَّاقَةِ.

وعلى المَرءِ أَنْ يَكُونَ آخِذًا بالحلالِ، مُعَدًّا ذَلِكَ لِذَلِكَ الشَّهِرِ، لا على نَحْوِ مَنْ أنْهَاءِ الادِّخارِ والتَّكديسِ؛ فَإِنَّ امرأَةً جاريةً بِيَعَتْ مِنْ عِنْدِ قومِ صالحينَ، فَلَمَّا تَحَصَّلَتْ في بَيْتِ أقوامِ طالحينَ، ودَخَلَ عليهم رمضانُ؛ وَجَدَتْهُمْ يُعِدُّونَ أنواعَ المأكولاتِ والمَشْرُوباتِ اسْتِعْدادًا لِذُخُولِ هذا المَوْسِمِ مِنْ مَوَاسِمِ الطاعةِ، وهو عَظِيمٌ، فقالت: إنكم لَقَوْمٌ سَوْءٌ، رُدُّوني، رُدُّوني، وَأَجِيرُونِي مِنْ هَذَا السَّعِيرِ (١).

فُبِضَ فِيهِ عَرَضُهُ عَلَيْهِ مَرَّتَيْنِ.

وفي رواية لهما: أن فاطمة بنت رسول الله ﷺ، قالت: أَسْرَّ إِلَيَّ رسولُ الله ﷺ: «إِنَّ جَبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُنِي القرآنَ كُلَّ سَنَةٍ مَرَّةً، وَإِنَّهُ عَارِضُنِي العامَّ مَرَّتَيْنِ، وَلَا أَرَاهُ إِلَّا حَضَرَ أَجْلِي، وَإِنَّكَ أَوَّلُ أَهْلِ بَيْتِي لِحَاقًا بِي»، فَبَكَيْتُ،... الحديث.

(١) ذكر العجلي في «الثقات»: ترجمة الحسن بن صالح بن حي، (ص ١١٥، ترجمة ٢٨٠)،

إِنَّ هَذَا الشَّهْرَ إِنَّمَا يَنْبَغِي أَنْ يُسْتَعَدَّ لَهُ بِتَوْبَةٍ نَصُوحٍ، وَأَنْ يَدْخُلَ الْمَرْءُ عَلَيْهِ نَائِبًا أَنْ يَنْسَلِخَ هَذَا الشَّهْرُ عَنْهُ وَقَدْ آتَاهُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ الْمَغْفِرَةَ، فَإِنْ أَصَابَ ذَلِكَ؛ فَذَلِكَ، وَإِلَّا؛ فَإِنَّهُ يَثَابُ عَلَى قَدْرِ نِيَّتِهِ، وَاللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ هُوَ رَبُّ الْقُوَى وَالْقُدْرِ، يُعْطِي الْعَطَاءَ الْأَكْبَرَ، وَيُجْزِلُ بِمَا لَا يُمَكِّنُ أَنْ يُقَاسَ أَبَدًا.

فَعَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَكُونَ مُلْتَفِتًا لِمَا هُوَ آتٍ؛ فَإِنَّ الْمَرْءَ لَا يَدْرِي لَعَلَّهُ لَا يُعَاوِدُ، وَلَعَلَّ الْمَوْتَ أَنْ يَأْتِيَهُ فَلَا يُرَاجِعُ؛ فَعَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَكُونَ مُتَأَهِّبًا، وَهَذَا نَبِيْنَا ﷺ يَقُولُ: «مَا حَقَّ أَمْرِي مُسْلِمٍ لَهُ شَيْءٌ يُوصِي فِيهِ، يَبِيْتُ لَيْلَتَيْنِ إِلَّا وَوَصِيَّتِهِ مَكْتُوبَةٌ عِنْدَهُ».

فَيَقُولُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «مَا مَرَّتْ عَلَيَّ لَيْلَةٌ مُنْذُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ

ﷺ قَالَ ذَلِكَ إِلَّا وَعِنْدِي وَصِيَّتِي» (١).

والغزالي في «إحياء علوم الدين»: (١/ ٣٥٥)، وابن رجب في «لطائف المعارف»: (ص ١٤٧): أن الحسن بن صالح باع جارية، فلما صارت عند الذي اشتراها قامت في جوف الليل فنادتهم، فقالت: يا أهل الدار! الصلاة الصلاة، قالوا: طلع الفجر؟ قالت: وليس تصلون إلا المكتوبة؟ قالوا: نعم، ليس نصلي إلا المكتوبة، فرجعت إلى الحسن، فقالت: بعثني من قوم سوء: ليس يصلون بالليل فردي، فردّها.

وذكر ابن الجوزي في «التبصرة»: (٢/ ٨٤)، وابن رجب في «لطائف المعارف»: (ص ١٤٧): أن قوما من السلف باعوا جارية فلما قرب شهر رمضان رأتهم يتأهبون له ويستعدون بالأطعمة وغيرها فسألتهم فقالوا انتهاء لقيام رمضان فقالت: وأنتم لا تصومون إلا رمضان لقد كنت عند قوم كل زمانهم رمضان ردوني عليهم.

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح»: كتاب الوصايا: باب الوصايا، (٢٧٣٨)، ومسلم في

فَكَانَ يَسْتَعِدُّ لِلْغَدِ الْآتِيِ عَلَى أَنَّهُ لَنْ يَأْتِيَهُ؛ كَحَالِ ذَلِكَ الرَّجُلِ الصَّالِحِ الَّذِي قِيلَ لَهُ يَوْمًا وَهُوَ سَائِرٌ فِي الطَّرِيقِ: قِفْ أَكَلَمَكَ.

قال: ولا كلمة.

قال: فنصف كلمة.

قال: ولا نصف كلمة، وإنما أمسك الشمس إن استطعت^(١)؛ حتى يكون الكلام خارج إطار الزمن، وحتى لا يكون محسوباً عليه، وإنما يأتي المرء يوم القيامة بأيامه ولياليه كالخزانات، فباحث عن شيء فلا يجده، وباحث عن شيء ييقين يجده، وعلى حسب ما قدم الإنسان يجد.

فَعَلَى الْمَرْءِ أَنْ يَبْدَأَ بِهَذَا الْأَمْرِ نِيَّةً خَالِصَةً نَصُوحًا لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

واعلموا - عباد الله - أن طهارة القلب هي أصل المسألة، وهو حرفها الذي يدور عليه شأنها.

طَهَارَةُ الْقَلْبِ مِمَّا يَعْلُقُ بِهِ مِنْ تِلْكَ الشَّائِبَاتِ الَّتِي تَكُونُ قَاطِعَةً عَنِ الْوَصُولِ إِلَى مَرْضَاةِ رَبِّ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ؛ فَعَلَى الْمَرْءِ أَنْ يَجْتَهِدَ فِي تَطْهِيرِ قَلْبِهِ، وَأَنْ

«الصحیح»: کتاب الوصیة، (١٦٢٧).

وزاد مسلم في روايته: قال عبد الله بن عمر: «ما مرت علي ليلة منذ سمعت رسول الله ﷺ قال ذلك إلا وعندي وصيتي».

(١) ذكره ابن الجوزي في «التبصرة»: (٢ / ٢٩١)، وفي «صيد الخاطر»: (ص ٤٩٢ و ٥٠٥) وفي غيرهما، وعنه ابن مفلح في «الأداب الشرعية»: (٣ / ٤٧٤)، والسفاري في «غذاء الألباب»: (٢ / ٤٤٨)، من قول الزاهد عامر بن عبد قيس العنبري البصري، وكان من عباد التابعين، رآه كعب الأخبار، فقال: هذا راهب هذه الأمة، وتوفي في زمن معاوية.

يُفْتَشُّ فِيهِ، وَأَنْ يَجْتَهِدَ فِي الْبَاقِي مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ قَبْلَ دُخُولِ هَذَا الْمَوْسِمِ مِنْ مَوَاسِمِ الطَّاعَاتِ.

على المرء أن يكون مجتهداً في تفتيش حاله، وفي التنقيب عن سريرته، وفي النظر فيما بين يديه، وعلى مراجعة مواقفه:

لِمَ يَفْعَلُ مَا يَفْعَلُ؟

وَلِمَ يَقُولُ مَا يَقُولُ؟

وَلِمَ يُصِرُّ عَلَى مَا هُوَ مُصِرٌّ عَلَيْهِ؟

وَلِمَ يَتَوَجَّهُ هَذِهِ الْوُجْهَةَ؟

لِمَ يَحِبُّ هَذَا؟ وَلِمَ يُبْغِضُ هَذَا؟

وَلِمَ يَقْبَلُ عَلَى هَذَا؟ وَلِمَ يُدْبِرُ عَنْ هَذَا؟

على المرء أن يبحث في فناعاته، وأن يتأمل فيها، وعليه أن يدخل على هذا الموسم منقى من الشائبات؛ حتى يتحصّل على فضل ربّ الأرض والسموات باتّباع أقوال سيّد الكائنات ﷺ؛ فإنّ النبي ﷺ كان يحتفل بشهر رمضان ما لا يحتفل بسواه من الشهور؛ لأنّ له وظائف وظفها الله ربّ العالمين؛ من ذكر فيه؛ من تلاوة في الليل في القيام، وفي آناء النهار وما بين ذلك، ومن ذكر موظّف جعله الله ربّ العالمين في ليلة القدر، بينه على لسان نبيّنا الأمين ﷺ، فيما وضّحه لعائشة رضي الله عنها: «اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي» (١).

(١) أخرجه الترمذي في «الجامع»: كتاب الدعوات: باب ٨٥، (٣٥١٣)، وابن ماجه في

فكان النبي ﷺ يَحْتَفِلُ بهذا الشهرِ ما لا يَحْتَفِلُ بِسِوَاهُ مِنَ الْأَزْمَانِ، وكان يَبْذُلُ فِيهِ مِنَ الطَّاعَاتِ - وَبِخَاصَّةٍ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْهُ - ما لا يَبْذُلُهُ فِي بَقِيَّةِ لَيْلِي الْعَامِ (١)، فكان النبي ﷺ يَخْصُّ الْعَشْرَ بِالاعتكافِ؛ بَعْدًا عَنِ الْخَلْقِ؛ عَنِ هَذِهِ الْمَبَاءَةِ، وما كان الْأَصْحَابُ إِلَّا عَلَى الْخَيْرِ ﷺ؛ فَحَرِيٌّ (٢) بِمَنْ جَاءَ بَعْدُ أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الْمَزْبَلَةِ (٣)، ثم يَعُودُ إِلَى تِلْكَ الْمَطْهَرَةِ؛ مِنْ أَجْلِ أَنْ يُرَاجَعَ الْحَالَ

«السنن»: كتاب الدعاء: باب الدعاء بالعبو والعافية، (٣٨٥٠)، من حديث: عَائِشَةَ، قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ عَلِمْتُ أَيَّ لَيْلَةٍ لَيْلَةُ الْقَدْرِ، مَا أَقُولُ فِيهَا؟ قَالَ: «قُولِي: اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي».

قال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»، والحديث صححه الألباني في «الصحيححة»: (٧/ ١٠٠٨، رقم ٣٣٣٧).

(١) أخرج البخاري في «الصحيح»: كتاب فضل ليلة القدر: باب العمل في العشر الأواخر من رمضان، (٢٠٢٤)، ومسلم في «الصحيح»: كتاب الاعتكاف: باب الاجتهاد في العشر الأواخر من شهر رمضان، (١١٧٤)، من حديث: عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ شَدَّ مِئْزَرَهُ، وَأَحْيَا لَيْلَهُ، وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ». وفي رواية - عند مسلم - زاد: «... وأيقظ أهله، وجد وشد المئزر».

وفي أخرى له: «كان رسول الله ﷺ يجتهد في العشر الأواخر، ما لا يجتهد في غيره». (٢) (حَرِيٌّ) أَي: جَدِيرٌ.

انظر «لسان العرب»: (١٤ / ١٧٣، مادة: حري).

(٣) «الْمَزْبَلَةُ» بفتح الميم والباء وَيَجُوزُ ضَمُّ الْبَاءِ لُغَةً، وَهِيَ: الْمَوْضِعُ الَّذِي يَطْرَحُ فِيهِ الزَّبَلُ بكسر الزاي، وهو الروث، ومنه «نهى النبي ﷺ عن الصلاة في المزبلة»، وتطلق اليوم على موضع اجتماع القمامات.

وَالْمَقَالَ وَالْفَعَالَ، وَأَنْ يَتَأَمَّلَ بَعْضَ تَأَمُّلٍ فِيمَا سَلَفَ؛ فَإِنَّ الذُّنُوبَ قَدْ نُسِيَتْ، نَسَاهَا الْمَرْءُ وَأَحْصَاهَا اللَّهُ، وَإِنَّ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ اسْتَنْسَخَهَا لَدَيْهِ فِي كِتَابٍ عِنْدَهُ، ثُمَّ إِنَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَتَطَايَرُ الصُّحُفُ، فَأَخِذْ بِيَمِينٍ مِنْ أَمَامٍ، وَأَخِذْ بِشِمَالٍ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ، وَإِلَى النَّارِ فَسُحِقًا سُحِقًا.

فَعَلَى الْمَرْءِ أَنْ يَجْتَهِدَ فِي الْإِحْتِفَالِ لِهَذَا الْمَوْسِمِ الْجَلِيلِ مِنْ مَوَاسِمِ الطَّاعَاتِ، وَأَنْ يَكُونَ فِيهِ مُخْلِصَ النِّيَّةِ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، آكِلًا مِنْ حَلَالٍ، فَلَا يَصُومُ النَّهَارَ عَنْ حَلَالِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، ثُمَّ يُفْطِرُ بَعْدَ ذَلِكَ عِنْدَ الْعَشِيِّ عَلَى مَا حَرَّمَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ، فَهَذَا مَا لَا يَجُوزُ أَبَدًا، وَإِنَّمَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ مُحْصِلًا لِقَوْتٍ مِنْ حَلَالٍ صَرَفٍ لَا شُبُهَةَ فِيهِ؛ فَإِنَّهُ «مَا مِنْ لَحْمٍ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ إِلَّا وَالنَّارُ أَوْلَى بِهِ»^(١)، وَإِنَّ الرَّجُلَ يُلْقِي فِي جَوْفِهِ بِاللُّقْمَةِ الْحَرَامِ، ثُمَّ يَرْفَعُ يَدَيْهِ فِي السَّفَرِ

انظر: «لسان العرب»: (١١ / ٣٠٠)، و«تاج العروس»: (٢٩ / ١١١)، و«معجم لغة الفقهاء»: (ص ٤٢٤).

(١) أخرجه عبد بن حميد كما في «المنتخب من مسنده» (رقم ٣)، وأبو بكر المروزي في «مسند أبي بكر الصديق» (رقم ٥٠ و ٥١، المكتب الإسلامي - ط ٤)، والبخاري في «مسنده» (١ / رقم ٤٣)، وأبو يعلى في «مسنده» (رقم ٨٣ و ٨٤)، والدينوري في «المجالسة» (٤ / رقم ١٣٩١)، وابن حبان في «المجروحين» (٢ / ١٥٤ و ١٥٥، ترجمة ٧٦٧)، والطبراني في «الأوسط» (٦ / رقم ٥٩٦١)، وابن عدي في «الكامل» (٦ / ترجمة ١٤٣٨)، وأبو نعيم في «الحلية» (١ / ٣١)، والبيهقي في «الشعب» (٧ / رقم ٥٣٧٥ و ٥٣٧٦)، وغيرهم، من طريق: عبد الواحد بن زيد، عن أسلم الكوفي، عن مرة الطيب، عن زيد بن أرقم، عن أبي بكر الصديق،... الحديث.

وهو مظنة قبول الدعاء، يرفع يديه إلى الله رب العالمين أشعث أغبر من وعثاء السفر ومن بذل المجهود، يقول: يا رب، يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وقد غدي بالحرام؛ فأتى يستجاب لذلك!!

فعلى المرء أن يكون مهتماً بهذا الموسم، بتحصيل الحلال لا بكثرته، وإنما بكيفيته ونوعيته؛ وإن كان قليلاً؛ فإن النبي ﷺ شرع للأصحاب فيه -للأمة- الوصال، فيمكن للمرء أن يطوي إلى السحر الأعلى؛ حتى يكون سحوره إبطاره، كما بين لنا ذلك نبينا ﷺ فيما يجوز من أمر الوصال لأمثالنا. وأما هو؛ فليس كهياتنا، يبيت عند ربه يطعمه ويسقيه.

وإذن؛ فهذا الموسم من مواسم الطاعة ينبغي أن نستعد له نفسياً، وكذلك كان الشأن في دين الله رب العالمين بدءاً؛ إذ كان النبي ﷺ يهتم بشعبان صياماً؛ حتى يتأثر المرء في قرارة ذاته، ويكون مستعداً للدخول على هذا الشهر بالصيام، فلا يكربهُ الصيام إذا كان غير معتاد عليه، وإنما هو داخل فيه على نسق عادة قد مرت قبل، ثم إن النبي ﷺ يجعل لنا القيام غير عزيمة، ثم يحض عليه مرغبا في إتيانه، وأن من قام رمضان إيماناً واحتساباً؛ غفر له ما تقدم من ذنبه.

قال الطبراني: «لا يروى هذا الحديث عن أبي بكر إلا بهذا الإسناد، تفرد به عبد الواحد بن زيد»، وهو متروك الحديث، وعد هذا الحديث من منكراته، انظر: «الميزان» (٢/ ترجمة ٥٢٨٨).

والحديث حسنه بشواهد الألباني في «الصحيحة» (٢٦٠٩).

فَعَلَى الْمَرْءِ أَنْ يَكُونَ مُحَصِّلًا لِلْعَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ؛ حَتَّى يَدْخُلَ عَلَى رَمَضَانَ مُسْلِمًا خَالِصًا مِنْ كُلِّ مَا يَشُوبُ؛ مِنْ تِلْكَ الْكُدُورَاتِ الْعَفِنَةِ الَّتِي لَحِقَتْ بِحَقِيقَةِ الْإِيمَانِ فَدَنَسَتْهَا، وَشَوَّهَتْ صُورَتَهَا؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَيْنَ هَاهُنَا بِخَصِيصَةٍ مِنْ خَصَائِصِ الْإِتْرَامِ بَيْنَ الْقِيَامِ وَالصَّيَامِ وَقِيَامِ لَيْلَةِ الْقَدْرِ، فَيَقُولُ: «إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا»؛ فَلَا بُدَّ مِنْ تَحْصِيلِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ نَبِيًّا وَرَسُولًا، وَأَنْ يُؤْمِنَ الْمَرْءُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ؛ إِذْ يُقِيمُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فِيهِ النَّاسَ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَيَحَاسِبُهُمْ عَلَى الصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ، وَعَلَى الْيَسِيرِ مِنْ قَطْمِيرٍ وَغَيْرِ قَطْمِيرٍ، حَتَّى إِذَا مَا اسْتَوْفَى اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ حَسَابَهُمْ وَلَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ؛ فَيَفْرِقُ فِي الْجَنَّةِ، وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ.

فَعَلَى الْمَرْءِ أَنْ يَكُونَ مُسْتَعِدًّا اسْتِعْدَادًا نَفْسِيًّا لِلدُّخُولِ عَلَى هَذَا الْمَوْسِمِ، وَهَذَا شَأْنُ الْعِبَادَاتِ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ فِي الْمَوَاسِمِ الْجَامِعَةِ - مِنَ الْجُمُعَةِ وَالْجَمَاعَاتِ - رَبَّتْ لَنَا تَرْتِيبَاتٌ كُلُّهَا تَجْعَلُ الْمَرْءَ عَلَى أَقْصَى مَا يَكُونُ مِنْ أَمْرِ الْإِسْتِعْدَادِ النَّفْسِيِّ؛ لِيَدْخُلَ عَلَى الْعِبَادَةِ وَقَدْ هَيَّأَ لَهَا تَهْيِئَةً كَامِلَةً مُسْتَوْفَاةً. (*)



(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ حُطْبَةٍ: «الاستعداد لرمضان» - الْجُمُعَةُ ١٩ شَعْبَانَ ١٤٢٦ هـ

مِنْ خِصَائِصِ شَهْرِ رَمَضَانَ

فَرَمَضَانُ هُوَ الشَّهْرُ الَّذِي خَصَّهُ اللهُ جَلَّ وَعَلَا بِنُزُولِ الْقُرْآنِ فِيهِ؛ بَلْ كَمَا ثَبَتَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: فَإِنَّ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَالزَّبُورَ وَكَذَلِكَ الْقُرْآنَ الْمَجِيدُ؛ كُلُّهَا نَزَلَتْ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ.

فَهَذَا الشَّهْرُ خَصَّهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِنُزُولِ الْوَحْيِ الْمَعْصُومِ فِيهِ؛ هِدَايَةً لِلنَّاسِ، وَفُرْقَانًا بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَنَبْرَاسًا يُنِيرُ دِيَاجِيرَ ظُلْمَةِ الْمَرْءِ فِي سَعْيِهِ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ بِكُلِّ مَا فِيهَا مِنَ الْأَلَامِ وَالْأَحْزَانِ، وَبِكُلِّ مَا فِيهَا مِنَ الْهُمُومِ وَالْغُمُومِ وَالْأَنْكَادِ، وَبِكُلِّ مَا فِيهَا مِنَ الْمَخَاطِرِ وَالْمَكَايِدِ - مِنْ مَكَايِدِ النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ وَالْكَفَّارِ وَالْمُجْرِمِينَ، وَكُلٌّ صَادٌّ عَنْ سَبِيلِ رَبِّ الْعَالَمِينَ -.

فَهَذَا الشَّهْرُ خَصَّهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِخِصَائِصٍ بَاهِرَةٍ، وَأَنْزَلَ فِيهِ الْآيَاتِ الْمُبْهَرَةَ، وَجَعَلَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فِيهِ رُكْنًا مِنْ أَرْكَانِ دِينِ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ، وَهُوَ الصِّيَامُ، كَمَا فِي حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ» (١). أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «الصَّحِيحِ»: ٤٩/١، رَقْمَ (٨)، وَمُسْلِمٌ فِي «الصَّحِيحِ»: ٤٥/١،

* وَفِي شَهْرِ رَمَضَانَ بَعَثَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ نَبِيَّهُ الْخَاتَمَ مُحَمَّدًا ﷺ بِرِسَالَةِ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَهُوَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ ﷺ.

* فِي شَهْرِ رَمَضَانَ مَعَ مَا فِيهِ مِنَ الصَّلَاةِ بِالْقِيَامِ، مَعَ مَا فِيهِ مِنْ إِحْسَانِ الصِّيَامِ، وَمِنْ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَالذِّكْرِ وَالْجُودِ وَالْعَطَاءِ وَالْبِرِّ، بِكُلِّ مَا فِيهِ مِنَ الْخِصَالِ؛ إِذَا مَا فَعِلْتَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا؛ يَكُونُ الشَّهْرُ مُكْفَّرًا لِمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الشَّهْرِ الَّذِي بَعْدَهُ، كَمَا قَالَ الرَّسُولُ ﷺ: «الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ مُكْفَّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنِبْتَ الْكَبَائِرَ»^(١). أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.

* وَالصَّوْمُ سَبَبٌ لِتَكْفِيرِ الذُّنُوبِ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَجَارِهِ تَكْفَرُهَا الصَّلَاةُ وَالصَّوْمُ وَالصَّدَقَةُ»^(٢). أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

* وَالصَّوْمُ جُنَّةٌ وَوَقَايَةٌ مِنَ النَّارِ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الصَّوْمُ جُنَّةٌ يَسْتَجِنُّ بِهَا الْعَبْدُ مِنَ النَّارِ»^(٣). أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ» بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ لِغَيْرِهِ.

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «الصَّحِيحِ»: ٢٠٩/١، رَقْم (٢٣٣)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بَلْفِظٍ: «... مُكْفَّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ»، وَفِي رِوَايَةٍ: «... كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ مَا لَمْ تُغْشَ الْكَبَائِرُ».

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «الصَّحِيحِ»: ٨/٢، رَقْم (٥٢٥)، وَمُسْلِمٌ فِي «الصَّحِيحِ»: ٢٢١٨/٤، رَقْم (١٤٤)، مِنْ حَدِيثِ: حُدَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بَلْفِظٍ: «فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَوَلَدِهِ وَجَارِهِ، يُكْفَرُهَا الصِّيَامُ وَالصَّلَاةُ وَالصَّدَقَةُ وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ»، وَزَادَ مُسْلِمٌ: «... وَمَالِهِ وَنَفْسِهِ...».

(٣) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ»: ٣/٣٤١ و ٣٩٦، وَابِيهَقِي فِي «شُعَبِ الْإِيمَانِ»: ١٩٣/٥

و ٢٠٣، رَقْم (٣٢٩٢ و ٣٣٠٨)، مِنْ حَدِيثِ: جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فَالصَّوْمُ جُنَّةٌ مِنَ النَّارِ: وَقَايَةٌ وَسَاتِرٌ وَحِجَابٌ بَيْنَ الْمَرْءِ وَالنَّارِ - أَعَاذَنَا اللَّهُ جَمِيعًا مِنْهَا - .

* وَخُلُوفٌ فَمِ الصَّائِمِ أَطِيبٌ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ، وَالْمَلَائِكَةُ تَسْتَغْفِرُ لِلصَّائِمِينَ حِينَ يُفْطِرُونَ.

* وَهُوَ شَهْرُ الصَّبْرِ: قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿ إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر: ١٠].

* وَفِيهِ تُصَفَّدُ الشَّيَاطِينُ: كَمَا فِي «الصَّحِيحِينَ» عَنِ الرَّسُولِ ﷺ: «إِذَا دَخَلَ رَمَضَانُ؛ فَتُحَتُّ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ، وَسُلِّسَتْ الشَّيَاطِينُ»^(١). أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

والحديث حسنه لغيره الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»: ١/٥٧٨، رقم (٩٨١)، وروي عن عثمان بن أبي العاص الثقفى وعائشة وأبي هريرة وأنس وبشير بن الخصاصية رضي الله عنهم بنحوه، وطرف الحديث في «الصحيحين»؛ «صحيح البخاري»: ٤/١١٩، رقم (١٩٠٥)، و«صحيح مسلم»: ٢/٨٠٧، رقم (١١٥١)، من رواية: أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ، قال: «قال الله ﷻ: كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصِّيَامَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ، فَإِذَا كَانَ يَوْمٌ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرُفْتُ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَسْخَبُ، فَإِنْ سَابَهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ: إِنِّي أَمْرٌ صَائِمٌ...» الحديث.

(١) «صحيح البخاري»: ٤/١١٢، رقم (١٨٩٨ و ١٨٩٩)، و«صحيح مسلم»: ٢/٧٥٨،

رقم (١٠٧٩)، من حديث: أبي هريرة رضي الله عنه.

* وفيه ليلة القدر: «من حرم خيرها؛ فقد حرم»^(١).

* وشهر رمضان يغفر الله رب العالمين للصائمين في آخر ليلة منه: «ولله جل وعلا عتقاء من النار، وذلك كل ليلة من رمضان»^(٢). حديث حسن أخرجه الترمذي وابن ماجه.

* وللصائم دعوة مستجابة: عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث دعوات لا ترد: دعوة الوالد، ودعوة الصائم، ودعوة المسافر»^(٣). أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى»، وهو حسن لغيره.

(١) أخرج النسائي في «المجتبى»: ٤/، رقم (٢١٠٦)، من حديث: أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «أتاكم رمضان شهر مبارك فرض الله عنه عليكم صيامه،...، لله فيه ليلة خير من ألف شهر من حرم خيرها فقد حرم»، الحديث. والحدِيث صححه لغيره الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»: ١/٥٨٥، رقم (٩٩٩)، وروي عن أنس رضي الله عنه بنحوه.

(٢) أخرجه الترمذي في «الجامع»: ٣/٥٧، رقم (٦٨٢)، وابن ماجه في «السنن»: ١/٥٢٦، رقم (١٦٤٢)، من حديث: أبي هريرة رضي الله عنه. والحدِيث حسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»: ١/٥٨٥، رقم (٩٩٨)، وروي عن أبي سعيد وابن عمر وابن عباس وابن مسعود وجابر وأبي أمامة رضي الله عنه، وعن الحسن مرسلا، بنحوه.

(٣) أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى»: ٣/٣٤٥، رقم (٦٣٩٢)، وابن عساكر في «معجم الشيوخ»: ١/٣٣٨، رقم (٤٠٥)، والرافعي في «أخبار قزوين»: ٣/١١٤، والضياء في «المختارة»: ٦/٧٤ و٧٥، رقم (٢٠٥٧).

والحدِيث حسنه بشواهد الألباني في «الصحيحة»: ٤/٤٠٦، رقم (١٧٩٧)، وروي عن أبي هريرة بنحوه.

رَمَضَانُ كَيْفَ نَحْيَاهُ؟

شَهْرٌ بِهَذِهِ الْخَصَائِصِ.. بِهَذِهِ الْفَضَائِلِ؛ كَيْفَ نَحْيَاهُ وَنُحْيِيهِ؟

إِنَّ الْعَبْدَ الصَّالِحَ يَسْتَقْبِلُهُ بِالتَّوْبَةِ النَّصُوحِ وَيَدُومُ عَلَيْهَا، وَبِعَزِيمَةٍ صَادِقَةٍ
يَدُومُ عَلَيْهَا؛ عَلَى أَنْ يَعْتَنِمَهُ، وَأَلَّا يُضَيِّعَ مِنْهُ شَيْئًا، وَعَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَجْتَهِدَ فِي
شُغْلِ الْأَوْقَاتِ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ؛ لِأَنَّهُ لَا يَدْرِي أَيَدُورُ الْعَامُ دَوْرَتَهُ حَتَّى
يَكُونَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ مِنْ قَابِلٍ، أَمْ يَكُونَ مُعْيَبًا تَحْتَ طَبَقَاتِ التُّرَابِ؟
إِنَّ الْأَعْمَالَ الَّتِي تُعْمَلُ فِي رَمَضَانَ مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ الرَّحِيمِ الرَّحْمَنِ كَثِيرَةٌ:

١- الصِّيَامُ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا؛ غُفِرَ لَهُ مَا
تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»^(١). أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

الصِّيَامُ صِيَامٌ عَنِ الطَّعَامِ وَعَنِ الْحَرَامِ، وَهُوَ مِنْ بَابِ أَوْلَى: أَنْ يَصُومَ عَنِ
الزُّورِ وَالْبُهْتَانِ وَالْغَيْبَةِ وَالنَّمِيمَةِ، وَأَلَّا يَجْعَلَ يَوْمَ صَوْمِهِ وَيَوْمَ فِطْرِهِ سَوَاءً، وَأَلَّا
يَكُونَ حَظُّهُ مِنْ صِيَامِهِ الْجُوعَ وَالْعَطَشَ.

فَالصِّيَامُ أَكْبَرُ الْأَعْمَالِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ.

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «الصَّحِيحِ»: ٩٢ / ١، رَقْم (٣٨)، وَمُسْلِمٌ فِي «الصَّحِيحِ»: ٥٢٣ / ١

و٥٢٤، رَقْم (٧٦٠)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

٢- القيّام: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»^(١). أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

٣- الصّدقة: مِمَّا هُوَ مِنْ أَعْمَالِ هَذَا الشَّهْرِ، وَمِمَّا يَتَأَكَّدُ فِيهِ: الصّدقةُ وَالْجُودُ بِالْمَوْجُودِ؛ فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ بِالْخَيْرِ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ»^(٢). أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

* رَغَبَ النَّبِيُّ ﷺ فِي تَفْطِيرِ الصَّائِمِ، وَإِطْعَامِ الطَّعَامِ، وَسَقْيِ الْمَاءِ:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ فَطَرَ صَائِمًا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ الصَّائِمِ شَيْئًا»^(٣). أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»^(٤) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: أَيُّ الْإِسْلَامِ خَيْرٌ؟

(١) أخرجه البخاري في «الصحیح»: ٩٢ / ١، رقم (٣٧)، ومسلم في «الصحیح»: ٥٢٣ / ١، رقم (٧٥٩)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري في «الصحیح»: ٣٠ / ١، رقم (٦)، ومسلم في «الصحیح»: ١٨٠٣ / ٤، رقم (٢٣٠٨).

(٣) أخرجه الترمذي في «الجامع»: ١٦٢ / ٣، رقم (٨٠٧)، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»، وأخرجه أيضا ابن ماجه في «السنن»: ٥٥٥ / ١، رقم (١٧٤٦)، من حديث: زَيْدِ بْنِ خَالِدِ الْجُهَنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

والحديث صححه الألباني في «صحیح الترغيب والترهيب»: ٦٢٣ / ١، رقم (١٠٧٨).

(٤) «صحیح البخاري»: ٥٥ / ١، رقم (١٢)، و«صحیح مسلم»: ٦٥ / ١، رقم (٣٩).

قَالَ: «تَطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَيَّ مَنْ عَرَفْتَهُ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ». أَخْرَجَهُ
الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

وَعَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟

قَالَ: «إِدْخَالُكَ الشَّرُورَ عَلَيَّ مُؤْمِنٍ، أَشْبَعْتَهُ مِنْ جُوعٍ، كَسَوْتَهُ مِنْ عُرْيٍ،
قَضَيْتَ لَهُ حَاجَةً، أَعْنَتَهُ، فَرَجَّتْ لَهُ كَرْبًا بِإِذْنِ رَبِّهِ»^(١). أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي
«الْأَوْسَطِ»، وَالْحَدِيثُ حَسَنٌ لِغَيْرِهِ.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فِي كُلِّ ذَاتِ كَبِدٍ رَطْبَةٌ أَجْرٌ»^(٢). أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ
وَمُسْلِمٌ.

سَقَى الْمَاءِ؛ حَتَّى وَلَوْ لِلْكِالِبِ؛ حَتَّى وَلَوْ كَانَ لِلْكَلْبِ الضَّالِّ؛ فِيهِ أَجْرٌ عِنْدَ
الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِ.

يَخْفِرُ الْمُسْلِمُ بَرًّا، يَجْعَلُ لِلنَّاسِ صُنْبُورًا فِي سَبِيلِ، يَبْذُلُ الْمَاءَ لِابْنِ السَّبِيلِ
وَالْعَطْشَانَ.

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط»: ٢٠٢/٥، رقم (٥٠٨١).

والحديث حسنه لغيره الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»: ٥٦٤/١ رقم (٩٥٤)
و٢/٤٨٠ و٧٠٨ رقم (٢٠٩٠ و٢٦٢١)، وروي نحوه عن ابن عمر وجابر وابن عباس
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وعن أبي شريح مرسلا.

(٢) أخرجه البخاري في «الصحيح»: ١١٣/٥، رقم (٢٤٦٦)، ومسلم في «الصحيح»:

٤/١٧٦١، رقم (٢٢٤٤)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَتَلَوْتُ الْمِيَاهِ شَائِعٌ ذَائِعٌ لَا يَخْفَى، وَتَدَبُّ بِسَبَبِهِ أَمْرَاضٌ تَفْتِكُ بِالْأَجْسَادِ وَتَفْرِيهَا فَرِيًّا، فَمَنْ شَارَكَ أَوْ صَنَعَ لَهُمْ صَنِيعًا لِيَكُونَ مَأْوُهُ بَعِيدًا عَنْ هَذَا التَّلَوِّثِ؛ فَهُوَ دَاخِلٌ فِي الْحَدِيثِ، وَقَدْ أَتَى بِأَعْظَمِ مَا يُمَكِّنُ أَنْ يَتَقَرَّبَ بِهِ عَبْدٌ إِلَى اللَّهِ.

* مِنْ أَعْمَالِ هَذَا الشَّهْرِ: الْاجْتِهَادُ فِي قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، «كَانَ جَبْرِيلُ يُدَارِسُ النَّبِيَّ ﷺ الْقُرْآنَ فِي رَمَضَانَ»^(١). وَرَدَّ ذَلِكَ عِنْدَ الْبُخَارِيِّ وَعِنْدَ مُسْلِمٍ.

وَكَانَ السَّلْفُ يَتَوَفَّرُونَ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ فِي رَمَضَانَ.

* الْجُلُوسُ فِي الْمَسْجِدِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ: مِمَّا يُؤْتَى بِهِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، وَكَذَلِكَ فِي سَائِرِ الْعَامِ: الْجُلُوسُ فِي الْمَسْجِدِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ؛ فَفِي الْحَدِيثِ عَنْ أَنَسٍ رضي عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ صَلَّى الْغَدَاةَ فِي جَمَاعَةٍ، ثُمَّ قَعَدَ يَذْكُرُ اللَّهَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ، ثُمَّ صَلَّى رُكْعَتَيْنِ؛ كَانَتْ لَهُ كَأَجْرِ حَجَّةٍ وَعُمْرَةٍ تَامَّةٍ تَامَّةٍ تَامَّةٍ»^(٢). أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَالْحَدِيثُ حَسَنٌ لِغَيْرِهِ.

فَهَذَا فِي كُلِّ الْأَيَّامِ؛ فَكَيْفَ فِي رَمَضَانَ!!

الِاعْتِكَافُ: مِمَّا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ مِنْ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ: الْإِعْتِكَافُ؛ فَ «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَعْتَكِفُ فِي كُلِّ رَمَضَانَ عَشْرَةَ أَيَّامٍ، فَلَمَّا كَانَ الْعَامَ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ؛ اعْتَكَفَ عِشْرِينَ يَوْمًا»^(٣). أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ.

(١) تقدم تخريجه في «الصحيحين» من حديث: ابن عباس رضي عنهما.

(٢) أخرجه الترمذي في «الجامع»: ٤٨١/٢، رقم (٥٨٦)، وقال: «هذا حديث حسن غريب».

والحديث حسنه لغيره الألباني في «الصحيحة»: ١١٩٥/٧ رقم (٣٤٠٣).

(٣) أخرجه البخاري في «الصحيح»: ٢٨٤/٤ و٢٨٥، رقم (٢٠٤٤)، وفيه أيضا: ٤٣/٩،

رقم (٤٩٩٨)، من حديث: أبي هريرة رضي عنه.

وَالِاعْتِكَافُ مِنَ الْعِبَادَاتِ الَّتِي تَجْمَعُ كَثِيرًا مِنَ الطَّاعَاتِ؛ مِنَ التَّلَاوَةِ
وَالصَّلَاةِ وَالذِّكْرِ وَغَيْرِهَا، وَآكَدُ الْإِعْتِكَافِ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ؛ تَحَرِّيًّا لِلَيْلَةِ الْقَدْرِ.
وَالِاعْتِكَافُ هُوَ الْخَلْوَةُ الْمَشْرُوعَةُ، يَفْعَلُهُ الْمَرْءُ فَيَخْلُو بِنَفْسِهِ بَعِيدًا عَنِ
النَّاسِ؛ مِنْ أَهْلِ وَصَاحِبِ وَوَلَدٍ، وَيُقْبَلُ عَلَى اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.
وَالْمُعْتَكِفُ يَحْبِسُ نَفْسَهُ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَذِكْرِهِ، وَيَقْطَعُ نَفْسَهُ عَنِ كُلِّ شَاغِلٍ
يَسْغَلُهُ عَنِ رَبِّهِ.

* الْعُمْرَةُ: الْعُمْرَةُ فِي رَمَضَانَ؛ قَالَ فِيهَا الرَّسُولُ ﷺ: «عُمْرَةٌ فِي رَمَضَانَ
كَحَجَّةٍ مَعِي». أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.
فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأُمِّ سِنَانٍ: «إِذَا جَاءَ رَمَضَانُ فَاعْتَمِرِي، فَإِنَّ عُمْرَةً فِيهِ تَعْدِلُ
حَجَّةً - أَوْ قَالَ - حَجَّةً مَعِي» (١).

الْعُمْرَةُ فِي رَمَضَانَ كَحَجَّةٍ فِي الْأَجْرِ مَعَ النَّبِيِّ الْعَدْنَانِ ﷺ.
وَقَدْ رَهَّبَ النَّبِيُّ ﷺ الصَّائِمَ مِنَ الْغَيْبَةِ وَالْفَحْشِ، وَقَوْلِ الزُّورِ وَالْكَذِبِ؛
فَعِنْدَ الْبُخَارِيِّ فِي «الصَّحِيحِ» مِنْ رِوَايَةِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «الصَّحِيحِ»: ٧٢ / ٤ و ٧٣، رَقْم (١٨٦٣)، وَمُسْلِمٌ فِي «الصَّحِيحِ»:
٩١٧ / ٢، رَقْم (١٢٥٦)، مِنْ حَدِيثِ: ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: لَمَّا رَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ
حَجَّتِهِ قَالَ لِأُمِّ سِنَانٍ الْأَنْصَارِيَّةِ: «مَا مَنَعَكَ مِنَ الْحَجِّ؟»، قَالَتْ: أَبُو فَلَانٍ، تَعْنِي زَوْجَهَا،
كَانَ لَهُ نَاضِحَانِ حَجَّ عَلَيَّ أَحَدِهِمَا، وَالْآخَرُ يَسْقِي أَرْضًا لَنَا، قَالَ: «فَإِنَّ عُمْرَةً فِي رَمَضَانَ
تَقْضِي حَجَّةً أَوْ حَجَّةً مَعِي»، وَفِي رِوَايَةِ لِمُسْلِمٍ: «فَإِذَا جَاءَ رَمَضَانُ فَاعْتَمِرِي، فَإِنَّ عُمْرَةً
فِيهِ تَعْدِلُ حَجَّةً».

«مَنْ لَمْ يَدْعُ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلِ بِهِ؛ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ»^(١). أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ.

وَاللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ قَدْ بَيَّنَّ لَنَا أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا اغْتَابَ أَخَاهُ؛ فَكَأَنَّمَا أَكَلَ لَحْمَهُ مَيْتًا، وَهُوَ أَمْرٌ تَكَرَّهُهُ الطَّبَاعُ، وَتَنَفَّرُ مِنْهُ النُّفُوسُ؛ وَلَكِنْ هَكَذَا هُوَ فِي قُبْحِهِ، هَكَذَا هُوَ فِي شِنَاعَتِهِ.

«إِذَا كَانَ يَوْمٌ صَوْمٍ أَحَدِكُمْ؛ فَلَا يَرُفُثُ - وَالرَّفْثُ: هُوَ ذِكْرُ الْجِمَاعِ وَمُقَدَّمَاتِ الْجِمَاعِ عِنْدَ النِّسَاءِ خَاصَّةً - فَلَا يَرُفُثُ وَلَا يَصْخَبُ، فَإِنْ سَابَهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ؛ فَلْيَقُلْ: إِنِّي صَائِمٌ، إِنِّي صَائِمٌ»^(٢). أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

«رُبَّ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلَّا الْجُوعُ، وَرُبَّ قَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ قِيَامِهِ إِلَّا السَّهَرُ»^(٣). حَدِيثٌ صَحِيحٌ أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَةَ.

(١) «صحيح البخاري»: ٤ / ١١٦، رقم (١٩٠٣) وفي: ١٠ / ٤٧٢، رقم (٦٠٥٧).

(٢) أخرجه البخاري في «الصحيح»: ٤ / ١١٨، رقم (١٩٠٤)، ومسلم في «الصحيح»: ٢ /

٨٠٦، رقم (١١٥١)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، وتاممه: «... وَالصَّيَامُ جُنَّةٌ، فَإِذَا كَانَ يَوْمٌ صَوْمٍ أَحَدِكُمْ، فَلَا يَرُفُثُ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَصْخَبُ، فَإِنْ سَابَهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ، فَلْيَقُلْ: إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ».

(٣) أخرجه ابن ماجه في «السنن»: ١ / ٥٣٩، رقم (١٦٩٠)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

والحديث حسن إسناده وصححه متنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»:

١ / ٦٢٥، رقم (١٠٨٣).

وَعِنْدَ مُسْلِمٍ (١) مِنْ رِوَايَةِ أَبِي هُرَيْرَةَ: «كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ؛ دَمُهُ وَعَرْضُهُ، وَمَالُهُ».

وَعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله وسلامه عليه: «الرَّبَا اثْنَانِ وَسَبْعُونَ بَابًا، أَدْنَاهَا مِثْلُ إِيْتَانِ الرَّجُلِ أُمِّهِ، وَإِنَّ أَرْبَى الرَّبَا: اسْتِطَالَةُ الرَّجُلِ فِي عَرَضِ أَخِيهِ» (٢). وَالْحَدِيثُ صَحِيحٌ لغيره أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْأَوْسَطِ».

فَأَقْلُ دَرَجَةٍ فِي الرَّبَا هِيَ أَعْلَى دَرَجَةٍ فِي الزَّنَا، وَأَعْلَى دَرَجَةٍ فِي الرَّبَا الَّذِي أَقْلُ دَرَجَةٍ مِنْهُ كَأَعْلَى دَرَجَةٍ فِي الزَّنَا؛ أَكْبَرُ دَرَجَةٍ فِي الرَّبَا: عَرْضُ الْمُسْلِمِ.

وَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله وسلامه عليه: «لَمَّا عُرِجَ بِي؛ مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نَحَاسٍ يَخْمِشُونَ وَجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ؟». قَالَ: «هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ، وَيَقَعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ» (٣). حَدِيثٌ صَحِيحٌ أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ.

(١) «صحيح مسلم»: ٤ / ١٩٨٦، رقم (٢٥٦٤).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة كما في «المطالب»: ١١ / ٨٧٩، رقم (٢٧٢٦)، وابن أبي حاتم في «المراسيل»: ص ٢٤٥، رقم (٩١٦)، والطبراني في «الأوسط»: ٧ / ١٥٨، رقم (٧١٥١)، بلفظ: «الرَّبَا اثْنَانِ وَسَبْعُونَ بَابًا أَدْنَاهَا مِثْلُ إِيْتَانِ الرَّجُلِ أُمِّهِ وَأَرْبَا الرَّبَا اسْتِطَالَةُ الرَّجُلِ فِي عَرَضِ أَخِيهِ».

والحديث صححه لغيره الألباني في «الصحيححة»: ٤ / ٤٨٨، رقم (١٨٧١)، وروي عن ابن مسعود وأبي هريرة وعبد الله بن سلام ورجل من الأنصار، بنحوه.

(٣) أخرجه أبو داود في «السنن»: ٤ / ٢٦٩ و ٢٧٠، رقم (٤٨٧٨).

والحديث صححه الألباني في «الصحيححة»: ٢ / ٦٩، رقم (٥٣٣).

النَّبِيُّ ﷺ يُحَذِّرُ مِنْ أَكْلِ لُحُومِ النَّاسِ، وَمِنْ الْوُقُوعِ فِي أَعْرَاضِهِمْ، فَتَخْلِيَةُ
اللِّسَانِ مِنْ أَفَاتِهِ مِنْ أَهَمِّ مَا يَنْبَغِي أَنْ يُدْرَبَ الْمَرْءُ نَفْسَهُ عَلَيْهِ فِي هَذَا الشَّهْرِ، وَأَنْ
يُمْسِكَ لِسَانَهُ إِلَّا عَنْ خَيْرٍ؛ لِأَنَّ الْمَرْءَ قَدْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَعْمَالٍ صَالِحَاتٍ،
فَيَأْخُذُ هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، حَتَّى إِذَا فَنِيَتْ؛ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِهِمْ؛
فَطُرِحَ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ (١). وَلَيْسَتْ الْغَيْبَةُ أَنْ تَذْكَرَ أَخَاكَ بِمَا لَيْسَ فِيهِ؛ هَذَا
بُهْتَانٌ، وَأَمَّا الْغَيْبَةُ؛ فَإِنْ تَذْكَرَ أَخَاكَ بِمَا هُوَ فِيهِ مِمَّا يَكْرَهُهُ (٢).

نَسَأَلُ اللَّهَ أَنْ يُطَهِّرَ أَلْسِنَتَنَا مِنَ الْغَيْبَةِ وَالْبُهْتَانِ، وَأَعِينَنَا وَسَمْعَنَا مِنَ الْخِيَانَةِ،
وَجَوَارِحَنَا مِنَ الظُّلْمِ. (*)



(١) أخرج مسلم في «الصحیح»: ١٩٩٧/٤، رقم (٢٥٨١)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ
رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟» قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا ذِرْهَمَ لَهُ وَلَا
مَتَاعَ، فَقَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ
شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ
حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يَقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ
فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ».

(٢) أخرج مسلم في «الصحیح»: ٢٠٠١/٤، رقم (٢٥٨٩)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ
رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْغَيْبَةُ؟» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «ذَكَرْتُ أَخَاكَ
بِمَا يَكْرَهُ»، قِيلَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَحِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: «إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ، فَقَدْ
اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهْتَهُ».

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصِرٌ مِنْ خُطْبَةٍ: «رَمَضَانُ كَيْفَ نَحْيَاهُ؟» - الْجُمُعَةُ ١٥ مِنْ رَمَضَانَ

أَهْمِيَّةُ الْإِسْتِعْدَادِ لِرَمَضَانَ

إِنَّ هَذَا الدِّينَ الْعَظِيمَ يُرِيدُ مِنَّا أَنْ نَدْخُلَ عَلَيْهِ هَذَا الْمَوْسِمَ الْجَلِيلِ مِنْ مَوَاسِمِ الطَّاعَاتِ وَقَدْ أَتَمَمْنَا الْإِسْتِعْدَادَ لِلدُّخُولِ عَلَيْهِ؛ حَتَّى إِذَا مَا زَاوَلْنَاهُ؛ لَمْ نَجِدْ فِيهِ عَلَى النَّفْسِ مَشَقَّةً، وَإِنَّمَا أَتَتْ الْعِبَادَةَ بِالْمَحَبَّةِ، وَكَذَلِكَ شَأْنُ الْعَارِفِينَ بِاللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

إِنَّ هَذَا الشَّهْرَ إِنَّمَا يَنْبَغِي أَنْ يُسْتَعَدَّ لَهُ بِتَوْبَةٍ نَصُوحٍ، وَأَنْ يَدْخُلَ الْمَرْءُ عَلَيْهِ نَاوِيًا أَنْ يَنْسَلَخَ هَذَا الشَّهْرُ عَنْهُ وَقَدْ آتَاهُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ الْمَغْفِرَةَ.

فَنَسْأَلُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ أَنْ يُبَلِّغَنَا رَمَضَانَ، فَإِذَا مَا بَلَّغَنَا أَعَانَنَا عَلَيْهِ، حَتَّى إِذَا مَا قَدَّرَ اللَّهُ أَنْ يَنْسَلَخَ عَنَّا؛ جَعَلْنَا مِنَ الْمَغْفُورِ لَهُمْ وَالْمَرْحُومِينَ؛ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا، وَعَافِنَا وَاعْفُ عَنَّا.

اللَّهُمَّ أَحِينَا مُسْلِمِينَ، وَتَوَقَّنَا مُؤْمِنِينَ، وَأَلْحِقْنَا بِالصَّالِحِينَ.

اللَّهُمَّ ثَبِّتْنَا عَلَى الْقَوْلِ الثَّابِتِ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، وَثَبِّتْنَا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

اللَّهُمَّ ثَبِّتْنَا عَلَى الدِّينِ، وَأَذِقْنَا حَلَاوَةَ اليَقِينِ، يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ، وَيَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ جَمْعَنَا هَذَا جَمْعًا مَرْحُومًا، واجْعَلْ تَفَرُّقَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَفَرُّقًا مَعْصُومًا، وَلَا تَجْعَلْ فِيْنَا وَلَا حَوْلَنَا شَقِيًّا وَلَا مَطْرُودًا وَلَا مَحْرُومًا.

اللَّهُمَّ خُذْ بِأَيْدِينَا إِلَيْكَ، وَأَقْبِلْ بِقُلُوبِنَا عَلَيْكَ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، وَيَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ، وَيَا ذَا الْقُوَّةِ الْمَتِينِ.

وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (*).



(*): مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «الاستعداد لرمضان» - الجمعة ١٩ شعبان ١٤٢٦هـ | ٢٣-٩-

فَضَائِلُ رَمَضَانَ
وَجُمَلَةٌ مِنْ أَحْكَامِ الصِّيَامِ
وَأَدَابِهِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا
وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا
إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُونَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل

عمران: ١٠٢].

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا
رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ۖ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾

[النساء: ١].

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصَلِّحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ
وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

• أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ،
وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ
ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

• أَمَّا بَعْدُ:

مِنْ فَضَائِلِ شَهْرِ رَمَضَانَ

فَشَهْرُ رَمَضَانَ خَصَّهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِفَضَائِلٍ كَثِيرَةٍ مِنْهَا:

* أَنَّهُ شَهْرُ الْقُرْآنِ أَنْزَلَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فِيهِ كِتَابَهُ الْمَجِيدَ - هُدًى لِلنَّاسِ وَشِفَاءً لِلْمُؤْمِنِينَ، يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمٌ، وَيُبَيِّنُ سُبُلَ الرَّشَادِ -.

فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ أَنْزَلَهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ - كَمَا قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا (١) - إِلَى بَيْتِ الْعِزَّةِ فِي سَمَاءِ الدُّنْيَا دَفْعَةً وَاحِدَةً فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ مِنْ شَهْرِ

(١) أَخْرَجَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَسَنِ الْهَمْدَانِيُّ فِي «تَفْسِيرِ مَجَاهِدٍ»: ص ٦٤٥، وَأَبُو عبيد القاسم بن سلام في «فضائل القرآن»: ص ٣٦٧ و ٣٦٨، وابن أبي شيبة في «المصنف»: ١٠ / ٥٣٣، رقم (٣٠١٨٧)، وأبو القاسم البغوي في «حديث علي بن الجعد»: ص ٣٤٣ و ٣٤٤، والبخاري في «المسند»: ١١ / ٢٣٦ رقم (٥٠٠٩)، والنسائي في «السنن الكبرى»: ٧ / ٢٤٧ و ١٠ / ٢٠٥، والطبري في «جامع البيان»: ٢ / ١٤٤ و ١٤٥، والطبراني في «المعجم الكبير»: ١٢ / ٣٢ و ٤٤، والحاكم في «المستدرک»: ٢ / ٢٢٢ و ٢٢٣، وابن منده في «الإيمان»: ٢ / ٧٠٤ و ٧٠٥، بإسناد صحيح، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «نَزَلَ الْقُرْآنُ كُلُّهُ جُمْلَةً وَاحِدَةً فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ فِي رَمَضَانَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَكَانَ اللهُ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُوحِيَ مِنْهُ شَيْئًا أَوْحَاهُ، فَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ١]».

وهو قول الربيع بن أنس، وسعيد بن جبیر، وعكرمة، والسدي، وغيرهم.

رَمَضَانَ، ثُمَّ بَدَأَ نَزُولَهُ عَلَى نَبِيِّنَا ﷺ كَذَلِكَ، فَقَالَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥].

* وَمِنْ فَضَائِلِ شَهْرِ رَمَضَانَ: أَنَّ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ جَعَلَ فِيهِ تَصْفِيدَ الشَّيَاطِينِ، وَإِغْلَاقَ أَبْوَابِ النَّيِّرَانِ، وَفَتْحَ أَبْوَابِ الْجَنَانِ.

فَفِي شَهْرِ رَمَضَانَ يَقْبَلُ الشَّرُّ فِي الْأَرْضِ؛ حَيْثُ تُصَفَّدُ وَتُشَدُّ مَرَدَّةُ الْجِنِّ بِالسَّلَاسِلِ وَالْأَغْلَالِ وَالْأَصْفَادِ، فَلَا يَخْلُصُونَ إِلَى إِفْسَادِ النَّاسِ كَمَا كَانُوا يَخْلُصُونَ إِلَيْهِ فِي غَيْرِهِ؛ لِاشْتِغَالِ الْمُسْلِمِينَ بِالصَّيَامِ الَّذِي فِيهِ قَمْعُ الشَّهَوَاتِ، وَلا شَتِغَالِهِمْ بِالْقُرْآنِ وَسَائِرِ الْعِبَادَاتِ.

وَالْعِبَادَاتُ تُهَذِّبُ النُّفُوسَ وَتُزَكِّيْهَا، قَالَ رَبُّنَا -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ-: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

فَكَانَ اللَّهُ رَبَّ الْعَالَمِينَ كَتَبَ الصَّيَامَ عَلَيْنَا وَعَلَى مَنْ قَبْلَنَا؛ لِكَيْ نَتَحَصَّلَ مِنْ وَرَاءِ الصَّيَامِ عَلَى التَّقْوَى.

فَلِذَلِكَ تُغْلَقُ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ، وَتُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَانِ -يَعْنِي أَبْوَابَ الْجَنَّاتِ-؛ لِأَنَّ الْعَمَلَ الصَّالِحَ كَثِيرًا، وَالْكَلِمَةَ الطَّيِّبَةَ وَفِيرَةً.

قَالَ ﷺ: «إِذَا جَاءَ رَمَضَانُ فَتَّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ -وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ-: فَتَّحَتْ أَبْوَابُ الرَّحْمَةِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّيِّرَانِ، وَصُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ». وَهَذَا

حَدِيثٌ مُتَّفَقٌ عَلَى صِحَّتِهِ (١).

* وَفِي رَمَضَانَ لَيْلَةُ الْقَدْرِ، وَأَكْرَمُ زَمَانٍ عِنْدَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى هُوَ الشَّهْرُ الَّذِي أَنْزَلَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فِيهِ الْقُرْآنَ.

وَهَذَا الزَّمَانُ الَّذِي أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ الْقُرْآنَ يَجِبُ أَنْ يُخَصَّ بِعَمَلٍ زَائِدٍ، وَهَذَا بِتَوْقِيفٍ؛ لِأَنَّ الرَّسُولَ ﷺ نَدَبَ إِلَى إِحْيَاءِ لَيْلَةِ الْقَدْرِ، وَدَلَّ عَلَى الثَّوَابِ الْعَظِيمِ الَّذِي يَتَحَصَّلُ عَلَيْهِ مَنْ يُحْيِي لَيْلَةَ الْقَدْرِ.

وَلَيْلَةُ الْقَدْرِ أَنْزَلَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فِيهَا الْقُرْآنَ، وَلَيْلَةُ الْقَدْرِ فِي رَمَضَانَ. وَهَذِهِ اللَّيْلَةُ فِيهَا تِلْكَ النِّعْمَةُ الْعَظِيمَةُ، وَالْمِنَّةُ الْجَلِيلَةُ الَّتِي لَمْ تُؤْتِ الْبَشَرِيَّةَ قَبْلَ نَبِيِّنَا ﷺ مِثْلَهَا، وَهِيَ الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ.

فَهَذَا بَعْضُ مِمَّا وَرَدَ فِي فَضْلِ شَهْرِ رَمَضَانَ. (*)



(١) أخرجه البخاري في «الصحیح»: ١١٢/٤، رقم (١٨٩٨)، ومسلم في «الصحیح»:

٧٥٨/٢، رقم (١٠٧٩)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وفي رواية لهما: «...، وَسُلِّسَتْ الشَّيَاطِينُ»، وفي رواية للبخاري: «... فَتَحَّتْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ...»، ولمسلم: «... فَتَحَّتْ أَبْوَابُ الرَّحْمَةِ...».

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَةٍ: «بَيَانُ فَضَائِلِ الصَّوْمِ وَشَهْرِ رَمَضَانَ وَأَحْكَامِ بَيْنَ يَدَيْ

رَمَضَانَ» - الإثنيين ٤ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٢٧ هـ / ٢٨-٨-٢٠٠٦ م.

فَضائِلُ صَوْمِ رَمَضانَ

عِبَادَ اللهِ! لَقَدْ جَاءَ التَّرغيبُ عَن نَبِينَا ﷺ فِي صَوْمِ رَمَضانَ، فَجَعَلَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ صَوْمَ رَمَضانَ غُفْرانًا لِلذُّنُوبِ، قالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ صامَ رَمَضانَ إِيمانًا وَاحْتِسابًا غُفِرَ لَهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»^(١).

«إيمانًا»: يَعْنِي تَصَدِيقًا بِفَرْضِيَّتِهِ، وَبِمَنْ جَاءَ بِذَلِكَ الْفَرْضِ ﷺ، وَتَصَدِيقًا بِالْجِزاءِ الْمُتَرَتِّبِ عَلَى الصَّيامِ.

«وَاحْتِسابًا»: يَعْنِي طَلَبًا لِلْأَجْرِ مِنَ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ مِنْ غَيْرِ نَظَرٍ إِلَى شَيْءٍ، وَمِنْ غَيْرِ ما رِياءً.

«مَنْ صامَ رَمَضانَ إِيمانًا وَاحْتِسابًا غُفِرَ لَهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ».. بِإِطْلاقٍ؛ بِمَعْنَى أَنَّ الْإِنْسَانَ مَهْمَا تَوَرَّطَ فِي ذَنْبٍ فَإِنَّ الصَّيامَ يَكُونُ غُفْرانًا لِذَلِكَ الذَّنْبِ؟
إِنَّ الدَّواوِينَ عِنْدَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ثَلَاثَةٌ:

١- فِدْيَانٌ لَا يَغْفِرُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ مِنْهُ شَيْئًا وَهُوَ: الشُّرْكَ.

(١) أخرجه البخاري في «الصحیح»: ١ / ٩٢، رقم (٣٨)، ومسلم في «الصحیح»: ١ / ٥٢٣

و ٥٢٤، رقم (٧٦٠)، من حديث: أبي هريرة رضي الله عنه.

٢- وَدِيَوَانٌ لَا يَدْعُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ مِنْهُ شَيْئًا وَهُوَ: الْمَظَالِمُ الَّتِي تَكُونُ بَيْنَ الْعِبَادِ.

٣- وَدِيَوَانٌ لَا يَعْبَأُ اللَّهُ بِهِ شَيْئًا وَهُوَ: ظُلْمُ الْعَبْدِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ.

«غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»: مِمَّا يَقْبَلُ الْغُفْرَانَ، وَأَمَّا مَظَالِمُ الْعِبَادِ فَهِيَ هَاتَا، لَا بُدَّ مِنْ رَدِّهَا، وَلَا بُدَّ مِنْ أَدَائِهَا.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي عنه عَنِ النَّبِيِّ صلوات الله عليه وآله وسلم قَالَ: «الْصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ مُكْفَرَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنِبْتَ الْكَبَائِرُ» (١).

لَقَدْ كَانَ السَّلْفُ الصَّالِحُ -رُضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ- يَدْعُونَ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى سِتَّةَ أَشْهُرٍ أَنْ يُبَلِّغَهُمْ رَمَضَانَ، فَإِذَا انْسَلَخَ رَمَضَانُ دَعَوْا اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى سِتَّةَ أَشْهُرٍ أَنْ يَقْبَلَ مِنْهُمْ رَمَضَانَ، فَهُمْ فِي الْعَامِ كُلِّهِ مَشْغُولُونَ بِرَمَضَانَ، وَكَيْفَ لَا يَكُونُ ذَلِكَ كَذَلِكَ وَهُوَ مَوْسِمٌ لِاسْتِجَابَةِ الدُّعَاءِ وَالْعَتَقِ مِنَ النَّارِ؟!!

قَالَ النَّبِيُّ صلوات الله عليه وآله وسلم -كَمَا فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ-: «إِنَّ اللَّهَ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ عَتَقَاءَ مِنَ النَّارِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، وَإِنَّ لِكُلِّ مُسْلِمٍ دَعْوَةً يَدْعُو بِهَا فَيُسْتَجَابُ لَهَا» (٢).

(١) أخرجه مسلم في «الصحیح»: ٢٠٩ / ١، رقم (٢٣٣)، وفي رواية له: «...، مَا لَمْ تُعْشِ الْكَبَائِرُ».

(٢) أخرجه الترمذي في «الجامع»: ٥٧ / ٣ و ٥٨، رقم (٦٨٢)، وابن ماجه في «السنن»: ٥٢٦ / ١، رقم (١٦٤٢)، وأحمد في «المسند»: ٢٥٤ / ٢، رقم (٧٤٥٠)، واللفظ له،

من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي عنه.

مَوْسِمٌ مَفْتُوحٌ مِنْ عَطَاءَاتِ وَفُيُوضَاتِ رَبِّ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ.

فَإِذَا كَانَ الْأَجْرُ الْعَظِيمُ الَّذِي يَتَرْتَّبُ عَلَى الصَّيامِ هُوَ مَا ذَكَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ، بَلْ مَا ذَكَرَهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ مِمَّا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنَ الْآيَاتِ الْكَرِيمَاتِ، وَكَذَلِكَ مَا وَرَدَ مِنَ الْأَحَادِيثِ الشَّرِيفَاتِ؛ فَهَذَا الْأَمْرُ يَنْبَغِي أَنْ يُحْكَمَ.. أَنْ يُضَبَّطَ؛ حَتَّى يُؤَدَّى عَلَى وَجْهِهِ، فَإِذَا أُدِّيَ عَلَى وَجْهِهِ وَلَمْ يَأْتِ مَا يُلَوِّثُهُ؛ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ يَكُونُ عَلَى رَجَاءِ التَّحَقُّقِ مِنْ تَحْصُلِ الْأَجْرِ -بِفَضْلِ اللهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ- (*).



والحديث حسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»: ١ / ٥٨٥، رقم (٩٩٨)، وروي عن أبي سعيد وابن عمر وابن عباس وابن مسعود وجابر وأبي أمامة رضي الله عنهم، وعن الحسن مرسلا، بنحوه.

(*): مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصِرٌ مِنْ مُحَاضِرَةٍ: «بَيَانُ فَضَائِلِ الصَّوْمِ وَشَهْرِ رَمَضانَ وَأَحْكامَ بَيْنَ يَدَيِ رَمَضانَ» - الْإِثْنَيْنِ ٤ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٢٧هـ / ٢٨-٨-٢٠٠٦م.

جُمْلَةٌ مِنْ أَحْكَامِ الصِّيَامِ

عِبَادَ اللَّهِ! عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَعْتَصِمَ بِاللَّهِ جَلَّ وَعَلَا، وَأَنْ يَسْلُكَ سَبِيلَ الطَّلَبِ عَلَى نَهْجِ الصَّحَابَةِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ، فَفِي هَذَا النَّجَاةِ، وَلَا نَجَاةَ إِلَّا فِيهِ، فَإِنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا جَعَلَ النَّجَاةَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَهُمَا مَعْدِنُ الْعِلْمِ وَأَصْلُهُ، فَمَهْمَا تَرَكَ الْإِنْسَانُ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ وَتَنَكَّبَهُمَا وَاسْتَدْبَرَهُمَا وَجَعَلَهُمَا دَبْرَ أُذُنَيْهِ وَخَلْفَ ظَهْرِهِ؛ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا. (*)



(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ خُطْبَةٍ: «حَيْثُ وَقَعَ نَفْعٌ» - الْجُمُعَةُ ٢ مِنْ الْمُحَرَّمِ ١٤٣٤هـ/

عَلَى مَنْ يَجِبُ صِيَامُ شَهْرِ رَمَضانَ؟

يَجِبُ صِيَامُ شَهْرِ رَمَضانَ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ بَالِغٍ، عَاقِلٍ، مُقِيمٍ، قَادِرٍ، خَالٍ مِنْ
المَوانِعِ:

فَقَوْلُنَا: «عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ»: خَرَجَ مِنْهُ الكَافِرُ، فَلا يَجِبُ عَلَيْهِ الصَّومُ وَلا
يَصِحُّ مِنْهُ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ أَهلاً لِلعِبادَةِ، وَمَتَى أَسْلَمَ؛ لَزِمَهُ الصَّومُ مِنْ حِينَ إِسلامِهِ،
وَلا يَقْضِي ما مَضَى.

«بَالِغٍ»: خَرَجَ بِهِ الصَّغِيرُ الَّذِي لَمْ يَبْلُغْ؛ وَذَلِكَ لِرَفْعِ القَلَمِ عَنْهُ حَتَّى يَبْلُغَ،
وَيَحْصُلُ البُلُوغُ بِواحِدَةٍ مِنْ ثَلَاثَةِ:

* إِنزَالِ المَنِيِّ مِنْ احتِلامٍ أَوْ غَيْرِهِ.

* نَبَاتِ شَعْرِ العانَةِ.

* بُلُوغِ تَمَامِ خَمْسَةِ عَشَرَ سَنَةً.

«عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ بَالِغٍ عَاقِلٍ»: خَرَجَ مِنْهُ ضِدُّهُ، وَهُوَ فَاقِدُ العَقْلِ، كَالْمَجْنُونِ
وَالْمَعْتُوهِ، وَكَذا المُخَرَّفِ؛ لِكِبَرِ السَّنِّ.

«مُقِيمٍ»: ضِدُّهُ المُسافِرُ، فَلا يَجِبُ عَلَيْهِ الصَّومُ، بَلْ هُوَ مُخَيَّرٌ بَيْنَ الفِطْرِ

وَالصِّيَامِ، وَالْأَفْضَلُ لَهُ فِعْلُ الْأَيْسَرِ عَلَيْهِ.

«قَادِرٍ»: خَرَجَ بِهِ الْعَاجِزُ عَنِ الصِّيَامِ لِمَرَضٍ أَوْ كِبَرٍ، فَلَا يَجِبُ عَلَيْهِ الصِّيَامُ، بَلْ يَقْضِيهِ بَعْدَ رَمَضَانَ، وَالْكَبِيرُ يُطْعَمُ عَنْ كُلِّ يَوْمٍ مِسْكِينًا.

«خَالٍ مِنَ الْمَوَانِعِ»: أَيَّ خَالٍ مِنْ مَوَانِعِ الصَّوْمِ كَالْحَيْضِ وَالنَّفَاسِ بِالنِّسْبَةِ لِلْمَرْأَةِ. (*)



(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ «شَرْحِ الْجَوْهَرَةِ الْفَرِيدَةِ - مُجْمَلُ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ: الزَّكَاةُ» - مُحَاضِرَةٌ

٢٤ الثَّلَاثَاءُ ٤ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ١٤٣٧ هـ / ٦-٩-٢٠١٦ م.

أَرْكانُ الصَّومِ

وَأَمَّا أَرْكانُ الصَّومِ فَهِيَ:

- ١- الإِمْسَاكُ: وَهُوَ الكَفُّ عَنِ المُنْفِطِراتِ مِنْ أَكْلِ وَشُرْبِ وَجِماعِ وَنَحْوِها.
- ٢- النِّيَّةُ: وَهِيَ عَزْمُ القَلْبِ عَلى الصَّومِ امْتِثالًا لِأَمْرِ اللَّهِ تَعالَى أَوْ تَقَرُّبًا إِلَيْهِ؛ لِقَوْلِهِ ﷺ: «إِنَّمَا الأَعْمالُ بِالنِّيَّاتِ»^(١)، فَإِنْ كانَ الصَّومُ فَرَضًا؛ فَالنِّيَّةُ تَجِبُ بِلَيْلِ قَبْلِ الفَجْرِ لِقَوْلِهِ ﷺ: «مَنْ لَمْ يُجمِعِ الصَّيامَ مِنَ اللَّيْلِ فَلَا صِيامَ لَهُ»^(٢). أَخْرَجَهُ أَبُو داوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ، وَصَحَّحَهُ الألبانِيُّ وَغَيْرُهُ.

وَإِنْ كانَ الصَّومُ نَفْلًا؛ صَحَّتِ النِّيَّةُ وَلَوْ بَعْدَ طُلُوعِ الفَجْرِ وَارْتِفاعِ النَّهارِ، بِشَرَطِ ألاَّ يَكُونَ قَدْ طَعِمَ شَيْئًا؛ لِقَوْلِ عائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْها: دَخَلَ عَلَيَّ رَسولُ اللَّهِ ﷺ

(١) أَخْرَجَهُ البُخاري فِي «الصَّحيحِ»: ١ / ٩، رَقْم (١)، وَمُسْلِمٌ فِي «الصَّحيحِ»: ٣ / ١٥١٥، رَقْم (١٩٠٧)، مِنْ حَدِيثِ: عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أَخْرَجَهُ أَبُو داوُدَ فِي «السَّنَنِ»: ٢ / ٣٢٩، رَقْم (٢٤٥٤)، وَالتِّرْمِذِيُّ فِي «الجامعِ»: ٣ / ٩٩، رَقْم (٧٣٠)، وَالنَّسائِيُّ فِي «المَجْتَبِيِّ»: ٤ / ١٩٦ وَ ١٩٧، وَابنُ ماجَهَ فِي «السَّنَنِ»: ١ / ٥٤٢، رَقْم (١٧٠٠)، مِنْ حَدِيثِ: حَفْصَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْها.

وَالحَدِيثِ صَحَّحَهُ الألبانِيُّ فِي «إِرواءِ الغَليْلِ»: ٤ / ٢٥، رَقْم (٩١٤).

ذَاتَ يَوْمٍ فَقَالَ: «هَلْ عِنْدَكُمْ شَيْءٌ؟».

قُلْنَا: لَا.

قَالَ: «فَإِنِّي صَائِمٌ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ^(١).

٣- مِنْ أَرْكَانِ الصَّوْمِ: الزَّمَانُ: وَهُوَ نَهَارُ رَمَضَانَ، مِنْ طُلُوعِ الْفَجْرِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ [البقرة: ١٨٧].

فَهَذِهِ أَرْكَانُ الصِّيَامِ:

- ١- الْكَفُّ وَالْامْتِنَاعُ عَنِ الْمُفْطِرَاتِ: مِنْ أَكْلِ وَشُرْبِ وَجِمَاعٍ وَنَحْوِهَا.
- ٢- النِّيَّةُ: بِعَزْمِ الْقَلْبِ عَلَى الصَّوْمِ؛ امْتِنَالًا لِأَمْرِ الرَّبِّ جَلَّ وَعَلَا.
- ٣- الزَّمَانُ: وَهُوَ نَهَارُ رَمَضَانَ، مِنْ طُلُوعِ الْفَجْرِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ. (*).



(١) أخرجه مسلم في «الصحیح»: ٢/ ٨٠٨، رقم (١١٥٤)، من حديث: عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.
 (*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ «شَرْحِ الْجَوْهَرَةِ الْفَرِيدَةِ - مُجْمَلُ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ: الزَّكَاةُ» - مُحَاضِرَةٌ
 ٢٤ الثَّلَاثَاءُ ٤ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ١٤٣٧هـ / ٦-٩-٢٠١٦م.

الأَعذارُ المُبيحةُ لِلْفِطْرِ

فَأَمَّا الأَعذارُ المُبيحةُ لِلْفِطْرِ فَهِيَ:

١- السَّفَرُ: قالَ تَعالَى: ﴿فَمَنْ كانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أوَ عَلى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٤]، وَهَذا نَصٌّ صَرِيحٌ فِي إِباحَةِ الفِطْرِ لِلْمَسافِرِ، وَأَنَّ عَلَيهِ القِضاءَ بِقَدْرِ الأَيَّامِ الَّتِي أَفطَرَها.

٢- مِنَ الأَعذارِ المُبيحةِ لِلْفِطْرِ: العَجْزُ عَنِ الصَّيامِ عَجْزًا مُسْتَمِرًّا لا يُرْجى زوالُهُ: لِقَوْلِهِ تَعالَى: ﴿فَأَنْقُوا اللَّهَ ما اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، وَلِقَوْلِهِ تَعالَى: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَها﴾ [البقرة: ١٨٦]، وَلَكِنَّهُ مَتى أَفطَرَ؛ وَجَبَ عَلَيهِ أَنْ يُطعِمَ عَن كُلِّ يَوْمٍ مَسْكينًا.

٣- مِنَ الأَعذارِ المُبيحةِ لِلْفِطْرِ: المَرَضُ الَّذي يُرْجى بُرُؤُهُ: فَالمَرِيضُ مَرَضًا يُرْجى بُرُؤُهُ؛ رَخَّصَ لَهُ الشَّارِعُ فِي الفِطْرِ وَأَوْجَبَ عَلَيهِ القِضاءَ، وَهَذا القِسمُ لَهُ ثلاثُ حَالاتٍ:

* الحَالةُ الأُولى: أَلّا يَشقَّ عَلَيهِ الصَّومُ وَلا يَضُرُّهُ، فَيَجِبُ عَلَيهِ الصَّومُ، وَهُوَ المَرِيضُ الَّذي يُرْجى شِفاؤُهُ.

* الحَالةُ الثانِيَّةُ: أَنْ يَشقَّ عَلَيهِ الصَّومُ وَلا يَضُرُّهُ، فَيُفِطِرُ، وَلا يَنْبَغِي لَهُ

الصَّوْمُ؛ لِأَنَّهُ خُرُوجٌ عَنِ رُخْصَةِ اللَّهِ، وَتَعْدِيبٌ لِلنَّفْسِ.

* الْحَالَةُ الثَّلَاثَةُ: أَنْ يَصْرَهُ الصَّوْمُ، فَيَجِبُ عَلَيْهِ الْفِطْرُ، وَلَا يَجُوزُ لَهُ الصَّوْمُ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩].

٤- مِنَ الْأَعْذَارِ الْمُبِيحَةِ لِلْفِطْرِ الْحَيْضُ وَالنَّفَّاسُ: فَيَحْرُمُ عَلَى الْحَائِضِ وَالنَّفَّاسِ الصَّوْمُ، وَلَوْ صَامَتَا؛ لَمْ يَصِحَّ مِنْهُمَا، وَيَجِبُ عَلَيْهِمَا الْقَضَاءُ بَعْدَ الْأَيَّامِ الَّتِي أَفْطَرَتَا فِيهَا.

أَمَّا دَلِيلُ عَدَمِ صِيَامِهَا: فَحَدِيثُ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ وَلَمْ تَصُمْ، فَذَلِكَ نَقْصَانُ دِينِهَا» (١).

وَأَمَّا دَلِيلُ وُجُوبِ الْقَضَاءِ عَلَيْهَا: فَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٤]، وَكَذَا حَدِيثُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَفِيهِ: «كُنَّا نَحِيضُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَوَمَّرُ بِقَضَاءِ الصَّوْمِ وَلَا نُوَمَّرُ بِقَضَاءِ الصَّلَاةِ» (٢).

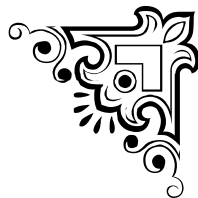
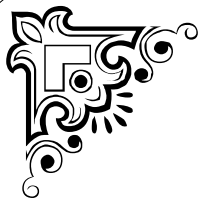
٥- مِنَ الْأَعْذَارِ الْمُبِيحَةِ لِلْفِطْرِ أَيْضًا: الْحَمْلُ وَالرَّضَاعُ. (*)



(١) أخرجه البخاري في «الصحیح»: ٤٠٥ / ١، رقم (٣٠٤)، وفيه أيضاً: ٤ / ١٩١، رقم (١٩٥١).

(٢) أخرجه البخاري في «الصحیح»: ١ / ٤٢١، رقم (٣٢١)، ومسلم في «الصحیح»: ١ / ٢٦٥، رقم (٣٣٥).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ «شَرْحِ الْجَوْهَرَةِ الْفَرِيدَةِ - مُجْمَلُ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ: الزَّكَاةُ» - مُحَاضَرَةٌ ٢٤ الثَّلَاثَاءُ ٤ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ١٤٣٧ هـ / ٦-٩-٢٠١٦ م.



مَكْرُوهَاتُ الصَّيامِ

* وَأَمَّا مَكْرُوهَاتُ الصَّيامِ:

فَيُكْرَهُ لِلصَّائِمِ أَشْيَاءٌ مِنْ شَأْنِهَا الْإِفْضَاءُ إِلَى فَسَادِ صَوْمِهِ، وَإِنْ كَانَتْ هِيَ فِي حَدِّ ذَاتِهَا لَا تُفْسِدُ الصَّيامَ، وَهِيَ:

١- الْمُبَالَغَةُ فِي الْمَضْمَضَةِ وَالِاسْتِنْشاقِ عِنْدَ الْوُضُوءِ؛ لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَبَالَغْ فِي الْاسْتِنْشاقِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ صَائِمًا»^(١)، ذَلِكَ خَشْيَةٌ وَوُجُودٌ شَيْءٍ مِنَ الْمَاءِ إِلَى جَوْفِهِ فَيَفْسِدُ صَوْمُهُ.

٢- مِنْ مَكْرُوهَاتِ الصَّومِ: الْقُبْلَةُ لِمَنْ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى ضَبْطِ نَفْسِهِ، وَكَذَلِكَ الْمَسُّ وَالْمُبَاشَرَةُ بِالْجَسَدِ لِلزَّوْجَةِ.

٣- وَمِنْ مَكْرُوهَاتِ الصَّيامِ أَيْضًا: إِدَامَةُ النَّظَرِ بِشَهْوَةٍ إِلَى الزَّوْجَةِ، وَالْفِكْرُ بِشَأْنِ الْجَمَاعِ.

(١) أخرجه أبو داود في «السنن»: ١/٣٥ و٣٦، رقم (١٤٢) ٢/٣٠٨، رقم (٢٣٦٦)، والترمذي في «الجامع»: ٣/١٤٦، رقم (٧٨٨)، والنسائي في «المجتبى»: ١/٦٦، رقم (٨٧)، وابن ماجه في «السنن»: ١/١٤٢، رقم (٤٠٧)، من حديث: لَقِيَطُ بْنُ صَبْرَةَ رضي الله عنه.
والحديث حسن إسناده الألباني في «صحيح أبي داود»: ١/٢٤٢، رقم (١٣٠).

٤- وَمِنْ مَكْرُوهَاتِ الصِّيَامِ: ذَوْقُ الطَّعَامِ أَوْ الشَّرَابِ بِلَا عَذْرِ (*).

أَسْأَلُ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى وَصِفَاتِهِ الْمُثَلَى؛ أَنْ يُعَلِّمَنَا مَا يَنْفَعُنَا، وَأَنْ يَنْفَعَنَا بِمَا عَلَّمَنَا، وَأَنْ يَزِيدَنَا عِلْمًا إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

وَأَوَّلُ وَأَوْلَى مَا يَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَأْخُذَ بِهِ فِي رَمَضَانَ:

أَنْ تَتْرَكَ الشَّرْكَ وَأَنْ تَتَطَهَّرَ مِنْهُ، وَأَنْ تَتَعَلَّمَ التَّوْحِيدَ وَأَنْ تَحَقِّقَهُ.

وَأَنْ تَجْتَهِدَ فِي تَعَلُّمِ السُّنَّةِ وَأَنْ تَجْتَنِبَ الْبِدْعَةَ، وَأَنْ تَكُونَ عَلَى قَدَمِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ -.

وَأَنْ تُرَاقِبَ سِرِّكَ، وَأَنْ تُرَاعِيَ ضَمِيرَكَ، وَأَنْ تُهَذِّبَ نَفْسَكَ، وَأَنْ تُشَدِّبَ قَلْبَكَ مِنْ جَمِيعِ مَا عَلَقَ بِهِ مِنْ كُلِّ مَا لَا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَيَرْضَاهُ.

فَعَلَيْكَ أَنْ تَتَطَهَّرَ مِنَ الْحَسَدِ، وَمِنَ الْحَقْدِ، وَمِنَ الْغِلِّ، وَمِنَ الْخِدَاعِ، وَمِنَ الدَّغْلِ، وَمِنَ إِرَادَةِ غَيْرِ الْخَيْرِ لِإِخْوَانِكَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ. (* / ٢).



(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ «شَرْحِ الْجَوْهَرَةِ الْفَرِيدَةِ - مُجْمَلُ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ: الزَّكَاةُ» - مُحَاضَرَةٌ ٢٤ الثَّلَاثَاءُ ٤ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ١٤٣٧هـ / ٦-٩-٢٠١٦م.

(* / ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَةٍ: «الْإِبْجَازُ فِي أَحْكَامِ الصِّيَامِ» - الْجُمُعَةُ ٣٠ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٣٠هـ / ٢١-٨-٢٠٠٩م.

جُمْلَةُ مِنْ السُّنَنِ النَّبَوِيَّةِ فِي رَمَضانَ

وَقَدْ بَيَّنَّ النَّبِيُّ ﷺ كُلَّ شَيْءٍ مِمَّا فِيهِ سَعَادَةٌ الْعَبْدِ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا وَمِنْ أُمُورِ
الْآخِرَةِ. (*)

وَهَذِهِ جُمْلَةُ مِنْ السُّنَنِ الَّتِي عَلَّمَنَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي شَهْرِ رَمَضانَ:

* سُنَّةُ السُّحُورِ:

١- فَالسُّحُورُ: وَهُوَ الْأَكْلُ وَالشُّرْبُ فِي السَّحْرِ آخِرَ اللَّيْلِ بِنِيَّةِ الصَّوْمِ؛ لِقَوْلِهِ
ﷺ: «تَسَحَّرُوا فَإِنَّ فِي السَّحُورِ بَرَكَاتًا». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ (١).

٢- مِنْ سُنَنِ الصَّيامِ: تَأْخِيرُ السُّحُورِ إِلَى آخِرِ جُزْءٍ مِنَ اللَّيْلِ مَا لَمْ يَخْشَ
طُلُوعَ الْفَجْرِ؛ لِمَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ» (٢): عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، قَالَ: «تَسَحَّرْنَا مَعَ

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضِرَةِ: «عِشُوا الْوَحْيَ الْمَعْصُومَ» - الْخَمِيسُ ٢٣ مِنْ رِيبَعِ الْأَوَّلِ
١٤٣٨ هـ / ٢٢ / ١٢ / ٢٠١٦ م.

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «الصَّحِيحِ»: ١٣٩ / ٤، رَقْم (١٩٢٣)، وَمُسْلِمٌ فِي «الصَّحِيحِ»:

٢ / ٧٧٠، رَقْم (١٠٩٥)، مِنْ حَدِيثِ: أَنَسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

(٢) «صَّحِيحُ الْبُخَارِيِّ»: ١٣٨ / ٤، رَقْم (١٩٢١)، وَ«صَّحِيحُ مُسْلِمٍ»: ٧٧١ / ٢، رَقْم

(١٠٩٧).

رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ قُمْنَا إِلَى الصَّلَاةِ، قُلْتُ: كَمْ بَيْنَهُمَا؟ قَالَ: «قَدْرُ قِرَاءَةِ حَمْسِينَ آيَةً».

٣- وَمِنْهُ أَيْضًا يَتَبَيَّنُ لَنَا سُنَّةُ أُخْرَى مِنْ سُنَنِ الصَّوْمِ: وَهِيَ تَعْجِيلُ الْفِطْرِ إِذَا تَحَقَّقَ مِنْ غُرُوبِ الشَّمْسِ؛ لِقَوْلِهِ ﷺ: «لَا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا عَجَلُوا الْفِطْرَ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ (١).

٤- مِنْ سُنَنِ الصِّيَامِ: كَوْنُ الْفِطْرِ عَلَى رُطْبٍ أَوْ تَمْرٍ أَوْ مَاءٍ وَهِيَ مَرْتَبَةٌ بِحَسَبِ الْأَفْضَلِيَّةِ؛ لِقَوْلِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُفِطِرُ عَلَى رُطْبَاتٍ قَبْلَ أَنْ يُصَلِّيَ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ رُطْبَاتٌ فَتَمْرَاتٌ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَمْرَاتٌ حَسَا حَسَوَاتٍ مِنْ مَاءٍ». أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ، وَأَبُو دَاوُدَ، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَهُوَ حَدِيثٌ حَسَنٌ (٢).

٥- مِنْ سُنَنِ الصَّوْمِ: الدُّعَاءُ أَثْنَاءَ الصِّيَامِ لَا سِيَّمَا عِنْدَ الْإِفْطَارِ؛ لِقَوْلِهِ ﷺ: «ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ: دَعْوَةُ الصَّائِمِ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ، وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ» (٣).

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «الصَّحِيحِ»: ٤ / ١٩٨، رَقْم (١٩٥٧)، وَمُسْلِمٌ فِي «الصَّحِيحِ»: ٢ / ٧٧١، رَقْم (١٠٩٨).

(٢) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي «السُّنَنِ»: ٢ / ٣٠٦، رَقْم (٢٣٥٦)، وَالتِّرْمِذِيُّ فِي «الْجَامِعِ»: ٣ / ٧٠، رَقْم (٦٩٦)، وَقَالَ: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ».

وَالْحَدِيثُ حَسَنُهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «إِرْوَاءِ الْغَلِيلِ»: ٤ / ٤٥، رَقْم (٩٢٢)، وَأَصْلُهُ فِي الْبُخَارِيِّ بِلَفْظٍ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا يَغْدُو يَوْمَ الْفِطْرِ حَتَّى يَأْكُلَ تَمْرَاتٍ».

(٣) أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي «السُّنَنِ الْكُبْرَى»: ٣ / ٣٤٥، رَقْم (٦٣٩٢)، وَابْنُ عَسَاكِرٍ فِي «مَعْجَمِ الشُّيُوخِ»: ١ / ٣٣٨، رَقْم (٤٠٥)، وَالرَّافِعِيُّ فِي «أَخْبَارِ قَزْوِينَ»: ٣ / ١١٤، وَالضِّيَاءُ فِي «الْمَخْتَارَةِ»: ٦ / ٧٤ وَ ٧٥، رَقْم (٢٠٥٧).

أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي «الشَّعْبِ» بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

فَهَذِهِ بَعْضُ سُنَنِ الصَّيَامِ.

* وَمِنَ السُّنَنِ: سُنَّةُ الْقِيَامِ، وَالْحِرْضُ عَلَى الصَّلَاةِ مَعَ الْإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ: قَالَ

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» (١) (*).

النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ صَلَّى مَعَ الْإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ كُتِبَ لَهُ قِيَامُ لَيْلَةٍ» (٣) (*).

* قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ: مِنْ أَعْمَالِ هَذَا الشَّهْرِ: الْاجْتِهَادُ فِي قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ.

والحديث حسنه بشواهده الألباني في «الصحيحة»: ٤ / ٤٠٦، رقم (١٧٩٧)، وروي عن أبي هريرة بنحوه.

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح»: ١ / ٩٢، رقم (٣٧)، ومسلم في «الصحيح»: ١ / ٥٢٣، رقم (٧٥٩)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(* مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «رَمَضَانَ كَيْفَ نَحْيَاهُ؟»: الْجُمُعَةُ ١٥ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٣هـ / ٣ / ٨ / ٢٠١٢م.

(٣) أخرجه أبو داود في «السنن»: ٢ / ٥٠، رقم (١٣٧٥)، والترمذي في «الجامع»: ٣ / ١٦٠، رقم (٨٠٦) والنسائي في «المجتبى»: ٣ / ٨٣ و ٢٠٢، وابن ماجه في «السنن»: ١ / ٤٢٠، رقم (١٣٢٧)، من حديث: أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»، والحديث صححه الألباني في «إرواء الغليل»: ٢ / ١٩٣، رقم (٤٤٧)، وروي عن عوف بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بنحوه.

(* (٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «حَتَّى يَكُونَ رَمَضَانُ مِثْلَ مَنْحَةٍ لَا مِثْلَ مَنْحَةٍ» - الْجُمُعَةُ ١٦ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٣٠هـ / ٧ - ٨ - ٢٠٠٩م.

كَانَ جِبْرِيلُ يُدَارِسُ النَّبِيَّ ﷺ الْقُرْآنَ فِي رَمَضَانَ (١).

وَكَانَ السَّلَفُ يَتَوَفَّرُونَ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ فِي رَمَضَانَ (٢).

* سُنَّةُ الْإِعْتِكَافِ: مِمَّا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ: الْإِعْتِكَافُ؛
فَ«كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَعْتَكِفُ فِي كُلِّ رَمَضَانَ عَشْرَةَ أَيَّامٍ، فَلَمَّا كَانَ الْعَامُ الَّذِي قُبِضَ
فِيهِ؛ اعْتَكَفَ عِشْرِينَ يَوْمًا». أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٣).

* الْعُمْرَةُ: الْعُمْرَةُ فِي رَمَضَانَ؛ قَالَ فِيهَا الرَّسُولُ ﷺ: «عُمْرَةٌ فِي رَمَضَانَ
كَحَجَّةٍ مَعِي» (٤).

(١) أخرجه البخاري في «الصحیح»: ٣٠ / ١، رقم (٦)، ومسلم في «الصحیح»: ٤ / ١٨٠٣،
رقم (٢٣٠٨)، حديث: ابن عباس، قال: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدُ
مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ
الْقُرْآنَ، فَلَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ».
وفي رواية لهما: «...، إِنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ سَنَةٍ فِي رَمَضَانَ حَتَّى يَنْسَلِخَ،
فَيَعْرِضُ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْقُرْآنَ...».

(٢) «لطائف المعارف» لابن رجب: ص ٣١٨ و ٣١٩.

(٣) أخرجه البخاري في «الصحیح»: ٤ / ٢٨٤ و ٢٨٥، رقم (٢٠٤٤)، وفيه أيضا: ٤٣ / ٩،
رقم (٤٩٩٨)، من حديث: أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري في «الصحیح»: ٤ / ٧٢ و ٧٣، رقم (١٨٦٣)، ومسلم في «الصحیح»:
٢ / ٩١٧، رقم (١٢٥٦)، من حديث: ابن عباس رضي الله عنهما، قال: لَمَّا رَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ
حَجَّتِهِ قَالَ لِأُمِّ سِنَانِ الْأَنْصَارِيَّةِ: «مَا مَنَعَكَ مِنَ الْحَجِّ؟»، قَالَتْ: أَبُو فَلَانٍ، تَعْنِي زَوْجَهَا،
كَانَ لَهُ نَاضِحَانِ حَجَّ عَلَى أَحَدِهِمَا، وَالْآخَرُ يَسْقِي أَرْضًا لَنَا، قَالَ: «فَإِنَّ عُمْرَةَ فِي رَمَضَانَ
تَقْضِي حَجَّةً أَوْ حَجَّةً مَعِي».

العُمْرَةُ فِي رَمَضانَ كَحَجَّةٍ فِي الأَجْرِ مَعَ النَّبِيِّ العَدنانِ ﷺ.

* وَمِنَ السُّنَّةِ: إِطعامُ الطَّعامِ، وَتَفْطِيرُ الصَّائِمِينَ، وَسَقْيُ المَاءِ:

لَقَدْ رَغَبَ النَّبِيُّ ﷺ فِي تَفْطِيرِ الصَّائِمِ، وَإِطعامِ الطَّعامِ، وَسَقْيِ المَاءِ؛ فِيهِ «الصَّحِيحِينَ» (١): عَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: أَيُّ الإِسْلامِ خَيْرٌ؟

قَالَ: «تُطْعِمُ الطَّعامَ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَيَّ مِنْ عَرَفَتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ». (*).

عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدِ الجُهَنِيِّ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ فَطَرَ صَائِمًا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ الصَّائِمِ شَيْءٌ» (٢). رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ وَغَيْرُهُمْ، وَهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ. (* / ٢).

وفي رواية لمسلم: «فَإِذَا جَاءَ رَمَضانَ فاعْتَمِرِي، فَإِنَّ عُمْرَةَ فِيهِ تَعْدِلُ حَجَّةً».

(١) «صحيح البخاري»: ١ / ٥٥، رقم (١٢)، و «صحيح مسلم»: ١ / ٦٥، رقم (٣٩).

(* / ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «رَمَضانَ كَيْفَ نَحْيَاهُ؟»: الجُمُعَةُ ١٥ مِنْ رَمَضانَ ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م / ٨ / ٣.

(٢) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي «الجامع»: ٣ / ١٦٢، رقم (٨٠٧)، وَابْنُ مَاجَةَ فِي «السنن»: ١ / ٥٥٥، رقم (١٧٤٦).

قال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»، وَالحَدِيثُ صَحْحَهُ الألباني فِي «صحيح الترغيب والترهيب»: ١ / ٦٢٣، رقم (١٠٧٨).

(* / ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «دَعْوَةُ الإِخوانِ لِلتَّوْبَةِ فِي رَمَضانَ» - الجُمُعَةُ ٢٥ مِنْ شَعْبَانَ

١٤٣٦هـ / ١٢-٦-٢٠١٥م.

وَعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنه قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله وسلامته عليه؛ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! عَلَّمَنِي عَمَلًا يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ.

قَالَ: «إِنْ كُنْتَ أَقْصَرْتَ الْخُطْبَةَ؛ فَقَدْ أَعْرَضْتَ الْمَسْأَلَةَ، أَعْتَقَ النَّسَمَةَ، وَفَكَ الرَّقَبَةَ، فَإِنْ لَمْ تُطِقْ ذَلِكَ؛ فَأَطْعِمِ الْجَائِعَ، وَاسْقِ الظَّمَانَ»^(١). رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَابْنُ حَبَّانٍ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

«أَطْعِمِ الْجَائِعَ، وَاسْقِ الظَّمَانَ».

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله وسلامته عليه: «فِي كُلِّ ذَاتِ كَبِدٍ رَطْبَةٌ أَجْرٌ»^(٢).

(١) أخرجه أحمد في «المسند»: ٢٩٩/٤، والبخاري في «الأدب المفرد»: ص ٢٨، رقم (٦٩)، وابن حبان في «الصحيح» بترتيب ابن بلبان: ٩٧/٢ و ٩٨، رقم (٣٧٤)، والبيهقي في «السنن الكبرى»: ١٠/٢٧٣، من حديث: الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ صلوات الله وسلامته عليه، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، عَلَّمَنِي عَمَلًا يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ، فَقَالَ: «لَئِنْ كُنْتَ أَقْصَرْتَ الْخُطْبَةَ، لَقَدْ أَعْرَضْتَ الْمَسْأَلَةَ، أَعْتَقَ النَّسَمَةَ، وَفَكَ الرَّقَبَةَ». فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْلَيْسَتْ بَوَاحِدَةٍ؟ قَالَ: «لَا، إِنَّ عِتْقَ النَّسَمَةِ أَنْ تَفْرَدَ بَعْتِقَهَا، وَفَكَ الرَّقَبَةَ أَنْ تُعِينَ فِي عِتْقِهَا، وَالْمِنْحَةَ الْوَكُوفُ، وَالْفِيءُ عَلَى ذِي الرَّحِمِ الظَّالِمِ، فَإِنْ لَمْ تُطِقْ ذَلِكَ، فَأَطْعِمِ الْجَائِعَ، وَاسْقِ الظَّمَانَ، وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ، وَأَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ، فَإِنْ لَمْ تُطِقْ ذَلِكَ، فَكُفَّ لِسَانَكَ إِلَّا مِنَ الْخَيْرِ».

والحديث صححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»: ١/٥٦٢، رقم (٩٥١).

(٢) أخرجه البخاري في «الصحيح»: ٥/١١٣، رقم (٢٤٦٦)، ومسلم في «الصحيح»:

٤/١٧٦١، رقم (٢٢٤٤)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، بلفظ: «فِي كُلِّ ذَاتِ كَبِدٍ رَطْبَةٌ أَجْرٌ».

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَيْسَ صَدَقَةٌ أَكْبَرَ مِنْ مَاءٍ»^(١). رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ لغيره.

فَسَقِي الْمَاءِ مِنْ أَكْبَرِ مَا رُفِعَ بِهِ الْبَلَاءُ.

إِطْعَامُ الطَّعَامِ، تَفْطِيرُ الصَّائِمِ، سَقْيُ الْمَاءِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ بَذْلِ النَّدَى وَالْمَعْرُوفِ؛ تَسُدُّ جُوعَتَهُ، تَسْتُرُ عَوْرَتَهُ، تَقْضِي دِينَهُ، تَسْقِيهِ، تُؤْوِيهِ، تُعَلِّمُهُ، تُزِيلُ جَهَالَتَهُ.. إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَبْوَابِ الْمَعْرُوفِ.

نَسْأَلُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ أَنْ يَجْعَلَهَا مَفْتُوحَةً لَنَا عَلَى مَصَارِعِهَا، وَأَنْ يُوقِنَنَا لِلْعَمَلِ بِمَا يُرْضِيهِ مِنْ ذَلِكَ، وَأَنْ يَجْعَلَهُ خَالِصًا لَوَجْهِهِ الْكَرِيمِ.
وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ.*



(١) أخرجه ابن عدي في «الكامل»: ١١٥/٩، ترجمة (٢١٤٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان»: ٦٧/٥ و٦٨، رقم (٣١٠٦)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
والحديث حسنه لغيره الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»: ٥٦٦/١، رقم (٩٦٠).

(* مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «رَمَضَانَ كَيْفَ نَحْيَاهُ؟»: الْجُمُعَةُ ١٥ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م. ٢٠١٢/٨/٣.

فَضْلُ الصِّيَامِ
وَسُلُوكِ الصَّائِمِينَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا
وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا
إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل

عمران: ١٠٢].

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا
رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ۖ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾

[النساء: ١].

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ
وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

• أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ،
وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ
ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

• أَمَّا بَعْدُ:

فَالرُّكْنُ الرَّابِعُ مِنَ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ هُوَ الصِّيَامُ.

صَوْمُ رَمَضَانَ رُكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ، وَفَرَضَ مِنْ فُرُوضِ اللَّهِ، مَعْلُومٌ مِنَ الدِّينِ بِالضَّرُورَةِ، يَدُلُّ عَلَيْهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ (*).



(* مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ «شَرْحِ الْجَوْهَرَةِ الْفَرِيدَةِ - مُجْمَلُ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ: الزَّكَاةُ» - مُحَاضِرَةٌ

٢٤ الثَّلَاثَاءُ ٤ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ١٤٣٧هـ / ٦-٩-٢٠١٦م.

جُمْلَةٌ مِنْ فَضَائِلِ الصَّوْمِ

لَا تَخْلُو عِبَادَةً مِنَ الْعِبَادَاتِ الَّتِي يَتَعَبَّدُ بِهَا لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنْ فَضَائِلِ،
فَلِلصَّلَاةِ وَلِلزَّكَاةِ فَضَائِلُ كَثِيرَةٌ، وَكَذَا لِلْحَجِّ، وَكَذَلِكَ لِلصَّوْمِ. (*)

وَلَقَدْ جَاءَتْ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مُحْكَمَاتٌ فِي كِتَابِ اللَّهِ الْمَجِيدِ تَحُضُّ عَلَيَّ
الصَّوْمِ؛ تَقَرُّبًا إِلَى اللَّهِ ﷻ، وَتُبَيَّنَ فَضَائِلُهُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ
وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينَ وَالْقَنِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ
وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَشِيعِينَ وَالْخَشِيعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ
وَالصَّامِينَ وَالصَّامَاتِ وَالْحَفِظِينَ وَالْحَفِظَاتِ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ
كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥].

فَادْخُلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ فِي هَذَا الْأَجْرِ الْعَظِيمِ، وَفِي
هَذِهِ الْمَغْفِرَةِ الْوَسِيعَةِ.

وَقَالَ - جَلَّ شَأْنُهُ -: ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٤].

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ «شَرْحِ الْجَوْهَرَةِ الْفَرِيدَةِ - مُجْمَلُ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ: الزَّكَاةُ» - مُحَاضَرَةٌ

٢٤ الثَّلَاثَاءُ ٤ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ١٤٣٧هـ / ٦-٩-٢٠١٦م.

وَقَدْ بَيَّنَّ الرَّسُولُ ﷺ فِي الثَّابِتِ مِنْ سُنَّتِهِ أَنَّ الصَّوْمَ حِصْنٌ مِنَ الشَّهَوَاتِ،
وَمِنَ النَّارِ جُنَّةٌ - أَيْ وَقَايَةٌ -؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَصَّ الصَّوْمَ وَالصَّائِمِينَ بِبَابٍ
مِنَ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ؛ وَأَنَّهُ يَفْطِمُ الْأَنْفُسَ عَن شَهَوَاتِهَا، وَيَحْبِسُهَا عَن مَأْلُوفَاتِهَا؛
حَتَّى تُصْبِحَ مُطْمَئِنَّةً.

وَهَذَا الْأَجْرُ الْوَفِيرُ وَالْفَضْلُ الْكَبِيرُ تَفْصِيلُهُ الْأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ أَحْسَنَ
تَفْصِيلٍ، وَتَبَيَّنَهُ أَتَمَّ بَيَانٍ.

«الصَّوْمُ جُنَّةٌ»^(١): أَيْ وَقَايَةٌ، وَمِنْهُ الْمَجَنَّةُ - أَيْ: الدَّرْعُ الَّذِي يَجْعَلُهُ الْمُقَاتِلُ
عَلَى صَدْرِهِ؛ لِيَقِيَهُ نَيْالَ وَسُيُوفَ وَرِمَاحَ أَعْدَائِهِ -.

أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ - مَنْ اشْتَدَّتْ عَلَيْهِ شَهْوَةُ النِّكَاحِ وَلَمْ يَسْتَطِعْ زَوَاجًا -
بِالصِّيَامِ، وَجَعَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ - أَيْ الصِّيَامَ - وَجَاءً - وَالْوِجَاءُ فِي الْأَصْلِ هُوَ أَنْ
تُرَضَّ خِصْيَةُ الْفَحْلِ بَيْنَ حَجْرَيْنِ؛ حَتَّى تَنْقَطِعَ مَادَّةُ شَهْوَتِهِ - وَهُوَ قَاطِعٌ لِمَادَّةِ
الشَّهْوَةِ كَمَا بَيَّنَّ الرَّسُولُ ﷺ؛ لِأَنَّهُ يَحْبِسُ قُوَى الْأَعْضَاءِ عَنِ اسْتِرْسَالِهَا، وَيَسْكُنُ
كُلَّ عَضْوٍ مِنْهُ، وَيَسْكُنُ كُلَّ قُوَّةٍ، وَيَمْنَعُهَا مِنْ جَنَاحِهَا، وَيُلْجِمُهَا بِلِجَامِهِ.

وَقَدْ ثَبَتَ أَنَّ لِلصَّوْمِ تَأْثِيرًا عَجِيبًا فِي حِفْظِ الْجَوَارِحِ الظَّاهِرَةِ وَالْقُوَى
الْبَاطِنَةِ، وَلِهَذَا كَلَّمَهُ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ - كَمَا فِي الْحَدِيثِ الْمُتَّفَقِ عَلَى صِحَّتِهِ مِنْ
رِوَايَةِ عَلْقَمَةَ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ -: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنْ
اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ الْبَاءَةَ - وَالْبَاءَةُ: هِيَ الْقُدْرَةُ عَلَى تَكَايِفِ النِّكَاحِ كُلِّهَا بِجَمِيعِ

أَنْوَاعِهَا- فَلْيَتَزَوَّجْ؛ فَإِنَّهُ أَغْضُ لِلْبَصْرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ
بِالصَّوْمِ؛ فَإِنَّهُ لَهُ وَجَاءٌ- أَيُّ قَاطِعٌ لِمَادَّةِ الشَّهْوَةِ-» (١).

فَانظُرْ كَيْفَ وَازَنَ النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ الزَّوْجِ، فَجَعَلَهُ فِي جَانِبٍ وَبَيْنَ الصَّوْمِ
وَجَعَلَهُ فِي جَانِبٍ آخَرَ!!

«مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ؛ فَإِنَّهُ أَغْضُ لِلْبَصْرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ،
وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ..»؛ مَا الْبَدِيلُ؟

يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ؛ فَإِنَّهُ لَهُ وَجَاءٌ».

وَقَدْ بَيَّنَّ النَّبِيُّ ﷺ: «أَنَّ الْجَنَّةَ مَحْفُوفَةٌ بِالْمَكَارِهِ، وَأَنَّ النَّارَ قَدْ حُفَّتْ
بِالشَّهَوَاتِ» (٢).

فَإِذَا تَبَيَّنَ أَنَّ الصَّوْمَ يَقْمَعُ الشَّهَوَاتِ، وَيَكْسِرُ حَدَّتَهَا، وَالشَّهَوَاتُ تُقَرِّبُ إِلَى
النَّارِ، فَإِذَنْ؛ حَالَ الصَّيَامِ بَيْنَ الصَّائِمِ وَالنَّارِ؛ لِذَلِكَ جَاءَتْ الْأَحَادِيثُ مُصْرَّحَةً
بِأَنَّ حِصْنَ مِنَ النَّارِ، وَجَنَّةٌ يَسْتَجِنُّ بِهَا الْعَبْدُ مِنَ النَّارِ.

(١) أخرجه البخاري في «الصحیح»: ٤ / ١١٩، رقم (١٩٠٥)، ومسلم في «الصحیح»: ٢ /
١٠١٨ و ١٠١٩، رقم (١٤٠٠).

(٢) أخرجه البخاري في «الصحیح»: ١١ / ٣٢٠، رقم (٦٤٨٧)، ومسلم في «الصحیح»:
٤ / ٢١٧٤، رقم (٢٨٢٣)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «حُجِبَتِ
النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ، وَحُجِبَتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ».

والحديث عن مسلم أيضا من رواية: أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، بلفظ: «حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ،
وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ».

فِي الْحَدِيثِ الْمُتَّفَقِ عَلَى صِحَّتِهِ (١) قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَصُومُ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا بَاعَدَ اللَّهُ بِذَلِكَ الْيَوْمِ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا».

«مَا مِنْ عَبْدٍ يَصُومُ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا بَاعَدَ اللَّهُ بِذَلِكَ الْيَوْمِ - يَعْنِي بِصِيَامِ ذَلِكَ الْيَوْمِ - وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا - يَعْنِي مَسِيرَةَ سَبْعِينَ عَامًا؛ أَيِ: الْمَسَافَةَ الَّتِي تُقَطَّعُ فِي سَبْعِينَ عَامًا».

وَقَالَ ﷺ: «الصَّيَامُ جُنَّةٌ يَسْتَحِنُّ بِهَا الْعَبْدُ مِنَ النَّارِ» (٢)؛ وَقَايَةٌ وَدِرْعٌ يَجْعَلُهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَقَايَةً لِلْعَبْدِ أَنْ تَلْفَحَهُ النَّارُ وَأَنْ يَجِدَ مَسْهًا. وَهَذَا الْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ جَابِرٍ.

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ جَعَلَ اللَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ خَنْدَقًا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ» (٣). هَذَا الْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ التِّرْمِذِيُّ،

(١) أخرجه البخاري في «الصحیح»: ٦ / ٤٧، رقم (٢٨٤٠)، ومسلم في «الصحیح»: ٢ /

٨٠٨، رقم (١١٥٣) واللفظ له، من حديث: أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أحمد في «المسند»: ٣ / ٣٤١ و٣٩٦، والبيهقي في «شعب الإيمان»: ٥ / ١٩٣

و٢٠٣، رقم (٣٢٩٢ و٣٣٠٨)، من حديث: جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

والحديث حسنه لغيره الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»: ١ / ٥٧٨، رقم (٩٨١)،

وروي عن عثمان بن أبي العاص الثقفي وعائشة وأبي هريرة وأنس وبشير بن الخصاصية

رضي الله عنهم، بنحوه، وطرف الحديث في «الصحيحين» من رواية: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقد تقدم.

(٣) أخرجه الترمذي في «الجامع»: ٤ / ١٦٧، رقم (١٦٢٤)، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ».

والحديث حسنه الألباني في «الصحيحة»: ٢ / ١٠٦، رقم (٥٦٣)، وقال: «...»

وللحديث شاهد من حديث أبي الدرداء مرفوعا به».

وَحَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ.

«بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ ذَهَبَ إِلَيَّ أَنَّ الْأَحَادِيثَ الَّتِي مَضَى ذِكْرُهَا فِي فَضْلِ الصَّوْمِ - وَلَوْ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ - جَاءَتْ فِي فَضْلِ الصَّيَامِ فِي الْجِهَادِ، وَالْقِتَالِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

الظَّاهِرُ أَنَّ كُلَّ الصَّوْمِ إِذَا كَانَ خَالِصًا لِرُوحِهِ اللَّهِ تَعَالَى، وَفَقَّ مَا بَيْنَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» (١).

وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْمُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَحْتَاجُ قُوَّتَهُ؛ لِيُنَافِحَ عَن دِينِ رَبِّهِ، فَالْحَصْرُ بِأَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا يَكُونُ فِي الْقِتَالِ وَفِي الْجِهَادِ عَجِيبٌ.

فَإِذَا صَامَ الْإِنْسَانُ يَوْمًا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

أَنَّ يَكُونَ الصَّوْمُ خَالِصًا لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ - وَلَوْ يَوْمًا وَاحِدًا - فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يُبَاعِدُ بِذَلِكَ الْيَوْمِ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا، وَيَجْعَلُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ خَنْدَقًا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ.

* وَالصَّوْمُ يُدْخِلُ الْجَنَّةَ؛ لِأَنَّ الصَّوْمَ يُبَاعِدُ صَاحِبَهُ مِنَ النَّارِ، فَإِذَا كَانَ يُبَاعِدُ صَاحِبَهُ مِنَ النَّارِ؛ فَهُوَ يُدْنِيهِ وَيُقَرِّبُهُ وَيُدْخِلُهُ الْجَنَّةَ، فَهُوَ إِذَنْ فِي بُحْبُوحَةِ الْجَنَّةِ - وَهِيَ وَسْطُ كُلِّ شَيْءٍ وَخِيَارُهُ (٢) -.

(١) «الترغيب والترهيب» للمنذري مع تصحيح الألباني: ٥٨١ / ١.

(٢) شرح «المشكاة» للطيب: ٣٨٤٤ / ١٢، رقم (٦٠١١)، و«تحفة الأحوذى»

للمباركفوري: ٣٢١ / ٦.

فَعَنْ أَبِي أَمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ أَدْخُلُ بِهِ الْجَنَّةَ».

قَالَ: «عَلَيْكَ بِالصَّوْمِ، لَا مِثْلَ لَهُ»^(١). وَهَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ، أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ.

فَارْشَدَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عِنْدَ السُّؤَالِ عَنْ عَمَلٍ مُفْرَدٍ يُدْخِلُ الْجَنَّةَ - عَنْ هَذَا الْعَمَلِ الْجَامِعِ مِنْ أَعْمَالِ الْبِرِّ، وَهُوَ عَمَلٌ مَحْبُوبٌ إِلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فَقَالَ: «عَلَيْكَ بِالصَّوْمِ؛ لَا مِثْلَ لَهُ»، يَعْنِي لَوْ عَلِمْتُ مَا هُوَ أَفْضَلُ مِنْهُ لَدَلْتُكَ عَلَيْهِ.

* وَالصَّائِمُونَ يُؤَفِّونَ أَجُورَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ^(٢).

* وَ لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ^(٣).

(١) أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ فِي «الْمَجْتَبَى»: ٤ / ١٦٥، رَقْم (٢٢٢٢ و ٢٢٢٣)، وَفِي رِوَايَةٍ: «... فَإِنَّهُ لَا عِدْلَ لَهُ»

وَالْحَدِيثُ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ»: ١ / ٥٨٠، رَقْم (٩٨٦).

(٢) أَخْرَجَ ابْنُ وَهْبٍ فِي «الْجَامِعِ»: ص ١٩٢ و ١٩٣، رَقْم (٣١٨)، وَمِنْ طَرِيقِهِ: الْبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الْإِيمَانِ»: ٤ / ٢٣٢ و ٤١٨ / ٥، بِإِسْنَادٍ لَا بَأْسَ بِهِ، عَنْ كَعْبِ الْأَحْبَارِ، أَنَّهُ قَالَ: «يُنَادِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُنَادٍ: أَنْ كُلَّ حَارِثٍ يُعْطَى بِحَرْثِهِ وَيُزَادُ، غَيْرَ أَهْلِ الْقُرْآنِ وَالصِّيَامِ يُعْطُونَ أَجُورَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ».

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «الصَّحِيحِ»: ٤ / ١١٨، رَقْم (١٩٠٤)، وَمُسْلِمٌ فِي «الصَّحِيحِ»: ٢ / ٨٠٦، رَقْم (١١٥١)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «...، وَالَّذِي نَفْسٌ مَحْمَدٌ بِيَدِهِ، لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مِنْ رِيحِ الْمَسْكِ، وَ لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا: إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ بِفِطْرِهِ، وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ»، وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ: «...، إِذَا لَقِيَ اللَّهَ فَجَزَاهُ فَرِحَ»، وَفَدَّ تَقْدَمَ.

* «وَحَلُوفٌ فَمِ الصَّائِمِ أَطِيبٌ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمَسْكِ»^(١).

وَحَلُوفُ الْفَمِ: هِيَ تِلْكَ الرَّائِحَةُ الَّتِي تَكُونُ كَرِيهَةً بِتَغْيِيرِ رَائِحَةِ الْفَمِ بِسَبَبِ الْإِنْقِطَاعِ عَنِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه - فِيمَا أَخْرَجَهُ الشَّيْخَانِ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قَالَ اللَّهُ ﻋَزَّ وَجَلَّ: كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصَّيَامَ»^(٢)؛ يَعْنِي كُلُّ عَمَلٍ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ يَعْمَلُهَا الْعَبْدُ الصَّالِحُ فَإِنَّهَا تَسْتَوْجِبُ أَجْرًا مَحْدُودًا - وَفَضْلُ رَبِّكَ وَسِعٌ -، وَأَمَّا الصَّيَامُ فَأَجْرُهُ بِغَيْرِ حِسَابٍ.

وَفِيهَا تَأْوِيلٌ آخَرٌ، وَهُوَ: أَنَّ الْأَعْمَالَ الَّتِي يَأْتِي بِهَا الْإِنْسَانُ يَكُونُ فِيهَا أَمْرٌ وَاضِحٌ يُمَكِّنُ أَنْ يُعَوَّلَ عَلَيْهِ إِلَّا الصَّوْمَ؛ لِأَنَّهُ مَبْنِيٌّ عَلَى أَمْرَيْنِ؛ عَلَى النِّيَّةِ، وَالْإِنْقِطَاعِ عَنِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَالشَّهْوَةِ.

فَهَذَا الْكَفُّ أَمْرٌ سَلْبِيٌّ، فَالْأَمْرُ مَعَ هَذَا الْكَفِّ إِلَى النِّيَّةِ الصَّحِيحَةِ حَتَّى إِنْ الْعُلَمَاءُ يَقُولُونَ: لَوْ أَصْبَحَ صَائِمًا نَاوِيًا، وَظَلَّ مُمَسِّكًا إِمْسَاكًا صَحِيحًا إِلَى قَبْلِ غُرُوبِ الشَّمْسِ، ثُمَّ نَوَى الْفَسْخَ، وَلَمْ يَأْتِ بِمُفْطِرٍ - يَعْنِي لَمْ يَأْتِ بِمَا يَجْعَلُهُ خَارِجًا مِنْ حَيْزِ الصَّوْمِ بِعَمَلٍ ظَاهِرٍ كَالطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَالشَّهْوَةِ فَإِنَّهُ يَكُونُ قَدْ أَفْطَرَ؛ لِأَنَّ النِّيَّةَ رُكْنَ.

فَالْفَسْخُ هَذَا - وَلَوْ كَانَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَأْتِيَ بِشَيْءٍ إِيْجَابِيٍّ بِضِدِّ مَا هُوَ سَلْبِيٌّ مِنْ الْكَفِّ عَنِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَالشَّهْوَةِ - هَذِهِ النِّيَّةُ إِذَا فُسِّخَتْ.. إِذَا نُقِضَتْ نُقِضَ

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

الصَّوْمُ، فَكَأَنَّهُ عَمَلٌ بَاطِنٌ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَحَدَهُ لَا يَطَّلِعُ عَلَيْهِ إِلَّا اللَّهُ، وَلِأَنَّ
 الْأَعْمَالَ الْأُخْرَى إِنَّمَا تَكُونُ فِي مَجْمُوعِهَا ظَاهِرَةً إِلَى حَدِّ مَا، وَلَهَا آثَارُهَا الَّتِي
 تَعُودُ عَلَى غَيْرِ ابْنِ آدَمَ إِلَّا الصَّوْمَ، فَإِنَّ الْإِنْسَانَ لَا رَقِيبَ عَلَيْهِ إِلَّا اللَّهُ فِي حَالِ
 صَوْمِهِ، وَيَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْتَخْفِيَ فِي أَيِّ مَكَانٍ، وَأَنْ يَأْتِيَ بِمَا يُخْرِجُهُ مِنْ حَيْزِ
 الصِّيَامِ، لَا يَطَّلِعُ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا اللَّهُ.

«يَقُولُ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصِّيَامَ؛ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ،
 وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ، وَإِذَا كَانَ يَوْمٌ صَوْمٍ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرِفُثْ وَلَا يَصْحَبْ، فَإِنْ سَابَهُ أَحَدٌ
 أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ: إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ» (١).

«فَلْيَقُلْ: إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ»: يَعْنِي يَأْتِي بِكَلَامٍ مَسْمُوعٍ يُسْمَعُ، وَيَسْمَعُهُ مُقَابِلُهُ
 وَمَنْ سَبَّهُ؛ لِيَنْزِجَرَ الشَّاتِمَ وَالْمُقَاتِلَ.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: يَكُونُ فِي نَفْسِهِ؛ لِيَمْنَعَهَا مِنَ الْمَشَاتِمَةِ وَالْمُقَاتَلَةِ، كَأَنَّهُ يَأْتِي
 بِمَذْكَرٍ لِنَفْسِهِ: «إِنِّي صَائِمٌ، إِنِّي صَائِمٌ»، كَأَنَّمَا يُذَكِّرُ نَفْسَهُ، أَوْ لِسَابَهُ أَوْ شَاتِمِهِ:
 «إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ»، فَكَأَنَّمَا يَزْجُرُ غَيْرَهُ!!

وَالأَوَّلُ هُوَ الْأَرْجَحُ وَالْأَوْضَحُ؛ أَنْ يَأْتِيَ بِهَا مَسْمُوعَةً؛ لِأَنَّ الْقَوْلَ إِذَا
 أُطْلِقَ يَكُونُ كَذَلِكَ، أَنْ يُؤْتَى بِكَلَامٍ يُسْمَعُ: «فَإِنْ سَابَهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ، فَلْيَقُلْ:
 إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ».

«وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَخُلُوفٌ فَمِ الصَّائِمِ أَطِيبٌ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ

المِسْكِ، لِلصَّائِمِ فَرِحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا: إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ، وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ». وَفِي رِوَايَةٍ لِلْبُخَارِيِّ^(١): «يَتْرُكُ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ وَشَهْوَتَهُ مِنْ أَجْلِي، الصَّيَامُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا».

وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ^(٢): «كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ، الْحَسَنَةُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةٍ ضِعْفٍ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: إِلَّا الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ لِأَجْلِي، وَلِلصَّائِمِ فَرِحَتَانِ: فَرِحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ، وَفَرِحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ، وَلِخُلُوفِ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ». يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ لِأَجْلِي، فَإِذَنْ؛ الصَّوْمُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ.

فَإِذَنْ؛ الْمُضَاعَفَةُ لِلْحَسَنَاتِ عَلَى الصَّيَامِ لَا تَكُونُ عَلَى ذَلِكَ الْحَدِّ الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِبَقِيَّةِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى جَعَلَ الْحَسَنَةَ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِ مِائَةٍ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، إِلَّا الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ. وَمَعْلُومٌ أَنَّ كُلَّ أَثَرٍ إِنَّمَا يَأْتِي عَلَى قَدْرِ قُوَّةِ الْآتِي بِهِ، وَقُدْرَةُ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا حَدَّ لَهَا، فَعَطَاءُ رَبِّكَ بِغَيْرِ حُدُودٍ.

* وَالصَّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِصَاحِبِهِمَا:

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الصَّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَقُولُ الصَّيَامُ: أَيُّ رَبِّ! مَنْعْتَهُ الطَّعَامَ وَالشَّهْوَةَ؛ فَشَفَّعْنِي فِيهِ، وَيَقُولُ الْقُرْآنُ: مَنْعْتَهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ؛

(١) «صحيح البخاري»: ٤ / ١٠٢، رقم (١٨٩٤).

(٢) «صحيح مسلم»: ٢ / ٨٠٧، رقم (١١٥١).

فَشَفَعْنِي فِيهِ، قَالَ: فَيَشْفَعَانِ» (١). وَهَذَا الْحَدِيثُ حَدِيثٌ حَسَنٌ رَوَاهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَأَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ، وَالْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ».

* وَالصَّيَامُ كَفَّارَةٌ:

مِنْ فَضَائِلِ الصَّيَامِ أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى جَعَلَهُ مُنْفَرِدًا بِفَضَائِلِ دُونَ بَقِيَّةِ الْعِبَادَاتِ، فِيمَا يَنْفَرِدُ بِهِ الصَّيَامُ مِنْ فَضَائِلٍ: أَنَّ اللَّهَ جَعَلَهُ مِنْ كَفَّارَاتِ حَلْقِ الرَّأْسِ فِي الْإِحْرَامِ؛ لِعُذْرٍ مِنْ مَرَضٍ، أَوْ أَذَى فِي الرَّأْسِ؛ فَجَعَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى كَفَّارَةَ ذَلِكَ صِيَامًا.

وَعَدَمُ الْقُدْرَةِ عَلَى الْهَدْيِ - أَيْضًا - يُقَابِلُهَا الصَّيَامُ.

وَقَتْلُ الْمُعَاهِدِ خَطَأً كَفَّارَتُهُ الصَّيَامُ.

وَحِنْتُ الْيَمِينِ كَفَّارَتُهُ يَدْخُلُ فِيهَا الصَّيَامُ.

وَقَتْلُ الصَّيْدِ فِي الْإِحْرَامِ، وَالظَّهَارُ؛ كُلُّ ذَلِكَ وَرَدَ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى

يُبَيِّنُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِيهِ فَضْلَ هَذِهِ الْعِبَادَةِ الْجَلِيلَةِ.

قَالَ - جَلَّتْ قُدْرَتُهُ - فِي حَلْقِ الرَّأْسِ فِي الْإِحْرَامِ لِعُذْرٍ: ﴿وَأْتَمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ الْمُبَارَكِ فِي «الزَّهْدِ» رَوَايَةَ نَعِيمِ بْنِ حَمَادٍ: ٥١٧/١٦، رَقْمٌ (٣٨٥)، وَأَحْمَدُ

فِي «الْمُسْنَدِ»: ١٧٤/٢، رَقْمٌ (٦٦٢٦)، وَالْمُرُوزِيُّ كَمَا فِي «مَخْتَصَرِ قِيَامِ اللَّيْلِ»:

ص ٤٦، وَالطَّبْرَانِيُّ فِي «الْمَعْجَمِ الْكَبِيرِ»: ٣٨/١٣، رَقْمٌ (٨٨)، وَالْحَاكِمُ فِي

«الْمُسْتَدْرَكِ»: ٥٥٤/١، رَقْمٌ (٢٠٣٦)، مِنْ حَدِيثِ: عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

قَالَ الْحَاكِمُ: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ»، وَالْحَدِيثُ حَسَنٌ الْأَبْنَانِيُّ فِي «تَمَامِ الْمَنَّةِ»: ص ٣٩٤

لِلَّهِ فَإِنْ أَحْصَرْتُمْ مَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِفُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ، فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ، فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ *.

فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ..

﴿فَإِذَا أَمِنْتُمْ مِّن تَمَنَعٍ بِالْعِمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ۖ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ۚ ذَلِكَ لِمَنْ لَّمْ يَكُنْ أَهْلَهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [البقرة: ١٩٦].

فَكَمَا تَرَى جَعَلَهُ اللَّهُ رَبَّ الْعَالَمِينَ كَفَّارَةً.

وَكَذَلِكَ فِي قَتْلِ الْمُعَاهِدِ خَطَأً، يَقُولُ رَبَّنَا -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ-: ﴿وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمَنَةٍ ۖ فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ٩٢].

وَكَذَلِكَ فِي حِنْثِ الْيَمِينِ، قَالَ -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ-: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الْأَيْمَانَ ۖ فَكَفَرْتُمْ ۖ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِّن أَوْسَطِ مَا تَطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَلِكَ كَفْرَةٌ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ ۚ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ ۗ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: ٨٩].

وَكَذَلِكَ فِي قَتْلِ الصَّيْدِ فِي الْإِحْرَامِ، يَقُولُ رَبَّنَا -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ-: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ ۚ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًا بَلِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّرَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ أَوْ عَدْلٌ ذَلِكِ صِيَامًا﴾.

فَجَعَلَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ الصِّيَامَ كَفَّارَةً.

﴿أَوْ عَدَلَ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ ۗ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ۗ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ ۗ﴾

وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿المائدة: ٩٥﴾

وَقَالَ سُبْحَانَهُ فِي أَمْرِ الظُّهَارِ: ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَلِكَ نُوعُظُونَ بِهِ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾﴾ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ۗ فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مَسْكِينًا ۗ ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿المجادلة: ٣-٤﴾.

فَجَعَلَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ الصِّيَامَ كَفَّارَةً.

وَكَذَلِكَ يَشْتَرِكُ الصِّيَامُ وَالصَّدَقَةُ فِي تَكْفِيرِ فِتْنَةِ الرَّجُلِ فِي مَالِهِ وَأَهْلِهِ وَجَارِهِ، يَعْنِي فِي الْأَخْطَاءِ الَّتِي يُمَكِّنُ أَنْ تَقَعَ فِي حَقِّ هَوْلَاءِ، فَعَنْ حُدَيْفَةَ - كَمَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ» - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَوَلَدِهِ وَجَارِهِ، يُكْفَرُهَا الصِّيَامُ وَالصَّلَاةُ وَالصَّدَقَةُ وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ» (١).

* وَخَصَّ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ الصَّائِمِينَ بَبَابٍ فِي الْجَنَّةِ هُوَ مَقْصُورٌ عَلَيْهِمْ، لَا يَدْخُلُ أَحَدٌ إِلَّا هُمْ مِنْهُ؛ فَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ: الرِّيَّانُ» (٢).

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح»: ٨/٢، رقم (٥٢٥)، ومسلم في «الصحيح»:

٤/٢٢١٨، رقم (١٤٤)، وزاد مسلم: «... وَمَالِهِ وَنَفْسِهِ...».

(٢) أخرجه البخاري في «الصحيح»: ٤/١١١، رقم (١٨٩٦)، ومسلم في «الصحيح»:

٢/٨٠٨، رقم (١١٥٢).

فَتَأْمَلُ فِي هَذِهِ الْمُطَابَقَةِ الَّتِي جَاءَتْ لِهَوْلَاءِ الصَّائِمِينَ الَّذِينَ يَطُوونَ النَّهَارَ عَلَى ظَمًا، وَيَعَانُونَ مِنَ الْعَطَشِ؛ فَجُوزُوا بِأَنْ يَدْخُلُوا مِنْ بَابِ الرِّيَّانِ.

فَالِاسْمُ لَهُ مُطَابَقَةٌ عَجِيبَةٌ مَعَ وَاقِعِ الْحَالِ «يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، فَإِذَا دَخَلُوا أُغْلِقَ».

يَعْنِي مَنْ غَلَبَ عَلَيْهِ حَالُ الصَّيَامِ فِي الدُّنْيَا دُونَ غَيْرِهِ مِنْ سَائِرِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، يُدْعَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا أَدْخَلَهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ الْجَنَّةَ مِنْ بَابِ الرِّيَّانِ، لَا يَدْخُلُ مِنْهُ إِلَّا مَنْ غَلَبَ عَلَيْهِ حَالُ الصَّيَامِ.

فَإِذَا غَلَبَ عَلَيْهِ مَعَ الصَّيَامِ أَحْوَالٌ مِنْ أَحْوَالِ الصَّالِحِينَ؛ فَإِنَّهُ يُمَكِّنُ أَنْ يُدْعَى مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ كَمَا أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «أَنَّهُ يُدْعَى مِنْ جَمِيعِ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ»^(١)؛ لِأَنَّ التَّوَازُنَ عِنْدَهُ -مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ مَعَ بُلُوغِهَا أَقْصَى الْمَدَى- مُتَوَفَّرٌ عَلَى أَفْضَلِ مَا يَكُونُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(١) أخرجه البخاري في «الصحیح»: ١١١/٤، رقم (١٨٩٧)، ومسلم في «الصحیح»: ٧١١/٢ و٧١٢، رقم (١٠٢٧)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللهِ، نُودِيَ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ: «يَا عَبْدَ اللهِ، هَذَا خَيْرٌ»، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الْجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الرِّيَّانِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ»، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا أَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ، مَا عَلَيَّ مِنْ دُعِيٍّ مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ، فَهَلْ يُدْعَى أَحَدٌ مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ كُلِّهَا؟ قَالَ: «نَعَمْ، وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ».

وفي رواية لهما: «مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللهِ، دَعَتْهُ خَزَنَةُ الْجَنَّةِ، أَيُّ فُلِّ هَلُمَّ».

«فَإِذَا دَخَلُوا أُغْلِقَ، فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُ أَحَدٌ».

وَفِي زِيَادَةِ لِلنَّسَائِيِّ - مَعَ مَا مَرَّ مِنْ رِوَايَةِ «الصَّحِيحَيْنِ» - : «فَإِذَا دَخَلَ آخِرُهُمْ أُغْلِقَ، وَمَنْ دَخَلَ شَرِبَ، وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا» (١).

فَهَذَا فَضْلُ الصَّوْمِ - عِبَادَ اللَّهِ - بِإِطْلَاقٍ أَوْ شَيْءٍ مِنْ فَضْلِهِ. (*)

* وَأَمَّا صِيَامُ رَمَضَانَ خَاصَّةً:

فَالْأَعْمَالُ الَّتِي تَعْمَلُ فِي رَمَضَانَ مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ الرَّحِيمِ الرَّحْمَنِ كَثِيرَةٌ:

أَعْظَمُهَا الصِّيَامُ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» (٣). وَالْحَدِيثُ فِي «الصَّحِيحَيْنِ».

فَالصِّيَامُ أَكْبَرُ الْأَعْمَالِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ. (٢/*)

(١) أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ فِي «الْمَجْتَبَى»: ١٦٨/٤، رَقْم (٢٢٣٦)، مِنْ حَدِيثِ: سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «لِلصَّائِمِينَ بَابٌ فِي الْجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ الرِّيَّانُ، لَا يَدْخُلُ فِيهِ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، فَإِذَا دَخَلَ آخِرُهُمْ أُغْلِقَ، مَنْ دَخَلَ فِيهِ شَرِبَ وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا».

وَالْحَدِيثُ حَسَنُهُ الْأَبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهيبِ»: ١/٥٧٧، رَقْم (٩٧٩).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاصِرَةِ: «بَيَانَ فَضَائِلِ الصَّوْمِ وَشَهْرِ رَمَضَانَ وَأَحْكَامَ بَيْنَ يَدَيْ رَمَضَانَ» - الْإثْنَيْنِ ٤ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٢٧هـ / ٢٨-٨-٢٠٠٦م.

(٣) تَقْدِيمُ تَخْرِيجِهِ.

(٢/*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُحْتَصِرٌ مِنْ خُطْبَةٍ: «رَمَضَانَ كَيْفَ نَحْيَاهُ؟»: الْجُمُعَةُ ١٥ مِنْ رَمَضَانَ

١٤٣٣هـ / ٣/٨/٢٠١٢م.

* وَشَهْرَ رَمَضَانَ يَغْفِرُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ لِلصَّائِمِينَ فِي آخِرِ لَيْلَتِهِ مِنْهُ: «وَلِلَّهِ جَلَّ وَعَلَا عِتْقَاءُ مِنَ النَّارِ، وَذَلِكَ كُلُّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ» (١).

* وَلِلصَّائِمِ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ: عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ لَا تُرَدُّ: دَعْوَةُ الْوَالِدِ، وَدَعْوَةُ الصَّائِمِ، وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ» (٢). (*)

* وَالصَّيَامُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ: «كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ» (٣).

(١) أخرجه الترمذي في «الجامع»: ٥٧/٣، رقم (٦٨٢)، وابن ماجه في «السنن»: ٥٢٦/١، رقم (١٦٤٢)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

والحديث حسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»: ٥٨٥/١، رقم (٩٩٨)، وروي عن أبي سعيد وابن عمر وابن عباس وابن مسعود وجابر وأبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وعن الحسن مرسلا، بنحوه.

(٢) أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى»: ٣/٣٤٥، رقم (٦٣٩٢)، وابن عساكر في «معجم الشيوخ»: ٣٣٨/١، رقم (٤٠٥)، والرافعي في «أخبار قزوين»: ٣/١١٤، والضياء في «المختارة»: ٦/٧٤ و٧٥، رقم (٢٠٥٧).

والحديث حسنه بشواهد الألباني في «الصحيحة»: ٤/٤٠٦، رقم (١٧٩٧)، وروي عن أبي هريرة بنحوه.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «رَمَضَانَ كَيْفَ نَحْيَاهُ» - الْجُمُعَةُ ١٥ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م/ ٨/٣.

(٣) أخرجه البخاري في «الصحيح»: ١٠/٣٦٩، رقم (٥٩٢٧)، ومسلم في «الصحيح»: ٨٠٦/٢، رقم (١١٥١)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: قَالَ اللَّهُ =

فَالصَّوْمُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ خَالِصًا، وَهُوَ يَجْزِي عَلَيْهِ بِأَضْعَافٍ مُضَاعَفَةٍ
وَبِمَا لَا يُعَدُّ وَلَا يُحْصَى؛ شَرِيظَةً أَنْ يَكُونَ الْمُسْلِمُ فِي ذَلِكَ مُمْتَثِلًا أَمْرَ اللَّهِ،
مُتَّبِعًا هَدْيَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. (*)



عَنْ: «كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصِّيَامَ هُوَ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ»، «فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ،
لَخُلْفَةٌ فَمِ الصَّائِمِ، أَطِيبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ».
(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «الْمَنْهَجُ لِمُرِيدِ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ» - الْجُمُعَةُ ٤ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ
١٤٣٦ هـ / ١٨-٩-٢٠١٥ م.

مِنْ فَوَائِدِ الصِّيَامِ وَمَقَاصِدِهِ

لَقَدْ فَرَضَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ صِيَامَ شَهْرِ رَمَضَانَ، وَجَعَلَ لِلصِّيَامِ فَوَائِدَ عَظِيمَةً، وَمُمَيِّزَاتٍ جَزِيلَةً، يَنَالُ الْمُسْلِمُ - بِإِذْنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى - إِذَا مَا أَتَى بِهَا الرِّضْوَانَ عِنْدَ اللَّهِ، مِنْ ذَلِكَ (*):

* أَنْ التَّقْوَى ثَمَرَةُ الصَّوْمِ:

لَقَدْ بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى الْحِكْمَةَ مِنْ فَرْضِ الصِّيَامِ؛ فَقَالَ: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

[البقرة: ١٨٣].

أَيُّ: فَرَضْنَا عَلَيْكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الصِّيَامَ كَمَا فَرَضْنَاهُ عَلَى الْأُمَّمِ قَبْلِكُمْ، لَعَلَّكُمْ بِأَدَائِكُمْ هَذِهِ الْفَرِيضَةَ تَنَالُونَ دَرَجَةَ التَّقْوَى^(١)، الَّتِي هِيَ أَسْمَى الدَّرَجَاتِ وَأَعْلَاهَا، وَأَرْفَعُ الْمَنَازِلِ وَأَفْخَمُهَا، وَبِذَلِكَ تَكُونُونَ مِمَّنْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣].

(*): مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُهَدَّبٌ مُحَاصِرَةٌ: «مِنْ مَقَاصِدِ الصِّيَامِ» - الْإِثْنَيْنِ ١ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٢ هـ /

١-٨-٢٠١١ م.

(١) «التفسير الوسيط»: ٣٨١ / ١.

وَالتَّقْوَى: فِعْلُ الْمَأْمُورَاتِ، وَتَرَكُ الْمَنْهِيَّاتِ.

وَالصِّيَامُ الَّذِي لَا يُثْمِرُ التَّقْوَى حَابِطٌ فَاقْدُ الْقِيَمَةَ؛ كَالزَّرْعِ الَّذِي لَا مَحْصُولَ لَهُ آخِرَ الْمَوْسِمِ.

فَوَا أَسْفَاهُ! فِيمَ كَانَ -إِذَنْ- حَرْتُ الْأَرْضِ، وَالسَّقْيِ، وَالتَّسْمِيدِ، وَبَدَلُ الْمَجْهُودِ، وَطُولُ الضَّنَا، وَاحْتِمَالُ الْعَنَا؟!! (*).

* إِذَا أَخَذَ الْإِنْسَانُ بِهَذَا الْفَرَضِ الْعَظِيمِ -كَمَا يُحِبُّ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ-؛ حَقَّقَ أَصْلًا مِنْ أَصُولِ الدِّينِ، وَأَتَى بِرُكْنٍ مِنْ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ.

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ». وَالْحَدِيثُ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ (١).

* الْإِنْسَانُ إِذَا صَامَ صِيَامًا صَاحِحًا؛ تَقَرَّبَ إِلَى اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ بِتَرَكِ الْمُحَرَّمَاتِ.

مِنْ أَمْثَالِ هَذِهِ الْمُحَرَّمَاتِ الَّتِي ذَكَرَهَا الرَّسُولُ ﷺ: كَقَوْلِ الزُّورِ، وَالْعَمَلِ

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «الصَّائِمُونَ الْمُفْلِسُونَ» - الْجُمُعَةَ ١٩ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٢ هـ / ١٩ / ٨ / ٢٠١١ م.

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «الصَّحِيحِ»: ١ / ٤٩، رَقْمَ (٨)، وَمُسْلِمٌ فِي «الصَّحِيحِ»: ١ / ٤٥، رَقْمَ (١٦).

بِهِ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ»^(١): «مَنْ لَمْ يَدَعِ قَوْلَ الزُّورِ، وَالْعَمَلَ بِهِ؛ فَلَيْسَ اللَّهُ حَاجَةً فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ».

وَالْإِنْسَانُ يَدَعُ الْمُحَرَّمَاتِ؛ لِعَارِضِ الصَّوْمِ، فَهِيَ مُحَرَّمَةٌ تَحْرِيمًا عَارِضًا، وَهِيَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فِي غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَالشَّهْوَةِ الَّتِي أَحَلَّهَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ، وَيَتْرُكُ الشَّهَوَاتِ؛ كَالْجَمَاعِ وَدَوَاعِيهِ، وَالنَّظَرَ وَالِاسْتِمْتَاعَ بِالْمُحَرَّمَاتِ.

وَعَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يُرَاقِبَ ذَلِكَ فِي الْوَسَائِلِ الَّتِي جَدَّتْ فِي الْحَيَاةِ الْمُعَاصِرَةِ؛ كَالهَاتِفِ النَّقَالِ، وَكَمَا يَكُونُ فِي الْمِذْيَاعِ، وَفِي التَّلْفَازِ، وَفِي الشَّبَكَةِ الْعَنَكُبُوتِيَّةِ الَّتِي ابْتُلِيَ بِهَا كَثِيرٌ مِنَ الْخَلْقِ، يُكْبُونَ عَلَيْهَا كَمَا يُكِبُّ الْعَابِدُ عَلَى صَنَمِهِ!! وَهِيَ تَأْخُذُ مِنْهُمْ تَقْوَاهُمْ، وَتَسْتَلِبُ مِنْهُمْ إِيْمَانَهُمْ، وَتَعَلِّمُهُمُ الْكِذْبَ، وَالنَّفَاقَ، وَالْخِدَاعَ.

فَعَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَلْتَفِتَ إِلَى أَمْثَالِ هَذِهِ الْأُمُورِ الَّتِي جَدَّتْ؛ فَإِنَّهَا -بِلَا شَكٍّ- تُؤَثِّرُ فِي حَيَاتِهِ؛ فَضَلًّا عَنِ تَأْثِيرِهَا فِي صِيَامِهِ.

* وَالنَّاسُ إِذَا صَامُوا الشَّهْرَ؛ اجْتَمَعُوا جَمِيعًا كَأُمَّةٍ وَاحِدَةٍ؛ يَأْكُلُونَ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ، وَيَصُومُونَ مُمْسِكِينَ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ.

* وَيَشْعُرُ الْغَنِيُّ بِبِنِعْمَةِ اللَّهِ، فَيَعْطِفُ عَلَى الْفَقِيرِ، وَيَقِلُّ مِنْ مَزَالِقِ وَوَسَاوِسِ

(١) «صحيح البخاري»: ٤ / ١١٦، رقم (١٩٠٣)، وأخرجه أيضا في: ١٠ / ٤٧٢، رقم

(٦٠٥٧)، بلفظ: «مَنْ لَمْ يَدَعِ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ وَالْجَهْلَ،...»، الحديث.

الشَّيْطَانِ الَّذِي يَجْرِي مِنْ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ، كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (١).

* وَشَهْرُ رَمَضَانَ شَهْرُ الصَّوْمِ، وَهُوَ شَهْرُ الصَّبْرِ، فَفِي رَمَضَانَ صَبْرٌ عَنِ الشَّهَوَاتِ وَالْمَلَذَاتِ، وَعَلَى قَدْرِ الصَّبْرِ يَأْتِي الْأَجْرُ مِنَ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

* وَتَأْتِي مَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِلصَّائِمِينَ؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ، وَرَمَضَانَ إِلَى رَمَضَانَ مُكْفَرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنِبْتَ الْكَبَائِرَ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢).

* وَالصَّوْمُ يَمْنَعُ مِنْ غَشِيَانِ الرَّذَائِلِ؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «الصِّيَامُ جُنَّةٌ - وَالْجُنَّةُ: الْوِقَايَةُ - فَلَا يَرْفُثُ وَلَا يَجْهَلُ، وَإِنْ أَمْرٌ وُقِيَ قَاتَلَهُ أَوْ شَاتَمَهُ؛ فَلْيَقُلْ إِنِّي صَائِمٌ، إِنِّي صَائِمٌ - مَرَّتَيْنِ كَمَا فِي الْحَدِيثِ الْمُتَّفَقِ عَلَى صِحَّتِهِ -» (٣).

إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى جَعَلَ لِلْعِبَادَاتِ مَقَاصِدَ، وَبَيَّنَّ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ لَنَا بَعْضَ تِلْكَ الْمَقَاصِدِ، وَالْإِنْسَانُ عِنْدَمَا يَأْتِي بِالْعِبَادَةِ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ يَأْتِي بِهَا مُمْتَثِلًا، مُحْتَسِبًا الْمَشَقَّةَ الَّتِي يَلَاقِيهَا وَالْعَنَتَ، كَمَا يَكُونُ فِي الصِّيَامِ إِذَا أَتَى فِي

(١) أخرجه البخاري في «الصحیح»: ٢٧٨/٤، رقم (٢٠٣٥)، ومسلم في «الصحیح»:

٤/١٧١٢، رقم (٢١٧٥)، من حديث: صَفِيَّةُ بِنْتُ حَيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٢) أخرجه مسلم في «الصحیح»: ١/٢٠٩، رقم (٢٣٣)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،

بلفظ: «...، مُكْفَرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ»، وفي رواية: «...، كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ

مَا لَمْ تُغَشَّ الْكَبَائِرُ».

(٣) تقدم تخريجه.

أَيَّامِ الْحَرِّ؛ فَعَلَى الظَّمِّ وَشِدَّةِ الْعَطَشِ، وَعَلَى الْمُعَانَاةِ فِيهِ، عَلَى قَدْرِ ذَلِكَ
يَكُونُ الْأَجْرُ مِنَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

هَذِهِ الْأُمُورُ الَّتِي بَيْنَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَنَا مَا فِيهَا مِنَ الْمَقَاصِدِ، عَلِمْنَا مِنْهَا مَا
عَلِمْنَا، وَوَرَاءَ ذَلِكَ أَنَّا نَتَعَبَّدُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ بِالْإِتْيَانِ بِهَا؛ لِأَنَّ الْعِبَادَاتِ غَيْرُ
مَعْلُومَةِ الْمَعْنَى، بِمَعْنَى أَنَّا نَتَعَبَّدُ بِهَا لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَلَا نَبْحَثُ عَنِ الْعِلَلِ.

لَا نَقُولُ: لِمَ فَرَضَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ عَلَيْنَا الصَّلَوَاتِ الْمَفْرُوضَاتِ خَمْسًا
بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ؟

لِمَ لَمْ تَكُنْ زِيَادَةً عَنِ ذَلِكَ أَوْ أَقَلَّ مِنْ ذَلِكَ؟

فَالْحِكْمَةُ أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَرَضَ ذَلِكَ.

فَعَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَجْتَهِدَ فِي تَغْيِيرِ سُلُوكِهِ، وَعَلَى الْمَرْءِ أَنْ يَجْتَهِدَ فِي الْإِتْيَانِ
بِالْعِبَادَةِ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي يُحِبُّهُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ، وَعَلَيْنَا أَنْ نُفَتِّشَ فِي قُلُوبِنَا،
فَهَذَا هُوَ الْمَقْصِدُ الْأَعْظَمُ.

عَلَى الْمَرْءِ أَنْ يَبْحَثَ عَنِ الْأَفَاتِ الَّتِي تُمَارِجُ الْقُلُوبَ وَتُخَالِطُ الْأَرْوَاحَ، حَتَّى
يُخَلِّصَ نَفْسَهُ مِنْ ذَلِكَ؛ فَإِنَّ الْعَمَلَ مَهْمًا كَثُرَ مَعَ هَذَا الشُّوبِ لَا يُتَقَبَّلُ عِنْدَ اللَّهِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ، وَالْعَمَلُ إِذَا كَانَ يَسِيرًا بِإِخْلَاصٍ وَصِدْقٍ؛ تَقَبَّلَهُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿إِنَّمَا
يَقْبَلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧]. (*)



(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُهَدَّبٌ مُحَاضَرَةٌ: «مِنْ مَقَاصِدِ الصِّيَامِ» - الْإِثْنَيْنِ ١ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٢ هـ /

سُلُوكُ الصَّائِمِينَ الْمُتَّقِينَ

أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» بِسَنَدِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلوات الله وسلامته عليه: «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ؛ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ».

وَفِي رِوَايَةٍ صَحِيحَةٍ لِابْنِ مَاجَهَ ^(١): «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ، وَالْجَهْلَ، وَالْعَمَلَ بِهِ؛ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ».

وَالْجَهْلُ هَاهُنَا: ضِدُّ الْحِلْمِ، لَيْسَ بِالَّذِي هُوَ بِضِدِّ الْعِلْمِ ^(٢).

«مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْجَهْلَ - أَي: السَّفَهَ وَالنَّزَقَ، وَالطَّيْشَ وَخِفَّةَ الْعَقْلِ - وَالْعَمَلَ بِهِ، فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ».

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله وسلامته عليه: «رُبَّ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلَّا الْجُوعُ وَالْعَطَشُ، وَرُبَّ قَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ قِيَامِهِ إِلَّا السَّهَرُ» ^(٣). رَوَاهُ

(١) «السنن»: ١ / ٥٣٩، رقم (١٦٨٩).

(٢) «الكوكب الدراري»: ٢١ / ١٩٧، و«فتح الباري»: ٤ / ١١٧.

(٣) أخرجه ابن ماجه في «السنن»: ١ / ٥٣٩، رقم (١٦٩٠)، وأحمد في «المسند»: ٢ / ٣٧٣، رقم (٨٨٥٦) واللفظ له، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، ولفظ ابن ماجه: «رُبَّ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلَّا الْجُوعُ، وَرُبَّ قَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ قِيَامِهِ إِلَّا السَّهَرُ».

ابْنُ مَاجَهَ - وَاللَّفْظُ لَهُ -، وَالْحَدِيثُ حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

وَقَدْ جَمَعَ النَّبِيُّ ﷺ ذَلِكَ كُلَّهُ فِي قَوْلِهِ: «لَيْسَ الصَّيَامُ مِنَ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ؛ إِنَّمَا الصَّيَامُ مِنَ اللَّغْوِ وَالرَّفَثِ»^(١). رَوَاهُ ابْنُ خُزَيْمَةَ، وَابْنُ حِبَّانَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ. (*).

فَيَتَأَكَّدُ عَلَى الصَّائِمِ الْقِيَامَ بِالْوَاجِبَاتِ، وَكَذَلِكَ اجْتِنَابَ الْمُحَرَّمَاتِ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ، فَلَا يَغْتَابُ النَّاسَ، وَلَا يَكْذِبُ، وَلَا يَنْمُ بَيْنَهُمْ، وَلَا يَبِيعُ بَيْعًا مُحَرَّمًا، يَجْتَنِبُ جَمِيعَ الْمُحَرَّمَاتِ، وَإِذَا فَعَلَ الْإِنْسَانُ ذَلِكَ فِي شَهْرٍ كَامِلٍ؛ فَإِنَّ نَفْسَهُ سَوْفَ تَسْتَقِيمُ بَقِيَّةَ الْعَامِ.

وَلَكِنَّ الْمَوْسِفَ: أَنَّ كَثِيرًا مِنَ الصَّائِمِينَ لَا يُفَرِّقُونَ بَيْنَ يَوْمِ صَوْمِهِمْ وَيَوْمِ فِطْرِهِمْ، فَهُمْ عَلَى الْعَادَةِ الَّتِي هُمْ عَلَيْهَا مِنْ تَرْكِ الْوَاجِبَاتِ وَفِعْلِ الْمُحَرَّمَاتِ، وَلَا تَشْعُرُ أَنَّ عَلَيْهِ وَقَارَ الصَّوْمِ.

والحدِيث حسن إسناده وصححه متنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»: ١/ ٦٢٥، رقم (١٠٨٣).

(١) أخرجه ابن خزيمة في «الصحيح»: ٣/ ٢٤٢، رقم (١٩٩٦)، وابن حبان في «الصحيح» بترتيب ابن بلبان: ٨/ ٢٥٥ و ٢٥٦، رقم (٣٤٧٩)، والحاكم في «المستدرک»: ١/ ٤٣٠ و ٤٣١، رقم (١٥٧٠)، والبيهقي في «السنن الكبرى»: ٤/ ٢٧٠، رقم (٨٣١٢).

والحدِيث صححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»: ١/ ٦٢٥، رقم (١٠٨٢).
 (*): مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ حُطْبَةٍ: «الصَّائِمُونَ الْمُفْلِسُونَ» - الْجُمُعَةُ ١٩ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٢ هـ/ ١٩/ ٨/ ٢٠١١ م.

وَهَذِهِ الْأَفْعَالُ لَا تُبْطَلُ الصَّوْمَ؛ وَلَكِنْ تَنْقُصُ مِنْ أَجْرِهِ، وَرُبَّمَا عِنْدَ الْمُعَادَلَةِ تَرْجَحُ عَلَى أَجْرِ الصَّوْمِ، فَيَضِيعُ ثَوَابُهُ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قَالَ اللَّهُ ﻋَظِيمًا: كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصِّيَامَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمٍ أَحَدِكُمْ؛ فَلَا يَرْفُثُ وَلَا يَصْحَبُ، فَإِنْ سَابَهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ: إِنِّي صَائِمٌ، إِنِّي صَائِمٌ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَاللَّفْظُ لَهُ، وَمُسْلِمٌ وَغَيْرُهُمَا.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَيْسَ الصِّيَامُ مِنَ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ، إِنَّمَا الصِّيَامُ مِنَ اللَّغْوِ وَالرَّفَثِ؛ فَإِنْ سَابَكَ أَحَدٌ أَوْ جَهَلَ عَلَيْكَ فَقُلْ: إِنِّي صَائِمٌ، إِنِّي صَائِمٌ». رَوَاهُ ابْنُ خُزَيْمَةَ، وَابْنُ حِبَّانَ، وَالْحَاكِمُ، وَهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

وَفِي رِوَايَةٍ لِابْنِ خُزَيْمَةَ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا تَسَابَّ وَأَنْتَ صَائِمٌ، فَإِنْ سَابَكَ أَحَدٌ فَقُلْ: إِنِّي صَائِمٌ، وَإِنْ كُنْتَ قَائِمًا فَاجْلِسْ». وَهُوَ حَدِيثٌ حَسَنٌ. (*)

عِبَادَ اللَّهِ! إِنَّ الْعِبَادَةَ الْحَقِيقِيَّةَ تَدْفَعُ صَاحِبَهَا إِلَى فِعْلِ الْخَيْرَاتِ، وَالتَّحَلِّيِ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، وَالْإِحْسَانِ إِلَى النَّاسِ، وَالْإِنْكَفَافِ عَنِ الْأَذَى وَالشَّرِّ، وَكُلِّ عِبَادَةٍ لَا تُثْمِرُ ذَلِكَ؛ فَهِيَ عِبَادَةٌ لَا خَيْرَ فِيهَا، وَمِنْ ثَمَّ لَا خَيْرَ فِيهَا لِصَاحِبِهَا.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «دَعْوَةُ الْإِخْوَانِ لِلتَّوْبَةِ فِي رَمَضَانَ» - الْجُمُعَةُ ٢٥ مِنْ شَعْبَانَ

فِي «صَحِيحِ الْأَدَبِ الْمَفْرَدِ» (١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قِيلَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
 «يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّ فُلَانَةَ تَقُومُ اللَّيْلَ، وَتَصُومُ النَّهَارَ، وَتَفْعَلُ، وَتَصَدَّقُ، وَتُؤْذِي
 جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا؟»

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا خَيْرَ فِيهَا، هِيَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ».

تَقُومُ اللَّيْلَ، وَتَصُومُ النَّهَارَ، وَتَفْعَلُ! - هَكَذَا بِإِبْهَامٍ لِلتَّفْخِيمِ وَالتَّعْظِيمِ
 وَالتَّكْثِيرِ - وَتَصَدَّقُ - وَلَمْ يَذْكَرِ الْمُتَصَدَّقُ بِهِ؛ لِتَهْوِيلِهِ وَتَفْخِيمِهِ -، وَهِيَ مَعَ ذَلِكَ
 تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا!!

قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا خَيْرَ فِيهَا، هِيَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ».

فَلَمْ يَعْتَدَّ بِهَذَا الَّذِي أَتَتْ بِهِ مِنَ الصَّيَامِ، وَالْقِيَامِ، وَفِعْلِ الْخَيْرَاتِ وَالصَّدَقَةِ؛
 لِأَنَّهُ لَمْ يُثْمَرْ شَيْئًا ذَا قِيَمَةٍ؛ «تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا».

قَالَ: «لَا خَيْرَ فِيهَا، هِيَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ».

قَالُوا: «وَفُلَانَةُ تُصَلِّي الْمَكْتُوبَةَ، وَتَصَدَّقُ بِأَثْوَارٍ - جَمْعُ ثَوْرٍ، وَهِيَ الْقِطْعَةُ
 مِنَ الْجَبْنِ الْمُجَفَّفِ - وَتَصَدَّقُ بِأَثْوَارٍ - وَالتَّنْوِينُ فِي «بِأَثْوَارٍ» لِلتَّقْلِيلِ - وَتَصَدَّقُ
 بِأَثْوَارٍ، وَلَا تُؤْذِي أَحَدًا؟».

قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هِيَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ».

(١) «صحيح الأدب المفرد»: ص ٦٩، رقم (٨٨)، وقد أخرجه أحمد في «المسند»:

٢/ ٤٤٠، رقم (٩٦٧٥)، والبخاري في «الأدب المفرد»: ص ٤١، رقم (١١٩).

والحديث صححه الألباني -أيضا- في «الصحيححة»: ١/ ٣٦٩، رقم (١٩٠).

شَتَانِ بَيْنَ الْعِبَادَتَيْنِ: بَيْنَ عِبَادَةٍ تَدْفَعُ إِلَى الْخَيْرِ، وَعِبَادَةٍ لَمْ تُوقِفْ صَاحِبَهَا
عَنِ الْإِيغَالِ فِي الشَّرِّ، عِبَادَةٍ قَوَّمتِ الظُّهُورَ بِطُولِ قِيَامِ اللَّيْلِ، وَقَوَّمتِ الْمَعِدَةَ
بِصِيَامِ النَّهَارِ، وَلَمْ تُقَوِّمِ اللِّسَانَ بِالِاسْتِقَامَةِ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ، أَوْ حَتَّى بِالْكَفِّ عَنِ
إِيذَاءِ خَلْقِ اللَّهِ!!

فَشَتَانِ مَا بَيْنَ الْعِبَادَتَيْنِ!!

وَمَا أَتَعَسَ الصَّائِمَ الْمُفْلِسَ!! (*) .



(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «الصَّائِمُونَ الْمُفْلِسُونَ» - الْجُمُعَةُ ١٩ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٢هـ/

الصَّائِمُونَ الْمُقْلِسُونَ

أَخْرَجَ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» (١) بِسَنَدِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله وسلامته عليه قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟».

قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ.

قَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي، يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ؛ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ، فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ».

فَهَذَا أَتَى بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ؛ وَلَكِنَّهُ فِي الْوَقْتِ عَيْنِهِ أَتَى بِمَا أَذْهَبَ مَا أَتَى بِهِ مِنْ خَيْرٍ؛ حَتَّى مَحَقَّهُ، حَتَّى نَسَفَهُ.

وَتَأْمَلُ خَمْسَةَ أَفْعَالٍ وَرَدَتْ فِي الْحَدِيثِ: «شَتَمَ هَذَا.. قَذَفَ هَذَا.. أَكَلَ مَالَ هَذَا.. سَفَكَ دَمَ هَذَا.. ضَرَبَ هَذَا».

تَأْمَلُ هَذِهِ الْخَمْسَةَ الْأَفْعَالَ: «شَتَمَ.. قَذَفَ.. أَكَلَ.. سَفَكَ.. ضَرَبَ»، ثُمَّ

(١) «صحيح مسلم»: ٤ / ١٩٩٧، رقم (٢٥٨١).

اعْجَبْ! مَتَى كَانَ هَذَا الرَّجُلُ صَائِمًا!!؟

وَكَيْفَ كَانَ يَجِدُ وَقْتًا لِأَدَاءِ الصَّلَاةِ، وَهُوَ يَقُومُ بِهَذِهِ الْجَرَائِمِ كُلِّهَا!!؟

وَكَيْفَ يَكُونُ مُزَكِّيًّا وَهُوَ يَأْكُلُ أَمْوَالَ النَّاسِ!!؟

«يَأْتِي بِصَّلَاةٍ وَصِيَامٍ..»؛ صِيَامٍ عَنِ أَيِّ شَيْءٍ!!؟

«وَزَكَاةٍ»؛ كَيْفَ تَكُونُ الزَّكَاةُ زَكَاةً وَهُوَ يَأْكُلُ أَمْوَالَ النَّاسِ!!؟

«وَأَكَلَ مَالَ هَذَا».

فَاعْجَبْ! كَيْفَ كَانَ هَذَا يَجِدُ وَقْتًا لِأَدَاءِ الصَّلَاةِ وَهُوَ عَاكِفٌ عَلَى هَذِهِ

الْجَرَائِمِ كُلِّهَا!!؟

إِنَّ الصِّيَامَ الْحَقِيقِيَّ، وَالصَّلَاةَ التَّامَّةَ، وَالزَّكَاةَ الْمَقْبُولَةَ هِيَ الْعِبَادَاتُ الَّتِي تَمْنَعُ صَاحِبَهَا مِنَ الْوُقُوعِ فِي هَذِهِ الْجَرَائِمِ الْخَمْسِ: «الشَّمُّ، وَالضَّرْبُ، وَالْقَذْفُ، وَأَكْلُ أَمْوَالِ النَّاسِ، وَسَفْكَ دِمَائِهِمْ».

لَا يَمْنَعُ مِنْ هَذَا، وَلَا يَكْفُ عَنْهُ إِلَّا الصِّيَامُ الْحَقِيقِيُّ، وَالصَّلَاةُ التَّامَّةُ، وَالزَّكَاةُ الْمَقْبُولَةُ؛ لِأَنَّ الرَّسُولَ ﷺ ذَكَرَ أَنَّ هَذَا الرَّجُلَ لَهُ صَلَاةٌ وَصِيَامٌ وَزَكَاةٌ، وَلَمْ يَمْنَعَهُ ذَلِكَ مِنَ الْوُقُوعِ فِي تِلْكَ الْجَرَائِمِ!!

فَمَنْهُمُ هَذَا؛ أَنَّهُ لَوْ كَانَ قَدْ صَامَ صِيَامًا حَقِيقِيًّا، وَصَلَّى صَلَاةً تَامَّةً، وَزَكَى زَكَاةً مَقْبُولَةً؛ لَأَنْكَفَّ عَنِ فِعْلِ هَذِهِ الشُّرُورِ، وَلَحَجَزَتْهُ عَنِ الْوُقُوعِ فِي تِلْكَ الْأَثَامِ، وَلَا سَتَقَامَ عَلَى الْجَادَّةِ، وَعَلَى صِرَاطِ اللَّهِ الْمَلِكِ الْعَلَامِ.

لَقَدْ أَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْحَدِيثِ إِلَى الْإِفْلَاسِ الْحَقِيقِيِّ.

إِنَّهُ الْإِفْلَاسُ الْخُلُقِيُّ فِي الدُّنْيَا.

الْإِفْلَاسُ الْحَقِيقِيُّ: هُوَ الْإِفْلَاسُ الْخُلُقِيُّ فِي الدُّنْيَا، وَهُوَ مُؤَدِّ إِلَى الْإِفْلَاسِ
الْأُخْرَوِيِّ مِنَ الْحَسَنَاتِ حَتَّى تَفْنَى، ثُمَّ يُطْرَحُ مِنْ سَيِّئَاتِ ضَحَايَاهُ عَلَى سَيِّئَاتِهِ،
ثُمَّ يُطْرَحُ فِي النَّارِ.

فَالْإِفْلَاسُ الْخُلُقِيُّ فِي الدُّنْيَا هُوَ الَّذِي أَدَّى إِلَى الْإِفْلَاسِ الْحَقِيقِيِّ فِي الْآخِرَةِ
بِخُلُوهِ مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَبِطْرَحِ سَيِّئَاتِ خُصُومِهِ عَلَيْهِ، ثُمَّ بِطْرَحِهِ بَعْدُ فِي النَّارِ. (*)



(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ حُطْبَةٍ: «الصَّائِمُونَ الْمُفْلِسُونَ» - الْجُمُعَةَ ١٩ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٢هـ/

احذروا من ذنوبِ الخَلَوَاتِ !!

أَخْرَجَ ابْنُ مَاجَهٍ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ (١) عَنْ ثَوْبَانَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلوات الله عليه وآله أَنَّهُ قَالَ:
«لَأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي، يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَعْمَالٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بِيضَاءَ،
فَيَجْعَلُهَا اللَّهُ هَبَاءً مَنْثُورًا».

قَوْمٌ مُجْتَهِدُونَ.

الَّذِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَعْمَالٍ كَأَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ - وَهِيَ سِلْسِلَةُ جِبَالٍ تَمْتَدُّ
امْتِدَادًا طَوِيلًا، ثَقِيلَةً هِيَ جِدًّا لَوْ تَدَبَّرْتَ!! عَظِيمَةً هِيَ، جَلِيلَةٌ لَوْ تَفَكَّرْتَ!!
فَمَنْ أَتَى بِأَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْأَعْمَالِ الْعَظِيمَةِ الْبِيضَاءِ؛ لَقَدْ
أَتَى بِأَمْرٍ كَبِيرٍ، فَيَجْعَلُهَا اللَّهُ هَبَاءً مَنْثُورًا.

هُؤُلَاءِ قَوْمٌ مِنْ فَعَلَةِ الْخَيْرَاتِ، وَمِنْ أَهْلِ الْعُكُوفِ عَلَى الصَّالِحَاتِ؛ بِدَلِيلِ
كَثْرَةِ مَا يَأْتُونَ بِهِ مِنَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه وآله: «يَأْتُونَ بِأَعْمَالٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بِيضَاءَ،

(١) أخرجه ابن ماجه في «السنن»: ٢ / ١٤١٨، رقم (٤٢٤٥).

والحديث صحيح إسناده الألباني في «الصحيحه»: ٢ / ٣٢، رقم (٥٠٥).

فَيَجْعَلُهَا اللَّهُ هَبَاءً مَنْثُورًا».

قَالَ ثَوْبَانٌ رضي الله عنه: «يَا رَسُولَ اللَّهِ! صِفْهُمْ لَنَا، حَلِّمْ لَنَا - مِنَ الْحِلْيَةِ، وَهِيَ الشَّيْءُ وَالسَّمَةُ وَالْعَلَامَةُ - أَلَّا نَكُونَ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ».

فِيهِ خَوْفُ الصَّحَابَةِ مِنْ أَنْ يَتَطَرَّقَ إِلَى قُلُوبِهِمْ شَيْءٌ مِنَ الدَّغَلِ الْمُحْبِطِ لِلْأَعْمَالِ، الْمُفْسِدِ لِجَلِيلِ صَالِحِ الْأَقْوَالِ؛ فَيَقُولُ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ! صِفْهُمْ لَنَا، حَلِّمْ لَنَا؛ أَلَّا نَكُونَ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ».

وَفِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ الْإِنْسَانَ رُبَّمَا كَانَ سَيِّئًا مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُ، وَهُوَ يَحْسَبُ نَفْسَهُ صَالِحًا، ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٤].

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله وسلاماته عليه: «أَمَّا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ، وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ، وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ - يُكَابِدُونَ الْقِيَامَ، وَيَعَانُونَ الْعَنَتَ وَالْمَشَقَّةَ، وَيَتَحَمَّلُونَ - وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ - صَلَاةً وَتِلَاوَةً وَرُكُوعًا وَسُجُودًا وَذِكْرًا -، أَمَّا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ، وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ، وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ؛ وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللَّهِ انْتَهَكُوهَا».

هَذِهِ هِيَ الْعِلَّةُ! هَذَا هُوَ الدَّاءُ الدَّوِيُّ الَّذِي أَفْسَدَ هَذَا الْجَسَدَ وَهُوَ يَبْدُو فِي عَافِيَةٍ وَسِتْرٍ، مُتَمَاسِكًا قَائِمًا، فَنَخَرَتْ فِيهِ هَذِهِ الْعِلَّةُ، فَتَهَاوَى مُتَصَدِّعًا، وَتَسَاقَطَ مُتَدَاعِيًا.

«إِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللَّهِ انْتَهَكُوهَا»: لَهُمْ ظَاهِرٌ يَسْرٌ، وَبَاطِنٌ مِنْ دُونِهِ يَضُرُّ؛ كَالْقَبْرِ يَرُوعُكَ مَنْظَرُهُ، وَبِدَاخِلِهِ جِيفَةٌ وَتَنٌّ».

انْتِهَاكَ مَحَارِمِ اللَّهِ دَلِيلٌ عَلَى فَسَادِ الْعِبَادَةِ وَحُبُوطِ الْعَمَلِ؛ لِأَنَّ انْتِهَاكَ
الْمَحَارِمِ مَعْنَاهُ: فَسَادُ النَّفْسِ، وَفَقْدَانُ الْوَرَعِ، وَعَدَمُ الْوُقُوفِ عِنْدَ حُدُودِ اللَّهِ، وَهُوَ
يَعْنِي فَسَادَ الْإِيمَانِ.

﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٤].

﴿وَمَنْ يَعْذُ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٣٠].

فَإِذَا فَقَدَ الْمُتَنَهِّكُونَ حُدُودَ اللَّهِ خِصَالَ الْعَدْلِ وَالْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ؛ فَمَاذَا بَقِيَ
لَهُمْ مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ!!؟

بَلْ مَاذَا بَقِيَ لَهُمْ مِنْ دِينٍ!!؟

«أُولَئِكَ قَوْمٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللَّهِ انْتَهَكُوهَا».

فَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى ضَعْفِ الرِّقَابَةِ لِلَّهِ؛ بَلْ عَلَى عَدَمِهَا، وَعَلَيْهِ؛ فَتَكُونُ الْأَعْمَالُ
الظَّاهِرَةُ؛ لِاسْتِجْلَابِ إِعْجَابِ النَّاسِ بِهِ، وَإِقْبَالِهِمْ عَلَيْهِ، وَرَفْعِهِمْ إِيَّاهُ فَوْقَ قَدْرِهِ.

تَعَاهَدُ نَفْسَكَ فِي ثَلَاثٍ: «إِذَا عَمِلْتَ فَادْكُرْ نَظَرَ اللَّهِ إِلَيْكَ، وَإِذَا تَكَلَّمْتَ
فَادْكُرْ سَمَعَ اللَّهِ مِنْكَ، وَإِذَا سَكَتَ فَادْكُرْ عِلْمَ اللَّهِ فِيكَ»^(١).

(١) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء»: ٧٥ / ٨، ترجمة (٣٩٦)، وإسماعيل بن محمد
الأصبهاني في «سير السلف الصالحين»: ص ١١٠١، ترجمة (٣٥٨)، من قول حاتم
الأصم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قَالَ سُفْيَانُ: «مَا عَالَجْتُ شَيْئًا أَشَدَّ عَلَيَّ مِنْ نَفْسِي؛ مَرَّةً عَلَيَّ، وَمَرَّةً لِي» (١).
 مَرَّةً غَالِبَةً، وَمَرَّةً مَغْلُوبَةً، وَالْحَيَاةُ عَنَاءٌ، وَالْحَيَاةُ كَدٌّ وَتَعَبٌ، عَنَاءٌ وَنَصَبٌ،
 مُجَاهِدَةٌ وَابْتِلَاءٌ، سَعَادَةٌ يَسِيرَةٌ وَشَقَاءٌ، وَكَذَا الْحَيَاةُ؛ لِأَنَّهَا لَيْسَ لَهَا بَقَاءٌ ﴿وَإِنَّ
 الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٤].

فَالْبَاقِيَةُ هُنَاكَ؛ فَقَدِّمِ لِلَّتِي تَبْقَى، وَاحْذَرِ الَّتِي تَفْنَى!!

وَلَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا مِنْ ذَهَبٍ يَفْنَى، وَالْآخِرَةُ مِنْ خَزَفٍ يَبْقَى؛ لَفُضِّلَتِ الْآخِرَةُ
 عَلَى الدُّنْيَا؛ فَكَيْفَ وَالدُّنْيَا مِنْ خَزَفٍ يَفْنَى، وَالْآخِرَةُ مِنْ ذَهَبٍ يَبْقَى!!؟
 عَنْ مَيْمُونِ بْنِ مِهْرَانَ قَالَ: «لَا يَكُونُ الرَّجُلُ تَقِيًّا حَتَّى يَكُونَ لِنَفْسِهِ أَشَدَّ
 مُحَاسَبَةً مِنَ الشَّرِيكِ لِشَرِيكِهِ، وَحَتَّى يَعْلَمَ مِنْ أَيْنَ مَلْبَسُهُ وَمَطْعَمُهُ وَمَشْرَبُهُ؛
 فَلْيَنْظُرْ مَا يَدْخُلُ بَطْنَهُ» (٢).

فَهَذِهِ أَدَلُّ دَلَائِلِ التَّقْوَى.

(١) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء»: ٥/٧ و ٦٢، ترجمة سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ (٣٩٥)،
 والخطيب في «الجامع لأخلاق الراوي»: ٣١٧/١، رقم (٦٩٢)، بإسناد صحيح، بلفظ:
 «مَا عَالَجْتُ شَيْئًا أَشَدَّ عَلَيَّ مِنْ نَيْتِي إِنَّهَا تَقَلَّبُ عَلَيَّ»، وفي لفظ: «مَا عَالَجْتُ شَيْئًا قَطُّ
 أَشَدَّ عَلَيَّ مِنْ نَفْسِي، مَرَّةً عَلَيَّ وَمَرَّةً لِي».

(٢) أخرجه وكيع في «الزهد»: ص ٥٠١ و ٥٠٢، رقم (٢٣٩)، وابن أبي شيبة في «المصنف»:
 ٥١٩/١٣ و ٣٦/١٤، وهناد بن السري في «الزهد»: ٥٨٠/٢، رقم (١٢٢٨)، وابن أبي
 الدنيا في «محاسبة النفس» ضمن موسوعة ابن أبي الدنيا الحديثية: ٥/٢٨٤، رقم (٧)،
 وأبو نعيم في «حلية الأولياء»: ٤/٨٩، ترجمة (٢٥١)، بإسناد صحيح.

وَقَدْ كَانَ بَعْضُ السَّلَفِ فِي مَوْضِعٍ كَثُرَ فِيهِ أَكْلُ الْحَرَامِ؛ فَدَخَلَ مَسْجِدًا، فَلَمَّا أَقِيَمَتِ الصَّلَاةُ؛ تَدَاغَعَ النَّاسُ إِلَى الصَّفِّ الْأَوَّلِ؛ فَقَالَ -مُعَلِّمًا وَمُرْشِدًا-: «كُلْ مِنْ حَلَالٍ، وَصَلِّ فِي الصَّفِّ الْأَخِيرِ»^(١).

هَذَا لِرِعَايَةِ الْحَالِ، وَأَمَّا الْمُنَافَسَةُ عَلَى الصَّفِّ الْأَوَّلِ؛ فَشَيْءٌ كَبِيرٌ، وَالرَّسُولُ ﷺ دَلَّ عَلَى فَضْلِ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: «وَلَوْ عَلِمَ النَّاسُ مَا فِي النِّدَاءِ وَالصَّفِّ الْأَوَّلِ، ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَنْ يَسْتَهْمُوا -أَيَّ يَقْتَرِعُوا- عَلَيْهِمَا؛ لَفَعَلُوا»^(٢).

وَلَكِنَّهُ يَقُولُ: مَا لَهُؤَلَاءِ الْقَوْمِ قَدْ عَكَسُوا الْأَمْرَ، فَصَارُوا يَتَدَاغَعُونَ إِلَى مَا لَا يُشَقُّ عَلَيْهِمْ فِعْلُهُ، وَتَهَاوَنُوا فِي أَوْجَبِ مَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ فِعْلُهُ، وَهُوَ رِقَابَةُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي الْمَطْعَمِ وَالْمَشْرَبِ.

لِيَنْظُرَ أَحَدُكُمْ مَا يَدْخُلُ جَوْفَهُ؛ فَإِنَّ الْبَطْنَ أَوَّلُ مَا يُتَبَّنُ مِنَ الْمَرْءِ بَعْدَ مَوْتِهِ.
«لَا يَكُونُ الرَّجُلُ تَقِيًّا حَتَّى يَكُونَ لِنَفْسِهِ أَشَدَّ مُحَاسَبَةً مِنَ الشَّرِيكِ لِشَرِيكِهِ».

(١) أخرج البيهقي في «شعب الإيمان»: ٥١٤/٧، رقم (٥٣٩٣)، بإسناد صحيح، عن الفضيل بن عياض، قال: سأل رجل سفيان الثوري عن فضل الصف الأول، فقال: «انظر كسرتك التي تأكلها، من أين تأكلها؟ وقم في الصف الأخير»، وأخرج أيضا: ٥١٤/٧ و ٥١٥، رقم (٥٣٩٤)، بإسناد صحيح، عن شعيب بن حرب، أنه قال: قال سفيان الثوري: «انظر درهمك، من أين هو وصل في الصف الأخير».
وروي عن حذيفة المرعشي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نحوه.

(٢) أخرجه البخاري في «الصحيح»: ٩٦/٢، رقم (٦١٥)، ومسلم في «الصحيح»: ٣٢٥/١، رقم (٤٣٧)، من حديث: أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

خَصْمٌ هِيَ؛ فَلَا بُدَّ مِنْ رِعَايَةِ حَقِّ اللَّهِ فِيهَا، وَلَا بُدَّ مِنْ حَمَلِهَا عَلَى أَمْرِهِ، وَلَا بُدَّ مِنْ قَسْرِهَا عَلَى اجْتِنَابِ نَهْيِهِ؛ وَإِلَّا فَإِنَّهَا أَمَارَةٌ بِالسُّوءِ جُمْلَةً، وَحَتَّى يَعْلَمَ مِنْ أَيْنَ مَلْبَسُهُ وَمَطْعَمُهُ وَمَشْرَبُهُ؟

وَعَنْ بِلَالِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: «لَا تَكُنْ وَلِيًّا لِلَّهِ فِي الْعَلَانِيَةِ، عَدُوًّا لِلَّهِ فِي السِّرِّ»^(١).
 «أَوْلَيْتَكَ قَوْمٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللَّهِ انْتَهَكُوهَا»؛ لِأَنَّ الَّذِي يَبْلُغُ عَمَلُهُ أَنْ يَكُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَمْثَالِ جِبَالٍ تَهَامَةٌ؛ هَذَا وَلِيُّ اللَّهِ فِي الْعَلَانِيَةِ، فَهَذَا عَمَلٌ صَالِحٌ عَظِيمٌ.

«بَيْضَاءٌ»: فِي وَصْفِ الْأَعْمَالِ، كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؛ وَهُوَ عَدُوٌّ لِلَّهِ فِي السِّرِّ، «لَا تَكُنْ وَلِيًّا لِلَّهِ فِي الْعَلَانِيَةِ، عَدُوًّا لِلَّهِ فِي السِّرِّ».
 «أَوْلَيْتَكَ قَوْمٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللَّهِ انْتَهَكُوهَا».

إِنَّ الصِّيَامَ يُورِثُ التَّقْوَى، وَمُرَاقَبَةَ اللَّهِ تَعَالَى، وَصَلَاحَ الْقُلُوبِ.

قَالَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ أَبِي رَوَّادٍ: «أَدْرَكْتُهُمْ يَجْتَهِدُونَ فِي الْعَمَلِ الصَّالِحِ، فَإِذَا فَعَلُوهُ؛ وَقَعَ عَلَيْهِمُ الْهَمُّ -لِمَ وَقَدْ عَمِلُوا صَالِحًا؟! بَلْ عَمِلُوا صَالِحًا اجْتَهِدُوا فِي عَمَلِهِ-، يَقُولُ: أَدْرَكْتُهُمْ يَجْتَهِدُونَ فِي الْعَمَلِ الصَّالِحِ، فَإِذَا

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الإخلاص» ضمن موسوعة ابن أبي الدنيا الحديثية: ٤٢/١، رقم (٢٦)، والفريابي في «صفة النفاق»: ص ١٢٥، رقم (٨٥)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء»: ٢٢٨/٥، ترجمة (٣١٩)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق»: ٤٨٨/١٠، ترجمة (٩٧٥)، بإسناد صحيح.

فَعَلُوهُ؛ وَقَعَ عَلَيْهِمُ الِهْمُّ؛ أَيْ قَبِلَ مِنْهُمْ أَمْ لَا؟!!» (١).

فَلَيْسَتْ الْعِبْرَةُ بِكَثْرَةِ الْعَمَلِ؛ وَإِنَّمَا الْعِبْرَةُ كُلُّ الْعِبْرَةِ فِي تَصْنِيفِ الْعَمَلِ مِنْ شَوَائِبِهِ، مِمَّا يُحِبُّهُ.

لَيْسَتْ الْعِبْرَةُ بِالْعَمَلِ، وَإِنَّمَا الْعِبْرَةُ بِتَصْنِيفِ الْعَمَلِ مِنَ الشَّوَائِبِ.

مَنْ شَابَ شَيْبَ لَهُ، وَمَنْ كَدَّرَ كُدَّرَ عَلَيْهِ، وَمَنْ صَفَّى صُفِّيَ لَهُ، فَأَخْلَصَ؛ إِنَّمَا يَتَعَثَّرُ مَنْ لَمْ يُخْلِصْ.

قَالَ عَلِيُّ رضي الله عنه: «كُونُوا لِقَبُولِ الْعَمَلِ أَشَدَّ اهْتِمَامًا مِنْكُمْ بِالْعَمَلِ، أَلَمْ تَسْمَعُوا اللَّهَ عز وجل يَقُولُ: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧]» (٢).

وَكَمَا فِي الْحَدِيثِ الَّذِي أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهَ فِي «سُنَنِهِ»: لَمَّا سَمِعَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها قَوْلَ اللَّهِ عز وجل جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٠].

فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَوْلَيْكَ الْعُصَاةُ السَّرَقَةُ الزُّنَاةُ! يَفْعَلُونَ وَيَفْعَلُونَ؟

قَالَ: «لَا يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ؛ بَلْ هُوَ الرَّجُلُ يَصُومُ، وَيُصَلِّي، وَيَتَصَدَّقُ، وَيَفْعَلُ الْخَيْرَ، وَيَخْشَى أَلَّا يُقْبَلَ مِنْهُ» (٣).

(١) ذكره ابن رجب في «لطائف المعارف»: ص ٣٧٦.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الإخلاص» ضمن موسوعة ابن أبي الدنيا الحديثية: ٣٩ / ١، رقم (١٠)، بإسناد صحيح.

(٣) أخرجه الترمذي في «الجامع»: ٥ / ٣٢٧ و ٣٢٨، رقم (٣١٧٥)، وابن ماجه في «السنن»: ١٤٠٤ / ٢، رقم (٤١٩٨).

مَنْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُحَدِّدَ دَوَافِعَهُ؟!!!

مَنْ يُمَكِّنُهُ أَنْ يَجْزِمَ بِصِدْقِ نِيَّتِهِ؟!!!

وَذَلِكَ أَمْرٌ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ؛ لِذَلِكَ يَقُولُ عَلِيُّ رضي الله عنه: «كُونُوا لِقَبُولِ الْعَمَلِ
أَشَدَّ اهْتِمَامًا مِنْكُمْ بِالْعَمَلِ، أَلَمْ تَسْمَعُوا اللَّهَ عز وجل يَقُولُ: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ
الْمُنْقِيَنَ﴾ [المائدة: ٢٧]. (*) .



=

والحديث صححه بشواهده الألباني في «الصححة»: ٣٠٤ / ١، رقم (١٦٢).
(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ حُطْبَةِ: «الصَّائِمُونَ الْمُفْلِسُونَ» - الْجُمُعَةَ ١٩ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٢ هـ /

٢٠١١ / ٨ / ١٩ م.

تَحْقِيقُ مَقْصُودِ الصِّيَامِ وَهُوَ التَّقْوَى

فَلنَحَقِّقْ - بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ وَحَوْلِهِ تَعَالَى وَقُوَّتِهِ - مَقْصُودَ الصِّيَامِ، وَهُوَ تَحْصِيلُ التَّقْوَى بِإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ ﷻ، بِصَرْفِ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ وَحْدَهُ، بِفِعْلِ الْمَأْمُورَاتِ، وَتَرْكِ الْمَنْهِيَّاتِ وَالْمَحْظُورَاتِ وَالْمُحَرَّمَاتِ، فَهَذِهِ هِيَ التَّقْوَى، وَهَذَا مَقْصُودُ الصِّيَامِ الْأَعْظَمُ؛ فَلنَحَقِّقْ هَذَا.

أَلَا إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لَنَا أَبَدًا، وَلَا يَجْمَلُ بِنَا أَنْ نَكُونَ كَالَّذِي وَصَفَهُ الرَّسُولُ ﷺ: لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلَّا الْجُوعُ وَالْعَطَشُ، وَلَيْسَ لَهُ مِنْ قِيَامِهِ إِلَّا النَّصَبُ وَالسَّهَرُ. لَيْسَ الصِّيَامُ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، إِنَّمَا الصِّيَامُ مِنَ اللَّغْوِ وَالرَّفَثِ، إِنَّمَا الصِّيَامُ فِي الْبُعْدِ عَنِ الْمُحَرَّمَاتِ، وَفِي الْإِقْبَالِ عَلَيَّ مَا أَمَرَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِهِ، وَأَنْزَلَهُ وَحِيًّا عَلَيَّ سَيِّدِ الْبَشَرِ ﷺ.

نَسْأَلُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ أَنْ يُعِينَنَا عَلَى صِيَامِ رَمَضَانَ وَقِيَامِهِ عَلَى النَّحْوِ الَّذِي يُرْضِيهِ، وَهُوَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْجَوَادُّ الْكَرِيمُ، وَالْبَرُّ الرَّحِيمُ. (*)



(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «دَعْوَةُ الْإِخْوَانِ لِلتَّوْبَةِ فِي رَمَضَانَ» - الْجُمُعَةُ ٢٥ مِنْ شَعْبَانَ

١٤٣٦هـ / ١٢-٦-٢٠١٥م.

رَمَضانُ.. كَيْفَ نَحْيَاهُ؟

كَيْفَ نَحْيَا رَمَضانَ، وَنُحْيِيهِ؟

إِنَّ العَبْدَ الصَّالِحَ يَسْتَقْبِلُهُ بِالتَّوْبَةِ النَّصُوحِ وَيَدُومُ عَلَيْهَا، وَبِعَزِيمَةٍ صَادِقَةٍ يَدُومُ عَلَيْهَا؛ عَلَى أَنْ يَغْتَنِمَهُ، وَأَلَّا يُضَيِّعَ مِنْهُ شَيْئًا.

وَعَلَى الإِنْسَانِ أَنْ يَجْتَهِدَ فِي شَغْلِ الأَوْقَاتِ بِالأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ؛ لِأَنَّهُ لَا يَدْرِي أَيُّدُورُ العَامُ دَوْرَتَهُ حَتَّى يَكُونَ مِنْ أَهْلِ الصَّيَامِ مِنْ قَابِلٍ، أَمْ يَكُونُ مُعْيِيًا تَحْتَ طَبَقَاتِ التُّرابِ؟

إِنَّ الأَعْمَالَ الَّتِي تُعْمَلُ فِي رَمَضانَ مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ الرَّحِيمِ الرَّحْمَنِ كَثِيرَةٌ:

١- الصَّيَامُ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ صَامَ رَمَضانَ إِيمانًا وَاحْتِسَابًا؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ». وَالحَدِيثُ فِي «الصَّحِيحَيْنِ».

الصَّيَامُ صِيَامٌ عَنِ الطَّعَامِ وَعَنِ الحَرَامِ، وَهُوَ مِنْ بَابِ أَوْلَى: أَنْ يَصُومَ عَنِ الزُّورِ وَالبُهْتانِ، وَالعِيَةِ وَالنَّمِيمَةِ، وَأَلَّا يَجْعَلَ يَوْمَ صَوْمِهِ وَيَوْمَ فِطْرِهِ سَوَاءً، وَأَلَّا يَكُونَ حَظُّهُ مِنْ صِيَامِهِ الجُوعَ وَالعَطَشَ.

فَالصَّيَامُ أَكْبَرُ الأَعْمَالِ فِي شَهْرِ رَمَضانَ.

٢- الْقِيَامُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ».

٣- الصَّدَقَةُ: مِمَّا هُوَ مِنْ أَعْمَالِ هَذَا الشَّهْرِ، وَمِمَّا يَتَأَكَّدُ فِيهِ: الصَّدَقَةُ وَالْجُودُ بِالْمَوْجُودِ؛ فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ بِالْخَيْرِ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ».

رَغَبَ النَّبِيُّ ﷺ فِي تَفْطِيرِ الصَّائِمِ، وَإِطْعَامِ الطَّعَامِ، وَسَقْيِ الْمَاءِ:
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ فَطَرَ صَائِمًا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ الصَّائِمِ شَيْئًا».

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: أَيُّ الْإِسْلَامِ خَيْرٌ؟

قَالَ: «تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ».

وَعَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟

قَالَ: «إِدْخَالُكَ الشَّرُورَ عَلَى مُؤْمِنٍ، أَشْبَعْتَهُ مِنْ جُوعٍ، كَسَوْتَهُ مِنْ عُرْيٍ، قَضَيْتَ لَهُ حَاجَةً، أَعْنَتَهُ، فَرَجَّتَ لَهُ كَرْبًا بِإِذْنِ رَبِّهِ». رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْأَوْسَطِ» بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فِي كُلِّ ذَاتِ كَبِدٍ حَرْمَى أَجْرٌ». رَوَاهُ أَحْمَدُ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

سَقْيِ الْمَاءِ؛ حَتَّى وَلَوْ لِلْكِالِبِ؛ حَتَّى وَلَوْ كَانَ لِلْكَئْبِ الضَّالِّ؛ فِيهِ أَجْرٌ عِنْدَ

الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِ.

يَخْفِرُ الْمُسْلِمُ بَثْرًا، يَجْعَلُ لِلنَّاسِ صُنْبُورًا فِي سَبِيلِ، يَبْدُلُ الْمَاءَ لِابْنِ السَّبِيلِ
وَالْعَطْشَانَ.

وَتَلَوْتُ الْمِيَاهِ شَائِعٌ ذَائِعٌ لَا يَخْفَى، وَتَدَبُّ بِسَبَبِهِ أَمْرًا صُ تَفْتِكُ بِالْأَجْسَادِ
وَتَفْرِيهَا فَرِيًّا، فَمَنْ شَارَكَ أَوْ صَنَعَ لَهُمْ صَنِيعًا؛ لِيَكُونَ مَاؤُهُ بَعِيدًا عَنْ هَذَا التَّلَوْتِ؛
فَهُوَ دَاخِلٌ فِي الْحَدِيثِ، وَقَدْ أَتَى بِأَعْظَمِ مَا يُمَكِّنُ أَنْ يَتَقَرَّبَ بِهِ عَبْدٌ إِلَى اللَّهِ.

٤- قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ: مِنْ أَعْمَالِ هَذَا الشَّهْرِ: الاجْتِهَادُ فِي قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ.

كَانَ جَبْرِيلُ يُدَارِسُ النَّبِيَّ ﷺ الْقُرْآنَ فِي رَمَضَانَ.

وَكَانَ السَّلَفُ يَتَوَفَّرُونَ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ فِي رَمَضَانَ.

٥- الْجُلُوسُ فِي الْمَسْجِدِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ: مِمَّا يُؤْتَى بِهِ فِي شَهْرِ
رَمَضَانَ، وَكَذَلِكَ فِي سَائِرِ الْعَامِ: الْجُلُوسُ فِي الْمَسْجِدِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ.

أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ -بِحَدِيثٍ حَسَنٍ لِغَيْرِهِ بِشَوَاهِدِهِ- عَنْ أَنَسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ
ﷺ قَالَ: «مَنْ صَلَّى الْفَجْرَ فِي جَمَاعَةٍ، ثُمَّ قَعَدَ يَذْكُرُ اللَّهَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ،
ثُمَّ صَلَّى رَكَعَتَيْنِ؛ كَانَتْ لَهُ كَأَجْرِ حَجَّةٍ وَعُمْرَةٍ تَامَّةٍ تَامَّةٍ».

فَهَذَا فِي كُلِّ الْيَوْمِ؛ فَكَيْفَ فِي رَمَضَانَ!!

٦- الْإِعْتِكَافُ: مِمَّا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ: الْإِعْتِكَافُ؛

فَ «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَعْتَكِفُ فِي كُلِّ رَمَضَانَ عَشْرَةَ أَيَّامٍ، فَلَمَّا كَانَ الْعَامَ الَّذِي قُبِضَ
فِيهِ؛ اعْتَكَفَ عِشْرِينَ يَوْمًا».

وَالِإِعْتِكَافُ مِنَ الْعِبَادَاتِ الَّتِي تَجْمَعُ كَثِيرًا مِنَ الطَّاعَاتِ؛ مِنَ التَّلَاوَةِ
وَالصَّلَاةِ وَالذِّكْرِ وَغَيْرِهَا، وَآكَدُ الْإِعْتِكَافِ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ؛ تَحْرِيًّا لِلَيْلَةِ الْقَدْرِ.
وَالِإِعْتِكَافُ هُوَ الْخُلُوعُ الْمَشْرُوعَةُ، يَفْعَلُهُ الْمَرْءُ فَيَخْلُو بِنَفْسِهِ بَعِيدًا عَنِ
النَّاسِ؛ مِنْ أَهْلِ وَصَاحِبِ وَوَلَدٍ، وَيُقْبَلُ عَلَى اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.
وَالْمُعْتَكِفُ يَحْبِسُ نَفْسَهُ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَذِكْرِهِ، وَيَقْطَعُ نَفْسَهُ عَنِ كُلِّ شَاغِلٍ
يَشْغَلُهُ عَنِ رَبِّهِ.

٧- الْعُمْرَةُ: الْعُمْرَةُ فِي رَمَضَانَ؛ قَالَ فِيهَا الرَّسُولُ ﷺ: «عُمْرَةٌ فِي رَمَضَانَ
كَحَجَّةٍ مَعِي».

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأُمَّ سِنَانٍ: «إِذَا جَاءَ رَمَضَانُ فَاغْتَمِرِي، فَإِنَّ عُمْرَةً فِيهِ تَعْدِلُ
حَجَّةً - أَوْ قَالَ - حَجَّةً مَعِي».

الْعُمْرَةُ فِي رَمَضَانَ كَحَجَّةٍ فِي الْأَجْرِ مَعَ النَّبِيِّ الْعَدْنَانِ ﷺ (*).



(* مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصِرًا مِنْ خُطْبَتِهِ: «رَمَضَانَ كَيْفَ نَحْيَاهُ؟»: الْجُمُعَةُ ١٥ مِنْ رَمَضَانَ

اشْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ أَنْ أَدْرَكْتُمْ هَذَا الشَّهْرَ الْمُبَارَكَ

أَيُّهَا الْمُسْلِمُ؛ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَيْكَ بِإِدْرَاكِ هَذَا الشَّهْرِ، فَيَنْبَغِي عَلَيْكَ أَنْ تَقِفَ طَوِيلًا مُتَمَّلاً، وَأَنْ تَخْشَعَ مَلِيًّا عِنْدَ هَذَا الشَّهْرِ بِمَا يُفِيضُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فِيهِ مِنَ الرَّحِمَاتِ.

تَذَكَّرْ أَصْلَ الْخَلْقِ وَسَبَبَ الْوُجُودِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا قَالَ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَهَذَا تَصْرِيحٌ بِأَنَّهُمْ خُلِقُوا لِلْعِبَادَةِ، فَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْإِعْتِنَاءُ بِمَا خُلِقُوا لَهُ، وَالْإِعْرَاضُ عَنْ حُظُوظِ الدُّنْيَا بِالزَّهَادَةِ؛ فَإِنَّهَا دَارُ نَفَادٍ لَا مَحَلَّ لِإِخْلَادٍ، وَمَرْكَبُ عُبُورٍ، لَا مَنْزِلَ حُبُورٍ، وَمَشْرَعُ انْفِصَامٍ، لَا مَوْطِنَ دَوَامٍ» (١).

فَتَفَكَّرْ فِي عِظَمِ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْكَ؛ ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: ٣٣].

وَأَجَلُ تِلْكَ النِّعَمِ وَأَعْظَمُهَا: نِعْمَةُ الْإِسْلَامِ؛ فَكَمْ يَعِيشُ عَلَى هَذِهِ الْأَرْضِ

(١) «رياض الصالحين»: ص ٢٧.

مِنْ أُمَّ حُرَيْمٍ الشَّهَادَةَ؛ شَهَادَةَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ؟!

وَهَذَا فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ، ثُمَّ أَحْمَدُ اللَّهِ ﷻ عَلَى نِعْمَةِ الْهِدَايَةِ
وَالْتَوْفِيقِ؛ فَكَمْ مِمَّنْ يَنْتَسِبُ إِلَى الْإِسْلَامِ وَهُمْ مُخَالِفُونَ لِتَعَالِيمِهِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا
مُفَرِّطُونَ فِي الْوَاجِبَاتِ، غَارِقُونَ فِي الْمَعَاصِي وَالْآثَامِ وَاللَّذَاتِ!! وَأَنْتَ
تَتَقَلَّبُ فِي نِعَمِ اللَّهِ ﷻ، مِنْ سَعَةِ فِي الرِّزْقِ، وَصِحَّةِ فِي الْبَدَنِ؛ فَعَلَيْكَ وَاجِبُ
الشُّكْرِ بِالْقَوْلِ وَالْعَمَلِ.

وَأَعْظَمُ أَنْوَاعِ الشُّكْرِ: طَاعَةُ اللَّهِ ﷻ، وَاجْتِنَابُ نَوَاهِيهِ؛ فَإِنَّ النِّعَمَ تَدُومُ
بِالشُّكْرِ، كَمَا قَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿لَنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧].

وَمِنْ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيْكَ: أَنْ مَدَّ فِي عُمْرِكَ، وَجَعَلَكَ تُدْرِكُ هَذَا الشَّهْرَ الْعَظِيمَ؛
فَكَمْ غَيْبَ الْمَوْتِ مِنْ صَاحِبٍ، وَوَارَى الثَّرَى مِنْ حَبِيبٍ!

فَإِنَّ طَوْلَ الْعُمُرِ وَالْبَقَاءَ عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ فُرْصَةٌ لِلتَّزَوُّدِ مِنَ الطَّاعَاتِ،
وَالتَّقَرُّبِ إِلَى اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ.

فَرَأْسُ مَالِ الْمُسْلِمِ عُمُرُهُ.

لِذَا احْرِصْ عَلَى أَوْقَاتِكَ وَسَاعَاتِكَ؛ حَتَّى لَا تَضِيعَ سُدْيَ، وَتَذَكَّرَ مَنْ صَامَ
مَعَنَا الْعَامَ الْمَاضِي وَصَلَّى الْعِيدَ!! ثُمَّ أَيْنَ هُوَ الْآنَ بَعْدَ أَنْ غِيَبَهُ الْمَوْتُ؟!

وَاجْعَلْ لَكَ نَصِيبًا مِنْ حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ:
حَيَاتِكَ قَبْلَ مَوْتِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَشَبَابَكَ قَبْلَ

هِرْمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ» (١). أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ.

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ. (*)



(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «قصر الأمل» ضمن موسوعة ابن أبي الدنيا الحديثية: ٥٨/٥، رقم (١١١)، والحاكم في «المستدرک»: ٣٠٦/٤، رقم (٧٨٤٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان»: ٤٧٦/١٢ رقم (٩٧٦٧)، من حديث: ابن عباسٍ رضي الله عنهما. قال الحاكم: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ»، والحديث صححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»: ٣١١/٣، رقم (٣٣٥٥)، وروى عَنْ عَمْرٍو بْنِ مَيْمُونٍ الْأَوْدِيِّ مرسلا، بمثله، وانظر: «شعب الإيمان»: ٤٧٦/١٢-٤٧٨.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «تَطْهِيرُ الْقَلْبِ فِي رَمَضَانَ» - الْجُمُعَةُ ٢ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٦ هـ -

رَمَضَانُ

شَهْرُ الْمَرَاقِبَةِ الذَّاتِيَّةِ
وَصِنَاعَةِ الضَّمِيرِ الْحَيِّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا
وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا
إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل

عمران: ١٠٢].

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا
رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ۖ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾

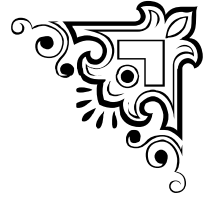
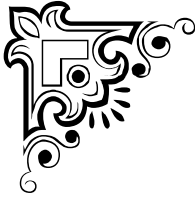
[النساء: ١].

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ
وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

• أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ،
وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ
ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

• أَمَّا بَعْدُ:



اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ

فَاللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ عِلْمُهُ مُحِيطٌ بِجَمِيعِ الْأَشْيَاءِ، دَقِيقَهَا وَجَلِيلَهَا، خَفِيَّهَا
وَوَظَاهِرَهَا، فَسَوَاءٌ جَهَرْتَ بِقَوْلِكَ أَوْ أَسْرَرْتَهُ؛ فَالْكُلُّ سَوَاءٌ بِالنِّسْبَةِ لِعِلْمِهِ تَعَالَى،
قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُوٌّ
حَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٣٥].

وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي خَلَجَاتِ قُلُوبِكُمْ وَخَطَرَاتِ نَفُوسِكُمْ، فَخَافُوهُ،
وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ كَثِيرُ السِّرِّ لِمَنْ تَابَ مِنْ ذُنُوبِهِ، حَلِيمٌ لَا يُعَجِّلُ بِالْعُقُوبَةِ عَلَى مَنْ
جَاهَرَ بِالْمَعْصِيَةِ، بَلْ يَسْتُرْ عَلَيْهِ. (*)

وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى
الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا
كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤].

هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ، ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى
الْعَرْشِ اسْتِوَاءً يَلِيقُ بِجَلَالِهِ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةٍ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَى مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» [البقرة: ٢٣٥].

يَعْلَمُ مَا يَدْخُلُ فِي الأَرْضِ مِنَ المِياهِ، والأَحْياءِ الكُبْرَى والصُّغْرَى، حَتَّى البِكْتِريَّاتِ وَمَا هُوَ أَصغَرُ مِنْها، وَيَشْمَلُ الأَشعَّةَ وَالحرارةَ حَتَّى أَصغَرَ جُزءِ مِنْها، وَيَشْمَلُ القُوَى المُخْتَلِفَةَ؛ وَمِنْها الجاذبيَّةُ حَتَّى أَقلَّ مِقْدارٍ مِنْها، وَمَا يَخْرُجُ مِنَ الأَرْضِ؛ مِنَ الشَّجَرِ، وَالنَّبَاتِ، وَالعيونِ، وَالْمَعادِنِ، وَالأمواتِ إِذا بُعِثُوا.

وَيَعْلَمُ سُبْحانَهُ ما يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنَ المَطَرِ وَالتَّلجِ، وَالبَرَدِ وَالشُّهْبِ، وَأشعَّةِ الشَّمسِ، وَالأنوارِ، وَأَنْواعِ البَرَكاتِ، وَالْملائِكَةِ.

وَيَعْلَمُ كُلَّ ما يَعْجُرُ فِي السَّمَاءِ صاعِداً مِنَ الأَرْضِ، أَوْ مِنْ إِحدَى السَّمواتِ إِلى ما فَوْقَها، إِلى آخِرِ بُعْدٍ مِنَ أَبْعادِ السَّمواتِ؛ مِنَ المَلائِكَةِ وَالأرواحِ وَالدُّعائِ وَأَعْمالِ العِبادِ.

وَهُوَ سُبْحانَهُ مَعَكُمْ بِعِلْمِهِ وَقُدْرَتِهِ أَيَنما كُنْتُمْ، وَاللهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ، فَيُجازِيكُمُ عَلَي حَسَبِ أَعْمالِكُمْ. (*)

وَقَالَ تَعالَى: ﴿يَعْلَمُ حَافِيَةَ الأَعينِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩].

يَعْلَمُ اللهُ سُبْحانَهُ مُسارِقَةَ الأَعينِ لِلنَّظَرِ إِلى ما لا يَحِلُّ، وَيَعْلَمُ مُضْمَراتِ القُلُوبِ مِمَّا لا يُظهِرُهُ أَصحابُها؛ مِنَ الكُفْرِ الَّذِي يُخْفِيهِ المُنافِقُونَ، وَمِنَ الرِّياءِ وَالكَراهِيةِ وَالْحُبِّ، وَمِنَ النِّيَّاتِ وَالإِراداتِ وَالرَّغباتِ، فَيَجْزِي كُلَّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ (*) (٢).



(*) ما مرَّ ذِكرُهُ مِنْ سِلسِلَةِ: «القِراءَةُ وَالتَّعْلِيْقُ عَلَي مُختَصِرِ تَفْسيرِ القُرْآنِ» [الحديد: ٤].

(*) (٢) ما مرَّ ذِكرُهُ مِنْ سِلسِلَةِ: «القِراءَةُ وَالتَّعْلِيْقُ عَلَي مُختَصِرِ تَفْسيرِ القُرْآنِ» [غافر: ١٩].

مَقَامُ الْمُرَاقَبَةِ وَالْإِحْسَانِ

عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لَا يَرَى عَلَيْهِ أَثَرَ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخْذَيْهِ (١)، وَسَأَلَ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ الْإِسْلَامِ، وَالْإِيمَانِ، وَالْإِحْسَانِ.

قَالَ جَبْرِيلُ: فَأَخْبَرَنِي عَنِ الْإِحْسَانِ، قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ» (٢).

الْإِحْسَانُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي تَفْسِيرِهِ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ».

(١) أَي: وَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخْذَيْ نَفْسِهِ، وَجَلَسَ عَلَى هَيْئَةِ الْمُتَعَلِّمِ، انظر: شرح النووي على «صحيح مسلم»: ١٥٧/١.

(٢) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «الصَّحِيحِ»: ٣٦/١ - ٣٨، رَقْمَ (٨)، مِنْ حَدِيثِ: ابْنِ عُمَرَ، عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَحَدِيثِ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، رَوَى أَيْضًا فِي «الصَّحِيحِينَ» مِنْ رِوَايَةِ: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بِنَحْوِ رِوَايَةِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَيَأْتِي -إِنْ شَاءَ اللَّهُ-.

يُشِيرُ إِلى أَنَّ العَبْدَ يَعْْبُدُ اللهَ تَعَالَى عَلى هَذِهِ الصِّفَةِ، وَهُوَ اسْتِحْضارُ قُرْبِهِ، وَأَنَّهُ بَيْنَ يَدَيْهِ كَأَنَّهُ يَرَاهُ، وَذَلِكَ يُوْجِبُ الخَشْيَةَ وَالخَوْفَ، وَالهِيبَةَ وَالتَّعْظِيمَ.

كَمَا جَاءَ فِي رِوَايَةِ (١) أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه - وَهِيَ عِنْدَ مُسْلِمٍ -: «أَنَّ تَخَشْيَةَ اللهِ كَأَنَّكَ تَرَاهُ».

وَيُوْجِبُ - أَيْضًا - النُّصْحَ فِي العِبَادَةِ، وَيُوْجِبُ بَذْلَ الجُهْدِ فِي تَحْسِينِهَا، وَإِتْمَامِهَا، وَإِكْمَالِهَا.

وَقَوْلُهُ رضي الله عنه: «فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»: قِيلَ إِنَّهُ تَعْلِيلٌ لِلأَوَّلِ؛ فَإِنَّ العَبْدَ إِذَا أَمَرَ بِمُرَاقَبَةِ اللهِ فِي العِبَادَةِ، وَاسْتِحْضارِ قُرْبِهِ مِنْ عِبْدِهِ حَتَّى كَأَنَّ العَبْدَ يَرَاهُ؛ فَإِنَّهُ قَدْ يَشُقُّ ذَلِكَ عَلَيْهِ، فَيَسْتَعِينُ عَلى ذَلِكَ بِإِيْمَانِهِ بِأَنَّ اللهَ يَرَاهُ، وَيَطَّلِعُ عَلى سِرِّهِ وَعَلائِقِيَّتِهِ، وَبَاطِنِهِ وَظَاهِرِهِ، وَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِهِ.

فَإِذَا حَقَّقَ هَذَا المَقَامَ؛ سَهَّلَ عَلَيْهِ الاِنْتِقَالَ إِلى المَقَامِ الثَّانِي، وَهُوَ: دَوَامُ التَّحْدِيقِ بِالبَصِيرَةِ إِلى قُرْبِ اللهِ مِنْ عِبْدِهِ، وَمَعِيَّتِهِ حَتَّى كَأَنَّهُ يَرَاهُ.

وَقِيلَ: بَلْ هُوَ إِشَارَةٌ إِلى أَنَّ مَنْ شَقَّ عَلَيْهِ أَنْ يَعْْبُدَ اللهَ كَأَنَّهُ يَرَاهُ، فَلْيَعْْبُدِ اللهَ عَلى أَنَّ اللهَ يَرَاهُ وَيَطَّلِعُ عَلَيْهِ، فَلْيَسْتَحْ مِنْ نَظَرِهِ إِلَيْهِ، كَمَا قَالَ بَعْضُ أَهْلِ اليَقِينِ:

(١) «صحيح مسلم»: ٤٠ / ١، رقم (١٠).

والحديث في «الصحيحين»: «صحيح البخاري»: ١ / ١١٥، رقم (٥٠)، و«صحيح مسلم»:

٣٩ / ١، رقم (٩)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، بلفظ: «أَنَّ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ...».

«اتَّقِ اللَّهَ أَنْ يَكُونَ أَهْوَنَ النَّاطِرِينَ إِلَيْكَ» (١).

وَهِيَ كَلِمَةٌ صَادِعَةٌ، تَصَدَعُ الْقَلْبَ وَتُقْتَتُّهُ.

«اتَّقِ اللَّهَ أَنْ يَكُونَ أَهْوَنَ النَّاطِرِينَ إِلَيْكَ»: يَعْنِي يَتَحَرَّزُ الْمَرْءُ مِنَ الْمَعَاصِي بِنَظَرِ النَّاطِرِينَ إِلَيْهِ، وَإِذَا خَلَا فَعَلَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَيَجْعَلُ اللَّهُ أَهْوَنَ النَّاطِرِينَ إِلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ لَوْ نَزَلَ نَظَرَ اللَّهِ إِلَيْهِ مِنْزِلَةَ نَظَرِ الْمَخْلُوقِينَ إِلَيْهِ؛ لَتَحَرَّزَ مِنَ الْمَعْصِيَةِ فِي الْخَلْوَةِ كَمَا تَحَرَّزَ مِنَ الْمَعْصِيَةِ فِي الْجَلْوَةِ.

وَلَكِنْ يَتَحَرَّزُ مِنَ الْمَعْصِيَةِ فِي الْجَلْوَةِ وَيَجْتَرِئُ عَلَيْهَا فِي الْخَلْوَةِ، فَهَذَا مَعْنَاهُ أَنَّهُ جَعَلَ اللَّهُ أَهْوَنَ النَّاطِرِينَ إِلَيْهِ، وَلَمْ يُبَالِ بِنَظَرِ اللَّهِ إِلَيْهِ!!

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: «خَفِ اللَّهَ عَلَى قَدْرِ قُدْرَتِهِ عَلَيْكَ، وَاسْتَحِ مِنَ اللَّهِ عَلَى قَدْرِ قُرْبِهِ مِنْكَ» (٢).

(١) أخرج أبو نعيم في «حلية الأولياء»: ١٤٢ / ٨، ترجمة وهيب بن الورد (٣٩٦)، بإسناد صحيح، عن أبي أيوب مولى بني هاشم، قال: قال رجل لو هيب بن الورد: عطني، قال: «اتَّقِ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ أَهْوَنَ النَّاطِرِينَ إِلَيْكَ».

(٢) أخرجه ابن أبي خيثمة في «التاريخ الكبير»: ٢٤٥ / ١، رقم (٨٢٩) السفر الثالث)، وابن أبي الدنيا في «الهواتف» ضمن موسوعة ابن أبي الدنيا الحديثية: ٣٩٦ / ٦، رقم (٢٢)، والمروزي في «تعظيم قدر الصلاة»: ٨٣٥ / ٢، رقم (٨٣٩ و ٨٤٠)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء»: ١٤٠ / ٨، ترجمة (٣٩٦)، بإسناد صحيح، عن وهيب بن الورد، قال: «بَيْنَمَا أَنَا فِي السُّوقِ، إِذْ أَخَذَ أَحَدٌ بِقَفَايَ فَقَالَ: يَا وَهَيْبُ، خَفِ اللَّهَ عَلَى قُدْرَتِهِ عَلَيْكَ وَاسْتَحِ مِنَ اللَّهِ فِي قُرْبِهِ مِنْكَ، فَالْتَفْتُ فَلَمْ أَرِ أَحَدًا».

وَهَذَا هُوَ حَقِيقَةُ مَقَامِ الْإِحْسَانِ الْمُشَارِ إِلَيْهِ فِي حَدِيثِ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَيَتَفَاوَتُ أَهْلُ هَذَا الْمَقَامِ فِيهِ - يَعْنِي مَقَامَ الْإِحْسَانِ - بِحَسَبِ قُوَّةِ نُفُوزِ

الْبَصَائِرِ. (*)



(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ: «شَرْحُ الْأَرْبَعِينَ النَّوَوِيَّةِ» - الْحَدِيثُ الثَّانِي: الْإِسْلَامُ وَالْإِيمَانُ وَالْإِحْسَانُ.

رَمَضَانُ

شَهْرُ التَّرْبِيَةِ عَلَى الْمُرَاقَبَةِ الذَّاتِيَّةِ وَرِعَايَةِ الضَّمِيرِ

عِبَادَ اللَّهِ! إِنَّ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ جَعَلَ فِي هَذَا الصِّيَامِ سِرًّا لَطِيفًا جَدًّا؛ إِذْ هُوَ الْمَعَامَلَةُ الْحَقَّةُ بَيْنَ الْعَبْدِ وَرَبِّهِ؛ وَلِذَلِكَ فَهُوَ عِبَادَةٌ بَدَنِيَّةٌ مَحْضَةٌ، لَيْسَ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ سِوَى ذَلِكَ، وَمَا هِيَ فِي الْمُنْتَهَى إِلَّا كَفٌّ بِنِيَّةٍ، وَامْتِنَاعٌ عَنِ تَلَذُّذِ بِشَهْوَةِ وَقَاعٍ أَوْ شَهْوَةِ طَعَامٍ وَشَرَابٍ، مَعَ إِمْسَاكِ لِلْجَوَارِحِ عَنِ الْوُلُوغِ فِيمَا يَسُوءُ.

ثُمَّ إِقْبَالَ عَلَى اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ عَابِدٍ مُخْبِتٍ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. (*)
«فَالصَّوْمُ هُوَ لِحَامُ الْمُتَّقِينَ، وَجَنَّةُ الْمُحَارِبِينَ، وَرِيَاضَةُ الْأَبْرَارِ الْمُقْرَبِينَ، وَهُوَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الْأَعْمَالِ، فَإِنَّ الصَّائِمَ لَا يَفْعَلُ شَيْئًا وَإِنَّمَا يَتْرُكُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ وَشَرَابَهُ؛ مِنْ أَجْلِ مَعْبُودِهِ.

فَهُوَ تَرَكُ مَحْبُوبَاتِ النَّفْسِ وَتَلَذُّذَاتِهَا؛ إِثَارًا لِمَحَبَّةِ اللَّهِ وَمَرْضَاتِهِ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «الِاسْتِعْدَادُ لِرَمَضَانَ» - الْجُمُعَةُ ١٩ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٢٦ هـ / ٢٣ -

وَالصَّيَامُ سِرٌّ بَيْنَ العَبْدِ وَرَبِّهِ، لَا يَطَّلِعُ عَلَيْهِ سِوَاهُ، وَالعِبَادُ قَدْ يَطَّلِعُونَ مِنْهُ عَلَى تَرْكِ المُفْطِرَاتِ الظَّاهِرَةِ، وَأَمَّا كَوْنُهُ تَرَكَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ وَشَهْوَتَهُ مِنْ أَجْلِ مَعْبُودِهِ وَمَوْلَاهُ؛ فَهُوَ أَمْرٌ لَا يَطَّلِعُ عَلَيْهِ بَشَرٌ، وَذَلِكَ حَقِيقَةُ الصَّوْمِ» (١). (*) .



(١) «زاد المعاد»: ٢٧/٢ و ٢٨ .

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «الإِسْتِعْدَادُ لِرَمَضانَ» - الجُمُعَةُ ١٩ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٢٦ هـ / ٢٣ -

ضُرُورَةُ مَرَاقِبَةِ السَّرِّ وَرِعَايَةِ الضَّمِيرِ

فِي حَدِيثِ مُسْلِمٍ الَّذِي رَوَاهُ بِسَنَدِهِ عَنْ حَنْظَلَةَ الْأُسَيْدِيِّ رضي الله عنه دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّهُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يُرَاقِبَ السَّرَّ، وَأَنْ يَلْتَفِتَ إِلَى مَرَاقِبَةِ الْبَاطِنِ، وَأَنْ يَكُونَ حَذِرًا. فَعَنْ حَنْظَلَةَ الْأُسَيْدِيِّ رضي الله عنه قَالَ: لَقِينِي أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه؛ فَقَالَ: «كَيْفَ أَنْتَ يَا حَنْظَلَةُ؟».

فَقُلْتُ: «نَافِقَ حَنْظَلَةُ»؛ أَي: قَارِبَ أَوْ شَارَفَ النِّفَاقِ، وَلَمْ يُنَافِقْ فِي حَقِيقَةِ الْأَمْرِ.

فَقَالَ: «سُبْحَانَ اللَّهِ!! مَا تَقُولُ؟!!!».

فَقَالَ قُلْتُ: «إِنَّا نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله وسلامته عليه يُحَدِّثُنَا عَنِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ كَأَنَّا رَأَيْ عَيْنٍ؛ فَإِذَا انْصَرَفْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله وسلامته عليه عَافَسْنَا الْأَوْلَادَ، وَالْأَزْوَاجَ، وَالضَّيِّعَاتِ؛ نَسِينَا كَثِيرًا».

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: «وَاللَّهِ إِنَّا لَنَجِدُ مَا تَقُولُ»، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَذْكَرْ نِفَاقًا رضي الله عنه.

فَأْتِيَ رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله وسلامته عليه؛ فَقَالَ حَنْظَلَةُ: «نَافِقَ حَنْظَلَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله وسلامته عليه».

فَقَالَ صلوات الله وسلامته عليه: «وَمَا ذَاكَ؟».

فَقَالَ: «نُكُونُ عِنْدَكَ تُحَدِّثُنَا عَنِ الجَنَّةِ وَالنَّارِ كَأَنَّا رَأَيْ عَيْنٍ، فَإِذَا انصَرَفْنَا مِنْ عِنْدِكَ، وَعَافَسْنَا الزَّوْجَاتِ، وَالْأَوْلَادِ، وَالصَّيَعَاتِ؛ نَسِينَا كَثِيرًا».

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي، بِيَدِهِ لَوْ تَدُومُونَ عَلَيَّ الَّذِي تُكُونُونَ عَلَيْهِ عِنْدِي؛ لَصَافَحْتُكُمْ المَلَائِكَةَ فِي الطَّرِيقَاتِ وَعَلَى فُرُشِكُمْ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةَ سَاعَةً وَسَاعَةً، سَاعَةً وَسَاعَةً، سَاعَةً وَسَاعَةً» (١).

فَحَنْظَلَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يُرَاقِبُ سِرَّهُ، وَيَنْظُرُ فِي أَطْوَاءِ صَمِيرِهِ، فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ وَوَجَدَ تَفَاوُتًا بَيْنَ مَا يَكُونُ عَلَيْهِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ وَمَا يَكُونُ عَلَيْهِ فِي مَنَاحِي حَيَاتِهِ بَعْدُ؛ فَرَعَ مِنْ ذَلِكَ وَحَسِبَهُ نِفَاقًا.

ثُمَّ لَمْ يَرُضْ بِأَنْ يَجْعَلَ ذَلِكَ مِمَّا يَنْطَوِي عَلَيْهِ الصَّمِيرُ مِنْ غَيْرِ إِفْصَاحٍ وَلَا بَيَانٍ، وَإِنَّمَا سَعَى فِي كَشْفِ حَقِيقَةِ الحَالِ.

فَلَمَّا لَقِيَهِ الصَّدِيقُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَخْبَرَهُ بِالَّذِي يَجِدُ مِنْ هَذَا التَّفَاوُتِ فِي الحَالِ، مِمَّا حَسِبَهُ نِفَاقًا، أَوْ مُشْرِفًا بِهِ عَلَى النِّفَاقِ، ثُمَّ سَارَعَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَأَخْبَرَهُمَا أَنَّ الإِيمَانَ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ.

وَهُنَالِكَ مِنَ الأَدِلَّةِ مِنَ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ الكَثِيرِ الطَّيِّبِ فِي تَقْرِيرِ هَذَا مِنْ عَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَهِيَ: أَنَّ الإِيمَانَ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ، يَزِيدُ بِالطَّاعَاتِ، وَيَنْقُصُ بِالمَعْصِيَاتِ، وَأَنَّ أَهْلَهُ يَتَفَاوَتُونَ فِيهِ.

(١) أخرجهُ مسلمٌ في «الصحيح»: ٤/٢١٠٦ و٢١٠٧، رقم (٢٧٥٠)، من حديث: حَنْظَلَةَ

فَلَمَّا أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ؛ صَحَّحَ لَهُ الْحَالَ، وَأَقْرَهُ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى أَصْلِ النَّظَرِ فِي هَذَا الْحَالِ، وَلَمْ يَقُلْ لَهُ: لَا تُفَكِّرْ هَكَذَا مَرَّةً أُخْرَى، وَإِنَّمَا صَحَّحَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ اسْتِتْجَاهَهُ، وَأَقْرَهُ عَلَى تَفْتِيْشِهِ فِي ضَمِيرِهِ، وَبَحْنِهِ فِي سَرِيرَتِهِ، وَتَنْقِيْبِهِ عَنِ حَالِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ مُصَحِّحًا: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ؛ لَوْ تَدُوْمُونَ عَلَى الَّذِي تَكُونُونَ عَلَيْهِ عِنْدِي لَصَافَحْتَكُمْ الْمَلَائِكَةُ فِي الطَّرِيقَاتِ، وَعَلَى فُرُشِكُمْ».

فَبَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ مُصَحِّحًا أَنَّ التَّفَاوُتَ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْحَالِ لَا يَضُرُّ شَيْئًا، مَعَ بَقَاءِ الْمَرْءِ عَلَى حَقِيْقَةِ إِيمَانِهِ؛ وَإِنْ كَانَ الْإِيمَانُ فِي حَقِيْقَةِ الْأَمْرِ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ؛ وَلَكِنْ لَمْ يَخْرُجْ بِهِ هَذَا الْحَالُ عَنِ حَقِيْقَةِ الْإِيمَانِ إِلَى نَقِيْضِهِ وَضِدِّهِ.

فَلَمْ يَقْرَهُ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى اسْتِتْجَاهِهِ، وَلَكِنَّهُ أَقْرَهُ عَلَى أَصْلِ التَّفْتِيْشِ فِي الْحَالِ، وَالنَّظَرِ فِي أَطْوَاءِ الْقَلْبِ، وَمُرَاعَاةِ أَحْوَالِ الْفُؤَادِ.

فَأَخْبَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ بِأَنَّ إِيمَانَهُ يَزِيدُ بِمَا يَسْمَعُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، وَبِمَا يَتَعَلَّمُ، وَأَنَّهُ إِذَا مَا انْصَرَفَ إِلَى الْحَيَاةِ فَعَالَجَهَا، وَكَانَ فِي أَحْوَالِهَا وَوَسَائِلِهَا؛ فَإِنَّ إِيمَانَهُ يَتَفَاوَتُ عَنِ تِلْكَ الْحَالِ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ.

إِذَنْ؛ رِقَابَةُ السَّرِّ، وَمُرَاعَاةُ الضَّمِيرِ مِمَّا يَنْبَغِي أَنْ يَتَوَفَّرَ عَلَيْهِ الْإِنْسَانُ؛ فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي، قَدْ يُسَلَبُ الْمَرْءُ إِيمَانَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَظُنُّ أَنَّهُ يُسَلَبُهُ.



مِنْ عَلاماتِ رِقابَةِ السِّرِّ وَرِعايَةِ الضَّميرِ: الخُوفُ مِنَ النِّفاقِ

أَخْرَجَ الفِرْيَابِيُّ فِي «صِفَةِ النِّفاقِ»^(١) عَنِ جُبَيْرِ بْنِ نَفِيرٍ رضي الله عنه، قَالَ: «سَمِعْتُ أبا الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه يَقُولُ، وَيُكثِرُ فِي آخِرِ الصَّلَاةِ بَعْدَ التَّشَهُدِ؛ يَسْتَعِيدُ بِاللَّهِ تَعَالَى مِنَ النِّفاقِ - يُكثِرُ مِنْ ذَلِكَ كَمَا أَخْبَرَ-، قَالَ: فَلَمَّا انْصَرَفَ مِنَ الصَّلَاةِ، قُلْتُ: وَمَا لَكَ أَنْتَ يَا أبا الدَّرْدَاءِ وَالنِّفاقُ؟!».

(١) «صفة النفاق»: ص ١١٣، رقم (٦٨ و ٦٩)، وأخرجه أيضا أبو زرعة الدمشقي في «تاريخه» رواية أبي ميمون بن راشد: ص ٢٢٠، رقم (٢٠٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان»: ٢٥٨/٢، رقم (٨٣١)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق»: ٤٧/ ١٨١ و ١٨٢، ترجمة (٥٤٦٤)، بإسناد صحيح، عَنْ جُبَيْرِ بْنِ نَفِيرٍ، أَنَّهُ سَمِعَ أبا الدَّرْدَاءِ، وَهُوَ فِي آخِرِ صَلَاتِهِ وَقَدْ فَرَّغَ مِنَ التَّشَهُدِ يَتَعَوَّذُ بِاللَّهِ مِنَ النِّفاقِ فَأَكثَرَ مِنَ التَّعَوَّذِ مِنْهُ، فَقَالَ جُبَيْرٌ: وَمَا لَكَ يَا أبا الدَّرْدَاءِ أَنْتَ وَالنِّفاقُ؟ فَقَالَ: «دَعْنَا عَنكَ، فَوَاللَّهِ إِنْ الرَّجُلَ لَيَتَقَلَّبُ عَن دِينِهِ فِي السَّاعَةِ الْوَاحِدَةِ فَيُخَلَعُ مِنْهُ».

وفي رواية، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى أَبِي الدَّرْدَاءِ مَنزِلُهُ بِحِمَصَ، فَإِذَا هُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي مَسْجِدِهِ، فَلَمَّا جَلَسَ يَتَشَهُدُ فَجَعَلَ يَتَعَوَّذُ بِاللَّهِ عز وجل مِنَ النِّفاقِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ قُلْتُ لَهُ: غَفَرَ اللَّهُ لَكَ يَا أبا الدَّرْدَاءِ، مَا أَنْتَ وَالنِّفاقُ؟ مَا شَأْنُكَ وَمَا شَأْنُ النِّفاقِ؟ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ غَفِرًا ثَلَاثًا، مَنْ يَأْمَنُ الْبَلَاءَ؟ مَنْ يَأْمَنُ الْبَلَاءَ؟، وَاللَّهِ إِنْ الرَّجُلَ لَيُفْتَنُ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ فَيَتَقَلَّبُ عَن دِينِهِ».

يَعْنِي: مِثْلَكَ لَا يُخْشَى عَلَيْهِ النِّفَاقُ، وَلَا يَخَافُ هُوَ مِنَ النِّفَاقِ؛ لِسَابِقَةِ إِسْلَامِهِ، وَسَبْقِهِ إِلَى دِينِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالْمُجَاهَدَةِ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، وَبَذْلِ الْخَيْرَاتِ، وَالْكَفِّ عَنِ الشُّرُورِ.

قَالَ: «غَفَرَ اللَّهُ لَكَ يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ، مَا أَنْتَ وَالنِّفَاقَ؟ مَا شَأْنُكَ وَمَا شَأْنُ النِّفَاقِ؟».

فَقَالَ: «اللَّهُمَّ غَفِرًا ثَلَاثًا، مَنْ يَأْمَنُ الْبَلَاءَ؟ مَنْ يَأْمَنُ الْبَلَاءَ؟ وَاللَّهِ إِنَّ الرَّجُلَ لَيُفْتَنُ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ فَيَنْقَلِبُ عَنْ دِينِهِ».

فَبَيَّنَ أَنَّ الْحَيَّ لَا تُؤْمَنُ عَلَيْهِ الْفِتْنَةُ^(١)، وَأَنَّ الْإِنْسَانَ رَبَّمَا كَانَ قَائِمًا عَلَى حَالٍ مِنْ حَالَاتِ الصِّحَّةِ؛ صِحَّةِ الْبَاطِنِ وَالظَّاهِرِ، صِحَّةِ الْقَلْبِ وَالْأَعْضَاءِ فِيمَا هُوَ ظَاهِرٌ، ثُمَّ يَكُونُ مُنْتَهَاهُ فِي النِّهَايَةِ إِلَى النِّفَاقِ، وَالسُّقُوطِ فِيهِ!!
نَسَأَلُ اللَّهَ أَنْ يَعْفُوَ عَنَّا أَجْمَعِينَ، وَأَنْ يُثَبِّتَنَا.

فَاسْتَنْكَرَ أَبُو الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تِلْكَ الْمُرَاجَعَةَ، وَاسْتَعْفَرَ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ثَلَاثًا:
«اللَّهُمَّ غَفِرًا ثَلَاثًا، مَنْ يَأْمَنُ الْبَلَاءَ؟ مَنْ يَأْمَنُ الْبَلَاءَ؟ وَاللَّهِ إِنَّ الرَّجُلَ لَيُفْتَنُ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ فَيَنْقَلِبُ عَنْ دِينِهِ».

(١) أخرج أبو داود في «الزهد»: ص ١٤٠، رقم (١٣٢)، والطبراني في «المعجم الكبير»: ١١٦/٩، رقم (٨٧٦٤)، وأبو طاهر المخلص في «المخلصيات»: ٣١١/٢، رقم (١٦٠٥)، واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد»: ١/١٠٤ و ١٠٥، رقم (١٣٠)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء»: ١/١٣٦، ترجمة (٢١)، والبيهقي في «السنن الكبرى»: ١٠/١١٦، رقم (٢٠٣٤٩)، بإسناد صحيح، عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ:

«لَا يُقْلَدَنَّ أَحَدُكُمْ دِينَهُ رَجُلًا، فَإِنْ آمَنَ آمَنَ، وَإِنْ كَفَرَ كَفَرَ، فَإِنْ كُنْتُمْ لَا بُدَّ مُقْتَدِينَ فَاقْتَدُوا بِالْمَيِّتِ؛ فَإِنَّ الْحَيَّ لَا يُؤْمَنُ عَلَيْهِ الْفِتْنَةَ».

فَالْحَيُّ لَا تُؤْمَنُ عَلَيْهِ الفِئْتَةُ؛ وَلِذَلِكَ كَانَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ يَخْشَوْنَ عَلَيَّ
أَنْفُسِهِمْ مِنَ النِّفَاقِ؛ فَقَدْ أَخْرَجَ البُخَارِيُّ فِي «الصَّحِيحِ» عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، قَالَ:
«أَدْرَكْتُ ثَلَاثِينَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، مَا مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَهُوَ يَخْشَى
عَلَيَّ نَفْسِهِ النِّفَاقَ!!» (١).

ذَكَرَ الحَافِظُ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- (٢): «أَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا يَتَعَلَّقُ بِالنِّفَاقِ فِي
الأَعْمَالِ، وَلَيْسَ هُوَ النِّفَاقُ الَّذِي يَتَعَلَّقُ بِأَصْلِ الإِعْتِقَادِ».

فَهُوَ لِأَيِّ الأَصْحَابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، مَا مِنْهُمْ وَاحِدٌ إِلَّا وَكَانَ يَخْشَى عَلَيَّ نَفْسِهِ النِّفَاقَ.
وَهُوَ مَعْنَى مَا قَالَهُ الحَسَنُ البَصْرِيُّ: «أَنَّهُ مَا مِنْ مُؤْمِنٍ صَاحِحِ الإِيمَانِ إِلَّا
وَهُوَ يَخَافُ عَلَيَّ نَفْسِهِ مِنَ النِّفَاقِ، وَأَنَّهُ لَا يَخَافُ النِّفَاقَ وَلَا يَخْشَاهُ إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا

(١) ذكره البخاري معلقا مجزوما به في «الصحيح»: ١/ ١٠٩، ووصله في «التاريخ الكبير»:
٥/ ١٣٧، ترجمة (٤١٢)، وأخرجه أيضا: المروزي في «تعظيم قدر الصلاة»: ٢/ ٦٣٤،
رقم (٦٨٨)، والخلال في «السنة»: ٣/ ٦٠٧، رقم (١٠٨١)، وابن بطة في
«الإبانة الكبرى»: ٢/ ٧٥٥، رقم (١٠٥٣)، واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد»: ٥/ ١٠٢٦،
رقم (١٧٣٣)، بإسناد صحيح.

وفي رواية: «أَدْرَكْتُ زِيَادَةَ عَلَيَّ خَمْسِينَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَا مَاتَ أَحَدٌ
مِنْهُمْ إِلَّا وَهُوَ يَخَافُ النِّفَاقَ عَلَيَّ نَفْسِهِ»، وفي أخرى: «وَاللهُ لَقَدْ أَدْرَكْتُ مِنْ
أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ رِجَالًا...».

(٢) «فتح الباري»: ١/ ١١١، قال: «وَقَدْ جَزَمَ -أي: ابن أبي مليكة- بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَخَافُونَ
النِّفَاقَ فِي الأَعْمَالِ، وَلَمْ يُقَلِّ عَنْ غَيْرِهِمْ خِلافَ ذَلِكَ، فَكَانَهُ إِجْمَاعٌ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ
المُؤْمِنَ قَدْ يَعْزُضُ عَلَيْهِ فِي عَمَلِهِ مَا يَشُوبُهُ مِمَّا يُخَالِفُ الإِخْلَاصَ وَلَا يَلْزَمُ مِنْ خَوْفِهِمْ
مِنْ ذَلِكَ وَقُوعُهُ مِنْهُمْ، بَلْ ذَلِكَ عَلَيَّ سَبِيلِ المُبَالَغَةِ مِنْهُمْ فِي الوَرَعِ وَالتَّقْوَى ﷺ».

يَأْمَنُهُ إِلَّا مُنَافِقٌ» (١).

لَا يَأْمَنُ النِّفَاقَ إِلَّا مُنَافِقٌ، وَلَا يَخَافُهُ وَيَخْشَاهُ إِلَّا مُؤْمِنٌ.

فَالْإِنْسَانُ طَالَمَا كَانَ حَيًّا؛ فَإِنَّهُ لَا يَأْمَنُ مَا يُقْبِضُ عَلَيْهِ مِنْ حَالٍ، وَلَعَلَّ
الْإِنْسَانَ تَأْتِيهِ فِتْنَةٌ، أَوْ تَنْزِلُ بِهِ مِحْنَةٌ؛ حَتَّى يُزَالَ عَنْ إِيْمَانِهِ، وَيَتَرَدَّى فِي
النِّفَاقِ - عِيَاذًا بِاللَّهِ، وَلِيَاذًا إِلَى جَنَابِهِ الرَّحِيمِ -.

رِقَابَةُ السِّرِّ، وَالْقِيَامُ عَلَى النَّظَرِ فِي الضَّمِيرِ، وَالْفَحْصُ فِي أَحْوَالِ النِّيَّةِ،
وَتَتَبُّعُ الْبُوعَاثِ الَّتِي تَبْعَثُ عَلَى الْأَعْمَالِ وَالْأَقْوَالِ - بَلْ وَالتُّرُوكِ -، كُلُّ ذَلِكَ
مِمَّا يَنْبَغِي أَنْ يَتَوَفَّرَ عَلَيْهِ الْإِنْسَانُ؛ بَحْثًا، وَتَنْقِيًّا، وَفَتْشًا، وَفَحْصًا؛ مِنْ أَجْلِ أَنْ
يَضَعَ يَدَهُ عَلَى حَقِيقَةِ الْأَمْرِ - وَلَنْ يَضَعَهَا -؛ لِأَنَّ عُمَرَ رضي الله عنه - وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ

(١) ذكره البخاري معلقاً في «الصحیح»: ١٠٩ / ١، وأخرجه موصولاً: المروزي في «تعظيم
قدر الصلاة»: ٦٣٤ / ٢، رقم (٦٨٧)، والفريابي في «صفة النفاق»: ص ١٢١-١٢٣،
رقم (٨١ و ٨٢)، والخلال في «السنة»: ٧٤ و ٧٥، رقم (١٦٥٣ و ١٦٥٦)، والبيهقي
في «شعب الإيمان»: ٢ / ٢٥٩، رقم (٨٣٣)، وابن بطة في «الإبانة الكبرى»: ٢ / ٧٥٧،
رقم (١٠٥٧ و ١٠٥٨)، وابن حجر في «تغليق التعليق»: ٥٣ / ٢ و ٥٤، بإسناد صحيح،
عن الحسن أنه كان يحلف بالله الذي لا إله إلا هو: «مَا مَضَى مُؤْمِنٌ قَطُّ وَلَا بَقِيَ إِلَّا هُوَ
مِنَ النِّفَاقِ مُشْفِقٌ وَلَا مَضَى مُنَافِقٌ قَطُّ وَلَا بَقِيَ إِلَّا هُوَ مِنَ النِّفَاقِ آمِنٌ»، وَكَانَ يَقُولُ: «مَنْ
لَمْ يَخَفِ النِّفَاقَ فَهُوَ مُنَافِقٌ».

وفي رواية: «وَاللَّهِ، مَا أَصْبَحَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مُؤْمِنٌ وَلَا أَمْسَى عَلَى وَجْهِهَا مُؤْمِنٌ، إِلَّا
وَهُوَ يَخَافُ النِّفَاقَ عَلَى نَفْسِهِ، وَمَا آمَنَ النِّفَاقَ إِلَّا مُنَافِقٌ»، وفي أخرى: «وَاللَّهِ مَا مَضَى
مُؤْمِنٌ وَلَا تَقِيَ إِلَّا يَخَافُ النِّفَاقَ، وَمَا آمَنَهُ إِلَّا مُنَافِقٌ»

رَبُّ الْعَالَمِينَ لَهُ قَدَمٌ صِدْقٍ فِي دِينِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَهُوَ مَنْ هُوَ (رضي عنه) - كَانَ يَخْشَى عَلَى نَفْسِهِ مِنْ مِثْلِ هَذَا؛ حَتَّى ذَهَبَ إِلَى صَاحِبِ السَّرِّ - إِلَى حُدَيْفَةَ (رضي عنه) -، فَقَالَ: «نَشَدْتُكَ اللَّهُ يَا حُدَيْفَةُ! أَذْكَرَنِي النَّبِيُّ (صلى الله عليه وآله وسلم) فِيمَنْ ذَكَرَ - يَعْنِي: مِنَ الْمُنَافِقِينَ -؟».

فَقَالَ: «اللَّهُمَّ لَا، وَلَا أَزْكِي بَعْدَكَ أَحَدًا»^(١)؛ حَتَّى لَا يَنْفَتِحَ الْبَابُ، فَيَكُونَ بَعْدَ ذَلِكَ مُفْشِيًا لِسِرِّ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله وسلم).

فَزَكَى عُمَرَ (رضي عنه) بِنَفْيِ النِّفَاقِ عَنْهُ، وَأَنَّ النَّبِيَّ (صلى الله عليه وآله وسلم) مَا أَخْبَرَهُ بِشَأْنِهِ فِي هَذَا الْمَجَالِ بِشَيْءٍ، ثُمَّ أَغْلَقَ الْبَابَ؛ حَتَّى لَا يَسْأَلَهُ بَعْدَ عُمَرَ (رضي عنه) أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ.

وَيَبْقَى مَعَنَا هَذَا الشَّاهِدُ، وَهُوَ أَنَّ عُمَرَ (رضي عنه) يَسْأَلُ خَائِفًا مُشْفِقًا صَاحِبَ السَّرِّ حُدَيْفَةَ (رضي عنه)؛ أَنْ يَكُونَ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وآله وسلم) قَدْ ذَكَرَهُ فِيمَنْ ذَكَرَ مِنَ الْمُنَافِقِينَ!!
إِلَى هَذِهِ الدَّرَجَةِ!!



(١) أخرجه وكيع في «الزهد»: ص ٧٩١، رقم (٤٧٧)، وابن أبي شيبة في «المصنف»: ١٥/١٠٧، رقم (٣٧٣٩٠)، والفسوي في «المعرفة والتاريخ»: ٢/٧٦٩، والبخاري في «المسند»: ٧/٢٩٢ و ٢٩٣، رقم (٢٨٨٥)، والطبري في «جامع البيان»: ١١/١١، والخلال في «السنة»: ٤/١١١، رقم (١٢٨٨)، والخرائطي في «مساوى الأخلاق»: ص ١٤٤ و ١٤٥، رقم (٢٩٧)، بإسناد صحيح.

عَاقِبَةُ إِهْمَالِ مِرَاقِبَةِ الْقُلُوبِ وَرِعَايَةِ الصَّمَائِرِ

النَّبِيُّ ﷺ أَخْبَرَنَا بِأَمْرٍ يَكُونُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُودِّي إِلَيْهِ أَعْمَالٌ وَأَقْوَالٌ وَأَحْوَالٌ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ، ثُمَّ يَصِيرُ بَعْدَ ذَلِكَ ثَمَرَةٌ مَرَّةً، فَجَّةٌ لَا تَطَاقُ؛ لِأَنَّهَا تَكُونُ زَاعِقَةً بِمَرَارَتِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ فَقَدْ أَخْرَجَ ابْنُ مَاجَهَ فِي «سُنَنِهِ» بِإِسْنَادِهِ عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَعْمَالٍ كَأَمْثَالِ جِبَالٍ تِهَامَةَ بَيْضًا، فَيَجْعَلُهَا اللَّهُ هَبَاءً مَنْثُورًا».

فَقَالَ ثَوْبَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ! جَلِّهِمْ - وَفِي رِوَايَةٍ بِالْمُهْمَلَةِ - حَلِّهِمْ لَنَا - يَعْنِي: اذْكُرْ لَنَا صِفَاتِهِمْ - حَلِّهِمْ لَنَا، وَجَلِّهِمْ لَنَا - يَعْنِي: أَظْهِرْهُمْ لَنَا بِصِفَاتِهِمْ - حَتَّى نَعْرِفَهُمْ».

قَالَ ثَوْبَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! جَلِّهِمْ لَنَا؛ أَلَا نَكُونُ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ».

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ، وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ، وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ، وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللَّهِ انْتَهَكُوهَا» (١).

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهَ فِي «السُّنَنِ»: ٢ / ١٤١٨، رَقْم (٤٢٤٥).

وَالْحَدِيثُ صَحَّحَ إِسْنَادَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»: ٢ / ٣٢، رَقْم (٥٠٥).

فَرِقَابَةُ السَّرِّ، وَرِعَايَةُ الْخُلُوعِ؛ مِمَّا يَنْبَغِي أَنْ يَتَوَفَّرَ عَلَيْهِ الْعَبْدُ؛ فَحَصًّا، وَفَتْشًا، وَبَحْثًا، وَتَنْقِيًّا، وَتَمْحِصًا؛ حَتَّى يَكُونَ مُسَدَّدًا.

وَهَذَا قَلٌّ مَنْ يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ، لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ!!
 وَهَذَا الْمَجَالُ مِنَ الْمَجَالَاتِ الَّتِي يُقَصِّرُ فِي النَّظَرِ فِيهَا، وَالْعَمَلُ بِالْمَعَانِي
 الَّتِي وَرَدَتْ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ مِمَّا يَنْتَزِلُ عَلَيْهَا كَثِيرٌ مِنَ
 النَّاسِ؛ يُقَصِّرُ فِي ذَلِكَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ!!

الرَّسُولُ ﷺ فِي هَذَا الْحَدِيثِ يُخْبِرُ عَنْ أَقْوَامٍ يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَعْمَالٍ؛ مِنْ
 صَلَاةٍ، وَمِنْ صِيَامٍ، وَصَدَقَةٍ، كَمَا ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ فِي رِوَايَةٍ: أَنَّهُمْ «يَأْتُونَ بِأَعْمَالٍ
 صَالِحَةٍ؛ مِنْ الصَّلَاةِ، وَالصِّيَامِ، وَالصَّدَقَةِ، يَأْتُونَ بِتِلْكَ الْأَعْمَالِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
 كَأَمْثَالِ جِبَالٍ تِهَامَةَ بَيْضًا».

وَقَوْلُهُ ﷺ: «كَأَمْثَالِ جِبَالٍ تِهَامَةَ» أَمْرٌ مَخُوفٌ؛ لِأَنََّّهُمْ يَكْتَثِرُونَ مِنْ ذَلِكَ هَذَا
 الْإِكْتِثَارَ الَّذِي يَدُلُّ عَلَيْهِ التَّشْبِيهُ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَخْبَرَ أَنَّ تِلْكَ الْأَعْمَالَ كَأَمْثَالِ
 جِبَالٍ تِهَامَةَ بَيْضًا.

يَقُولُ مَنْ يَقُولُ هَاهُنَا: وَلَكِنَّ الْجِبَالَ لَهَا ثِقْلُهَا، وَلَهَا وَزْنُهَا، فَهَذِهِ أَعْمَالٌ
 تَثْقُلُ فِي أَيِّ بَابٍ، وَالْأَعْمَالُ إِذَا كَانَتْ مُلْحَقَةً بِالطَّاعَاتِ؛ تَكُونُ ثَقِيلَةً فِي كِفَّةِ
 الْحَسَنَاتِ، فَمَا التَّخْرِيجُ؟

يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «كَأَمْثَالِ جِبَالٍ تِهَامَةَ بَيْضًا»؛ لِأَنَّهَا تَلُوحُ كَالسَّرَابِ، هِيَ
 فِي الْعِظَمِ.. فِي الْإِنْفَاشِ.. فِي الضَّخَامَةِ كَهَذَا الَّذِي ذَكَرَهُ الرَّسُولُ ﷺ مُشَبَّهًا

به: «كَأَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بَيْضًا» كَالسَّرَابِ، كَالضَّبَابِ، لَا حَقِيقَةَ، وَإِنَّمَا هِيَ حَفِيفَةٌ، لَا تَتَّقُلُ فِي مِيزَانٍ؛ بَلْ يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «يَجْعَلُهَا اللَّهُ هَبَاءً مَنْثُورًا».

فَأَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ مَالِهَا بَعْدَ تَكْوِينِهَا، وَبَعْدَ رُؤْيَةِ حَقِيقَتِهَا؛ لِأَنَّهَا تَكُونُ قَائِمَةً فِي دُنْيَا النَّاسِ.

فَالنَّاسُ يُصَلُّونَ، وَيَصُومُونَ، وَيَتَصَدَّقُونَ، وَيُكْثِرُونَ مِنْ ذَلِكَ؛ وَلَكِنَّهُمْ يَنْوِنُونَ عَلَى غَيْرِ أَسَاسٍ، وَمَا يَنْطَلِقُونَ مِنْ إِخْلَاصٍ صَحِيحٍ، وَلَا مِنْ نِيَّةٍ صَادِقَةٍ، فَتَأْتِي تِلْكَ الْأَعْمَالُ كُلُّهَا، لَا عَلَى ثَبَاتٍ، يَنْظُرُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ إِلَيْهَا، فَيَجْعَلُهَا هَبَاءً مَنْثُورًا؛ لِأَنَّ «اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ، وَلَا إِلَى أَجْسَامِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ» (١).

فَإِذَا كَانَتِ الْأَعْمَالُ صَالِحَةً؛ فَذَلِكَ، وَإِنْ كَانَتِ الْأَعْمَالُ غَيْرَ مَبْنِيَّةٍ عَلَى أَصْلٍ صَحِيحٍ؛ مِنْ الْإِخْلَاصِ، وَصِدْقِ النِّيَّةِ بِالتَّجَرُّدِ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، مَعَ الْمُتَابَعَةِ لِلنَّبِيِّ ﷺ؛ فَإِنَّهَا حِينئِذٍ لَا تَزُنُ شَيْئًا، «يَجْعَلُهَا اللَّهُ هَبَاءً مَنْثُورًا».

وَالَّذِي يَظْهَرُ مِنْ نَصِّ الْحَدِيثِ: أَنَّ هَذَا الَّذِي أَتَى بِهِ مِنْ أَتَى مِمَّنْ ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ؛ أَتَى بِهِ عَلَى قَدَمِ الْمُتَابَعَةِ، فَاقْدًا شَرْطَ الْإِخْلَاصِ؛ لِأَنَّهُ ﷺ يَقُولُ: «يَأْتُونَ بِالصَّلَاةِ، وَبِالصِّيَامِ، وَبِالصَّدَقَةِ، إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ، وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ، وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ».

(١) أخرج مسلم في «الصحيح»: ١٩٨٧/٤، رقم (٢٥٦٤)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ».

وَلَكِنْ غَابَ الشَّرْطُ الْأَوَّلُ مِنْ شَرْطِي قَبُولِ الْعَمَلِ عِنْدَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَهُوَ
الإِخْلَاصُ؛ لِأَنَّ الْعَمَلَ لَا يُقْبَلُ عِنْدَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَتَّى يَكُونَ لِلَّهِ خَالِصًا، وَحَتَّى
يَكُونَ الْآتِي بِهِ لِلنَّبِيِّ ﷺ مُتَابِعًا.

* فَهَذَانِ شَرْطَانِ:

١- إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنْ غَيْرِ مَا شَرِكٍ فِيهِ.

٢- وَإِتْيَانُ الْعَبْدِ بِالْعَمَلِ عَلَى قَدَمِ الْمُتَابَعَةِ لِلنَّبِيِّ ﷺ مِنْ غَيْرِ بَدْعَةٍ فِيهِ.

فَيَتَجَرَّدُ مِنَ الشَّرْكِ وَالْبَدْعَةِ، يَتَجَرَّدُ مِنَ الشَّرْكِ فِي عَمَلِهِ؛ حَتَّى يَكُونَ
خَالِصًا لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَيَتَجَرَّدُ مِنَ الْبَدْعَةِ، نَابِذًا لَهَا نَبْذَ النَّوَاةِ، وَيَجْعَلُهَا
مَزْجَرَ الْكَلْبِ؛ حَتَّى يَأْتِيَ بِالْعَمَلِ عَلَى وَفْقِ مَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ.

يَقُولُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى - كَمَا فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» - : «أَنَا
أَغْنِي الشُّرَكَاءَ عَنِ الشَّرْكِ، فَمَنْ أَشْرَكَ مَعِيَ غَيْرِي؛ وَكَلَّمْتُهُ لِلَّذِي أَشْرَكَ»^(١).

وَالنَّبِيُّ ﷺ سُئِلَ عَنِ الرَّجُلِ يُجَاهِدُ حَمِيَّةً، وَعَنِ الرَّجُلِ يُجَاهِدُ لِلْمَغْنَمِ،
وَعَنِ الرَّجُلِ يُجَاهِدُ؛ لِيَرَى مَكَانَهُ؛ أَيُّ ذَلِكَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟

فَقَالَ: «مَنْ قَاتَلَ؛ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا؛ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»^(٢).

(١) «صحيح مسلم»: ٢٢٨٩/٤، رقم (٢٩٨٥).

(٢) أخرجه البخاري في «الصحيح»: ٢٧/٦ و٢٨، رقم (٢٨١٠)، ومسلم في «الصحيح»:

٣/١٥١٢ و١٥١٣، رقم (١٩٠٤)، من حديث: أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فَاللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ أَغْنَى الشُّرَكَاءَ عَنِ الشُّرْكِ، فَلَا بُدَّ مِنَ الْإِتْيَانِ بِهَذَا الشَّرْطِ أَوَّلًا، لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ الْعَمَلُ خَالِصًا لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ وَإِلَّا كَانَ مَرْدُودًا عَلَى عَامِلِهِ، وَكَانَ حَابِطًا.

وَيَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ - كَمَا فِي حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وَهُوَ عِنْدَ مُسْلِمٍ رَضِيَ اللَّهُ فِي «الصَّحِيحِ» (١) -: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا؛ فَهُوَ رَدٌّ» يَعْنِي: فَهُوَ مَرْدُودٌ عَلَيْهِ، فَ«رَدٌّ» بِمَعْنَى: مَرْدُودٌ، فَهُوَ مَرْدُودٌ عَلَيْهِ، لَا يُقْبَلُ حَتَّى يَكُونَ الْعَبْدُ فِيهِ مُتَابِعًا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

فَهَذِهِ الْأَعْمَالُ الَّتِي ذَكَرَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَدَتْ هَذَا الشَّرْطَ الْعَظِيمَ، وَهُوَ شَرْطُ الْإِخْلَاصِ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

فَيَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ فِي بَيَانِ السَّبَبِ الَّذِي لِأَجْلِهِ صَارَتِ الْأَعْمَالُ هَبَاءً مَنثورًا، وَهِيَ عَظِيمَةٌ بِيضَاءُ كَأَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ: «أُولَئِكَ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللَّهِ انْتَهَكُوهَا».

وَلِذَلِكَ «جَعَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِيمَنْ يُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهُ خَالِيًا، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ» (٢).

(١) «صحيح مسلم»: ١٣٤٣/٣، رقم (١٧١٨)، وذكره البخاري معلقا مجزوما به في «الصحيح»: ٣١٧/١٣.

والحديث في «الصحيحين»، بلفظ: «مَنْ أَحَدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ».

(٢) أخرجه البخاري في «الصحيح»: ١٤٣ / ٢، رقم (٦٦٠)، ومسلم في «الصحيح»: ٢ / ٧١٥، رقم (١٠٣١)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الْإِمَامُ الْعَادِلُ، ...» الحديث.

إِذا اسْتَوَى حالُهُ في الخَلْوَةِ وَالجَلْوَةِ؛ فَهَذا هُوَ المُؤْمِنُ؛ لِأنَّهُ يُراقِبُ اللهُ رَبَّ العالَمِينَ في السِّرِّ وَالعَلَنِ، وَيَعْلَمُ أَنَّ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مُطَّلِعٌ عَلَيهِ، نَاطِرٌ إِلَيهِ في كُلِّ حِينٍ وَحالٍ؛ وَلِذا لِكَ يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ عَلَي الحالينِ: خَلْوَةً، وَجَلْوَةً.

وَاللهُ رَبُّ العالَمِينَ سُبْحانَهُ المَسْئُولُ أَنَّ يَتُوبَ عَلَيْنَا أَجمَعِينَ.

رِقابَةُ السِّرِّ، وَرِعايَةُ الصَّمِيرِ، وَالفَتشُ في أَخْناءِ الصَّمِيرِ؛ مِنْ أَجْلِ وَضْعِ اليَدِ عَلَي حَقِيقَةِ البَواعِثِ البَاعِثَةِ لِلإِتيانِ بِالأَعْمالِ، أَوْ لِلكَفِّ وَالتُّروكِ، لا بُدَّ مِنَ الوُصُولِ إِلى شَيْءٍ مُقارِبٍ مِنْ هَذا الأَمْرِ؛ وَإِلاَّ كانَ الإِنسانُ سائِراً عَلَي غيرِ سَبيلٍ.

فَالنَّبِيُّ ﷺ في حَدِيثِ ثوبانَ رضي عنه يُخبرُ عَن أَمْرِ جَليلٍ جَدًّا، يَقُولُ: «أولئِكَ أَقوامٌ إِذا خَلَوْا بِمَحارِمِ اللهُ انْتَهَكُوها».

فأينَ اسْتِواءُ السِّرِّ مَعَ العَلانِيَةِ هاهنا؟!!

لَقَدْ وَقَعَ التَّفاوتُ الَّذِي لا يُغْفَرُ؛ لِأنَّهُ يَأْتِي في الظَّاهِرِ بِالأَعْمالِ الصَّالِحَاتِ، كَمَا وَصَفَ النَّبِيُّ ﷺ: «بِأَعْمالٍ عَظِيمَةٍ كَأَمْثالِ جَبالٍ تَهامَةٌ بيضاءَ»؛ مِنْ صَلاةٍ، وَصَدَقَةٍ، وَصِيامٍ؛ وَلَكِنْ إِذا خَلَا بِمَحارِمِ اللهُ رَبِّ العالَمِينَ انْتَهَكها، فَهَذا لا يَعْمَلُ اللهُ رَبُّ العالَمِينَ عَمَلًا خالِصًا، وَإِنَّمَا عِنتُهُ وَرِقابَتُهُ لِلخَلقِ، لا لِلحَقِّ!!

هَذا لا يُراقِبُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَكانَهُ لا يَعْلَمُ حَقِيقَةَ أَنَّ اللهُ رَبُّ العالَمِينَ مُطَّلِعٌ عَلَيهِ، وَأَنَّ اللهُ رَبُّ العالَمِينَ نَاطِرٌ إِلَيهِ!!

وَأَمَّا كَفُّ اليَدِ في السِّرِّ.. في الخَلْوَةِ عَمَّا حَرَّمَ اللهُ رَبُّ العالَمِينَ -ولا يَطَّلِعُ عَلَي العَبْدِ - حِينَئِذٍ - إِلاَّ اللهُ - فَيَدْعُها اللهُ رَبُّ العالَمِينَ وَحَدَّهُ.

فَهَذَا هَذَا، وَهُوَ مَا يَنْبَغِي أَنْ يُرَكِّزَ عَلَيْهِ الْعَبْدُ، وَأَنْ يَصِلَ إِلَيْهِ؛ وَإِلَّا فَإِنَّ التَّفَاوُتَ إِذَا وَقَعَ هَاهُنَا بَيْنَ الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ عَلَى حَسَبِ مَا مَرَّ ذِكْرُهُ؛ فَهَذَا هُوَ النَّفَاقُ.

وَهَذَا مَا يَنْبَغِي أَنْ يَخْشَاهُ كُلُّ أَحَدٍ، وَأَنْ يُرَاعِيَ نَفْسَهُ فِيهِ، وَأَنْ يَسْأَلَ: إِنَّهُ يَتَوَرَّعُ عَنْ أُمُورٍ فِي مَحْضَرِ النَّاسِ، يَتَوَرَّعُ عَنْ أُمُورٍ عِنْدَ نَظَرِ النَّاسِ إِلَيْهِ، وَاطَّلَاعِهِمْ عَلَيْهِ؛ وَلَكِنَّهُ لَا يَتَوَرَّعُ عَنْ تِلْكَ الْأُمُورِ إِذَا كَانَ وَحْدَهُ خَالِيًا، لَا يَكْفُ عَنْهَا، وَلَا يَنْتَهِي عَنِ الْإِقْدَامِ عَلَيْهَا حَتَّى يُوَاقِعَهَا؛ لِأَنَّهُ طَالَمَا أَمِنَ النَّاطِرِينَ وَأَعَيْنَهُمْ؛ فَإِنَّهُ - حِينئذٍ - كَأَنَّهُ لَا رَقِيبَ عَلَيْهِ، وَلَا نَاطِرَ إِلَيْهِ!!

وَهَذَا خَلَلٌ عَظِيمٌ جِدًّا يَتَعَلَّقُ بِأَصْلِ الْإِعْتِقَادِ، فَيُورِثُ نِفَاقًا.

نَسَأَلُ اللَّهَ أَنْ يَعْفُوَ عَنَّا أَجْمَعِينَ. (*).

عِبَادَ اللَّهِ! إِنَّ الْعِبْرَةَ لَيْسَتْ بِالْعَمَلِ فِي ذَاتِهِ، وَإِنَّمَا الْعِبْرَةُ كُلُّ الْعِبْرَةِ فِي تَصْفِيَةِ الْعَمَلِ مِنْ شَوَائِبِهِ، فِي تَصْفِيَةِ الْعَمَلِ مِمَّا يُحْبِطُهُ، فِي تَنْقِيَةِ الْعَمَلِ مِمَّا يُكَدِّرُهُ.

الْعِبْرَةُ كُلُّ الْعِبْرَةِ فِي تَنْقِيَةِ الْعَمَلِ مِمَّا يُحْبِطُهُ، حَتَّى يُرَدَّ عَلَى صَاحِبِهِ كَمَا يُرَدُّ الثَّوْبُ الْخَلْقُ يُضْرَبُ بِهِ وَجْهُهُ، يُقَالُ لَهُ: ضَيَعَكَ اللَّهُ كَمَا ضَيَعْتَنِي؛ لِأَنَّ اللَّهَ رَبُّ الْعَالَمِينَ يَنْظُرُ فِي خَلَلِ الْأَعْمَالِ، فِي خِلَالِهَا، فِي مَطَاوِيهَا!!

يَنْظُرُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فِي ثَنَائِهَا الْأَعْمَالِ.

(*): مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «رِقَابَةُ السَّرِّ وَرِعَايَةُ الضَّمِيرِ» - الْجُمُعَةُ ٢٠ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ

اللَّهُ رَبُّ العَالَمِينَ يَنْظُرُ إِلَيَّ الإِخْلاصِ هُنالِكَ مِنْ وِراءِ الأَعْمالِ فِي دَوافِعِها،
فِي بَواعِثِها، فِي الحَواضِرِ الَّتِي حَفَزَتْ إِلَيَّ الإِتيانِ بِها.

وَأَمَّا الأَعْمالُ فِي ظاهِرِها؛ فَإِنَّها لا تَقومُ عِنْدَ اللَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ بِغَيْرِ ساقِ
مَتِينٍ يَحْمِلُها مِنَ الإِخْلاصِ بِالقَصْدِ الأَوَّلِ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ وَحدَهُ.

«أَمَّا إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ، وَيَقُولُونَ بِمِثْلِ قَوْلِكُمْ، وَيَعْمَلُونَ بِمِثْلِ أَعْمالِكُمْ؛
وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ إِذا خَلَوْا بِمَحارِمِ اللَّهِ انْتَهَكُوها»^(١).

قَوْمٌ إِذا خَلَوْا بِمَحارِمِ اللَّهِ انْتَهَكُوها!!

وَيَحْكُ، أَلَيْسَ عَلَيكَ مِنْ شَهِيدٍ!!؟

أَلَيْسَ عَلَيكَ مِنْ رَقِيبٍ!!؟

أَلَيْسَ عَلَيكَ مِنْ سَمِيعٍ يَسْمَعُ هَمَسَ الضَّميرِ فِي الضَّميرِ لِلضَّميرِ بِالِإِتيانِ
بِمَا يُريدُ!!؟

وَيَحْكُ، أَلَا تَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ يَرى!!؟

وَيَحْكُ، أَلَا تَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى هُوَ السَّمِيعُ البَصيرُ!! يَعْلَمُ خائِنَةَ الأَعينِ
وَمَا تُخْفِي الصُّدُورَ!!؟

اللَّهُ رَبُّ العَالَمِينَ يُريدُ مِنَ الأَعْمالِ حَقائِقَها، وَحَقائِقُها لا تَقومُ إِلا عَلَى
الإِخْلاصِ فِيها.

(١) تقدم تخريجه.

إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَخْبَرَنَا - كَمَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ» (١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ».

وَقَالَ ﷺ - كَمَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ» أَيْضًا (٢): عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ؛ وَمَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ».

إِلَّا أَنْ الْأَمْرَ لَيْسَ عَلَى ظَاهِرِهِ هَكَذَا، وَإِنَّمَا لِمَنْ قَامَ قِيَامًا صَاحِحًا، وَصَامَ صِيَامًا صَاحِحًا، مُحْتَسِبًا عَمَلَهُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، مُحْتَسِبًا سَعْيَهُ وَقَصْدَهُ لِمَرْضِي رَبِّهِ الْجَلِيلِ، مُحْتَسِبًا تَرْكَهُ، وَكَفَّهُ، وَامْتِنَاعَهُ؛ لِلْقُرْبِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لِمَنْ كَانَ كَذَلِكَ؛ فَلَهُ ذَلِكَ.

وَأَمَّا مَنْ تَخَلَّفَتْ عِنْدَهُ الْعُدَّةُ، وَأَمَّا مَنْ تَخَلَّى عَنِ السَّلَاحِ وَهُوَ يَذْهَبُ إِلَى الْهَيْجَا وَيَبَاشِرُ الْمَعْرَكَةَ مَعَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر: ٦].

فَهِيَ مَعْرَكَةٌ إِذْنٌ، وَهِيَ مَعْرَكَةٌ قَائِمَةٌ بِأَسْلِحَةٍ غَيْرِ مَنْظُورَةٍ؛ لِأَنَّ الْعَدُوَّ يَرْتَعُ فِي الدَّمَاءِ، وَيَجْرِي فِي الْعُرُوقِ مَعَ الدَّمَاءِ السَّابِحَاتِ، فَهُوَ سَابِحٌ فِي تِلْكَ الدَّمَاءِ يَصِلُ إِلَى بَعِيدٍ، وَيَرَاكَ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَاهُ، فَكَيْفَ يَكُونُ الشَّأْنُ مَعَ مِثْلِ هَذَا الْعَدُوِّ؟!!

(١) «صحيح البخاري»: ١ / ٩٢، رقم (٣٧)، و«صحيح مسلم»: ١ / ٥٢٣، رقم (٧٥٩).

(٢) «صحيح البخاري»: ١ / ٩٢، رقم (٣٨)، و«صحيح مسلم»: ١ / ٥٢٣ و ٥٢٤، رقم

وَإِنَّ أَسْلِحَتَهُ لِمَاضِيَةٌ، وَإِنَّ مَا عِنْدَهُ مِنَ الْعُدَّةِ لَمِمَّا لَا يُقَاوَمُ بِأَدْيِ الرَّأْيِ،
وَلَكِنْ عِنْدَمَا يَتَأَتَّى الْإِخْلَاصُ فِي الْقَلْبِ يَحْرِقُ كُلَّ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَخْبَرَنَا
فِي هَذَا الْوَحْيِ الْمُنَزَّلِ عَلَى قَلْبِهِ الشَّرِيفِ: أَنَّ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ لَا يُرِيدُ أَشْبَاحًا
ظَاهِرَةً، وَإِنَّمَا يُرِيدُ أَرْوَاحًا بَاطِنَةً.

وَأَنَّ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ لَا يُرِيدُ قَوْلَ مَنْ مَنصُوبَةً، وَإِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ
قُلُوبًا نَحْوَهُ مَنصُوبَةً.

اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ لَا يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ خَالِصًا وَأُرِيدَ بِهِ وَجْهَهُ.
«اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ أَغْنَى الشَّرَكَاءَ عَنِ الشَّرِكِ، فَمَنْ أَشْرَكَ مَعَهُ غَيْرَهُ؛ وَكَلَهُ
لِلَّذِي أَشْرَكَ وَلَا يُبَالِي» (١).

اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ يَجْعَلُ الْمُنَادِيَ يُنَادِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى الْخَلَائِقِ فِي
الْمَوْقِفِ: «أَلَا مَنْ كَانَ عَامِلًا شَيْئًا لِغَيْرِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا؛ فَلْيَذْهَبْ إِلَيْهِ؛ مِنْ أَجْلِ أَنْ
يُوفِّيَهُ حَقَّهُ» (٢).

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرج البخاري في «الصحيح»: ٢٤٩/٨ و ٢٥٠، رقم (٤٥٨١)، ومسلم في
«الصحيح»: ١٦٧/١-١٧٠، رقم (١٨٣)، من حديث: أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، مرفوعاً:
«إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَذِنَ مُؤَذِّنٌ لِيَتَّبِعَ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ، فَلَا يَبْقَى أَحَدٌ كَانَ يَعْبُدُ
غَيْرَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَنْصَابِ إِلَّا يَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ...» الحديث.
وفي رواية للبخاري ٤١٩/١٣ و ٤٢٠، رقم (٧٤٣٩): «يُنَادِي مُنَادٍ: لِيَذْهَبْ كُلُّ قَوْمٍ إِلَى
مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ، فَيَذْهَبُ أَصْحَابُ الصَّلِيبِ مَعَ صَلِيبِهِمْ، وَأَصْحَابُ الْأَوْثَانِ مَعَ
أَوْثَانِهِمْ، وَأَصْحَابُ كُلِّ آلِهَةٍ مَعَ آلِهَتِهِمْ...».

أَرَأَيْتَ إِنْصَافًا فَوْقَ هَذَا الْإِنْصَافِ!!؟

أَسَمِعْتَ عَنْ عَدْلِ يُضَاهِي هَذَا الْعَدْلَ، أَوْ يُمَاطِلُهُ، أَوْ يُقَارِبُهُ!!؟

حَاشَا وَكَأَلَا.

إِنَّ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا: كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ لِغَيْرِ وَجْهِهِ، وَكُنْتُمْ تَعْبُدُونَ سِوَاهُ؛ مِنَ الْهُوَى الْمَتَّبِعِ، وَالْآرَاءِ الْمَتَّبِعَةِ؛ مِنْ تِلْكَ التَّصَوُّرَاتِ الْفَاسِدَةِ، وَالْأَوْهَامِ الْخَائِبَةِ، وَالْغَرَائِزِ الشَّخِينَةِ، وَتِلْكَ الْأُمُورِ الْغَلِيظَةِ فِي الْقُلُوبِ مِنْ أَحَاسِيْسِهَا الَّتِي لَمْ تَرَقَّ عَلَى الدِّينِ بَعْدُ.

كُنْتُمْ تَفْعَلُونَ ذَلِكَ فِي الدُّنْيَا، فَالْيَوْمَ - لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ - فَلْيَذْهَبْ كُلُّ عَامِلٍ إِلَى مَنْ كَانَ يَعْمَلُ لَهُ حَتَّى يُوفِّيَهُ أَجْرَهُ، وَلِيَنْتَصِبِ الْيَوْمَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ قَائِمًا عَلَى سَاقِ الْإِخْلَاصِ مَنْ كَانَ يَعْمَلُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَحْدَهُ؛ لِيُوفِّيَهُ أَجْرَهُ.

وَاللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ عَطَاؤُهُ لَا حَدَّ لَهُ؛ إِذْ هُوَ عَلَى قَدْرِ قُدْرَتِهِ، وَقُدْرَةُ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا حَدَّ لَهَا.

إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَخْبَرَنَا أَنَّ مَنْ قَامَ وَصَامَ، وَمَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيْمَانًا - إِيْمَانًا بِالَّذِي شَرَعَ، بِالَّذِي فَرَضَ - وَاحْتِسَابًا لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ طَلَبًا لِلْأَجْرِ مِنْ عِنْدِهِ وَمِنْ لَدُنْهُ، مِنْ غَيْرِ مَا عَمَلَ لِأَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ قَطُّ، وَإِنَّمَا هُوَ تَغْيِيبٌ لِلْعَمَلِ الصَّالِحِ فِي ضَمِيرِ الضَّمِيرِ، وَفِي غِيَابِ الْمَكْنُونِ مِنْ ثَنَائِ النَّفْسِ؛ حَتَّى إِنْ اسْتَطَاعَ

الْإِنْسَانُ أَلَّا يُطَّلِعَ ذَاتَهُ عَلَى عَمَلِ ذَاتِهِ فَلْيَفْعَلْ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ قَالَ ﷺ: «وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا؛ حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا أَنْفَقَتْ يَمِينُهُ» (١).

فِيخْفِي ذَاتَهُ عَن ذَاتِهِ، وَيُغَيِّبُ ذَاتَهُ فِي ذَاتِهِ، وَيَجْعَلُ عَمَلَهُ فِي حُجْبٍ إِخْلَاصِهِ؛ حَتَّى لَا يَسْتَطِيعَ أَحَدٌ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ إِلَّا اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ، وَأَنْعَمَ بِهِ مِنْ مُعْطٍ وَصَاحِبِ جَزَاءٍ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. (*)



(١) تقدم تخريجه.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «الإِخْلَاصُ رُوحُ الْإِسْلَامِ» - الْجُمُعَةُ ٢٩ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٢٥ هـ/

نَمَرَاتُ الْمُرَاقِبَةِ وَرِعَايَةِ الصَّمَائِرِ

عِبَادَ اللَّهِ! إِنَّ رِقَابَةَ السَّرِّ، وَالتَّفْتِيشَ عَمَّا فِي حَنَائِ الصَّمِيرِ، وَمُرَاجَعَةَ الْمَرْءِ نَفْسَهُ حِينًا فَحِينًا؛ مِمَّا يَنْبَغِي أَنْ يَتَأَمَّلَ فِيهِ الْمَرْءُ طَوِيلًا.

وَاللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ قَدْ جَعَلَ فِيْمَنْ يُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ، يُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّ عَرْشِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَقَدْ دَنَّتِ الشَّمْسُ مِنَ الرُّؤُوسِ بِمِقْدَارِ مِيلٍ - كَمَا قَالَ الرَّسُولُ ﷺ -، وَالنَّاسُ فِي كَرْبٍ وَهَمٍّ عَظِيمِينَ، يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَرَّكُوا مِنْ ذَلِكَ الْمَوْقِفِ، وَلَوْ إِلَى النَّارِ - إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ - مِنْ شِدَّةِ مَا يُعَانُونَ، وَهُمْ فِي الْعَرَقِ عَلَى قَدْرِ الْأَعْمَالِ، كَمَا أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ (١).

مِمَّنْ يُظِلُّهُمْ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَجْعَلُهُمُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فِي ظِلِّ عَرْشِهِ - كَمَا ثَبَتَتْ بِذَلِكَ الرَّوَايَةُ -: «رَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ».

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «الصَّحِيحِ»: ٢/٤، ٢١٩٦، رَقْمٌ (٢٨٦٤)، مِنْ حَدِيثِ: الْمِقْدَادِ بْنِ الْأَسْوَدِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «تُدْنِي الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْخَلْقِ، حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ، فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَقِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبِيهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْحِمُهُ الْعَرَقُ الْجَمَامًا»، قَالَ: وَأَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهِ إِلَى فِيهِ.

فَهُنَا لَا يَخْشَى أَعْيُنَ الرُّقَبَاءِ، وَإِنَّمَا يَخَافُ اللهُ رَبَّ العَالَمِينَ وَحْدَهُ؛ بَلْ إِنَّكَ إِذَا نَظَرْتَ فِي جُمْلَةِ مَا ذُكِرَ فِي هَذَا الحَدِيثِ الَّذِي بَشَّرَ فِيهِ الرَّسُولُ ﷺ أَصْحَابَ تِلْكَ المَقَامَاتِ.. أَصْحَابَ تِلْكَ الأُمُورِ العَظِيمَةِ بِالصِّفَاتِ الجَلِيلَةِ؛ وَجَدْتَ أَغْلَبَ ذَلِكَ إِنَّمَا يَدُورُ عَلَيَّ هَذَا الأَصْلِ الكَبِيرِ.

«فَالرَّجُلُ الَّذِي يَذْكُرُ اللهُ خَالِيًا حَتَّى تَفِيضَ عَيْنَاهُ، وَالرَّجُلُ الَّذِي دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتَ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللهُ، وَالرَّجُلُ الَّذِي قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بِالمَسَاجِدِ؛ هَذَا أَمْرٌ لَا يَعْلَمُهُ إِلا اللهُ رَبُّ العَالَمِينَ؛ لِأَنَّ تَعَلُّقَ القَلْبِ تَعَلُّقُ القَلْبِ، وَأَمَّا الَّذِي يَتَعَلَّقُ ظَاهِرُهُ؛ فَقَدْ يَكُونُ فِعْلُهُ رِيَاءً، وَقَدْ يَكُونُ سَعْيُهُ نِفَاقًا، وَأَمَّا قَلْبُهُ الَّذِي عُلِقَ بِالمَسْجِدِ فَأَمْرٌ زَائِدٌ عَلَيَّ مَا هُوَ مَعْرُوفٌ.

وَأَيْضًا: قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: «وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا؛ حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا أَنْفَقَتْ يَمِينُهُ».

هَذَا أَمْرٌ فِيهِ مِنَ الإِسْرَارِ بِالعَمَلِ الصَّالِحِ اللهُ مَا هُوَ مَعْلُومٌ مِمَّا بَيْنَهُ كَلَامُ النَّبِيِّ ﷺ: «حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا أَنْفَقَتْ يَمِينُهُ»؛ فَضَلًّا عَن أَنْ يَتَعَدَّى ذَلِكَ الإِعْلَامُ إِلَى غَيْرِ أَعْضَائِهِ مِنَ البَشَرِ كائِنًا مَنْ كَانَ.

وَلَكِنْ هَاهُنَا رِعايَةُ لِلسِّرِّ، وَرِقاَبَةُ عَلَيَّ الصَّمِيرِ، وَتَفْتِيشُ عَلَيَّ البَاعِثِ المُحَرِّكِ لِلْعَمَلِ، وَسَعْيِي وَرَاءَ تَحْرِيرِ النِّيَّةِ؛ حَتَّى تَكُونَ خَالِصَةً لِلرَّبِّ العَالَمِينَ، «وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا؛ حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا أَنْفَقَتْ يَمِينُهُ».

«وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللهِ، اجْتَمَعَا عَلَيْهِ، وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ».

وَالْحُبُّ فِي اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى شَيْءٌ لِلَّهِ، أَمْرٌ لِأَجْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، حُبٌّ فِي اللَّهِ،
وَحُبٌّ بِاللَّهِ.

أَمَّا الْحُبُّ مَعَ اللَّهِ؛ فَهُوَ الشَّرْكَ بِاللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَلَيْسَ هَذَا مَعَنَا هَاهُنَا،
وَإِنَّمَا الَّذِي ذَكَرَ الرَّسُولُ ﷺ: «رَجُلَانِ تَحَابَبَا فِي اللَّهِ، اجْتَمَعَا عَلَيْهِ، وَتَفَرَّقَا
عَلَيْهِ».

فَجُمْلَةٌ مَا ذَكَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ يَدُورُ حَوْلَ هَذَا الْأَصْلِ، أَنْ يَكُونَ الْإِنْسَانُ مُرَاعِيًا
لِسِرِّهِ، مُنْظَفًا لِضَمِيرِهِ؛ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَكُونَ مُطَهَّرًا لِبَاطِنِهِ.

كَمَا أَنَّهُ لَا تُقْبَلُ لَهُ صَلَاةٌ حَتَّى يَكُونَ آتِيًا بِطَهَارَةِ الْجَوَارِحِ؛ فَكَذَلِكَ لَا تُقْبَلُ
الْعِبَادَةُ حَتَّى يَكُونَ مُطَهَّرًا لِبَاطِنِهِ، مُطَهَّرًا لِقَلْبِهِ، آتِيًا بِغَسِيلِ الْقَلْبِ كَمَا آتَى بِغَسِيلِ
جَوَارِحِهِ عَلَى حَسَبِ مَا حَدَّدَ اللَّهُ، وَمَا حَدَّدَهُ رَسُولُهُ ﷺ فِي أَعْضَاءِ الْوُضُوءِ؛
غَسْلًا، وَمَسْحًا.



رِقَابَةُ السَّرِّ وَالضَّمِيرِ مِنْ سُبُلِ تَفْرِيجِ الْكُرْبَاتِ

لَقَدْ بَيَّنَّ لَنَا الدِّينُ الْعَظِيمُ الَّذِي أَكْرَمَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِهِ هَذَا الْأَمْرَ الْجَلِيلَ، وَرَتَّبَ عَلَيْهِ الْكَثِيرَ مِنَ الْخَيْرِ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا أَتَى بِالْعَمَلِ خَالِصًا لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، إِذَا وَقَعَ فِي ضَائِقَةٍ، وَأَحَاطَتْ بِهِ كُرْبَةٌ، وَأَتَاهُ دَيْجُورٌ ظُلْمَةٌ مِنْ ظُلْمَاتِ الْهُمُومِ وَالْعُمُومِ، ثُمَّ فَرَعَ إِلَى اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ دَاعِيًا، مُتَوَسِّلًا بِعَمَلٍ صَالِحٍ كَانَ خَالِصًا لَوَجْهِهِ الْكَرِيمِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ يُرْجِعُ عَنْهُ مَا كَانَ.

وَعِنْدَكَ حَدِيثُ «الصَّحِيحِينَ» (١) الَّذِي فِيهِ مَا ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ: «عَنِ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ آوَاهُمُ الْمَيِّتُ، وَالْجَاهُ اللَّيْلُ إِلَى الْغَارِ - وَهُوَ النُّقْرَةُ فِي الْجَبَلِ -، فَدَخَلُوا الْغَارَ، فَجَاءَتْ صَخْرَةٌ، فَسَدَّتِ الْبَابَ، فَتَوَسَّلُوا إِلَى اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ».

وَإِذَا نَظَرْتَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ فِيمَا قَالَ؛ تَجِدُهُ كَانَ يَشْفَعُ مَا ذَكَرَ مِنْ عَمَلِهِ الصَّالِحِ - بَعْدَ أَنْ يُقَرَّرَ مَا أَتَى بِهِ مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ - يَشْفَعُ ذَلِكَ بِأَنَّهُ إِنْ كَانَ عَمَلُهُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ خَالِصًا؛ يَطْلُبُ مِنَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَنْ

(١) «صحيح البخاري»: ٦/ ٥٠٥ و ٥٠٦، رقم (٣٤٦٥)، و«صحيح مسلم»: ٤/ ٢٠٩٩،

رقم (٢٧٤٣)، من حديث: عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما.

يُفَرِّجَ عَنْهُمْ مَا هُمْ فِيهِ: «اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ لِرَجَائِكَ خَالِصًا؛ فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ». فَتَأْتِي الْإِجَابَةُ مِنَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ جَزَاءً وَفَاقًا، وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا.

فَكُلُّ يَتَقَرَّبُ إِلَى اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ بِعَمَلٍ صَالِحٍ كَانَ مُرَاقِبًا فِيهِ لِسِرِّهِ، مَا بَيْنَ رَجُلٍ كَانَ بَرًّا بِأَبَوَيْهِ، وَلَوْ أَنَّهُ سَقَى أَطْفَالَهُ الَّذِينَ كَانُوا يَدُورُونَ حَوْلَ رَجُلِيهِ وَهُوَ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِ أَبِيهِ، وَقَدْ نَامَا لَمَّا تَأَخَّرَ عَنْهَا، وَكَانَ لَا يَسْقِي قَبْلَهُمَا أَحَدًا.

فَلَمَّا جَاءَ فَوَجَدَهُمَا نَائِمِينَ؛ لَمْ يُخَالِفْ مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ حَالٍ؛ مُرَاقِبًا رَبَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَظَلَّ لَيْلًا طَوِيلًا قَائِمًا حَتَّى اسْتَيْقَظَا، فَسَقَاهُمَا.

وَأَطْفَالُهُ الصَّغَارُ يَدُورُونَ حَوْلَهُ، يَتَوَسَّلُونَ إِلَيْهِ بِضَعْفِهِمْ أَنْ يَمُنَّ عَلَيْهِمْ بِشَيْءٍ مِنَ اللَّبَنِ يُطْفِئُ سَوْرَةَ^(١) مَا كَانَ هُنَالِكَ مِنَ أَلَمِ الْجُوعِ النَّاهِشِ فِي الْمَعِدَاتِ الصَّغِيرَةِ، وَلَكِنْ هُوَ عَلَى حَالِهِ؛ رِقَابَةً لِرَبِّهِ جَلَّ وَعَلَا، حَتَّى انْبَلَجَ الصُّبْحُ مُنْفَجِرًا مِنْ سُدْفَةِ اللَّيْلِ؛ وَحِينَئِذٍ سَقَى أَبِيهِ، ثُمَّ حَنَى بَعْدَ ذَلِكَ وَأَقْبَلَ عَلَى مَنْ سِوَاهُمَا.

هَذَا يَفْعَلُهُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ خَالِصًا، وَلَوْ أَنَّهُ دَخَلَ بِذَلِكَ اللَّبَنِ مُتَسَلِّلاً مِنْ غَيْرِ أَنْ يَفْطِنَ إِلَيْهِ أَحَدٌ أَبِيهِ، أَوْ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَفْطِنَا إِلَيْهِ مَعًا؛ لَكَانَ حِينَئِذٍ قَدْ أَتَى بِأَمْرٍ قَدْ خَالَفَ فِيهِ مَأْلُوفَ الْعَادَةِ، وَخَرَجَ فِيهِ عَنِ الْمُقْتَضَى الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ سَائِرًا؛ مِنْ إِخْلَاصِ عَمَلِهِ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ لِأَنَّهُ إِنَّمَا يَبْرُّ أَبِيهِ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَحْدَهُ.

(١) السَّوْرَةُ: الْحِدَّةُ. (القاموس المحيط: س. و. ر.).

فَلَمَّا أَتَى بِذَلِكَ كَذَلِكَ، ثُمَّ تَوَسَّلَ إِلَى اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ بِعَمَلِهِ الصَّالِحِ؛ فَرَجَّ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ عَنْهُمْ مِنَ الكُرْبَةِ بِمِقْدَارِ ثُلُثِ مَا كَانَ هُنَالِكَ مِنْ فَتْحَةِ العَارِ.

وَأَخْرَجُوا تَوَسَّلَ إِلَى اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ بِرِعَايَةِ سِرِّ عَلَى قِيَامِهِ.. عَلَى ضَمِيرِهِ بِمَا يَتَوَجَّبُ عَلَيْهِ الْقِيَامُ بِهِ؛ حَتَّى إِنَّهُ لَمَّا تَرَكَهُ الْأَجِيرُ، وَمَضَى مِنْ غَيْرِ أَنْ يُحْصَلَ أُجْرَتَهُ؛ لَمْ يَكْتَفِ بِأَنْ تَكُونَ فِي ذِمَّتِهِ، وَأَنْ يُعْلَمَ بِهَا مَنْ عِنْدَهُ مِنْ أَهْلِهِ؛ حَتَّى إِذَا مَا قَضَى، ثُمَّ جَاءَ ذَلِكَ الْأَجِيرُ يَوْمًا؛ لَكِنِّي يَطْلُبُ أَجْرَهُ؛ أَعْطَوْا هَذَا الْأَجِيرَ مَا يَسْتَحِقُّ، وَلَوْ أَنَّهُ فَعَلَ ذَلِكَ؛ لَكَانَتْ ذِمَّتُهُ قَدْ بَرَّاتٍ مِمَّا عَلَيْهِ، وَلَكِنْ أَخَذَ يَنْمِي لَهُ مَا كَانَ هُنَالِكَ حَتَّى كَانَ وَادِيًا!!

فَلَمَّا جَاءَهُ فَطالِبُهُ بِأَجْرِهِ؛ دَفَعَ إِلَيْهِ مَا كَانَ قَدْ نَمَاهُ لَهُ.

هَذَا يُرَاقِبُ فِيهِ رَبَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَلَا أَحَدٌ يُجْبِرُهُ عَلَى أَنْ يَفْعَلَ هَذَا، وَإِنَّمَا هُوَ رِقَابَةُ السِّرِّ، وَهُوَ الْقِيَامُ عَلَى الضَّمِيرِ بِمَا يَتَوَجَّبُ الْقِيَامُ بِهِ عَلَيْهِ؛ مِنْ أَجْلِ الْأَ يَفْلِتَ الزَّمَامُ، وَيَدْخُلُ النِّفَاقُ مُتَسَلِّلًا.

وَالرِّيَاءُ أَخْفَى مِنْ دَيْبِ النَّمْلَةِ السُّودَاءِ عَلَى الصَّخْرَةِ الصَّمَاءِ فِي اللَّيْلَةِ الظُّلْمَاءِ، يَتَسَلَّلُ إِلَى الْقُلُوبِ تَسَلُّلاً خَفِيًّا، حَتَّى إِذَا مَا اسْتَقَرَّ فِيهَا؛ تَشَعَّبَ فِيهَا تَشَعُّبًا سَرَطَانِيًّا؛ وَحِينَئِذٍ فَلَا حَلَّ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَّا الْإِسْتِصْالُ وَالْبُتْرُ، وَهُوَ الْمَوْتُ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ - نَسَأَلُ اللَّهَ السَّلَامَةَ وَالْعَافِيَةَ -.

وَفِي مَنْ ذَكَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الثَّلَاثَةِ: ذَلِكَ الَّذِي كَانَ - أَيُّضًا - مُرَاقِبًا لِنَفْسِهِ وَضَمِيرِهِ، قَائِمًا عَلَيْهِ بِمَا يَتَوَجَّبُ عَلَيْهِ أَنْ يَقُومَ بِهِ فِي تِلْكَ الْحَالِ، وَهُوَ الَّذِي كَانَ

مِنْ تِلْكَ الْمَرْأَةِ بَعْدَ أَنْ أَلْجَأَتْهَا الضَّرُورَةُ فِي سَنَةِ عَامَّةٍ - وَكَانَتْ سَنَةً شَدِيدَةً - فَالْجَأَتْهَا إِلَى ذَلِكَ الَّذِي كَانَتْ تَفِرُّ مِنْهُ، وَلَا تَبِيعُ شَرَفَهَا - مَهْمَا كَانَ - لِأَجْلِهِ، حَتَّى أَلْجَأَتْهَا الضَّرُورَةُ إِلَيْهِ.

وَكَانَ يَعْزِضُ عَلَيْهَا قَبْلَ ذَلِكَ مَا يَعْزِضُهُ مِنَ الْمَالِ مُرَاوِدًا، فَلَمَّا أَنْ أَلْجَأَتْهَا الضَّرُورَةُ إِلَيْهِ، وَأَخَذَتْ مِنْهُ الْمَالَ وَحَصَلَتْهُ، وَكَانَ مِنْهَا كَمَا يَكُونُ الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِهِ، فَلَمَّا كَانَ بَيْنَ شُعْبَيْهِمَا الْأَرْبَعِ؛ قَالَتْ: «يَا هَذَا؛ اتَّقِ اللَّهَ، وَلَا تَفْضِ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ».

قَالَ: «قُمْتُ عَنْهَا لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَحَدَهُ، فَإِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءً وَجْهِكَ الْكَرِيمِ؛ فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ».

وَمَا كَانَ أَحَدٌ مِنَ الْخَلْقِ يَمْنَعُهُ عَنِ الْإِثْيَانِ مَا كَانَ قَدْ هَمَّ وَعَزَمَ عَلَى الْإِثْيَانِ بِهِ؛ بَلْ إِنَّهُ يَقُولُ: «لَقَدْ قُمْتُ عَنْهَا وَهِيَ أَحَبُّ خَلْقِ اللَّهِ إِلَيَّ».

وَمَعَ هَذِهِ الْمَحَبَّةِ؛ فَإِنَّهُ جَعَلَ هَذَا الْأَمْرَ دَبْرَ أُذُنِيهِ، وَتَحْتَ مَوَاطِئِ قَدَمِيهِ، ثُمَّ انْطَلَقَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ فِي قَفْزَةٍ وَاحِدَةٍ، يَعْبُرُ سُدُودَ الْمَعَاصِي؛ حَتَّى كَانَ فِي رِحَابِ طَاعَاتِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

يَقُولُ: «إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءً وَجْهِكَ الْكَرِيمِ؛ فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ».

رِقَابَةَ السِّرِّ، هَذَا كُلُّهُ فِي رِقَابَةِ السِّرِّ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا لَمْ يَكُنْ مُؤْمِنًا إِيْمَانًا صَحِيحًا؛ فَإِنَّهُ لَا سِرَّ عِنْدَهُ أَصْلًا.

وَأَمَّا إِذَا كَانَ الْإِيْمَانُ قَدْ اسْتَقَرَّ فِي قَلْبِهِ عَلَى نَحْوِ صَحِيحٍ؛ فَإِنَّهُ حِينَمَا يَكُونُ مُرَاقِبًا لِرَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى؛ وَحِينَمَا يَكُونُ فِعْلُهُ وَتَرْكُهُ، وَإِقْبَالُهُ وَإِدْبَارُهُ، وَيَكُونُ

سُكُونُهُ، وَتَكُونُ حَرَكَتُهُ؛ كُلُّ ذَلِكَ يَكُونُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ وَحُدَّهُ، وَيَتَوَقَّفُ مُتَمَلِّيًا
فِي صَمِيرِهِ، نَاطِرًا فِي سِرِّهِ: أَذَلِكَ يُفَعَلُ خَالِصًا لِلَّهِ؟

أَهَذَا يُقَالُ خَالِصًا لِلَّهِ؟

فَإِنْ كَانَ كَذَلِكَ؛ أَمْضَاهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ؛ فَإِنَّهُ يَكُونُ أَبْعَدَ النَّاسِ عَنْهُ. (*)



(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «رِقَابَةُ السَّرِّ وَرِعَايَةُ الصَّمِيرِ» - الجُمُعَةُ ٢٠ مِنْ ذِي القَعْدَةِ

مُرَاقَبَةُ اللَّهِ وَالضَّمِيرِ الْحَيِّ فِي الْعَمَلِ

* مِنْ مُرَاقَبَةِ اللَّهِ فِي الْعَمَلِ: آدَاءُ الْعَمَلِ بِأَمَانَةٍ:

اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ أَمَرَ بِآدَاءِ الْأَمَانَاتِ، وَآدَاءِ الْأَمَانَاتِ يَدْخُلُ فِيهِ كُلُّ شَيْءٍ فِي الْحَيَاةِ؛ فَالْعِبَادَاتُ أَمَانَةٌ، وَالْخِيَانَةُ فِيهَا أَنْ تُنْتَقَصَ، فَإِذَا انْتَقَصَ الْإِنْسَانُ مِنَ الْعِبَادَةِ فَهُوَ خَائِنٌ.

وَالْمُعَامَلَاتُ أَمَانَةٌ، وَمَا يُسْتَأْمَنُ عَلَيْهِ الْمَرْءُ أَمَانَةٌ، وَالسِّرُّ أَمَانَةٌ، وَكُلُّ أَمْرٍ تَعَلَّقَ بِهِ أَمْرٌ وَنَهِيَ فِي دِينِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَهُوَ أَمَانَةٌ، وَالْخِيَانَةُ فِيهِ: أَلَّا يُؤْتَى بِهِ عَلَى الْوَجْهِ الشَّرْعِيِّ الْمَطْلُوبِ.

فَإِذَا كَانَ إِنْسَانٌ فِي عَمَلٍ؛ فَالْعَمَلُ الَّذِي اسْتُوْمِنَ عَلَيْهِ أَمَانَةٌ، فَإِذَا خَانَ فِيهِ فَهُوَ خَائِنٌ، وَجَزَاءُ الْخَائِنِ مَعْلُومٌ، وَكُلُّ مَنْ أُسْنِدَ إِلَيْهِ عَمَلٌ، فَلَمْ يَأْتِ بِهِ عَلَى وَجْهِهِ؛ فَقَدْ أَكَلَ مِنْ حَرَامٍ إِنْ كَانَ مُتَحَصِّلاً مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ عَلَى أَجْرٍ؛ شَاءَ أَمْ أَبِي.

وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ إِذَا كَانَ مُوظِّفًا يَتَحَصَّلُ عَلَى رَاتِبٍ فِي مُقَابِلِ عَمَلِهِ؛ كَثِيرٌ مِنْهُمْ -بَلْ جُلُّهُمْ- لَا يَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ مُسْتَأْجِرُونَ، هُمْ أَجْرَاءُ، مُسْتَأْجِرُونَ عَلَى حَسَبِ عَقْدٍ مُبْرَمٍ وَلَائِحَةٍ لَهَا بِنُودٍ، وَهُمْ فِي أَعْمَالِهِمْ يَنْبَغِي أَنْ يَلْتَزِمُوا بِمَا تَعَاقَدُوا عَلَيْهِ بَدْءًا.

وَكُلُّ مَنْ فَرَطَ فَقَدْ تَحَصَّلَ عَلَى مَالٍ مِنْ غَيْرِ حِلِّهِ، وَهُوَ أَكْلٌ مِنْ حَرَامٍ، وَهُوَ مُعَذِّبٌ أَهْلَهُ وَوَلَدَهُ، وَبَانَ بَيْتُهُ، وَمُقْتَنٌ مَرْكُوبُهُ مِنْ حَرَامٍ.

* وَمِنْ مُرَاقَبَةِ اللَّهِ فِي الْعَمَلِ: حُرْمَةُ تَحْصِيلِ الْمُوظَّفِ أَمْوَالًا غَيْرَ رَاتِبِهِ فِي أَثْنَاءِ الْعَمَلِ:

النَّبِيُّ ﷺ حَذَرَ أَنْ يَأْخُذَ الْمَرْءُ شَيْئًا فِي أَثْنَاءِ الْعَمَلِ، يَعْنِي: فِي أَثْنَاءِ الْعَمَلِ كُلِّهِ، لَا فِي أَثْنَاءِ أَدَائِهِ؛ لِأَنَّهُ مُسْتَأْجِرٌ، قَدْ يَأْتِيهِ صَاحِبُ الْحَاجَةِ فِي بَيْتِهِ، لَا فِي عَمَلِهِ، فَيُعْطِيهِ الْهَدِيَّةَ.. هِيَ لَا تَحِلُّ، الْهَدِيَّةُ لَا تَحِلُّ؛ «فَهَلَّا جَلَسَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ، وَبَيْتِ أُمِّهِ؛ لِنَنْظُرُ أَيُّهُدَى إِلَيْهِ أَمْ لَا؟!»^(١).

فَكُلُّ مَا تَحَصَّلَ عَلَيْهِ الْمُوظَّفُ مِنْ هَدِيَّةٍ؛ فَلَا يَحِلُّ. (*).

* مِنْ مُرَاقَبَةِ اللَّهِ وَرِعَايَةِ الضَّمِيرِ فِي التَّجَارَةِ: عَدَمُ الْغِشِّ فِي الْبَيْعِ:

النَّبِيُّ ﷺ رَهَبَ مِنَ الْغِشِّ، وَرَغِبَ فِي النَّصِيحَةِ فِي الْبَيْعِ وَغَيْرِهِ؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ عَلَى صُبْرَةٍ طَعَامٍ، فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا، فَتَأَلَّتْ أَصَابِعُهُ بَلَلًا، فَقَالَ: «مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟!».

قَالَ: أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللَّهِ.

(١) أخرجه البخاري في (الأحكام، ٢٤، رقم ٧١٧٤) وفي مواضع، ومسلم في (الإمارة، ٧: ١، رقم ١٨٣٢)، من حديث: أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(* مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ خُطْبَةٍ: «هَدَايَا الْمُوظَّفِينَ» - الْجُمُعَةُ ٥ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ

قَالَ ﷺ: «أَفَلَا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ؛ كَيْ يَرَاهُ النَّاسُ؟ مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي». رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١).

وَمِنْ كِبَائِرِ الْإِثْمِ، وَعِظَائِمِ الذُّنُوبِ: تَطْفِيفُ الْمَكَايِلِ وَالْمَوَازِينِ.
وَالتَّطْفِيفُ: الْبَخْسُ وَالتَّقْصُ؛ فَهُوَ مُطَفِّفٌ، وَالْجَمْعُ: مُطَفِّفُونَ.

قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴿٨﴾
وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ [الرَّحْمَنُ: ٧-٩].

وَقَالَ ﷺ فِي رِعَايَةِ الْمَوَازِينِ: «إِذَا وَزَنْتُمْ؛ فَأَرْجِحُوا» (٢). (*).

عِبَادَ اللَّهِ! فَلْيَجْتَهِدِ الرَّجُلُ مِنْكُمْ فِي آدَاءِ عَمَلِهِ عَلَى النَّحْوِ الْمَرْضِيِّ، فَإِنَّ اللَّهَ رَبُّ الْعَالَمِينَ قَدْ جَعَلَ لِلنَّاسِ مَعَ النَّاسِ الْمَنَافِعَ الَّتِي لَا تُحْصَى وَلَا تُعَدُّ. (* / ٢).
فَاللَّهُ فِي أَنْفُسِكُمْ عِبَادَ اللَّهِ، أَدُّوا أَعْمَالَكُمْ عَلَى الْوَجْهِ الْمَرْضِيِّ عِنْدَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. (* / ٣).

(١) أخرجه مسلم في (الإيمان، ٤٣: ٢، رقم ١٠٢)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) أخرجه ابن ماجه في (التجارات، ٣٤: ٣، رقم ٢٢٢٢)، من حديث: جَابِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،
وصحح إسناده الألباني في «الصحيفة» (٣٩٤٢).

(* / ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصِرٌ مِنْ خُطْبَةٍ: «خُطُورَةُ الْإِحْتِكَارِ عَلَى الْأَمْنِ وَالِاسْتِقْرَارِ» - الْجُمُعَةُ
٢٨ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ١٤٣٧ هـ / ٣٠-٩-٢٠١٦ م.

(* / ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنَ الْمُحَاضِرَةِ الثَّانِيَةِ مِنْ سِلْسِلَةٍ: «أَكُلِ الْحَلَالَ».

(* / ٣) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنَ الْمُحَاضِرَةِ الْأُولَى مِنْ سِلْسِلَةٍ: «أَكُلِ الْحَلَالَ».

نَسأَلُ اللهَ رَبَّ العالَمِينَ أَنْ يُصَلِّحَ سَرائِرَنا، وَأَنْ يُصَلِّحَ بَواطِئَنا، وَأَنْ يُجَمِّلَ
بِاتِّباعِ السُّنَّةِ ظَواهِرَنا وَبَواطِئَنا، وَأَنْ يُمَسِّكَنا الإِسلامَ العَظيمَ حَتَّى نَلقَى وَجْهَهُ
الكَرِيمَ عَلى قَدَمِ الصِّدِّيقِ بِاتِّباعِ النَّبِيِّ الكَرِيمِ ﷺ.



مَثَلُ عَجِيبٍ فِي رِقَابَةِ السَّرِّ وَرِعَايَةِ الضَّمِيرِ

فَمِنْ أَعْظَمَ مَا يُتَمَلَّى فِيهِ فِي رِقَابَةِ السَّرِّ، وَرِعَايَةِ الضَّمِيرِ، وَالْفَتْشِ عَنِ
الْبَوَاعِثِ، وَالْفَحْصِ عَنِ الدَّوَافِعِ، وَالرَّقَابَةِ لِلنِّيَّاتِ:

مَا أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» (١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، حَدِيثٌ ذَكَرَ فِيهِ
النَّبِيُّ ﷺ أَمْرًا وَقَعَ لِرَجُلٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ.

كَانَ رَجُلٌ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ اسْتَسَلَفَ رَجُلًا أَلْفَ دِينَارٍ، فَقَالَ: ائْتِنِي
بِالشُّهْدَاءِ.

قَالَ: كَفَى بِاللَّهِ شَهِدًا.

قَالَ: فَائْتِنِي بِالْكَفِيلِ - يَعْنِي: الَّذِي يَكْفُلُكَ، فَإِذَا قَصَّرْتَ، أَوْ عَجَزْتَ، أَوْ
مَاطَلْتَ، أَوْ سَوَّفْتَ، أَوْ أَفْلَسْتَ، أَوْ جَحَدْتَ؛ طَالَبْتُهُ، فَائْتِنِي بِالْكَفِيلِ -.

قَالَ: كَفَى بِاللَّهِ كَفِيلًا.

قَالَ: رَضِيتُ بِاللَّهِ شَهِدًا، وَرَضِيتُ بِاللَّهِ كَفِيلًا، فَأَسْلَفَهُ.

الدِّينَارُ مِنْ ذَهَبٍ، وَالذَّرْهُمُ مِنَ الْفِضَّةِ.

(١) «صحيح البخاري»: ٤/٤٦٩، رقم (٢٢٩١).

فَأَسْلَفَهُ أَلْفَ دِينَارٍ، وَكَانَ قَدْ وَاعَدَهُ عِدَّةً عَلَى الْأَلْفِ يُخْلِفُهُ، وَأَنْ يَأْتِيهِ بِالْمَالِ؛ لِأَنَّهُ كَانَ سَيَذْهَبُ بِهِ مُتَاجِرًا، فَوَعَدَهُ مَوْعِدَةً، وَضَرَبَ لَهُ مَوْعِدًا عَلَى أَنْ يَأْتِيَهُ بِالْمَالِ الَّذِي اسْتَسْلَفَهُ إِيَّاهُ فِي ذَلِكَ الْمَوْعِدِ، ثُمَّ مَضَى لِسَبِيلِهِ، فَرَكِبَ البَحْرَ.

ثُمَّ دَنَا الْمَوْعِدُ وَلَمْ يَجِدْ مَرْكَبًا، فَكَانَ يَخْرُجُ إِلَى السَّاحِلِ يَنْظُرُ، فَلَا يَجِدُ وَلَا فِي الْأُفُقِ بِمَبْعَدَةِ مَرْكَبًا، وَلَا شِرَاعَ يَخْفِتُ، وَالبَحْرُ مُمْتَدُّ أَمَامَهُ، لَا يَصِلُ فِيهِ الطَّرْفُ إِلَى مُتْتَهَاهُ، وَإِنَّمَا مُتْتَهَاهُ فِي مَرَأَى العَيْنِ: انْطِيقَ السَّمَاءِ عَلَى المَاءِ فِي مَرَأَى العَيْنِ، فَيَعُودُ.

فَلَمَّا دَنَا الْمَوْعِدُ؛ أَتَى بِخَشَبَةٍ، فَنَقَرَهَا، فَوَضَعَ فِيهَا الأَلْفَ الدِّينَارِ، وَكَتَبَ كِتَابًا - حَرَّرَ خَطَابًا - فَجَعَلَهُ مَعَ المَالِ فِي صُرَّةٍ فِي تِلْكَ النُّقْرَةِ الَّتِي نَقَرَ، ثُمَّ ذَجَّجَهَا - يَعْنِي: أَحْكَمَ المَكَانَ الَّذِي نَقَرَ أَنْفًا - ثُمَّ أَتَى البَحْرَ.

ثُمَّ إِنَّهُ قَالَ: «وَاللَّهِ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ قَدْ اسْتَسْلَفْتُ فَلَانًا أَلْفَ دِينَارٍ عَلَى أَنْ أُؤَدِّيَهَا إِلَيْهِ فِي مَوْعِدِ كَذَا، وَإِنِّي قَدْ جَهَدْتُ أَنْ أَجِدَ مَرْكَبًا، فَلَمْ أَجِدْ؛ فَاللَّهُمَّ أَدِّ عَنِّي».

ثُمَّ دَفَعَهَا فِي المَاءِ، وَوَقَفَ يَنْظُرُ حَتَّى لَجَّجَتْ فِي لُجَّةِ المَاءِ، وَرَجَعَ!!
فَلَمْ يَزَلْ جَاهِدًا فِي تَطَلُّبِ المَرْكَبِ؛ حَتَّى يَعُودَ إِلَى وَطَنِهِ، وَأَمَّا الخَشَبَةُ؛ فَقَدْ اسْتَوْدَعَهَا اللهُ رَبَّ العَالَمِينَ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ الأَمِينُ ﷺ: «وَإِنِّي اسْتَوْدَعْتُهَا».

وَرَجَّ بِهَا فِي غَمْرَةِ المَاءِ، تَتَلَجَّجُ ارْتِفَاعًا وَانْخِفَاضًا مَعَ أَمْوَاجِهَا.

وَأَمَّا الَّذِي كَانَ أَسْلَفَهُ؛ فَإِنَّهُ كَانَ يَخْرُجُ، فَيَنْظُرُ، فَلَا يَجِدُ فِي الْأَفُقِ مِنْ شِرَاعٍ يَلُوحُ، فَيَعُودُ مَعَ الْعَشِيَّةِ إِلَى أَهْلِهِ وَأَوْلَادِهِ.

وَكَانَ يَخْرُجُ مُنْتَظِرًا الَّذِي وَعَدَهُ، وَالَّذِي رَضِيَ بِاللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَعَهُ فِيمَا أَسْلَفَهُ إِيَّاهُ كَفِيلاً وَشَهِيداً؛ كَيْفَ يُؤَدِّي!!؟

وَإِنَّهُ لَمَّا خَرَجَ فِي خُرُوجِهِ مِنْ خُرُوجَاتِهِ؛ وَجَدَ خَشَبَةً هُنَالِكَ عَلَى سَطْحِ الْمَاءِ تَلُوحُ، فَاَنْتَظَرَهَا حَتَّى تَهَادَتْ إِلَيْهِ، وَأَخَذَهَا، يُرِيدُ أَنْ يَجْعَلَهَا جَمِراً، يُرِيدُ أَنْ يُشْعِلَهَا لِأَبْنَائِهِ نَارًا.

فَلَمَّا أَخَذَهَا؛ نَشَرَهَا.. كَسَرَهَا، نَظَرَ فِيهَا؛ وَجَدَ الْمَالَ وَالْخِطَابَ!!

وَأَمَّا الْآخِرُ؛ فَإِنَّهُ ظَلَّ عَلَى تَرْقِيهِ، يَنْظُرُ مَرْكَبًا، يُرِيدُ أَنْ يَعُودَ إِلَى أَهْلِهِ، وَيُرِيدُ أَنْ يَعُودَ إِلَى مَنْ أَسْلَفَهُ؛ لَكِنِّي يُؤَدِّي الدِّينَ عَنِ نَفْسِهِ بَعْدَ أَنْ صَنَعَ مَا صَنَعَ!!

وَهَذَا الَّذِي صَنَعَ؛ مَاذَا كَانَ!!؟

ثُمَّ إِنَّهُ وَجَدَ -بَعْدَ- مَرْكَبًا، فَعَادَ، فَذَهَبَ إِلَى صَاحِبِهِ، وَقَالَ: إِنَّكَ كُنْتَ قَدْ أَسْلَفْتَنِي أَلْفَ دِينَارٍ إِلَيَّ وَقَتِ كَذَا، وَإِنِّي كُنْتُ قَدْ جَهَدْتُ أَنْ أَرْجِعَ إِلَيْكَ فِي الْمَوْعِدِ، فَلَمْ يُقَدِّرْ، وَإِنِّي قَدْ رَجَعْتُ إِلَيْكَ عَلَى أَوَّلِ مَرْكَبٍ أَتَتْ، ثُمَّ رَحَلْتُ وَأَبْحَرْتُ، وَهَذَا مَالُكَ.

فَقَالَ: أَلَمْ تَبْعَثْ إِلَيَّ بِشَيْءٍ؟

قَالَ: قُلْتُ لَكَ: إِنِّي جِئْتُكَ عَلَى أَوَّلِ مَرْكَبٍ.

قَالَ: أَلَمْ تُؤَدِّ إِلَيَّ مَا كُنْتَ أَخَذْتَ؟

قَالَ: قُلْتُ لَكَ: إِنِّي قَدْ رَجَعْتُ إِلَيْكَ، وَجِئْتُ إِلَيْكَ مُعْتَذِرًا عَمَّا كَانَ مِنْ التَّأخِيرِ عَنِ المَوْعِدِ المَضْرُوبِ، وَأَخْبَرْتُكَ أَنِّي قَدْ رَجَعْتُ إِلَيْكَ عَلَيَّ أَوَّلِ مَرَكَبٍ.

فَقَالَ: فَإِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدْ آدَى عَنْكَ.

تَأَمَّلِ الآنَ فِي رِقَابَةِ السَّرِّ وَرِعَايَةِ الضَّمِيرِ عَلَيَّ السَّاحِلِ، وَعَدَمِ الإِعْتِدَادِ بِهَذَا الَّذِي فَعَلَ؛ لِأَنَّهُ لَمَّا رَجَعَ؛ ذَهَبَ إِلَيْهِ، يُرِيدُ أَنْ يُؤَدِّيَ إِلَيْهِ مَا كَانَ قَدْ أَخَذَ مِنْهُ، وَلَمْ يَقُلْ: يَا فُلَانُ! إِنِّي وَاللهِ فِي المَوْعِدِ قَدْ أَرْسَلْتُ إِلَيْكَ الخَشَبَةَ؛ أَوْصَلْتُ، أَمْ هِيَ تَتَلَكَّأُ مَعَ الأَمْوَاجِ؟!!

لَعَلَّهَا تَكُونُ طَافِيَةً هَاهُنَا أَوْ هُنَاكَ تَلْعَبُ مَعَ الأَسْمَاكِ!!

لَمْ يَقُلْ لَهُ مَا صَنَعَ، بَلْ إِنَّهُ كَانَ يُرَاجِعُهُ، يَقُولُ: قُلْتُ لَكَ: إِنِّي قَدْ آتَيْتُ إِلَيْكَ أَوَّلَ مَا وَجَدْتُ الوَسِيلَةَ إِلَيْكَ؛ فَكَيْفَ أَكُونُ قَدْ آدَيْتُ مَا كَانَ عَلَيَّ؟!!

وَهُوَ يُرَاجِعُهُ..

فَمَا الَّذِي فِي ضَمِيرِهِ؟!!

مَا الَّذِي فِي نَفْسِهِ؟!!

مَا الَّذِي كَانَ يَدُورُ فِي قَلْبِهِ وَفُؤَادِهِ وَهُوَ يَقِفُ هُنَاكَ عَلَيَّ سَاحِلِ البَحْرِ، وَكَانَ الرَّجُلُ الَّذِي أَسْلَفَهُ قَدْ رَضِيَ بِاللهِ شَهِيدًا، وَرَضِيَ بِاللهِ كَفِيلاً، وَهَذَا أَمْرٌ

كَبِيرٌ.. كَبِيرٌ عَلَى الَّذِي كَانَ قَدْ أَخَذَ؛ فَإِنَّهُ يَقُولُ: رَضِيَ بِاللَّهِ شَهِيدًا.. رَضِيَ بِاللَّهِ
 كَفِيًّا، وَأَنَا أَلْعَبُ؟! وَأَنَا لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَعُودَ، مَعَ أَنَّهَا - كَمَا تَرَى - ضَرُورَةٌ مُلِحَّةٌ
 قَاضِيَةٌ بِأَنَّهُ لَا شَيْءَ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَجِدْ وَسِيلَةً، وَلَكِنْ مَا زَالَ ذَلِكَ يَتَحَرَّكُ فِي
 نَفْسِهِ حَتَّى فَعَلَ مَا فَعَلَ.



رِقَابَةُ الصَّمِيرِ وَرِعايَةُ السَّرِّ فِي زَحْمَةِ الحِياةِ وَصِراعِها!!

رِقَابَةُ الصَّمِيرِ، وَرِعايَةُ المَكُنُونِ فِي السَّرِّ، فِي قَلْبِ قَدِ انطَوَى عَلَيَّ مَا انطَوَى عَلَيَّ، وَفِي زَحْمَةِ الحِياةِ بِأَحداثِها يَتَبَدَّى المَنْطِقُ الذُّبابِيُّ، صِراعَاتُ النَّاسِ، وَاهْتِمَامَاتُهُمُ الصَّغِيرَةُ؛ حَتَّى وَإِنْ بَدَأَ النَّاسُ آخِذِينَ بِمَا هُوَ حَقٌّ فِي ظاهِرِ الأَمْرِ؛ وَلَكِنَّهُمْ رُبَّمَا أَخْطَؤا إِلَيْهِ الوَسِيلَةَ.

اشْتِباكَتُهُمْ.. مُشاجِرَاتُهُمْ.. صِراعَاتُهُمْ.. مَعَارِكُهُمْ.. أَحْوالُهُمْ فِيمَا بَيْنَهُمْ.

النَّاسُ فِي زَحْمَةِ الحِياةِ يُبَدِّدُونَ كَثِيرًا مِنَ الطَّاقَاتِ، وَيَفْقِدُونَ كَثِيرًا مِنَ صالِحِ النِّيَّاتِ، وَيَتَبَدَّى فِي حِياتِهِمُ المَنْطِقُ الذُّبابِيُّ؛ فَإِنَّ الذُّبابَةَ إِذَا رَأَتْ العَسَلَ قَالَتْ: مَنْ يُوَصِّلُنِي إِلَيْهِ وَلَهُ دِرْهَمَانِ؟!!

فَإِذَا وَصَلَتْ إِلَيْهِ، فَوَقَعَتْ فِيهِ، فَلَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تَخْرُجَ مِنْهُ؛ تَقُولُ: مَنْ يُخْرِجُنِي مِنْهُ وَلَهُ أَرْبَعَةُ دِراهِمٍ?!!

فَكَذَلِكَ الإِنْسَانُ؛ إِذَا مَا انزَلَقَتْ رِجلُهُ فِي تِلْكَ الشَّبَكَةِ العَجِيبَةِ، وَتِلْكَ المَتَاهَةِ الَّتِي لا تَنْتَهِي؛ مِنَ اشْتِباكَاتِ اهْتِمَامَاتِ النَّاسِ الصَّغِيرَةِ، لا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَجَرَّدَ، وَلا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَعُودَ، فَمَا هُوَ إِلا أَنْ يَنْزَلِقَ؛ حَتَّى يَكُونَ كَالْحَجَرِ الَّذِي

يَنْحَدِرُ مِنْ قِمَّةِ الْجَبَلِ، لَا قَرَارَ لَهُ إِلَّا فِي السَّفْحِ، لَا قَرَارَ لَهُ إِلَّا فِي الْهُوَّةِ، وَمَنْ
يَسْتَطِيعُ أَنْ يُوقِفَهُ؟!؟!

حَجَرٌ مُنْدَفِعٌ مِنْ قِمَّةِ الْجَبَلِ، يَنْزِلُ بِثِقَلِهِ، وَبِالْجَاذِبِيَّةِ الَّتِي تَشُدُّهُ إِلَيْهَا شَدًّا،
حَتَّى يَسْتَوِيَ عَلَى قَرَارٍ، وَأَيْنَ الْقَرَارُ؟!؟!

وَأَيْنَ السَّفْحُ مِنَ الْقِمَّةِ الشَّمَاءِ، وَمِنْ الْمُرْتَفَعِ الْعَالِي؟!؟!

وَأَيْنَ السَّفْحُ مِنْ طَهَارَةِ مَاءِ الْمُزْنِ فِي عَلِيًّا أَجْوَاذِ الْفَضَاءِ؟!؟!

أَيْنَ مِنْ أَيْنَ؟!؟!

فَإِذَا دَخَلَ الْمَرْءُ مُشْتَبِكًا فِي هُمُومِ النَّاسِ الصَّغِيرَةِ، هُمُومِهِمْ صَغِيرَةٌ، أَحْيَانًا
يُزَيِّنُونَهَا، وَالْبَاعِثُ عَلَيْهَا حَظُّ النَّفْسِ، وَالنَّفْسُ كَلْبِيَّةٌ، وَخِنْزِيرِيَّةٌ، وَسَبْعِيَّةٌ،
وَإِنْسَانِيَّةٌ، وَلَوْ كُشِفَ الْغِطَاءُ؛ لَرَأَيْتَ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ!!

فَأَمَّا أَهْلُ الْإِعْتِدَاءِ، وَالِاشْتِبَاكِ، وَالتَّعَدِّيِّ، وَالظُّلْمِ، وَالْعُدْوَانِ؛ فَنُفُوسٌ
سَبْعِيَّةٌ.

وَأَمَّا الَّذِينَ يُقْبِلُونَ عَلَى الْقَادُورَاتِ يَتَقَمَّمُونَهَا؛ فَأَوْلِيكَ أَصْحَابُ النُّفُوسِ
الْخِنْزِيرِيَّةِ.

وَأَمَّا الَّذِينَ يَعْطُونَ.. يَهْرُونَ.. يَمْدَحُونَ، لَا يَأْتِي مِنْهُمْ خَيْرٌ إِلَّا لِمَا مَا؛
فَأَصْحَابُ النُّفُوسِ الْكَلْبِيَّةِ.

وَأَمَّا البَشَرُ الأَسَوياءُ الَّذِينَ اسْتَقَامُوا عَلَيَّ مِنْهاجِ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَمَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ؛ فَهُمُ النَّاسُ حَقًّا، هُوَ لَآ تَسْتَفِزُّهُمُ تِلْكَ الأُمُورُ، فَيَقِفُ صامِدًا؛ لِأَنَّهُ يُرَاقِبُ السِّرَّ.

النَّبِيُّ ﷺ أَعْظَمُ الخَلْقِ إِخْلاصًا لِلَّهِ.

النَّبِيُّ ﷺ قِيلَ فِيهِ مَا قِيلَ ﷺ، وَهُوَ ﷺ يُبَلِّغُ دِينَ رَبِّهِ، وَيَدْعُو إِلَى سَبِيلِهِ جَلَّ وَعَلَا بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ، يُجَاهِدُ فِي مَوَاطِنِ الجِهَادِ بِاللِّسَانِ، كَمَا يُجَاهِدُ بِالسِّنَانِ ﷺ، وَيَحْلُمُ فِي مَوَاطِنِ الحِلْمِ.

وَكَانَ ﷺ إِذَا انْتَهَكَتْ حُرْمَةٌ مِنْ حُرْمَاتِ اللَّهِ؛ لَمْ يَقَمْ لِعَظَمَةِ شَيْءٍ ﷺ؛ وَلَكِنْ لَا يَنْتَصِرُ لِنَفْسِهِ أَبَدًا، وَلَمْ يَنْتَصِرْ لِنَفْسِهِ قَطُّ، وَهُوَ ﷺ يُفَرِّقُ بَيْنَ مَا هُوَ شَرْعِيٌّ، وَمَا هُوَ شَخْصِيٌّ.

فَمَا كَانَ شَخْصِيًّا فَهُوَ مُهْدَرٌ، وَأَمَّا مَا تَعَلَّقَ بِالشَّرْعِ؛ فَإِنَّهُ ﷺ لَا يَقْبَلُ اعْتِدَاءً عَلَيَّ الشَّرْعِ مِنْ أَيِّ أَحَدٍ ﷺ.

يُهَانُ فِي ذَاتِهِ؛ هَذَا شَيْءٌ لَا قِيمَةَ لَهُ، وَأَمَّا إِذَا مَا أَهينَ ﷺ لَا فِي شَخْصِهِ، وَإِنَّمَا مِنْ حَيْثُ هُوَ رَسُولٌ وَنَبِيٌّ؛ فَهَذَا أَمْرٌ كَبِيرٌ.

الَّذِينَ يَعْتَدُونَ عَلَيَّ حُرْمَاتِ الدِّينِ، فَيَذْمُونَ النَّبِيَّ ﷺ بِذَلِكَ الغِنَاءِ المَاجِنِ الدَّاعِرِ - كَمَا كَانَ مِنَ القَيْتَيْنِ -، أَوْ يَسُبُّ النَّبِيَّ ﷺ، وَيَعْتَدِي عَلَيْهِ؛ وَحِينَئِذٍ

يَتَأْتِي الشَّرْعُ بِأَحْكَامِهِ: «هُوَ لَاءٍ إِذَا فُتِحَتْ مَكَّةُ؛ فَلَا تَدْعُوهُمْ حَتَّى تَقْتُلُوهُمْ؛ وَلَوْ كَانُوا مُتَعَلِّقِينَ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ» (١).

فَتَفَرَّقَ أَنْتَ بَيْنَ مَا هُوَ ذَاتِيَّ شَخْصِيٍّ؛ يَتَعَلَّقُ بِذَاتِكَ أَنْتَ، هَذَا مُهْدَرٌ لَا قِيَمَةَ لَهُ، وَمَا كَانَ مُتَعَلِّقًا بِدِينِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ هَذَا لَا هَوَادَةَ فِيهِ، هَذَا لَا تَفْرِيطَ فِيهِ بِحَالٍ، هَذَا لَا بُدَّ مِنَ السَّعْيِ فِي التَّحْصُلِ عَلَيْهِ، وَاسْتِيفَائِهِ كَامِلًا، هَذَا إِذَا مَا كَانَ مُتَعَلِّقًا بِدِينِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَمَا تَعَلَّقَ بِشَخْصِكَ فَهُوَ مُهْدَرٌ، لَا قِيَمَةَ لَهُ، هَذَا لَا قِيَمَةَ لَهُ فِي حَقِيقَةِ الْأَمْرِ.
وَأَمَّا مَا تَعَلَّقَ بِالدِّينِ؛ فَهَذَا مَا يَكُونُ الْعَبْدُ الْمُسْلِمُ الَّذِي يُفَرِّقُ بَيْنَ مَا هُوَ ذَاتِيَّ شَخْصِيٍّ، وَمَا هُوَ دِينِيَّ شَرْعِيٍّ مَوْضُوعِيٍّ، يُفَرِّقُ بَيْنَ هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ.
قَدْ يَشْتَبِهُ الْأَمْرُ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ، فَيُظَنُّ مَا هُوَ شَرْعِيٌّ؛ يُظَنُّ ذَاتِيًّا شَخْصِيًّا، وَيُظَنُّ مَا هُوَ شَخْصِيٍّ دِينِيًّا شَرْعِيًّا، وَلَيْسَ كَذَلِكَ، وَإِنَّمَا لَا بُدَّ مِنْ تَحْرِيرِ مَوْطِنِ النَّزَاعِ هَا هُنَا؛ لِأَنَّهُ سَيَنْبِي عَلَيْهِ عَمَلٌ، سَتَفْتَرِقُ هَا هُنَا السُّبُلُ.

(١) أخرج أبو داود في «السنن»: ٥٩/٣، رقم (٢٦٨٣)، والنسائي في «المجتبى»: ١٠٥/٧، رقم (٤٠٦٧)، من حديث: سعد بن أبي وقاص، قال: لَمَّا كَانَ يَوْمُ فَتْحِ مَكَّةَ أَمَّنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّاسَ، إِلَّا أَرْبَعَةَ نَفَرٍ وَأَمْرَاتَيْنِ وَقَالَ: «اقْتُلُوهُمْ، وَإِنْ وَجَدْتُمُوهُمْ مُتَعَلِّقِينَ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ، عِكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَطَلٍ وَمَقِيسُ بْنُ صُبَابَةَ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي السَّرْحِ»،... الحديث.

والحديث صححه الألباني في «الصحيححة»: ٣٠٠/٤، رقم (١٧٢٣).

فَلَا بُدَّ مِنْ تَحْرِيرِ مَوْطِنِ النَّزَاعِ هَاهُنَا، فَإِذَا مَا حُرِّرَ مَوْطِنُ النَّزَاعِ، وَإِذَا مَا كُنْتَ مُتَأَكِّدًا مُتَيَقِّنًا أَنَّكَ فِيهِ قَدْ رَاقَبْتَ السَّرَّ، وَرَجَعْتَ فِيهِ إِلَى الطَّوِيَّةِ، وَنَظَرْتَ فِيهِ بِالْبَحْثِ وَالْفَحْصِ فِي أَطْوَاءِ الضَّمِيرِ، وَكُنْتَ مُتَيَقِّنًا مِنْ ذَلِكَ؛ فَسِرْ عَلَيَّ بِرَكَّةِ اللَّهِ. (*)



(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «رِقَابَةُ السَّرِّ وَرِعَايَةُ الضَّمِيرِ» - الْجُمُعَةُ ٢٠ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ

الصِّيَامُ تَدْرِيْبٌ عَلَى مُرَاقِبَةِ اللَّهِ تَعَالَى

عِبَادَ اللَّهِ! لَقَدْ ذَكَرَ تَعَالَى حِكْمَتَهُ فِي مَشْرُوعِيَةِ الصِّيَامِ، فَقَالَ: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣]؛ فَإِنَّ الصِّيَامَ مِنْ أَكْبَرِ أَسْبَابِ التَّقْوَى، لِأَنَّ فِيهِ امْتِثَالَ أَمْرِ اللَّهِ وَاجْتِنَابَ نَهْيِهِ.

فَمِمَّا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ مِنَ التَّقْوَى: أَنَّ الصَّائِمَ يَتْرُكُ مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَالْجِمَاعِ وَنَحْوِهَا، الَّتِي تَمِيلُ إِلَيْهَا نَفْسُهُ؛ مُتَقَرِّبًا بِذَلِكَ إِلَى اللَّهِ، رَاجِيًا بِتَرْكِهَا ثَوَابَهُ، فَهَذَا مِنَ التَّقْوَى.

وَمِنْ أَعْظَمِ حِكَمِ الصِّيَامِ: أَنَّ الصَّائِمَ يَدْرِبُ نَفْسَهُ عَلَى مُرَاقِبَةِ اللَّهِ تَعَالَى، فَيَتْرُكُ مَا تَهْوَى نَفْسُهُ، مَعَ قُدْرَتِهِ عَلَيْهِ، لِعِلْمِهِ بِاطِّلَاعِ اللَّهِ عَلَيْهِ. (*)

إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَدْ عَلَّمَ الْأُمَّةَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ كَيْفَ تَكُونُ عَابِدَةً لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فَصَارَ الشَّهْرُ مَدْرَسَةً لِتَعَلُّمِ الطَّاعَاتِ، وَالْإِقْبَالِ عَلَى رَبِّ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ، وَطَاعَةِ النَّبِيِّ ﷺ فِي كُلِّ كَبِيرٍ وَصَغِيرٍ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «دَعْوَةُ الْإِخْوَانِ لِلتَّوْبَةِ فِي رَمَضَانَ» - الْجُمُعَةُ ٢٥ مِنْ شَعْبَانَ

جَعَلَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ الصِّيَامَ مَدْرَسَةً؛ مِنْ أَجْلِ أَنْ نَتَعَلَّمَ كَيْفَ نَعْبُدُ اللهَ
رَبَّ الْعَالَمِينَ، وَكَيْفَ نَحْصِلُ التَّقْوَى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

فَأَنْتُمْ تَحْصِلُونَ التَّقْوَى بِصِيَامِكُمْ لِرَبِّكُمْ؛ لِأَنَّ الصِّيَامَ سِرٌّ بَيْنَ الْعَبْدِ وَرَبِّهِ،
وَيُمْكِنُ أَنْ يُرَى صَائِمًا وَهُوَ فِي الْحَقِيقَةِ مُفْطِرٌ، آتٍ بِكُلِّ مَا حَرَّمَ اللهُ رَبُّ
الْعَالَمِينَ فِي الصِّيَامِ عَلَيْهِ.

وَلَكِنْ لَا يَطَّلِعُ عَلَى حَقِيقَةِ أَمْرِهِ سِوَى اللهِ، وَهُوَ يَرِاقِبُ اللهُ رَبَّ الْعَالَمِينَ فِي
السِّرِّ وَالْعَلَنِ.

فِي السِّرِّ بَلَّا يَنْسَخُ نِيَّةَ الصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لَوْ فَسَخَ النِّيَّةَ، وَلَوْ لَمْ يَأْكُلْ وَلَمْ يَشْرَبْ،
وَلَمْ يَأْتِ بِمُفْطِرٍ؛ فَقَدْ أَفْطَرَ، فَهَذَا سِرٌّ بَاطِنٌ لَا يَطَّلِعُ عَلَيْهِ إِلَّا اللهُ، وَهُوَ قَائِمٌ عَلَى
نِيَّةِ الصِّيَامِ لَا يَنْسَخُهَا.

ثُمَّ فِي ظَاهِرِ الْأَمْرِ بَعِيدٌ عَنْ كُلِّ مَا يُفْطِرُ، فِي الْجَلْوَةِ كَمَا هُوَ فِي الْخَلْوَةِ، فِي
السِّرِّ كَمَا هُوَ فِي الْعَلَنِ، وَالَّذِي يَطَّلِعُ عَلَى ذَلِكَ هُوَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ.

فَالصِّيَامُ يُعَلِّمُنَا التَّقْوَى، وَشَهْرُ رَمَضَانَ مَدْرَسَةٌ؛ يَتَعَلَّمُ الْإِنْسَانُ فِيهَا كَيْفَ
يَكُونُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ مُحْصِلًا لِلتَّقْوَى. (*).

(*): مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ حُطْبَةٍ: «وَمَاذَا بَعْدَ رَمَضَانَ؟» - الْجُمُعَةُ ١ مِنْ شَوَّالٍ ١٤٣١ هـ -

رِقَابَةُ السَّرِّ، وَرِعَايَةُ الضَّمِيرِ، وَالتَّفْتِيْشُ وَالتَّمْحِيصُ فِي الْبَوَاعِثِ وَالنِّيَّاتِ؛
أَمْرٌ مِهِمْ جَدًّا.

نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَرْزُقَنَا الْإِنَابَةَ إِلَيْهِ، وَالْإِقْبَالَ عَلَيْهِ، وَالْإِنْطِرَاحَ عَلَى أَبْوَابِ
طَاعَاتِهِ؛ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. (*).



(*): مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «رِقَابَةُ السَّرِّ وَرِعَايَةُ الضَّمِيرِ» - الْجُمُعَةُ ٢٠ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ



ذِكْرُ اللَّهِ فِي رَمَّضَانَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا
وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا
إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل

عمران: ١٠٢].

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا
رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ۖ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾

[النساء: ١].

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ
وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

• أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ،
وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ
ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

• أَمَّا بَعْدُ:

ذِكْرُ اللَّهِ حَيَاةً..

فَذِكْرُ اللَّهِ هُوَ عِمَارَةُ الْأَوْقَاتِ، وَبِهِ تَزُولُ الْهُمُومُ وَالْغُمُومُ وَالْكُدُورَاتُ، وَبِهِ تَحْصُلُ الْأَفْرَاحُ وَالْمَسَرَّاتُ، وَهُوَ عِمَارَةُ الْقُلُوبِ الْمُقْفِرَاتِ، كَمَا أَنَّهُ غِرَاسُ الْجَنَّاتِ.

وَهُوَ مُوَصَّلٌ لِأَعْلَى الْمَقَامَاتِ، وَفِيهِ مِنَ الْفَوَائِدِ مَا لَا يُحْصَى، وَمِنَ الْفَضَائِلِ مَا لَا يُعَدُّ وَلَا يُسْتَقْصَى، قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٢]. (*)

يَقُولُ الرَّسُولُ ﷺ: «مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ رَبَّهُ؛ مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ» (١).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «بَابُ الْفَتْحِ الْأَعْظَمِ» - الْجُمُعَةُ ١٧ مِنْ شَوَّالِ ١٤٣٧ هـ / ٢٢ - ٧-٢٠١ م.

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «الصَّحِيحِ»: ٢٠٨/١١، رَقْمُ (٦٤٠٧)، وَاللَّفْظُ لَهُ، وَأَخْرَجَهُ -أَيْضًا- مُسْلِمٌ فِي «الصَّحِيحِ»: ٥٣٩/١، رَقْمُ (٧٧٩)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي مُوسَى رضي الله عنه، وَلَفْظُ مُسْلِمٍ: «مَثَلُ الْبَيْتِ الَّذِي يُذَكَّرُ اللَّهُ فِيهِ، وَالْبَيْتِ الَّذِي لَا يُذَكَّرُ اللَّهُ فِيهِ، مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ».

فَالْإِنْسَانُ الَّذِي يَذْكُرُ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَيُدَاوِمُ عَلَى ذِكْرِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَيًّا، حَيًّا بِمَعْنَى الْحَيَاةِ الْحَقِيقِيَّةِ، وَأَمَّا الَّذِي لَا يَذْكُرُ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ذِكْرًا كَثِيرًا، وَلَا يَقْبَلُ عَلَى ذِكْرِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ فَهُوَ مَيِّتٌ.

وَفِي رِوَايَةٍ: يَقُولُ الرَّسُولُ ﷺ: «مَثَلُ الْبَيْتِ الَّذِي يُذَكَّرُ اللَّهُ فِيهِ، وَالْبَيْتِ الَّذِي لَا يُذَكَّرُ اللَّهُ فِيهِ؛ مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ».

إِذَا مَا كَانَ الْبَيْتُ مَوْصُولًا بِاللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى؛ فَإِنَّ الشَّانَ فِيهِ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ الْبُيُوتَ الَّتِي فِيهَا الذُّكْرُ فِي الْأَرْضِ، وَإِنَّ مَسَاجِدَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِتَتَرَاءَى لِأَهْلِ السَّمَاءِ كَمَا تَتَرَاءَى النُّجُومُ لَنَا أَهْلَ الْأَرْضِ»^(١).

إِنَّ الْبُيُوتَ الَّتِي يُذَكَّرُ فِيهَا اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَيُتْلَى فِيهَا كِتَابُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى؛ تَبْدُو لِأَهْلِ السَّمَوَاتِ مُنِيرَةً مُتَلَاثَةً مُشْرِقَةً كَمَا تَبْدُو لَنَا النُّجُومُ فِي صَفْحَةِ السَّمَاءِ بِاللَّيْلِ.

فَالنَّبِيُّ ﷺ يَأْمُرُنَا بِأَنْ نَكْثِرَ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَأَخْبَرَ أَنْ السَّابِقِينَ هُمْ الْمُرَدُّونَ، هُمْ الذَّاكِرُونَ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتُ.

(١) أخرج الفريابي في «فضائل القرآن»: ص ١٤٥، رقم (٣٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان»: ٣/ ٣٧٠، رقم (١٨٢٩)، من حديث: عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْبَيْتُ الَّذِي يُقْرَأُ فِيهِ الْقُرْآنُ يَتَرَاءَى لِأَهْلِ السَّمَاءِ، كَمَا تَتَرَاءَى النُّجُومُ لِأَهْلِ الْأَرْضِ».

والحديث جود إسناده الألباني في «الصحيحة»: ٣٠٦/٧، رقم (٣١١٢)، وروي عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بنحوه.

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «سَبَقَ الْمُفْرَدُونَ».

قَالُوا: وَمَا الْمُفْرَدُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟

قَالَ: «الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتُ»^(١).

فَالَّذِينَ هُمْ مِنْ أَهْلِ السَّبْقِ وَمِنْ أَهْلِ الْإِنْفِرَادِ؛ فَهُمْ أَثْبَاتٌ أَفْذَاذٌ لَا يُلْحَقُونَ،
وَلَا يُسَبِّقُونَ، هَؤُلَاءِ الْمُفْرَدُونَ السَّابِقُونَ؛ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ الْمَأْمُونُ ﷺ: «هُمْ
الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتُ».*).



(١) أخرجه مسلم في «الصحیح»: ٤/٢٠٦٢، رقم (٢٦٧٦)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(* مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضِرَةٍ: «أَيْنَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ؟» - الْأَحَدُ ٢٠ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٢٦ هـ/

ذِكْرُ اللَّهِ هُوَ رُوحُ الْعِبَادَةِ فِي الْإِسْلَامِ

عِبَادَ اللَّهِ! إِنَّ مِنَ الْأُصُولِ الْأَصِيلَةَ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ: الذِّكْرُ، وَهَذَا الْأَصْلُ غَفَلَهُ كَثِيرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ.

فَيَنْبَغِي عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يُحَرَّرَ هَذَا الْأَصْلَ، وَأَنْ يَجْتَهِدَ فِي الْإِصَابَةِ مِنْهُ بِسَهْمٍ كَبِيرٍ؛ لِأَنَّ أَثْرَهُ وَخَطَرَهُ، وَلِأَنَّ نَتِيجَتَهُ وَثَمَرَتَهُ كَبِيرَةٌ وَعَظِيمَةٌ فِي حَيَاةِ الْمُسْلِمِ، وَفِي آخِرَتِهِ.

إِنَّ الْحِكْمَةَ مِنْ خَلْقِ الْإِنْسَانِ: هِيَ الْقِيَامُ بِعِبَادَةِ اللَّهِ؛ كَمَا قَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، أَي: لِتَكُونَ حَيَاتُهُمْ كُلُّهَا عِبَادَةً لِي؛ وَعَلَى هَذَا فَإِنَّ الْمُتَحَتِّمَ عَلَيْهِمْ هُوَ أَلَّا تُغَادِرَ الْعِبَادَةُ شَيْئًا مِنْ حَيَاتِهِمْ إِلَّا وَشَمِلَتْهُ.

وَالذِّكْرُ هُوَ رُوحُ الْعِبَادَةِ وَمَعْنَاهَا وَمَبْنَاهَا، وَلَيْسَ لِلْعِبَادَةِ مَعْنَى وَلَا قِيمَةٌ إِذَا لَمْ تَكُنِ الْعِبَادَةُ ذِكْرًا لِلَّهِ.

وَشُمُولِيَّةُ الذِّكْرِ لِلْعِبَادَةِ كَشُمُولِيَّةِ الْعِبَادَةِ لِلْحَيَاةِ، وَتَعْلُو الْعِبَادَةِ وَيَزْدَادُ شَأْنُهَا بِقَدْرِ تَمَكُّنِ ذِكْرِ اللَّهِ مِنْ قَلْبِ الْعَابِدِ الْقَائِمِ بِهَا.

فَإِذَا كَانَتْ الْحَيَاةُ لِلْعِبَادَةِ؛ فَإِنَّ الْعِبَادَةَ مَا كَانَتْ إِلَّا لِلذِّكْرِ؛ إِذْ إِنَّ جَمِيعَ الْأَعْمَالِ إِنَّمَا شُرِعَتْ؛ لِإِقَامَةِ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى، وَالْمَقْصُودُ بِهَا: تَحْصِيلُ ذِكْرِ اللَّهِ، كَمَا قَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه: ١٤].

* وَالذِّكْرُ يَكُونُ بِاللِّسَانِ، وَالْقَلْبِ، وَالْجَوَارِحِ:

* وَالْمُرَادُ بِذِكْرِ اللِّسَانِ: الْأَلْفَاظُ الدَّلَالَةُ عَلَى التَّسْبِيحِ، وَالتَّحْمِيدِ، وَالتَّمَجِيدِ.

* وَالذِّكْرُ بِالْقَلْبِ: التَّفَكُّرُ فِي أَدِلَّةِ الذَّاتِ وَالصِّفَاتِ، وَفِي أَدِلَّةِ التَّكْلِيفِ مِنَ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ؛ حَتَّى يَطَّلِعَ عَلَى أَحْكَامِهَا، وَفِي أَسْرَارِ مَخْلُوقَاتِ اللَّهِ.

* وَالذِّكْرُ بِالْجَوَارِحِ: هُوَ أَنْ تَصِيرَ مُسْتَعْرِقَةً فِي الطَّاعَاتِ، وَمِنْ ثَمَّ سَمَى اللَّهُ الصَّلَاةَ ذِكْرًا فَقَالَ: ﴿فَاسْعُوا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الجمعة: ٩].

فَذَكَرُ اللَّهُ زَيْنَ اللَّهِ بِهِ أَلْسِنَةَ الذَّاكِرِينَ كَمَا زَيْنَ بِالنُّورِ أَبْصَارَ النَّاطِرِينَ، فَاللِّسَانُ الْغَافِلُ كَالْعَيْنِ الْعَمِيَاءِ، وَالْأُذُنُ الصَّمَاءِ، وَالْيَدُ الشَّلَاءِ.

وَهُوَ -أَي: الذِّكْرُ- بَابُ اللَّهِ الْأَعْظَمُ الْمَفْتُوحُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَبْدِهِ مَا لَمْ يُغْلِقْهُ الْعَبْدُ بِغَفْلَتِهِ.

وَبِالذِّكْرِ: يَصْرَعُ الْعَبْدُ الشَّيْطَانَ كَمَا يَصْرَعُ الشَّيْطَانُ أَهْلَ الْغَفْلَةِ وَالنِّسْيَانِ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢].

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ». وَالْحَدِيثُ عِنْدَ مُسْلِمٍ فِي «الصَّحِيحِ» (١).

وَسَأَلَ أَعْرَابِيٌّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟

فَقَالَ: «أَنْ تُفَارِقَ الدُّنْيَا وَلِسَانُكَ رَطْبٌ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ» (٢).

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» مِنْ حَدِيثِ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُهُ: مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ» (٣).

وَفِي «صَحِيحِي الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ» (٤) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ:

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «الصَّحِيحِ»: ٤/٢٠٧٤، رَقْم (٢٧٠٠)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وَالْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ أَيْضًا مُسْلِمٌ: ٤/٢٠٧٤، رَقْم (٢٦٩٩)، مِنْ رِوَايَةِ: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بِلَفْظٍ: «...، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ...». (٢) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي «الْجَامِعِ»: ٥/٤٥٧، رَقْم (٣٣٧٥)، وَابْنُ مَاجَةَ فِي «السِّنَنِ»:

٢/١٢٤٦، رَقْم (٣٧٩٣)، مِنْ حَدِيثِ: عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَالْحَدِيثُ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهيبِ»: ٢/٢٠٣، رَقْم (١٤٩١)، وَرَوَى عَنْ مَعَاذِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بِنَحْوِهِ.

(٣) تَقَدَّمَ تَخْرِيجُهُ.

(٤) «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»: ١١/٢٠٦، رَقْم (٦٤٠٦)، وَ«صَحِيحِ مُسْلِمٍ»: ٤/٢٠٧٢، رَقْم

(٢٦٩٤).

سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ.

وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» (١) عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِأَحَبِّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى؟

إِنَّ أَحَبَّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ».

إِنَّ الذِّكْرَ مِنْ أَيْسَرِ الْأُمُورِ، لَا يَحْتَاجُ إِلَى بَدَلٍ مَالٍ، وَلَا يَحْتَاجُ إِلَى كَبِيرٍ مَجْهُودٍ. (*)



(١) «صحيح مسلم»: ٢٠٩٣/٤، رقم (٢٧٣١).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةٍ: «ذِكْرُ اللَّهِ ﷻ.. مَعْنَاهُ.. أَنْوَاعُهُ.. فَوَائِدُهُ» - الْمُحَاضِرَةُ الْأُولَى -

السَّبْتُ ٥ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ١٤٣٦ هـ / ١٩-٩-٢٠١٥ م.

أَفْضَلُ الصُّوَامِ أَكْثَرُهُمْ ذِكْرًا لِلَّهِ

عِبَادَ اللَّهِ! «إِنَّ أَفْضَلَ أَهْلِ كُلِّ عَمَلٍ أَكْثَرُهُمْ فِيهِ ذِكْرًا لِلَّهِ ﷻ؛ فَأَفْضَلُ الصُّوَامِ أَكْثَرُهُمْ ذِكْرًا لِلَّهِ فِي صَوْمِهِمْ» (١). (*)

* ذِكْرُ اللَّهِ سَبِيلُ تَطْهِيرِ اللِّسَانِ فِي رَمَضَانَ:

النَّبِيُّ ﷺ أَرَشَدَنَا إِلَى أَنْ الْعَبْدَ إِذَا صَامَ؛ فَيَنْبَغِي عَلَيْهِ أَنْ يَتَحَلَّى بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، وَأَنْ يُمْسِكَ عَنِ اللَّغْوِ وَالرَّفَثِ وَمَا دُونَهُمَا. فَهَذَا فِي رَمَضَانَ وَفِي كُلِّ صَوْمٍ. (*) (٢).

فَرَهَبَ النَّبِيُّ ﷺ الصَّائِمَ مِنَ الْغِيْبَةِ وَالْفُحْشِ، وَقَوْلِ الزُّورِ وَالْكَذِبِ؛ فَعِنْدَ الْبُخَارِيِّ فِي «الصَّحِيحِ» (٢) مِنْ رِوَايَةِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ لَمْ

(١) «الوابل الصيب»: ص ١٨١ و ١٨٢، (مكة المكرمة: دار عالم الفوائد، ط ١، ١٤٢٥هـ).
 (*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنَ التَّعْلِيْقِ عَلَيَّ: «الْوَابِلُ الصَّيْبُ مِنَ الْكَلِمِ الطَّيِّبِ» - الْمُحَاضِرَةُ ١١ -
 الثَّلَاثَاءُ ١٤ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ ١٤٢٧هـ / ٥-١٢-٢٠٠٦م.
 (*) (٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ حُطْبَةٍ: «الْمَنْهَجُ لِمُرِيدِ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ» - الْجُمُعَةُ ٤ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ
 ١٤٣٦هـ / ١٨-٩-٢٠١٥م.

(٢) «صحيح البخاري»: ١١٦/٤، رقم (١٩٠٣) وفي: ٤٧٢/١٠، رقم (٦٠٥٧).

يَدْعُ قَوْلَ الزُّورِ، وَالْعَمَلَ بِهِ؛ فَلَيْسَ لِيَّ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدْعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ.

وَاللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ قَدْ بَيَّنَّ لَنَا أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا اغْتَابَ أَخَاهُ؛ فَكَأَنَّمَا أَكَلَ لَحْمَهُ مَيْتًا، وَهُوَ أَمْرٌ تَكْرَهُهُ الطَّبَاعُ، وَتَنْفِرُ مِنْهُ النُّفُوسُ؛ وَلَكِنْ هَكَذَا هُوَ فِي قُبْحِهِ، هَكَذَا هُوَ فِي شِنَاعَتِهِ.

«إِذَا كَانَ يَوْمٌ صَوْمٍ أَحَدِكُمْ؛ فَلَا يَرْفُثُ - وَالرَّفْثُ: هُوَ ذِكْرُ الْجَمَاعِ وَمُقَدِّمَاتِ الْجَمَاعِ عِنْدَ النَّسَاءِ خَاصَّةً - فَلَا يَرْفُثُ، وَلَا يَصْحَبُ، فَإِنْ سَابَهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ؛ فَلْيَقُلْ: إِنِّي صَائِمٌ، إِنِّي صَائِمٌ»^(١).

«رُبَّ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلَّا الْجُوعُ، وَرُبَّ قَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ قِيَامِهِ إِلَّا السَّهَرُ»^(٢). أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَةَ فِي «السُّنَنِ»، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ.

وَعِنْدَ مُسْلِمٍ^(٣) مِنْ رِوَايَةِ أَبِي هُرَيْرَةَ: «كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ؛ دَمُهُ، وَعَرَضُهُ، وَمَالُهُ».

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «الصَّحِيحِ»: ١١٨/٤، رَقْم (١٩٠٤)، وَمُسْلِمٌ فِي «الصَّحِيحِ»: ٢/٨٠٦، رَقْم (١١٥١)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَتَمَامُهُ: «... وَالصَّيَامُ جُنَّةٌ، فَإِذَا كَانَ يَوْمٌ صَوْمٍ أَحَدِكُمْ، فَلَا يَرْفُثُ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَصْحَبُ، فَإِنْ سَابَهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ، فَلْيَقُلْ: إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ».

(٢) أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَةَ فِي «السُّنَنِ»: ١/٥٣٩، رَقْم (١٦٩٠)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
وَالْحَدِيثُ حَسَنٌ إِسْنَادُهُ وَصَحَّحَ مَتْنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَّحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ»: ١/٦٢٥، رَقْم (١٠٨٣).

(٣) «صَّحِيحُ مُسْلِمٍ»: ٤/١٩٨٦، رَقْم (٢٥٦٤).

فَحَذَرَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ أَكْلِ لُحُومِ النَّاسِ، وَمِنَ الْوُقُوعِ فِي أَعْرَاضِهِمْ، فَتَحْلِيَةُ
اللِّسَانِ مِنْ آفَاتِهِ مِنْ أَهَمِّ مَا يَنْبَغِي أَنْ يُدْرَبَ الْمَرْءُ نَفْسَهُ عَلَيْهِ فِي هَذَا الشَّهْرِ، وَأَنْ
يُمْسِكَ لِسَانَهُ إِلَّا عَنِ خَيْرٍ. (*)

عِبَادَ اللَّهِ! «إِنَّ ذِكْرَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى سَبَبُ اشْتِغَالِ اللِّسَانِ عَنِ الْغِيْبَةِ، وَالنَّمِيمَةِ،
وَالْكَذِبِ، وَالْفُحْشِ، وَالْبَاطِلِ؛ فَإِنَّ الْعَبْدَ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ، فَإِنْ لَمْ يَتَكَلَّمْ
بِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى، وَذِكْرِ أَوْامِرِهِ؛ تَكَلَّمَ بِهَذِهِ الْمُحَرَّمَاتِ أَوْ بَعْضِهَا.

وَلَا سَبِيلَ إِلَى السَّلَامَةِ مِنْهَا - الْبَتَّةَ - إِلَّا بِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى، وَالْمُشَاهَدَةِ وَالتَّجَرُّبَةِ
شَاهِدَانِ بِذَلِكَ، فَمَنْ عَوَّدَ لِسَانَهُ ذِكْرَ اللَّهِ؛ صَانَ اللَّهُ لِسَانَهُ عَنِ الْبَاطِلِ وَاللَّغْوِ، وَمَنْ
يَيْسَ لِسَانُهُ عَنِ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى؛ تَرَطَّبَ بِكُلِّ بَاطِلٍ، وَلَغْوٍ، وَفُحْشٍ - وَلَا حَوْلَ وَلَا
قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ -» (١). (*) (٢).



(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «رَمَضَانَ كَيْفَ نَحْيَاهُ؟» - الْجُمُعَةُ ١٥ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٣ هـ /

٢٠١٢ / ٨ / ٣ م.

(١) «الوَابِلُ الصَّيْبُ»: ص ٩٨ و ٩٩.

(*) (٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنَ التَّعْلِيْقِ عَلَيَّ: «الْوَابِلُ الصَّيْبُ مِنَ الْكَلِمِ الطَّيِّبِ» - الْمُحَاضِرَةُ ٦ -

الثَّلَاثَاءُ ٧ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ ١٤٢٧ هـ / ٢٨ - ١١ - ٢٠٠٦ م.

ذَكَرَ اللهُ وَدَعَاؤُهُ عِنْدَ الْإِفْطَارِ

«ذَهَبَ الظَّمَأُ، وَابْتَلَّتِ العُرُوقُ، وَثَبَّتَ الْأَجْرُ - إِنْ شَاءَ اللهُ-» (١): هَذَا هُوَ الدُّعَاءُ الَّذِي يُقَالُ عِنْدَ إِفْطَارِ الصَّائِمِ.

هَذَا الْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ».

وَلَفْظُهُ: عَنْ مَرْوَانَ بْنِ سَالِمٍ قَالَ: قَالَ ابْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما: «كَانَ رَسُولُ اللهِ صلوات الله عليه وآله إِذَا أَفْطَرَ قَالَ: «ذَهَبَ الظَّمَأُ، وَابْتَلَّتِ العُرُوقُ، وَثَبَّتَ الْأَجْرُ - إِنْ شَاءَ اللهُ-».

وَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ صلوات الله عليه وآله يُفْطِرُ عَلَيَّ رُطْبَاتٍ قَبْلَ أَنْ يُصَلِّيَ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فَعَلَيَّ تَمْرَاتٍ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَمْرَاتٍ؛ حَسَا حَسَوَاتٍ مِنْ مَاءٍ» (٢). أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَحَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الإِرْوَاءِ».

(١) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي «السَّنَنِ»: ٣٠٦ / ٢، رَقْم (٢٣٥٧).

وَالْحَدِيثُ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ»: ١٢٤ / ٧ و ١٢٥، رَقْم (٢٠٤١).

(٢) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي «السَّنَنِ»: ٣٠٦ / ٢، رَقْم (٢٣٥٦)، وَالتِّرْمِذِيُّ فِي «الْجَامِعِ»: ٣ / ٧٠، رَقْم (٦٩٦)، وَقَالَ: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ».

«ذَهَبَ الظَّمَا»: الظَّمَا: العَطَشُ النَّاتِجُ عَنِ الصِّيَامِ.

قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ^(١): «الظَّمَا مَهْمُوزُ الْآخِرِ مَقْصُورٌ: هُوَ الْعَطَشُ».

«ابْتَلَّتِ الْعُرُوقُ»: بِالرَّيِّ بَعْدَمَا كَانَ فِيهَا مِنَ الْيُبُوسَةِ.

«وَابْتَلَّتِ الْعُرُوقُ»: حَصَّ ذَهَابَ الظَّمَا مَعَ أَنَّهُ قَدْ ذَهَبَ الْجُوعُ؛ لِأَنَّ الْإِلْتِذَاذَ بِالْمَاءِ فِي الْبِلَادِ الْحَارَّةِ - كَالْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ - أَشَدُّ؛ لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَا يُفْطِرُونَ بِهِ، وَالْإِخْبَارُ بِذَلِكَ؛ شُكْرًا عَلَى النِّعْمَةِ بِإِنَالَةِ الْمُسْتَلَذِّ بَعْدَ الْمَنَعِ عَنْهُ شَرْعًا.

«وَتَبَّتِ الْأَجْرُ»: أَيُّ: حَصَلَ الثَّوَابُ الَّذِي يَرْجُوهُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ؛ فَضْلًا مِنْهُ وَنِعْمَةً، وَهُوَ اسْتِبْشَارٌ مِنْهُمْ بِأَنْ مَنْ فَازَ بِبُغْيَتِهِ، وَنَالَ مَطْلُوبَهُ بَعْدَ التَّعَبِ وَالنَّصَبِ، وَأَرَادَ أَنْ يَسْتَلَذَّ بِمَا أَدْرَكَهُ مَزِيدَ اسْتِلْذَاذٍ؛ ذَكَرَ تِلْكَ الْمَشَقَّةَ، وَمِنْ ثَمَّ حَمِدَ أَهْلَ السَّعَادَةِ فِي الْجَنَّةِ بَعْدَمَا أَفْلَحُوا.

قَوْلُهُ: «إِنْ شَاءَ اللَّهُ»: لِأَنَّ قَبُولَ الصِّيَامِ تَحْتَ مَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَثُبُوتُ الْأَجْرِ مُتَوَقِّفٌ عَلَى مَشِيئَةِ الرَّبِّ؛ لِهَذَا قَالَ: «إِنْ شَاءَ اللَّهُ».

أَوْ لِأَنَّهُ سَلَكَ طَرِيقَةَ التَّرَقِّيِّ، وَفِيهِ أَنَّ الْعَبْدَ لَا يَثِقُ وَلَا يَقْطَعُ بِحُصُولِ الْأَجْرِ عَلَى فِعْلٍ مِنْ أَفْعَالِ الْبِرِّ، يُحْتَمَلُ أَنَّ التَّقْيِيدَ لِلثُّبُوتِ، لَا لِنَفْسِ حُصُولِ الْأَجْرِ؛ فَإِنَّهُ قَدْ يَحْصُلُ، ثُمَّ يَعْقِبُهُ مَا يُبْطِلُهُ.

وَالْحَدِيثُ حَسَنُ الْأَبَانِيِّ فِي «إِرْوَاءِ الْغَلِيلِ»: ٤ / ٤٥، رَقْم (٩٢٢)، وَأَصْلُهُ فِي الْبُخَارِيِّ بِلَفْظٍ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا يَغْدُو يَوْمَ الْفِطْرِ حَتَّى يَأْكُلَ تَمْرَاتٍ».

(١) شرحه على «صحيح مسلم»: ١٥ / ٥٤.

فَفِي الْحَدِيثِ: مَشْرُوعِيَّةٌ قَوْلِ هَذَا الدُّعَاءِ عِنْدَ الْإِفْطَارِ؛ لِقَوْلِ الرَّاوي: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَفْطَرَ قَالَ: «ذَهَبَ الظَّمَأُ، وَابْتَلَّتِ العُرُوقُ، وَثَبَّتَ الأَجْرُ - إِنْ شَاءَ اللهُ-».

وَيَسُنُّ تَعْجِيلُ الْإِفْطَارِ بَعْدَ التَّحَقُّقِ مِنْ غُرُوبِ الشَّمْسِ؛ لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - كَمَا فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» - : «لَا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا عَجَّلُوا الْفِطْرَ» (١).

هَذَا بِخِلَافِ الشُّحُورِ الَّذِي يُسْتَحَبُّ فِيهِ التَّأْخِيرُ إِلَى مَا قُبِيلِ الْفَجْرِ؛ لِقَوْلِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «تَسَحَّرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ قُمْنَا إِلَى الصَّلَاةِ، فَسَأَلَهُ أَنَسُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: كَمْ كَانَ قَدْرُ مَا بَيْنَهُمَا؟

قَالَ: خَمْسِينَ آيَةً» (٢). رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَلَا يُجْزَمُ لِأَحَدٍ بِقَبُولِ صِيَامِهِ، وَثُبُوتِ أَجْرِهِ؛ لِأَنَّ هَذَا دُعَاءٌ عَامٌّ، وَهَذَا هُوَ مُعْتَقَدُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، بِخِلَافِ الْمُعْتَزِلَةِ؛ فَإِنَّهُمْ يُوجِبُونَ عَلَى اللَّهِ الثَّوَابَ لِلْعَبْدِ.

قَالَ ابْنُ عُثَيْمِينَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (٣): «ذَهَابُ الظَّمَأِ بِالشُّرْبِ وَاصِحٌّ، وَابْتِلَالُ العُرُوقِ

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح»: ٤ / ١٩٨، رقم (١٩٥٧)، ومسلم في «الصحيح»: ٢ / ٧٧١، رقم (١٠٩٨).

(٢) أخرجه البخاري في «الصحيح»: ٢ / ٥٣ و ٥٤، رقم (٥٧٥) و ٤ / ١٣٨، رقم (١٩٢١)، ومسلم في «الصحيح»: ٢ / ٧٧١، رقم (١٠٩٧).

(٣) «الشرح الممتع على زاد المستقنع»: ٦ / ٤٤١، (الدمام: دار ابن الجوزي، ط ١، ١٤٢٤هـ).

بَذَلِكِ وَاضِحٌ، فَالْإِنْسَانُ إِذَا شَرِبَ وَهُوَ عَطْشَانٌ؛ يُحِسُّ بِأَنَّ الْمَاءَ مِنْ حِينِ
وَصُولِهِ إِلَى الْمَعِدَةِ يَتَفَرَّقُ فِي الْبَدَنِ.

وَيُحِسُّ بِهِ إِحْسَاسًا ظَاهِرًا، فَيَقُولُ لِقَلْبِهِ: سُبْحَانَ اللَّهِ الْحَكِيمِ الْعَلِيمِ الَّذِي
فَرَّقَهُ بِهَذِهِ السَّرْعَةِ!!

وَظَاهِرُ الْحَدِيثِ: أَنَّ هَذَا الذُّكْرَ فِيمَا إِذَا كَانَ الصَّائِمُ ظَمَّانًا، وَالْعُرُوقُ
يَابِسَةً».

وَأَمَّا حَدِيثُ: «بِسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ لَكَ صُمْتُ، وَعَلَى رِزْقِكَ أَفْطَرْتُ..»؛ فَفِي
ثَبُوتِهِ نَظَرٌ^(١).

رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ فِي «سُنَنِهِ»، وَفِي «الْمَرَايِلِ» لَهُ، وَضَعَفَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي
«الْإِرْوَاءِ»، وَغَيْرِهِ.

فَالْأَوْلَى قَوْلُ مَا صَحَّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «ذَهَبَ الظَّمَأُ، وَابْتَلَّتِ الْعُرُوقُ،
وَتَبَّتَ الْأَجْرُ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ -».

قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ^(٢): «وَفِي فِطْرِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الصَّوْمِ عَلَيْهِ - يَعْنِي: عَلَيَّ

(١) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي «السُّنَنِ»: ٣٠٦/٢، رَقْم (٢٣٥٨)، مِنْ طَرِيقِ: مُعَاذِ بْنِ زُهْرَةَ،
أَنَّهُ بَلَغَهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا أَفْطَرَ قَالَ: «اللَّهُمَّ لَكَ صُمْتُ، وَعَلَى رِزْقِكَ
أَفْطَرْتُ».

وَالْحَدِيثُ ضَعَفَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «ضَعِيفِ أَبِي دَاوُدَ»: ٢/٢٦٤ وَ ٢٦٥، رَقْم (٤٠٦).

(٢) «زَادَ الْمَعَادَ»: ٤/٢٨٧، (بِيْرُوت: مَوْسَسَةُ الرِّسَالَةِ، ط ٣، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م).

الرُّطْبِ -، أَوْ عَلَى التَّمْرِ، أَوْ الْمَاءِ (١) تَدْبِيرٌ لَطِيفٌ جِدًّا؛ فَإِنَّ الصَّوْمَ يُخْلِي الْمَعِدَةَ مِنَ الْعِذَاءِ، فَلَا تَجِدُ الْكَبِدَ فِيهَا مَا تَجِدُهَا وَتُرْسِلُهُ إِلَى الْقَوَى وَالْأَعْضَاءِ، وَالْحُلُوُّ أَسْرَعُ شَيْءٍ وَصُولاً إِلَى الْكَبِدِ، وَأَحَبُّهُ إِلَيْهَا، لَا سِيَّمَا إِنْ كَانَ رُطْبًا، فَيَسْتَدُّ قَبُولُهَا لَهُ، فَتَنْتَفِعُ بِهِ هِيَ وَالْقَوَى.

فَإِنْ لَمْ يَكُنْ؛ فَالْتَّمِرُ؛ لِحَلَاوَتِهِ، وَتَغْذِيَّتِهِ.

فَإِنْ لَمْ يَكُنْ؛ فَحَسَوَاتُ الْمَاءِ تُطْفِئُ لَهَيْبَ الْمَعِدَةِ، وَحَرَارَةَ الصَّوْمِ، فَتَنْتَبَهُ بَعْدَهُ لِلطَّعَامِ، وَتَأْخُذُهُ بِشَهْوَةٍ.

«وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُحْضُّ عَلَى الْفِطْرِ بِالتَّمْرِ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ فَعَلَى الْمَاءِ (٢)، وَهَذَا مِنْ كَمَالِ شَفَقَتِهِ عَلَى أُمَّتِهِ، وَنُصْحِهِ لَهُمْ؛ فَإِنَّ إِعْطَاءَ الطَّبِيعَةِ الشَّيْءَ الْحُلُوَّ مَعَ خُلُوِّ الْمَعِدَةِ أَدْعَى إِلَى قَبُولِهِ، وَانْتِفَاعِ الْقَوَى بِهِ؛ خَاصَّةً الْقُوَّةَ الْبَاصِرَةَ.

(١) أَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ فِي «السَّنَنِ»: ٢ / ٣٠٦، رَقْم (٢٣٥٦)، وَالتِّرْمِذِيُّ فِي «الْجَامِعِ»: ٣ / ٧٠، رَقْم (٦٩٦)، مِنْ حَدِيثِ: أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُفْطِرُ قَبْلَ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَى رُطْبَاتٍ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ رُطْبَاتٌ فَتَمِيرَاتٌ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَمِيرَاتٌ حَسَا حَسَوَاتٍ مِنْ مَاءٍ».

قال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ»، وَالحَدِيثُ حَسَنُهُ الْأَبَانِيُّ فِي «إِرْوَاءِ الْغَلِيلِ»: ٤ / ٤٥، رَقْم (٩٢٢)، وَأَصْلُهُ فِي الْبُخَارِيِّ بِلَفْظٍ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا يَغْدُو يَوْمَ الْفِطْرِ حَتَّى يَأْكُلَ تَمْرَاتٍ».

(٢) أَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ فِي «السَّنَنِ»: ٢ / ٣٠٥، رَقْم (٢٣٥٥)، وَالتِّرْمِذِيُّ فِي «الْجَامِعِ»: ٣ / ٣٧ وَ ٦٩، رَقْم (٦٥٨ وَ ٦٩٥)، وَابْنُ مَاجَهَ فِي «السَّنَنِ»: ١ / ٥٤٢، رَقْم (١٦٩٩)، مِنْ حَدِيثِ: سَلْمَانَ بْنِ عَامِرٍ الصَّبِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «إِذَا أَفْطَرَ أَحَدُكُمْ فَلْيُفْطِرْ عَلَى تَمْرٍ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ فَلْيُفْطِرْ عَلَى مَاءٍ فَإِنَّهُ طَهُورٌ».

أَمَّا الْمَاءُ؛ فَإِنَّهُ يُرَطَّبُ الْكَبِدَ بَعْدَ نَوْعٍ مِنَ الْيُبُوسِ؛ فَإِنَّ التَّمْرَ وَالْمَاءَ لَهُمَا تَأْثِيرٌ فِي صَلَاحِ الْقَلْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا أَطِبَّاءُ الْقُلُوبِ»^(١).

وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «بَيْتٌ لَا تَمْرَ فِيهِ جِيَاعٌ أَهْلُهُ»^(٢). رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ».

وَقَالَ ﷺ: «بَيْتٌ لَا تَمْرَ فِيهِ كَالْبَيْتِ لَا طَعَامَ فِيهِ»^(٣). أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَةَ فِي «سُنَنِهِ»، وَحَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «السُّلْسِلَةِ الصَّحِيحَةِ».

فَالَّذِي ثَبَتَ عِنْدَ الْإِفْطَارِ: هُوَ مَا مَرَّ مِنَ الْحَدِيثِ، وَعَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَجْتَهِدَ فِي أَنْ يَدْعُوَ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَأَنْ يَذْكُرَهُ بِمَا عَلَّمَهُ نَبِيُّهُ ﷺ، وَبِمَا ثَبَتَ عَنْهُ ﷺ (*).



(١) «زاد المعاد»: ٤٨/٢، بتصرف يسير.

(٢) «صحيح مسلم»: ١٦١٨/٣، رقم (٢٠٤٦)، من حديث: عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وفي رواية له: «لَا يَجُوعُ أَهْلُ بَيْتٍ عِنْدَهُمُ التَّمْرُ».

(٣) أخرجه ابن ماجه في «السنن»: ١١٠٥/٢، رقم (٣٣٢٨)، من حديث: سَلَمَى امْرَأَةُ أَبِي

رَافِعٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

والحديث حسن إسناده الألباني في «الصحيحة»: ٣٧٧/٤، رقم (١٧٧٦).

(* مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ: «شَرْحُ الْكَلِمِ الطَّيِّبِ» الْمُحَاضِرَةُ ٥٧: «فَصُلِّ فِي الصَّوْمِ وَالْإِفْطَارِ» -

الأحد ٢ من صفر ١٤٣٩هـ / ٢٢-١٠-٢٠١٧م.

قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ فِي رَمَضَانَ

* الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ أَكْرَمُ الذِّكْرِ، وَأَعْظَمُهُ، وَأَشْرَفُهُ:

إِنَّ الْأَعْمَالَ الَّتِي تُعْمَلُ فِي رَمَضَانَ مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ الرَّحِيمِ الرَّحْمَنِ
كَثِيرَةٌ؛ مِنْهَا: الْإِجْتِهَادُ فِي قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ (*):

فَشَهْرُ رَمَضَانَ هُوَ شَهْرُ الْقُرْآنِ، فَيَنْبَغِي أَنْ يُكْثِرَ الْعَبْدُ الْمُسْلِمُ مِنْ قِرَائَتِهِ (*). (٢).

لَقَدْ كَانَ جِبْرِيلُ يُدَارِسُ النَّبِيَّ ﷺ الْقُرْآنَ فِي رَمَضَانَ (١)، «وَكَانَ السَّلْفُ
يَتَوَفَّرُونَ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ فِي رَمَضَانَ، وَنُقِلَ فِي ذَلِكَ مِنَ الْأَثَارِ مَا

(*): مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «رَمَضَانَ كَيْفَ نَحْيَاهُ؟»: الْجُمُعَةُ ١٥ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٣هـ /
٢٠١٢م / ٨ / ٣.

(* (٢): مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «مَقَامَاتُ الْخَائِفِينَ وَالصَّائِمِينَ» - الْجُمُعَةُ ٥ مِنْ رَمَضَانَ
١٤٣٧هـ - ١٠ / ٦ / ٢٠١٦م.

(١) أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ فِي «الصَّحِيحِ»: ٣٠ / ١، رَقْمٌ (٦)، وَمُسْلِمٌ فِي «الصَّحِيحِ»: ٤ / ١٨٠٣،
رَقْمٌ (٢٣٠٨)، حَدِيثٌ: ابْنُ عَبَّاسٍ، قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدُ
مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ
الْقُرْآنَ، فَلَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ».

نَقَلَ، فَهَذِهِ نُسَلِّمُ لِلسَّلَفِ أَحْوَالَهُمْ فِيهَا، وَلَا نَتَأَسَّى بِهِمْ فِيهَا!! فَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ يَخْتِمُ الْقُرْآنَ مَرَّتَيْنِ فِي الْيَوْمِ الْوَاحِدِ، مَرَّةً بِالنَّهَارِ، وَمَرَّةً بِاللَّيْلِ.

وَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ يَزِيدُ عَلَى ذَلِكَ خَتْمًا، كَانَ عُثْمَانُ رضي الله عنه يَخْتِمُ الْقُرْآنَ كُلَّ يَوْمٍ مَرَّةً، وَكَانَ بَعْضُ السَّلَفِ يَخْتِمُ فِي قِيَامِ رَمَضَانَ فِي كُلِّ يَوْمٍ مَرَّةً، وَكَانَ بَعْضُ السَّلَفِ يَخْتِمُ فِي قِيَامِ رَمَضَانَ فِي كُلِّ ثَلَاثِ مَرَّةً، وَبَعْضُهُمْ فِي كُلِّ سَبْعِ مَرَّةً، وَبَعْضُهُمْ فِي كُلِّ عَشْرِ.

وَإِنَّمَا وَرَدَ النَّهْيُ عَنْ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ فِي أَقَلِّ مِنْ ثَلَاثِ عَلَى الْمُدَاوِمَةِ عَلَى ذَلِكَ، فَأَمَّا فِي الْأَوْقَاتِ الْمُفَضَّلَةِ؛ كَشَهْرِ رَمَضَانَ؛ خُصُوصًا اللَّيَالِي الَّتِي يُطَلَبُ فِيهَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ، أَوْ فِي الْأَمَاكِنِ الْمُفَضَّلَةِ؛ كَمَكَّةَ لِمَنْ دَخَلَهَا مِنْ غَيْرِ أَهْلِهَا؛ فَيَسْتَحَبُّ الْإِكْتِثَارَ فِيهَا مِنْ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ؛ اغْتِنَامًا لِفَضِيلَةِ الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ، وَهُوَ قَوْلُ أَحْمَدَ وَإِسْحَاقَ وَغَيْرِهِمَا مِنَ الْأَثَمَةِ، وَعَلَيْهِ يُدُلُّ عَمَلُ غَيْرِهِمْ^(١). وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.

فَلَا يُعْتَرِضُ عَلَى مَا كَانَ مِنْ فِعْلِ السَّلَفِ؛ فِي أَنْ أَحَدَهُمْ رَبَّمَا خَتَمَ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ يَوْمٍ مَرَّتَيْنِ؛ مَرَّةً بِالنَّهَارِ، وَمَرَّةً بِاللَّيْلِ بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فِي أَقَلِّ مِنْ ثَلَاثٍ؛ لَمْ يَفْقَهُهُ»^(٢).

وفي رواية لهما: «...، إِنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ سَنَةٍ فِي رَمَضَانَ حَتَّى يَنْسَلِخَ، فَيَعْرِضُ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْقُرْآنَ،...».

(١) «لطائف المعارف» لابن رجب: ص ٣١٨ و ٣١٩.

(٢) أخرجه أبو داود في «السنن»: ٥٤ / ٢ و ٥٦، رقم (١٣٩٠ و ١٣٩٤)، والترمذي في

«الجامع»: ١٩٨ / ٥، رقم (٢٩٤٩)، وابن ماجه في «السنن»: ١ / ٤٢٨، رقم (١٣٤٧)،

فَإِنَّ هَذَا إِنَّمَا يَكُونُ عَلَى سَبِيلِ الْمُدَاوِمَةِ، وَأَمَّا لِإِغْتِنَامِ الْأَوْقَاتِ الْفَاضِلَةِ،
وَكَذَلِكَ مَا يَكُونُ مِنْ وُجُودِ الْمَرْءِ فِي الْأَمَاكِينِ الْفَاضِلَةِ؛ فَإِنَّهُ لَا بَأْسَ - حِينَئِذٍ -
مِنَ الْإِكْتَارِ مِنَ التَّلَاوَةِ، وَالْإِقْبَالِ عَلَى الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَفِي ذَلِكَ مِنَ الْفَضْلِ مَا
اللَّهُ بِهِ عَلِيمٌ. (*)



من حديث: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَمْ يَفْقَهُ مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فِي أَقَلِّ
مِنْ ثَلَاثٍ»، وَفِي رِوَايَةٍ: «لَا يَفْقَهُ...».

والحديث صححه الألباني في «صحيح أبي داود»: ١٣٥/٥ و ١٣٨، رقم (١٢٥٧)
و (١٢٦٠)، وفي «الصحيحة»: ١٨/٤، رقم (١٥١٣).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «رَمَضَانَ كَيْفَ نَحْيَاهُ؟»: الْجُمُعَةُ ١٥ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٣هـ/

تَدَبُّرُ الْقُرْآنِ فِي رَمَضَانَ وَثَمَرَاتُهُ

عِبَادَ اللَّهِ! لِلْقُرْآنِ بِرَمَضَانَ مَزِيدٌ اخْتِصَاصٍ؛ فَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى الْقُرْآنَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، وَلِنُزُولِ الْقُرْآنِ فِي رَمَضَانَ أَوْجَبَ اللَّهُ تَعَالَى صِيَامَهُ. وَلِلنَّبِيِّ ﷺ بِالْقُرْآنِ فِي رَمَضَانَ مَزِيدٌ عِنَايَةٍ وَرِعَايَةٍ، وَمَوْصُولٌ تَدَارُسٍ وَتَدَبُّرٍ.

وَلِلْمُسْلِمِ فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْأُسْوَةِ الْحَسَنَةِ؛ لِأَنَّ تَدَبُّرَ الْقُرْآنِ أَصْلُ صَالِحِ الْقَلْبِ، وَفَلَاحِهِ، وَثَبَاتِهِ.

وَلَا شَيْءَ مِثْلَهُ فِي تَثْبِيتِ قَوَاعِدِ الْإِيمَانِ فِي الْقَلْبِ، وَإِرْسَاءِ دَعَائِمِهِ؛ «لِأَنَّ اللَّهَ أَمَرَ بِتَدَبُّرِ كِتَابِهِ، وَالتَّفَكُّرِ فِي مَعَانِيهِ، وَالِإِهْتِدَاءِ بِآيَاتِهِ، وَأَثْنَى عَلَى الْقَائِمِينَ بِذَلِكَ، وَجَعَلَهُمْ فِي أَعْلَى الْمَرَاتِبِ، وَوَعَدَهُمْ أَسْنَى الْمَوَاهِبِ.

فَلَوْ أَنْفَقَ الْعَبْدُ جَوَاهِرَ عُمُرِهِ فِي هَذَا التَّدَبُّرِ؛ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ كَثِيرًا فِي جَنْبِ مَا هُوَ أَفْضَلُ الْمَطَالِبِ، وَأَعْظَمُ الْمَقَاصِدِ، وَأَصْلُ الْأُصُولِ كُلِّهَا، وَقَاعِدَةُ أَسَاسَاتِ الدِّينِ^(١)، وَصَلَاحُ أُمُورِ الدِّينِ وَالْدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَكَانَتْ حَيَاةُ الْعَبْدِ زَاهِرَةً بِالْهُدَى

(١) في الأصل: [أساس السعادة في الدارين].

وَالْخَيْرِ وَالرَّحْمَةِ، وَطِيبِ الْحَيَاةِ، وَالْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ» (١).

قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- (٢): «لَيْسَ شَيْءٌ أَنْفَعَ لِلْعَبْدِ فِي مَعَاشِهِ وَمَعَادِهِ وَأَقْرَبَ إِلَى نَجَاتِهِ مِنْ تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ، وَإِطَالَةِ التَّأَمُّلِ، وَجَمْعِ الْفِكْرِ عَلَى مَعَانِي آيَاتِهِ؛ فَإِنَّهَا تُطَلِّعُ الْعَبْدَ عَلَى مَعَالِمِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ بِحَدَافِيرِهِمَا، وَعَلَى طُرُقَاتِهِمَا، وَأَسْبَابِهِمَا، وَغَايَاتِهِمَا، وَثَمَرَاتِهِمَا، وَمَالَ أَهْلِيهِمَا، وَتَتَلُّ فِي يَدِهِ -أَيُّ تَجْعَلُ مُسْتَقْرًّا فِي يَدِهِ- مَفَاتِيحَ كُنُوزِ السَّعَادَةِ وَالْعُلُومِ النَّافِعَةِ.

وَتُثَبِّتُ قَوَاعِدَ الْإِيمَانِ فِي قَلْبِهِ، وَتُشِيدُ بُيُنَانَهُ، وَتُوَطِّدُ أَرْكَانَهُ، وَتُرِيهِ صُورَةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ فِي قَلْبِهِ، وَتُحْضِرُهُ بَيْنَ الْأُمَمِ، وَتُرِيهِ أَيَّامَ اللَّهِ فِيهِمْ. وَتُبَصِّرُهُ مَوَاقِعَ الْعِبَرِ، وَتُشْهِدُهُ عَدْلَ اللَّهِ وَفَضْلَهُ، وَتَعْرِفُهُ ذَاتَهُ، وَأَسْمَاءَهُ وَصِفَاتِهِ، وَأَفْعَالَهُ، وَمَا يُحِبُّهُ وَمَا يُبْغِضُهُ، وَصِرَاطَهُ الْمُوَصِّلَ إِلَيْهِ، وَمَا لِسَالِكِيهِ بَعْدَ الْوُصُولِ وَالْقُدُومِ عَلَيْهِ، وَقَوَاطِعِ الطَّرِيقِ وَأَفَاتِيهَا.

وَتَعْرِفُهُ النَّفْسَ وَصِفَاتِهَا، وَمُنْفِسَاتِ الْأَعْمَالِ وَمُصَحِّحَاتِهَا، وَتَعْرِفُهُ طَرِيقَ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَهْلِ النَّارِ، وَأَعْمَالَهُمْ، وَأَحْوَالَهُمْ، وَسِيمَاهُمْ، وَمَرَاتِبَ أَهْلِ السَّعَادَةِ وَأَهْلِ الشَّقَاوَةِ، وَأَقْسَامَ الْخَلْقِ، وَاجْتِمَاعَهُمْ فِيمَا يَجْتَمِعُونَ فِيهِ، وَافْتِرَاقَهُمْ فِيمَا يَفْتَرِقُونَ فِيهِ.

(١) جزء من مقدمة «القواعد الحسان لتفسير القرآن» ضمن مجموع مؤلفات الشيخ السعدي: ٣/ ٣٣٥.

(٢) «مدارج السالكين»: ١/ ٤٥٠ و ٤٥١، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط ٧،

١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م).

وَفِي تَأْمَلِ الْقُرْآنِ، وَتَدَبَّرِهِ، وَتَفْهَمِهِ، أَضْعَافُ أَضْعَافٍ مَا ذُكِرَ مِنَ الْحِكْمِ
وَالْفَوَائِدِ.

وَبِالْجُمْلَةِ؛ فَهُوَ أَعْظَمُ الْكُنُوزِ، طَلَّسُمُهُ -أَي: الْمُزِيلُ لِعُمُوضِهِ، الْمُوَضِّحُ
لِمَعَانِيهِ، الْمُفَسِّرُ لِمُبْهَمِهِ- الْعَوْصُ بِالْفِكْرِ إِلَى قَرَارِ مَعَانِيهِ*.

فَهَكَذَا يَنْبَغِي أَنْ نَتَعَامَلَ مَعَ الْقُرْآنِ؛ خَاصَّةً فِي الشَّهْرِ الَّذِي أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى
فِيهِ الْقُرْآنَ، وَإِلَّا مَا اسْتَفَدْنَا مِنْهُ مَا نَرْجُوهُ، وَمَا حَقَّقْنَا مِنْهُ مَا نَطْلُبُهُ، وَاللَّهُ
الْمُسْتَعَانُ، وَعَلَيْهِ التُّكْلَانُ*.)



(* مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «شَأْنُ الْقُرْآنِ فِي رَمَضَانَ» - الْجُمُعَةَ ٢١ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٨ هـ -

ذِكْرُ اللَّهِ فِي الْمَسْجِدِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ

* وَمِنَ الْأَعْمَالِ الَّتِي تُعْمَلُ فِي رَمَضَانَ: الْجُلُوسُ فِي الْمَسْجِدِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ.

مِمَّا يُؤْتَى بِهِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، وَكَذَلِكَ فِي سَائِرِ الْعَامِ: الْجُلُوسُ فِي الْمَسْجِدِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ.

أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ - بِحَدِيثٍ حَسَنٍ لِغَيْرِهِ بِشَوَاهِدِهِ - عَنِ أَنَسٍ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ صلوات الله وسلامته عليه قَالَ: «مَنْ صَلَّى الْفَجْرَ فِي جَمَاعَةٍ، ثُمَّ قَعَدَ يَذْكُرُ اللَّهَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ، ثُمَّ صَلَّى رَكَعَتَيْنِ؛ كَانَتْ لَهُ كَأَجْرِ حَجَّةٍ وَعُمْرَةٍ تَامَّةٍ تَامَّةٍ» (١).

(١) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي «الْجَامِعِ»: ٢ / ٤٨١، رَقْم (٥٨٦)، بَلْفِظَ: «مَنْ صَلَّى الْغَدَاةَ فِي جَمَاعَةٍ...»، وَقَالَ: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ».

وَالْحَدِيثُ حَسَنٌ لِغَيْرِهِ الْأَبْلَابِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»: ٧ / ١١٩٥ رَقْم (٣٤٠٣).

وَفِي هَذَا الْبَابِ أَخْرَجَ مُسْلِمٌ فِي «الصَّحِيحِ»: ١ / ٤٦٣، رَقْم (٦٧٠)، مِنْ حَدِيثِ: جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله وسلامته عليه لَا يَقُومُ مِنْ مُصَلَّاهُ الَّذِي يُصَلِّي فِيهِ الصُّبْحَ - أَوْ الْغَدَاةَ - حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ، فَإِذَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ قَامَ، وَكَانُوا يَتَحَدَّثُونَ فَيَأْخُذُونَ فِي أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَيُضْحَكُونَ وَيَتَبَسَّمُونَ».

فَهَذَا فِي كُلِّ الْأَيَّامِ؛ فَكَيْفَ فِي رَمَضَانَ!!؟



وفي رواية: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا صَلَّى الْفَجْرَ جَلَسَ فِي مُصَلَّاهُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ حَسَنًا».

ذِكْرُ اللَّهِ رُوحَ الْإِعْتِكَافِ

مِمَّا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ: الْإِعْتِكَافُ؛ فَ «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ فِي رَمَضَانَ فِي كُلِّ رَمَضَانَ عَشْرَةَ أَيَّامٍ، فَلَمَّا كَانَ الْعَامَ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ؛ اعْتَكَفَ عِشْرِينَ يَوْمًا» (١).

وَالْإِعْتِكَافُ مِنَ الْعِبَادَاتِ الَّتِي تَجْمَعُ كَثِيرًا مِنَ الطَّاعَاتِ؛ مِنَ التَّلَاوَةِ، وَالصَّلَاةِ، وَالذِّكْرِ، وَغَيْرِهَا، وَآكَدُ الْإِعْتِكَافِ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ؛ تَحْرِيًّا لِلَيْلَةِ الْقَدْرِ. وَالْإِعْتِكَافُ هُوَ الْخُلُوعُ الْمَشْرُوعَةُ، يَفْعَلُهُ الْمَرْءُ فَيَخْلُو بِنَفْسِهِ بَعِيدًا عَنِ النَّاسِ؛ مِنْ أَهْلِ، وَصَاحِبٍ، وَوَلَدٍ، وَيُقْبَلُ عَلَى اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. وَالْمُعْتَكِفُ يَحْبِسُ نَفْسَهُ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَذِكْرِهِ، وَيَقْطَعُ نَفْسَهُ عَنِ كُلِّ شَاغِلٍ يَشْغَلُهُ عَنِ رَبِّهِ. (*)



(١) أخرجه البخاري في «الصحیح»: ٤ / ٢٨٤ و ٢٨٥، رقم (٢٠٤٤)، وفيه أيضا: ٩ / ٤٣،

رقم (٤٩٩٨)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «رَمَضَانَ كَيْفَ نَحْيَاهُ؟»: الْجُمُعَةُ ١٥ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٣هـ /

٢٠١٢/٨/٣ م.

الدُّعَاءُ مِنْ أَكْرَمِ الْأَذْكَارِ عَلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى

إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يُحِبُّ مِنْ عِبَادِهِ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَدْعُوهُ، وَيَطْلُبُوا مِنْهُ مَا أَرَادُوا مِنْ خَيْرِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ (*)، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ مِنَ الدُّعَاءِ» (١). (* / ٢).

«لَيْسَ شَيْءٌ»؛ أَي: مِنَ الْعِبَادَاتِ الْقَوْلِيَّةِ.

«أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ»: أَي أَفْضَلَ عِنْدَ اللَّهِ.

فَالدُّعَاءُ عِنْدَ اللَّهِ أَفْضَلُ وَأَرْفَعُ دَرَجَةً، وَأَعْلَى قَدْرًا؛ لِأَنَّهُ يَدُلُّ عَلَى قَدْرِهِ تَعَالَى، وَعَلَى الْإِعْتِرَافِ بِذَلِكَ، مَعَ اعْتِرَافِ الدَّاعِي بِعَجْزِهِ وَتَبَرُّيهِ مِنْ حَوْلِهِ وَطَوْلِهِ.

«لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ مِنَ الدُّعَاءِ» أَي: لَيْسَ شَيْءٌ مِنَ الْأَذْكَارِ وَالْعِبَادَاتِ - وَكُلُّ شَيْءٍ يَتَشَرَّفُ فِي بَابِهِ - أَكْثَرَ كَرَامَةً، وَأَعْلَى قَدْرًا، وَأَرْفَعُ دَرَجَةً - فَهُوَ

(* مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ «شَرْحِ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» - الْجُزْءِ الرَّابِعِ (ص ٢٨٥١-٢٨٥٦)، بِاخْتِصَارٍ.

(١) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي «الْجَامِعِ»: ٥ / ٤٥٥، رَقْم (٣٣٧٠)، وَابْنُ مَاجَةَ فِي «السَّنَنِ»: ٢ /

١٢٥٨، رَقْم (٣٨٢٩)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

قَالَ التِّرْمِذِيُّ: «هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ»، وَالحَدِيثُ حَسَنُ الْأَلْبَانِيِّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ

والتَّرْهِيْبِ»: ٢ / ٢٧٦، رَقْم (١٦٢٩).

(* / ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَةٍ: «فُضِّلَ وَأَدَابُ الدُّعَاءِ» - بِتَارِيخِ ١ / ٣ / ٢٠٠٦ م.

أَحْرَى بِالِاسْتِجَابَةِ وَالْقَبُولِ - مِنَ الدُّعَاءِ.

«مِنَ الدُّعَاءِ» أَي: مِنْ سُؤَالِ الْعَبْدِ رَبَّهُ؛ لِأَنَّ فِيهِ إِظْهَارَ الْعَجْزِ وَالِافْتِقَارِ، وَالتَّذَلُّ وَالِانْكِسَارَ، مَعَ الْإِعْتِرَافِ بِقُوَّةِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ، وَرِغْنَاهُ وَإِغْنَائِهِ، وَكِبْرِيَاءِهِ ﷺ، مَعَ نَفْوِيضِ الْأَمْرِ إِلَيْهِ.

وَالدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ؛ لِأَنَّهُ تَعَالَى إِنَّمَا خَلَقَ الْخَلْقَ لِأَجْلِ الْعِبَادَةِ؛ لِذَا قَالَ ﷺ: «الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ»^(١)، قَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

«الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ» أَي: الْعِبَادَةُ الْحَقِيقِيَّةُ الَّتِي تَسْتَأْهِلُ أَنْ تُسَمَّى عِبَادَةً؛ لِذَلَالَتِهَا عَلَى الْإِقْبَالِ عَلَى اللَّهِ، وَالْإِعْرَاضِ عَمَّا سِوَاهُ؛ بِحَيْثُ لَا يَرْجُو الْعَبْدُ وَلَا يَخَافُ إِلَّا إِيَّاهُ، فَإِنَّمَا بُوْجُوبِ الْعِبُودِيَّةِ وَوَاجِبِهَا، مُعْتَرِفًا بِحَقِّ الرُّبُوبِيَّةِ. (*)



(١) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي «السُّنَنِ»: ٢ / ٧٦، رَقْم (١٤٧٩)، وَالتِّرْمِذِيُّ فِي «الْجَامِعِ»: ٥ / ٢١١، رَقْم (٢٩٦٩)، وَابْنُ مَاجَةَ فِي «السُّنَنِ»: ٢ / ١٢٥٨، رَقْم (٣٨٢٨)، مِنْ حَدِيثِ: النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

قَالَ التِّرْمِذِيُّ: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»، وَالحَدِيثُ صَحَحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ أَبِي دَاوُدَ»: ٥ / ٢١٩، رَقْم (١٣٢٩).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ «سُرْحِ الْأَدَبِ الْمُمَفَّرِ» - الْجُزْءِ الرَّابِعِ (ص ٣٠٣٧ - ٣٠٣٨)، بِإِخْتِصَارٍ.

الْحَثُّ عَلَى الاجْتِهَادِ فِي الدُّعَاءِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ

اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يُحِبُّ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ يَسْأَلُوهُ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَكَانَ السَّلَفُ الصَّالِحُ يَسْأَلُونَ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَاجَتَهُمُ الدِّينِيَّةَ وَالدُّنْيَوِيَّةَ؛ حَتَّى إِنْ أَحَدَهُمْ إِذَا لَمْ يَجِدْ مِلْحَ طَعَامِهِ؛ سَأَلَ اللَّهَ أَنْ يَرْزُقَهُ مِلْحَ طَعَامِهِ، وَإِذَا انْقَطَعَ شِرَاكُ نَعْلِهِ؛ سَأَلَ اللَّهَ أَنْ يُعَوِّضَهُ خَيْرًا، فَيُعَوِّضُهُ اللَّهُ خَيْرًا.

وَإِنَّ اللَّهَ ﷻ لَيَغْضَبُ إِنْ تَرَكَ النَّاسُ سُؤَالَهُ، بِخِلَافِ بَنِي آدَمَ؛ فَإِنَّكَ إِذَا سَأَلْتَ بَنِي آدَمَ الْمَالَ أَوْ الْعُونَ، وَكَرَّرْتَ ذَلِكَ أَغْضَبْتَهُمْ، وَأَحْرَجْتَهُمْ؛ قَالَ ﷺ: «إِنَّهُ مَنْ لَمْ يَسْأَلِ اللَّهَ يَغْضَبْ عَلَيْهِ»^(١).

وَاللَّهُ ﷻ صَاحِبُ الْخَزَائِنِ الَّتِي لَا تَنْقُصُ، يُحِبُّ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ يَسْأَلُوهُ فِي كُلِّ لِحْظَةٍ، وَفِي كُلِّ طَرْفَةِ عَيْنٍ، اسْأَلْ مَا شِئْتَ رَبَّكَ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَنْتَ صَائِمٌ؛ فَرَمَضَانَ شَهْرُ الدُّعَاءِ.

اسْأَلْهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أُمُورَ الْآخِرَةِ بِالذَّرَجَةِ الْأُولَى.

(١) أخرجه الترمذي في «الجامع»: ٥ / ٤٥٦ و ٤٥٧، رقم (٣٣٧٣)، وابن ماجه في «السنن»: ٢ / ١٢٥٨، رقم (٣٨٢٧)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، وفي رواية ابن ماجه، بلفظ: «مَنْ لَمْ يَدْعُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ غَضِبَ عَلَيْهِ».

والحديث حسنه الألباني في «الصحيحه»: ٦ / ٣٢٣، رقم (٢٦٥٤).

وَأَسْأَلُهُ مَا شِئْتَ مِنْ دُنْيَاكَ، وَلَا تَتَجَاوَزَ حُدُودَ الشَّرْعِ، وَلَا تَعْتَدِ فِي الدُّعَاءِ.

وَإِذَا سَأَلْتَ اللَّهَ الْمَالَ؛ فَلْتَكُنْ لَكَ النِّيَّةُ الْحَسَنَةُ أَنْ تَعْرِفَ حَقَّ الْمَالِ.

وَإِذَا سَأَلْتَ اللَّهَ طُولَ الْحَيَاةِ؛ فَلْتَكُنْ نِيَّتَكَ حَسَنَةً أَنْ تَقْضِيَ حَيَاتَكَ فِي طَاعَةِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَفِيمَا أَبَاحَ لَكَ مِنْ مُتَطَلِّبَاتِ الْجَسَدِ، وَمُتَطَلِّبَاتِ الْحَيَاةِ الَّتِي لَا بُدَّ مِنْهَا.

وَإِذَا سَأَلْتَ اللَّهَ كَثْرَةَ الْوَلَدِ؛ فَلْيَكُنْ لَكَ النِّيَّةُ الْحَسَنَةُ؛ لِيَكُونُوا مِنْ عُمَّارِ الْأَرْضِ بِطَاعَةِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَيَكُونُوا مِنْ حَمَلَةِ الْعِلْمِ، حَمَلَةِ الشَّرْعِ، وَمِنْ أَهْلِ الْجِهَادِ؛ لِإِعْلَاءِ كَلِمَةِ اللَّهِ بِالْكَلِمَةِ وَبِالْمُؤَلَّفَاتِ، وَبِمَا أَمَكْنَ أَنْ يُجَاهِدَ بِهِ الْإِنْسَانُ. وَاجْتَهِدْ فِي ذَلِكَ أَشَدَّ الْجِتْهَادِ فِي أَثْنَاءِ صَوْمِكَ، وَخُصُوصًا فِي رَمَضَانَ. (*)

وَشَهْرُ رَمَضَانَ خَصَّهُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِخَصَائِصٍ بَاهِرَةٍ، وَأَنْزَلَ فِيهِ الْآيَاتِ الْمُبْهَرَةَ؛ وَمِنْهَا: أَنْ لِلصَّائِمِ دَعْوَةً مُسْتَجَابَةً؛ فَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله وسلامته عليه: «ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ لَا تُرَدُّ: دَعْوَةُ الْوَالِدِ، وَدَعْوَةُ الصَّائِمِ، وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ» (١). (*) (٢/).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ: «شَرْحُ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» - الْجُزْءُ الرَّابِعُ (ص ٢٨٤٩-٢٨٥٠).

(١) أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي «السَّنَنِ الْكَبْرَى»: ٣ / ٣٤٥، رَقْم (٦٣٩٢)، وَابْنُ عَسَاكِرٍ فِي «مَعْجَمِ الشُّيُوخِ»: ١ / ٣٣٨، رَقْم (٤٠٥)، وَالرَّافِعِيُّ فِي «أَخْبَارِ قَزْوِينَ»: ٣ / ١١٤، وَالضِّيَاءُ فِي «الْمَخْتَارَةِ»: ٦ / ٧٤ وَ ٧٥، رَقْم (٢٠٥٧).

وَالْحَدِيثُ حَسَنُهُ بِشَوَاهِدِهِ الْأَلْبَانِي فِي «الصَّحِيحَةِ»: ٤ / ٤٠٦، رَقْم (١٧٩٧)، وَرَوَى عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، بِنَحْوِهِ.

(*) (٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «رَمَضَانَ كَيْفَ نَحْيَاهُ؟»: الْجُمُعَةُ ١٥ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٣ هـ/

فَعَلَيْنَا أَنْ نَأْخُذَ بِآدَابِ الدُّعَاءِ، وَعَلَيْنَا أَلَّا نَعْجِزَ فِي الدُّعَاءِ، وَعَلَيْنَا أَنْ نَكُونَ مِنَ الْمُكْثِرِينَ مِنَ الدُّعَاءِ فِي أَثْنَاءِ الصِّيَامِ، وَأَنْ نَدْعُو اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَأَنْ نَعْلَمَ أَنَّ هَذَا هُوَ أَشْرَفُ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْعِبَادَةِ، يَتَعَبَّدُ بِهِ الْعَبْدُ الصَّالِحُ لِرَبِّهِ جَلَّ وَعَلَا كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ» (١).

فَعَلَيْنَا أَنْ نَتَوَجَّهَ دَائِمًا وَأَبَدًا إِلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَأَنْ نُخْلِصَ الْقُلُوبَ لَهُ، وَأَنْ نَكُونَ مُوَحِّدِينَ؛ حَتَّى يَسْتَجِيبَ لَنَا رَبُّنَا رَبُّ الْعَالَمِينَ. (*)

* لِيَكُنْ لِسَانُكَ رَطْبًا بِذِكْرِ اللَّهِ - خَاصَّةً فِي رَمَضَانَ -:

عِبَادَ اللَّهِ! فَلْنُظْهِرِ اللِّسَانَ مِنْ آفَاتِهِ، هَذِهِ التَّخْلِيَةُ، وَالتَّخْلِيَةُ مُقَدَّمَةٌ عَلَى التَّحْلِيَةِ.

أَلَا تَرَى أَنَّكَ إِنْ تَلَوْتَ الْقُرْآنَ، وَذَكَرْتَ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ، وَسَبَّحْتَهُ؛ وَهَذِهِ تَحْلِيَةٌ تَأْتِي بِهَا بِاللِّسَانِ، وَلَمْ تُخَلِّ اللِّسَانَ مِنْ آفَاتِهِ؛ بَدَّدَ عَلَيْكَ اللِّسَانَ بِآفَاتِهِ مَا حَصَلَتْهُ مِنْ حَسَنَاتٍ!!

فَالتَّخْلِيَةُ مُقَدَّمَةٌ عَلَى التَّحْلِيَةِ. (*) (٢).

اعْلَمْ - عَبْدَ اللَّهِ - أَنَّ كُلَّ يَوْمٍ يَعِيشُهُ الْمُؤْمِنُ فَهُوَ غَنِيمَةٌ.

(١) تقدم تخريجه.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَةٍ: «فَضْلُ وَآدَابِ الدُّعَاءِ» بِتَارِيخِ ١/٣/٢٠٠٦ م.

(*) (٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ حُطْبَةٍ: «رَمَضَانَ كَيْفَ نَحْيَاهُ؟» - الْجُمُعَةُ ١٥ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٣ هـ/

٣/٨/٢٠١٢ م.

فَاحْذَرِ مَجَالِسَ الْفَارِغِينَ، وَاحْفَظْ لِسَانَكَ مِنَ الْغَيْبَةِ، وَالنَّمِيمَةِ، وَفَاحِشِ الْقَوْلِ، وَاحْبِسْ لِسَانَكَ عَنْ كُلِّ مَا يُغْضِبُ اللَّهَ.

وَأَلْزِمِ نَفْسَكَ الْكَلَامَ الطَّيِّبَ الْجَمِيلَ، وَليَكُنْ لِسَانَكَ رَطْبًا بِذِكْرِ اللَّهِ، وَهِيَ فُرْصَةٌ لِلتَّرْوُدِ مِنَ الطَّاعَةِ، وَالتَّفَرُّغِ لِلْعِبَادَةِ، وَقَدْ لَا تَتَكَرَّرُ الْفُرْصَةُ؛ بَلْ قَدْ تَمُوتُ قَبْلَ أَنْ تَعُودَ الْفُرْصَةُ. (*)

عِبَادَ اللَّهِ! إِنَّ الذِّكْرَ رَأْسُ الْأُصُولِ، فَمَنْ فَتِحَ لَهُ فِيهِ؛ فَقَدْ فَتِحَ لَهُ بَابُ الدُّخُولِ عَلَى اللَّهِ ﷻ، فَلْيَتَطَهَّرْ، وَلْيَدْخُلْ عَلَى رَبِّهِ؛ يَجِدْ عِنْدَهُ كُلَّ مَا يُرِيدُ، فَإِنْ وَجَدَ رَبَّهُ تَعَالَى؛ وَجَدَ كُلَّ شَيْءٍ، وَإِنْ فَاتَهُ رَبُّهُ جَلَّ وَعَلَا؛ فَاتَهُ كُلُّ شَيْءٍ.

نَسْأَلُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ أَنْ يَمُنَّ عَلَيْنَا بِذِكْرِهِ؛ قِيَامًا وَقُعودًا وَعَلَى جُنُوبِنَا. (*) (٢).



(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «تَطْهِيرُ الْقَلْبِ فِي رَمَضَانَ» - الْجُمُعَةُ ٢ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٦ هـ / ١٩ - ٦ - ٢٠١٥ م.

(*) (٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «بَابُ الْفَتْحِ الْأَعْظَمِ» - الْجُمُعَةُ ١٧ مِنْ شَوَّالِ ١٤٣٧ هـ / ٢٢ - ٧ - ٢٠١٦ م.

الإِكْتِثَارُ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ

الرَّسُولُ ﷺ دَلَّ الْأُمَّةَ - كَمَا دَلَّهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى - عَلَى بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْخَيْرِ؛ بَلْ مِنْ أَوْسَعِ أَبْوَابِ الْخَيْرِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمَّا جَعَلَ هَذَا الْعَشَرَ الْأَخِيرَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ مَوْسِمًا لِلطَّاعَةِ، وَالْإِقْبَالِ عَلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى؛ جَعَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِيهِ بَابًا مِنَ الْأَبْوَابِ الْعَظِيمَةِ لَا يُكَلِّفُ النَّاسَ شَيْئًا، وَلَكِنَّ النَّاسَ يَبْتَغُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْخَيْرِ!!

وَاللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى جَعَلَ أَبْوَابَ الْخَيْرِ بَعْدَ الْأَنْفَاسِ، فَالْإِنْسَانُ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَصِلَ إِلَى فِعْلِ الْخَيْرِ - حَتَّى بِنَيْتِهِ؛ وَإِنْ لَمْ يَصْنَعْ شَيْئًا -؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ يُمَكِّنُ أَنْ يَبِيْتَ بِالنِّيَّةِ الصَّالِحَةِ عَابِدًا لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَيَسْبِقُ مَنْ يَقُومُ اللَّيْلَ وَيَصُومُ النَّهَارَ؛ عَلَى شَرْطِ أَنْ يَكُونَ بَازِلًا لِلْجُهْدِ، وَأَلَّا يَكُونَ مُقَصِّرًا فِي الْأَدَاءِ.

فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَلَّنَا - كَمَا دَلَّهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى - عَلَى بَابٍ عَظِيمٍ جَدًّا، وَأَرْشَدَ الرَّسُولَ ﷺ إِلَيْهِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عِنْدَمَا سَأَلَتِ الرَّسُولَ ﷺ عَمَّا تَقُولُهُ إِذَا عَرِفْتَ وَعَلِمْتَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ.

وَقَوْلُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فِي سُؤْلِهَا لِلرَّسُولِ ﷺ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ أَرَأَيْتَ إِنْ عَلِمْتُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ؛ أَيُّ لَيْلَةٍ هِيَ؛ مَاذَا أَقُولُ؟

الْعِبَادَةُ الَّتِي دَلَّ النَّبِيُّ ﷺ وَعَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَلَيْهَا؛ وَهِيَ الدَّعَاءُ: قَالَ ﷺ:
«قُولِي: اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تَحِبُّ الْعَفْوَ؛ فَاعْفُ عَنِّي» (١).

الذِّكْرُ، وَالِدَّعَاءُ.

كَانَ الرَّسُولُ ﷺ يَسْتَعِدُّ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، وَيَأْخُذُ أَهْبَتَهُ؛
مِنْ أَجْلِ الْإِكْتَارِ مِنَ الْعِبَادَةِ، وَذَكَرَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَا لَا يَفْعَلُ ذَلِكَ فِي بَقِيَّةِ
الشَّهْرِ (٢)؛ بَلْ إِنَّهُ ﷺ كَانَ يَعْتَرِلُ النِّسَاءَ (٣).

الرَّسُولُ ﷺ لَمْ يَرِدْ عَنْهُ أَنَّهُ صَلَّى لَيْلَةَ إِلَى الصَّبَاحِ - يَعْنِي: لَمْ يُصَلِّ النَّبِيُّ ﷺ

(١) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي «الْجَامِعِ»: ٥ / ٥٣٤، رَقْم (٣٥١٣)، وَابْنُ مَاجَةَ فِي «السَّنَنِ»: ٢ /
١٢٦٥، رَقْم (٣٨٥٠)، مِنْ حَدِيثِ: عَائِشَةَ، قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ
عَلِمْتُ أَيُّ لَيْلَةٍ لَيْلَةُ الْقَدْرِ، مَا أَقُولُ فِيهَا؟ قَالَ: «قُولِي: اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تَحِبُّ الْعَفْوَ
فَاعْفُ عَنِّي».

قَالَ التِّرْمِذِيُّ: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»، وَالْحَدِيثُ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»:
٧ / ١٠٠٨، رَقْم (٣٣٣٧).

(٢) أَخْرَجَ مُسْلِمٌ فِي «الصَّحِيحِ»: ٢ / ٨٣٢، رَقْم (١١٧٥)، مِنْ حَدِيثِ: عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «كَانَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَجْتَهِدُ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ، مَا لَا يَجْتَهِدُ فِي غَيْرِهِ».

(٣) أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ فِي «الصَّحِيحِ»: ٤ / ٢٦٩، رَقْم (٢٠٢٤)، وَمُسْلِمٌ فِي «الصَّحِيحِ»: ٢ /
٨٣٢، رَقْم (١١٧٤)، مِنْ حَدِيثِ: عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ
شَدَّ مِئْزَرَهُ، وَأَحْيَا لَيْلَهُ، وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ».

وَفِي رِوَايَةِ مُسْلِمٍ: «إِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ، أَحْيَا اللَّيْلَ، وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ، وَجَدَّ وَشَدَّ الْمِئْزَرَ».

قِيَامَ اللَّيْلِ طَوَّلَ اللَّيْلَ - (١).

لَمْ يَرِدْ - كَمَا قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - لَمْ يَحْدُثْ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَامَ لَيْلَةً إِلَى الصَّبَاحِ؛ بَلْ كَانَ يَقُومُ وَيَنَامُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَكِنَّهَا تَقُولُ فِي الْحَدِيثِ: «إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ - تَعْنِي: الْعَشْرَ الْأَخِيرَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ -؛ أَحْيَا لَيْلَهُ» (٢)؛ فَكَانَ لَا يَنَامُ اللَّيْلَ؛ فَهَذِهِ وَاحِدَةٌ.

فَمِنْ وَظَائِفِ الْعَشْرِ الْأَوَّخِرِ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ: أَنْ يَطَّلَ الْمُسْلِمُ سَاهِرًا لَيْلَهُ كُلَّهُ فِي ذِكْرٍ، وَفِي دُعَاءٍ، وَفِي تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ، وَفِي صَلَاةٍ - فِي قِيَامٍ -، وَفِي تَفَكُّرٍ فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، فِي عِبَادَةِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى اللَّيْلَ كُلَّهُ.

«كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ؛ أَحْيَا لَيْلَهُ، وَأَيَّقَظَ أَهْلَهُ».

وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَقَلَّلُ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، وَهَذَا مِمَّا يَنْبَغِي أَنْ يَلْتَفِتَ إِلَيْهِ الْمُسْلِمُ.

فَعَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَجْتَهِدَ فِي التَّقْلِيلِ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ فِي الْعَشْرِ الْأَوَّخِرِ خَاصَّةً؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا جَاءَ فِي الْإِفْطَارِ فَاِمْتَلَأَ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ - وَيَكُونُ بِذَلِكَ قَدْ عَوَّضَ الْوَجْبَةَ الَّتِي فَاتَتْهُ فِي الضُّحَى أَوْ فِي الظُّهْرِ -؛ فَإِنَّهُ لَا يَكُونُ قَدْ

(١) أخرجه مسلم في «الصحیح»: ١ / ٥١٤، رقم (٧٤٦)، بلفظ: «...، لَا أَعْلَمُ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَرَأَ الْقُرْآنَ كُلَّهُ فِي لَيْلَةٍ، وَلَا صَلَّى لَيْلَةً إِلَى الصُّبْحِ، وَلَا صَامَ شَهْرًا كَامِلًا غَيْرَ رَمَضَانَ...».

(٢) تقدم تخريجه.

صَنَعَ شَيْئًا، وَإِنَّمَا يَثْقُلُ عَنِ السَّهْرِ، وَيَثْقُلُ عَنِ الْعِبَادَةِ، وَيَنْطَرِحُ حِينِيذٍ؛ كَمَا جَاءَ
الْوَصْفُ فِي أَمْثَالِ هُوَلَاءَ: جِيْفَةٌ بِاللَّيْلِ، حِمَارٌ بِالنَّهَارِ!!

فَعَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَجْتَهِدَ فِي أَلَّا يُضَيِّعَ هَذِهِ الْعَشْرَ؛ لِأَنَّ الشَّيْطَانَ مِنْ حِيلِهِ
الْكَثِيرَةِ: أَدْخَلَ - وَبِخَاصَّةٍ عَلَى النِّسَاءِ - عَلَيْهِمْ أُمُورًا تُضَيِّعُ عَلَيْهِمْ هَذِهِ الْفَتْرَةَ
الْعَظِيمَةَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، وَهِيَ لَا تَتَكَرَّرُ إِلَّا فِي كُلِّ عَامٍ، وَالْمَرْءُ لَا يَأْمَنُ أَنْ يَأْتِيَ
عَلَيْهِ رَمَضَانُ بَعْدَ ذَلِكَ، وَإِذَا أَتَى فَالْمَرْءُ لَا يَأْمَنُ أَنْ يَأْتِيَ عَلَيْهِ رَمَضَانُ بِصِحَّةٍ
يَسْتَطِيعُ بِهَا أَنْ يَقُومَ بِالْعِبَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا.

فَعَلَى النِّسَاءِ خَاصَّةً أَنْ يَجْتَهِدْنَ فِي هَذِهِ الْعِبَادَةِ الْعَظِيمَةِ؛ وَهِيَ عِبَادَةُ الذِّكْرِ.



حَتُّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ عَلَى عِبَادَةِ الذِّكْرِ

اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى جَعَلَ فِي هَذَا الذِّكْرِ خَاصِيَّةً عَظِيمَةً، وَأَمَرَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ بِأَنْ يَذْكُرُوهُ ذِكْرًا كَثِيرًا، وَقَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢].

وَيَقُولُ اللَّهُ -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤١].

وَقَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

وَأَمَرَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى نَبِيَّهُ ﷺ بِأَنْ يَذْكُرَهُ كَثِيرًا، وَأَنْ يُسَبِّحَهُ كَثِيرًا: ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَرِ﴾ [آل عمران: ٤١].



فَضَائِلُ ذِكْرِ اللَّهِ وَثَمَرَاتِهِ

لَنَا فِي النَّبِيِّ ﷺ الْقُدْوَةُ الْحَسَنَةُ، وَالْأُسْوَةُ الْمُبَارَكَةُ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].
فَلَا يَكُونُ الْإِنْسَانُ مُقْتَدِيًا بِالرَّسُولِ ﷺ اقْتِدَاءً حَسَنًا إِلَّا إِذَا كَانَ رَاجِيًا لِلَّهِ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ، وَكَانَ ذَاكِرًا رَبَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ذِكْرًا كَثِيرًا.

* طَمَئِينَةُ الْقُلُوبِ فِي ذِكْرِ اللَّهِ:

الذِّكْرُ يَطْمِئِنُّ بِهِ الْقَلْبُ؛ كَمَا أَخْبَرَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْعَظِيمِ: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

* ذِكْرُ اللَّهِ فِي الصَّعَابِ كَالْجِهَادِ:

بَيْنَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّ النَّاسَ يَنْبَغِي عَلَيْهِمْ إِذَا جَدَّ الْجِدُّ، وَإِذَا جَاءَتِ الْأُمُورُ الْكِبَارُ؛ فَعَلَيْهِمْ أَنْ يَذْكُرُوا الْعَزِيزَ الْغَفَّارَ: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥].

فَبَيْنَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّ عَلَى النَّاسِ أَنْ يَذْكُرُوا اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي هَذَا الْمَوْطِنِ الْعَظِيمِ؛ مَوْطِنِ الْجِلَادِ وَالْجِهَادِ، وَالْإِقْبَالِ عَلَى الْمَوْتِ شَهَادَةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

* مِنْ فَضَائِلِ الذِّكْرِ: ذِكْرُ اللَّهِ مَنْ يَذْكُرُهُ:

لَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مُقَابِلَ أَنْ يَذْكُرَهُ الْعَبْدُ: أَنْ يَذْكُرَهُ الرَّبُّ؛ وَهَذَا عَطَاءٌ كَبِيرٌ جَدًّا، يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ؛ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ؛ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُ»^(١)، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شَبْرًا؛ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا؛ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْسِي؛ أَتَيْتُهُ هَرَوَلَةً»^(٢).

اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى جَعَلَ فِي مُقَابِلِ ذِكْرِ الْعَبْدِ لِرَبِّهِ: أَنْ يَذْكُرَهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فَإِذَا ذَكَرَ الْعَبْدُ رَبَّهُ فِي نَفْسِهِ؛ ذَكَرَهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي نَفْسِهِ، وَإِذَا ذَكَرَ الْعَبْدُ رَبَّهُ - جَلَّتْ قُدْرَتُهُ - فِي مَلَأٍ؛ ذَكَرَهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُ.

* لَعْنُ النَّبِيِّ ﷺ الدُّنْيَا؛ مُسْتَشْبِيًا ذِكْرَ اللَّهِ وَمَا وَالَاهُ:

عَلَيْنَا أَنْ نَجْتَهِدَ فِي الذِّكْرِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى جَعَلَ الذِّكْرَ هُوَ مَنْشُورُ الْوَلَايَةِ الْأَكْبَرِ، وَلَا طَرِيقَ إِلَيَّ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يُفْضِي إِلَيْهِ هُوَ أَوْسَعُ مِنْ إِدَامَةِ وَإِدْمَانِ ذِكْرِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ حَتَّىٰ إِنْ النَّبِيِّ ﷺ أَخْبَرَ أَنَّ الدُّنْيَا بَعِيدَةٌ عَنِ الرَّحْمَةِ إِلَّا مَا كَانَ

(١) كذا في رواية لمسلم: ٤ / ٢٠٦٧، وفي رواية الصحيحين: [منهم].

(٢) أخرجه البخاري في «الصحيح»: ١٣ / ٣٨٤، رقم (٧٤٠٥)، ومسلم في «الصحيح»:

٤ / ٢٠٦١ و ٢٠٦٢، رقم (٢٦٧٥)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

وزاد مسلم في رواية: ٤ / ٢١٠٢: «...، وَاللَّهُ، لِلَّهِ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ يَجِدُ

ضَالَّتُهُ بِالْفَلَاةِ، وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شَبْرًا،...» الحديث.

مُتَعَلِّقًا بِذِكْرِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فَقَالَ الرَّسُولُ ﷺ: «الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ، مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إِلَّا ذِكْرُ اللَّهِ وَمَا وَالَاهُ، وَعَالِمًا وَمُتَعَلِّمًا» (١).

فَالدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ مَطْرُودَةٌ عَنِ الرَّحْمَةِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مُنْذُ خَلَقَهَا لَمْ يَنْظُرْ إِلَيْهَا، وَهِيَ لَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، «هِيَ مَلْعُونَةٌ، مَلْعُونٌ مَا فِيهَا - كَمَا قَالَ الرَّسُولُ ﷺ - إِلَّا ذِكْرُ اللَّهِ وَمَا وَالَاهُ، وَعَالِمًا وَمُتَعَلِّمًا».

فَهُؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ اسْتَشْنَاهُمُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنَ اللَّعْنَةِ، وَقَرَّبَهُمُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ.

* الذَّاكِرُونَ اللَّهَ تَعَالَى فِي ظِلِّ عَرْشِ الرَّحْمَنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ:

جَعَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الذِّكْرَ مُوَصَّلًا إِلَى أَكْبَرِ الْخَيْرِ، وَبَيَّنَ لَنَا نَبِيْنَا ﷺ أَمْرًا كَبِيرًا: «أَنَّ مِنَ السَّبْعَةِ الَّذِينَ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ - عِنْدَمَا تَدْنُو الشَّمْسُ مِنَ الرُّؤُوسِ، وَيَكُونُ النَّاسُ فِي الْعَرَقِ عَلَى حَسَبِ أَعْمَالِهِمْ؛ فَمِنْهُمْ مَنْ عَرَفَهُ إِلَى مَا يُعْطِي قَدَمِيهِ - إِلَى كَعْبِيهِ -».

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ عَرَفَهُ إِلَى رُكْبَتِيهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ عَرَفَهُ إِلَى وَسْطِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ عَرَفَهُ قَدْ أَلْجَمَهُ الْجَمَامًا (٢)؛ كَمَا أَخْبَرَ الرَّسُولُ ﷺ، وَالشَّمْسُ دَانِيَةٌ مِنَ الرُّؤُوسِ،

(١) أخرجه الترمذي في «الجامع»: ٤ / ٥٦١، رقم (٢٣٢٢)، وابن ماجه في «السنن»: ٢ /

١٣٧٧، رقم (٤١١٢)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ»، والحديث حسنه الألباني في «الصحيححة»:

٦ / ٧٠٣، رقم (٢٧٩٧).

(٢) أخرجه مسلم في «الصحيح»: ٤ / ٢١٩٦، رقم (٢٨٦٤)، من حديث: الْمُقَدَّادِ بْنِ

الْأَسْوَدِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «تَدْنَى الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْخَلْقِ،

وَالنَّاسُ فِي الْقَلَقِ وَالِاضْطِرَابِ وَالْهَمِّ فِي الْمَوْقِفِ الْعَظِيمِ.

وَمَعَ ذَلِكَ يَقُولُ لَنَا النَّبِيُّ ﷺ: «هُنَالِكَ سَبْعَةٌ يُظْلَمُهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ.. قَالَ: وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ»^(١).

* الأَذْكَارُ غِرَاسُ الْجَنَّةِ:

النَّبِيُّ ﷺ يُخْبِرُ أَنَّهُ: «لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَيَتَدَبَّرُونَ فِي الْآيَةِ، وَنِعْمِهِ، وَعَطَايَاهُ؛ إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِيمَنْ عِنْدَهُ»^(٢).

بَلْ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ خَلِيلَ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا لَمَّا لَقِيَهِ النَّبِيُّ ﷺ فِي لَيْلَةِ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ، قَالَ لَهُ: «يَا مُحَمَّدُ؛ أَقْرَى أُمَّتِكَ مِنِّي السَّلَامُ - وَعَلَيْهِ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ -، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ الْجَنَّةَ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ - الْجَنَّةُ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ؛ لِأَنَّ تُرْبَةَ الْجَنَّةِ مِنَ الْمَسْكِ الْأَذْفَرِ كَمَا أَخْبَرَ الرَّسُولُ ﷺ - عَذْبَةُ الْمَاءِ - لِأَنَّ مَاءَ الْجَنَّةِ وَالْأَنْهَارَ الَّتِي تَكُونُ فِي الْجَنَّةِ لَا يُمَكِّنُ وَصْفُ مَا هِيَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَلَاوَةِ وَالْعُدْوِيَّةِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الصِّفَاتِ الْجَمِيلَةِ -.

حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ، فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَقِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبِيهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْعَرَقُ الْجَمَامًا»، قَالَ: وَأَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهِ إِلَى فِيهِ.

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح»: ٢ / ١٤٣، رقم (٦٦٠)، ومسلم في «الصحيح»: ٢ / ٧١٥، رقم (١٠٣١)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «سَبْعَةٌ يُظْلَمُهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الْإِمَامُ الْعَادِلُ،...» الحديث.

(٢) تقدم تخريجه.

وَأَنَّهَا -أَي: الْجَنَّةَ- قِيَعَانٌ -جَمْعُ قَاعٍ: وَهِيَ الْأَرْضُ الْفَلَاةُ الَّتِي لَيْسَ فِيهَا بِنَاءٌ، وَلَيْسَ فِيهَا شَيْءٌ، لَا شَجَرَ فِيهَا وَلَا بِنَاءً-.

يَقُولُ إِبْرَاهِيمُ الْخَلِيلُ وَهُوَ يُخْبِرُ النَّبِيَّ ﷺ؛ لِيُخْبِرَنَا: «يَا مُحَمَّدُ؛ أَقْرِي أَمَّتَكَ مِنِّي السَّلَامَ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ الْجَنَّةَ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ، عَذْبَةُ الْمَاءِ، وَأَنَّهَا قِيَعَانٌ -أَرْضُ فَلَاةٍ، لَا بِنَاءَ فِيهَا وَلَا شَجَرَ-، وَأَنَّ غِرَاسَهَا: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ» (١).

فَإِذَا قَالَ الرَّجُلُ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ -إِذَا قَالَ الْمُسْلِمُ أَوْ الْمُسْلِمَةُ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ -: «سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ»؛ غُرِسَتْ لَهُ فِي الْجَنَّةِ نَخْلَةٌ (٢)، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ.

فَغِرَاسُ الْجَنَّةِ -وَهِيَ قِيَعَانٌ -أَي: أَرْضُ مُسْتَوِيَّةٌ فَلَاةٌ-: أَنْ تَقُولَ مِثْلَ هَذَا الذِّكْرِ الْعَظِيمِ: «سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ».

(١) أخرجه الترمذي في «الجامع»: ٥١٠ / ٥، رقم (٣٤٦٢)، من حديث: ابن مسعود رضي الله عنه. قال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ»، والحديث حسنه بشواهده الألباني في «الصحيحة»: ٢١٤ / ١، رقم (١٠٥).

(٢) أخرجه الترمذي في «الجامع»: ٥١١ / ٥، رقم (٣٤٦٤ و ٣٤٦٥)، من حديث: جابر، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ، غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ فِي الْجَنَّةِ».

قال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ»، والحديث صححه الألباني في «الصحيحة»: ١٣٤ / ١، رقم (٦٤).

قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ - لَمَّا ذَكَرَ هَذَا الْحَدِيثَ، وَعَلَّقَ عَلَيْهِ - (١): «سُبْحَانَ اللَّهِ!! كَمْ ضَيَعْنَا مِنْ نَخْلِ فِي الْجَنَّةِ!!».

فَهَذِهِ الْأَذْكَارُ الْعَظِيمَةُ يَنْبَغِي عَلَى الْمَرْءِ أَنْ يَلْتَفِتَ إِلَيْهَا.

وَالنَّبِيُّ ﷺ دَلَّ عَلَى كَلِمَاتٍ قَلِيلَةٍ: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ» (٢).

* مِنَ الْأَذْكَارِ: الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ:

الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ يُفْرِحُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِهَا الْكُرْبَاتِ، وَيَرْفَعُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِهَا كُلَّ مَا يُحِيطُ بِالْمَرْءِ مِنْ سَحَائِبِ الْغُومِ وَالْهُمُومِ، وَتَنْزِلُ بِهَا رَحِمَاتُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

وَيَكْفِي اللَّهُ الْإِنْسَانَ بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ مَا أَهَمَّهُ مِنْ أَمْرِ دُنْيَاهُ؛ كَمَا قَالَ الصَّحَابِيُّ لِلرَّسُولِ ﷺ: أَجْعَلْ دُعَائِي كُلَّهُ صَلَاةً وَسَلَامًا عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟

(١) «صيد الخاطر»: ص ٤٩٣ و ٥٠٥، (دمشق: دار القلم، ط ١، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م)، بلفظ: «فكم يضيع الآدمي من ساعات يفوته فيها الثواب الجزيل!»، وقال: «فانظر إلى مضيع الساعات كم يفوته من النخيل!».

(٢) أخرجه البخاري في «الصحيح»: ٢٠٦/١١، رقم (٦٤٠٦)، ومسلم في «الصحيح»: ٤/٢٠٧٢، رقم (٢٦٩٤)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قَالَ: «إِذْنٌ؛ تُكْفَى هَمَّكَ، وَيُغْفَرُ لَكَ ذَنْبُكَ» (١).

«إِذْنٌ؛ تُكْفَى هَمَّكَ»: لَوْ أَنَّكَ صَلَّيْتَ عَلَيَّ النَّبِيِّ ﷺ كَثِيرًا؛ يَكْفِيكَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى هَمَّكَ، فَلَا تَجِدُ مِنْ هُمُومِ الدُّنْيَا شَيْئًا يَمَسُّكَ، وَيَرْفَعُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْكُرُوبَ، وَيَزِيلُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْهُمُومَ، وَيَكْشِفُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْغُومَ بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيَّ النَّبِيِّ ﷺ.

وَأَمَّا فِي الْأَخِرَةِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَا يُخَيِّبُ رَجَاءَ الرَّاجِيهِ - سُبْحَانَهُ - وَإِنَّمَا يُعْطِيهِمُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْجَنَّةَ وَزِيَادَةً: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦].

وَالزِّيَادَةُ: هِيَ النَّظَرُ إِلَىٰ وَجْهِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي الْجَنَّةِ (٢).

(١) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي «الْجَامِعِ»: ٦٣٦/٤، رَقْم (٢٤٥٧)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي بِنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَكْثِرُ الصَّلَاةَ عَلَيْكَ فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلَاتِي؟ فَقَالَ: «مَا شِئْتَ»، قُلْتُ: الرَّبْعَ، قَالَ: «مَا شِئْتَ فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ»، قُلْتُ: النِّصْفَ، قَالَ: «مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ»، قَالَ: قُلْتُ: فَالثَّلَاثِينَ، قَالَ: «مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ»، قُلْتُ: أَجْعَلُ لَكَ صَلَاتِي كُلَّهَا قَالَ: «إِذَا تُكْفَى هَمَّكَ، وَيُغْفَرُ لَكَ ذَنْبُكَ».

قَالَ التِّرْمِذِيُّ: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ»، وَالْحَدِيثُ حَسَنُهُ إِسْنَادُهُ وَصَحْحُ مَتْنِهِ الْأَبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهيبِ»: ٢/٢٩٤ و٢٩٥، رَقْم (١٦٧٠).

(٢) أَخْرَجَ مُسْلِمٌ فِي «الصَّحِيحِ»: ١/١٦٣، رَقْم (١٨١)، مِنْ حَدِيثِ: صُهَيْبٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تَبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا

* الذِّكْرُ حِصْنٌ لِلْعَبْدِ مِنَ الشَّيْطَانِ:

إِنَّ الذِّكْرَ - كَمَا بَيَّنَّ لَنَا الرَّسُولُ ﷺ (١) - يُحَرِّزُ الْإِنْسَانَ مِنَ الشَّيْطَانِ؛ لِأَنَّهُ مَنْ قَالَ فِي كُلِّ يَوْمٍ فِي الصَّبَاحِ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ؛ مَنْ قَالَهَا مِئَةَ مَرَّةٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ - فِي الصَّبَاحِ، وَهِيَ مِنْ أذْكَارِ الصَّبَاحِ، وَمِنْ أذْكَارِ الْمَسَاءِ أَيْضًا -؛ جَعَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى هَذَا الذِّكْرَ حِرْزًا لَهُ مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ».

فَكَأَنَّهُ دَخَلَ فِي حِصْنٍ وَتَحَصَّنَ بِهِ، فَلَا يَسْتَطِيعُ الشَّيْطَانُ أَنْ يَنَالَ مِنْهُ شَيْئًا فِي يَوْمِهِ ذَلِكَ، «فَتَكُونُ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ، وَلَا يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَدٌ بِمِثْلِ مَا أَتَى بِهِ؛ إِلَّا مَنْ قَالَ مِثْلَهُ، أَوْ زَادَ عَلَيْهِ».



أَعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ ﷻ، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾.

(١) أخرجُه البخاري في «الصحیح»: ٢٠١/١١، رقم (٦٤٠٣)، ومسلم في «الصحیح»: ٢٠٧١/٤، رقم (٢٦٩١)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، كَانَتْ لَهُ عِدْلُ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ وَمُحِيتَ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ، يَوْمَهُ ذَلِكَ، حَتَّى يُمْسِيَ وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلَّا أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ».

الذِّكْرُ هُوَ بَابُ الْفَتْحِ الْأَعْظَمِ

الْغَرِيبُ - عِبَادَ اللَّهِ - أَنَّ الذِّكْرَ لَا يُكَلِّفُ الْإِنْسَانَ شَيْئًا، هُوَ أَهْوَنُ الْعِبَادَاتِ مِنْ حَيْثُ التَّكْلِيفَةُ، لَا يُكَلِّفُ الْمَرْءَ شَيْئًا، لَا هُوَ بِالَّذِي يُكَلِّفُ الْإِنْسَانَ شَيْئًا مِنْ أَمْرِ الْمَالِ، فَمَا هُوَ بِعِبَادَةِ مَالِيَّةٍ، وَلَا يُكَلِّفُ الْإِنْسَانَ شَيْئًا مِنَ التَّعَبِ وَالنَّصَبِ، فَلَيْسَ بِعِبَادَةِ بَدَنِيَّةٍ مَحْضَةٍ، بِمَعْنَى: أَنَّ الْإِنْسَانَ يُمَكِّنُ أَنْ يَذْكُرَ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِقَلْبِهِ.

وَجَعَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الذِّكْرَ عَلَى جَمِيعِ الْحَالَاتِ: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٩١]، وَفِي جَمِيعِ الْأَمَاكِنِ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَكَانًا قَدْ نَهَى اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَرَسُولُهُ ﷺ أَنْ يَذْكُرَ اسْمَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِيهِ؛ كَالْحُشُوشِ، وَبَيْتِ الْخَلَاءِ، وَمَا أَشْبَهَهُ، فَهَذِهِ الْأَمَاكِنُ النَّجِسَةُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَذْكُرَ فِيهَا اسْمَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الطَّاهِرُ الطَّيِّبُ.

وَمَعَ ذَلِكَ يُمَكِّنُ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَكُونَ ذَاكِرًا لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى؛ حَتَّىٰ وَهُوَ فِي بَيْتِ الْخَلَاءِ بِقَلْبِهِ مُتَعَلِّقًا بِرَبِّهِ ﷻ.

الذِّكْرُ لَا يُمَكِّنُ بِحَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ أَنْ يَتَخَلَّى عَنْهُ عَبْدٌ يَعْرِفُ قِيَمَتَهُ.

الذِّكْرُ هُوَ بَابُ الْفَتْحِ الْأَعْظَمِ، وَهُوَ مَحَلُّ الْوُصُولِ الْأَكْرَمِ، وَهُوَ مَنْشُورُ السَّعَادَةِ الْمَنْشُورُ دَائِمًا وَأَبَدًا، لَا يُمَكِّنُ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَتَوَصَّلَ إِلَىٰ خَيْرٍ بِسِوَاهُ؛ حَتَّىٰ

الْعُلَمَاءَ - رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ - كَانُوا يُكْثِرُونَ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى؛ فَيَفْتَحُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ لَهُمْ وَعَلَيْهِمْ وَبِهِمْ فَتَوْحًا لَا يَعْلَمُ قَدْرَهَا إِلَّا اللَّهُ.

* حَالُ شَيْخِ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ مَعَ الذِّكْرِ:

مَشْهُورٌ جِدًّا أَنْ شَيْخَ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَكَانَ فِي جِلَادٍ، وَفِي صِرَاعٍ بِالسَّيْفِ، كَانَ يُحَارِبُ بِسَيْفِهِ، وَكَانَ يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَيَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ، وَلَا يَكَادُ يَجِدُ ثَانِيَةً وَاحِدَةً مِنَ الزَّمَانِ مُتَفَرِّغًا فِيهَا لِشَأْنِهِ؛ حَتَّى إِنَّهُ رَحِمَهُ اللَّهُ كَانَ يُوَضِّعُ لَهُ الطَّعَامَ عَلَى بَابِ غُرْفَتِهِ الَّتِي هِيَ بَيْتُ كُتُبِهِ - أَي: مَكْتَبَتِهِ -، وَمِنْ كَثْرَةِ انْشِغَالِهِ بِالْبَحْثِ وَالتَّقْيِيبِ، وَالتَّصْنِيفِ وَالتَّلْأِيفِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أُمُورِ الْعِلْمِ، كَانَ الطَّعَامُ يَظَلُّ عَلَى بَابِ الْحُجْرَةِ، وَرُبَّمَا لَمْ يُلْتَفَتْ إِلَيْهِ إِلَى الْيَوْمِ الَّذِي يَلِي رَحِمَهُ اللَّهُ!!

يَدْخُلُ وَيَخْرُجُ وَلَا يُلْتَفَتُ إِلَى شَيْءٍ؛ بَلْ كَانَ الثَّوْبُ يَظَلُّ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مُتَزَوِّجًا رَحِمَهُ اللَّهُ، فَكَانَتْ خِدْمَتُهُ لَا تَلْزِمُ أَحَدًا بِصُورَةٍ ضَرُورِيَّةٍ، فَكَانَ الثَّوْبُ يَظَلُّ عَلَيْهِ إِلَى أَنْ يُطَلَّبَ مِنْهُ أَنْ يَخْلَعَهُ؛ مِنْ أَجْلِ أَنْ يُغْسَلَ وَيُنْظَفَ رَحِمَهُ اللَّهُ.

وَمَعَ ذَلِكَ، مَعَ مَا كَانَ فِيهِ مِنْ شِدَّةِ الْبَلَاءِ وَالْعَنَاءِ، وَمَا كَانَ فِيهِ رَحِمَهُ اللَّهُ مِنَ الْجِهَادِ وَالْجِلَادِ، وَمَا كَانَ فِيهِ مِنْ تَغْيِيرِ الْمُنْكَرِ، وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، وَالسَّعْيِ بِالْخَيْرِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ؛ مِنْ نَصِيحَةِ الْأَمْرَاءِ وَالسَّلَاطِينِ، وَمِنْ الْأَخْذِ عَلَى يَدِ الْعَامَّةِ الْمَسَاكِينِ؛ حَتَّى لَا يَتَوَرَّطُوا فِي الشَّرْكِ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ؛ كَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ مَعَ مَا كَانَ فِيهِ مِنْ ذَلِكَ كَانَ كَثِيرَ الذِّكْرِ جِدًّا.

يَقُولُ ابْنُ الْقَيْمِ - تَلْمِيزُهُ الْهُمَامُ - رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا - (١): «كُنْتُ أَصْلِي الصُّبْحَ مَعَ شَيْخِي - شَيْخِ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ -، فَيَظُلُّ فِي مُصَلَّاهُ الَّذِي صَلَّى فِيهِ الصُّبْحَ إِلَى قَرِيبٍ مِنْ مُتَّصِفِ النَّهَارِ فِي ذِكْرٍ، وَدُعَاءٍ، وَإِقْبَالِ عَلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى». إِلَى قَرِيبٍ مِنْ مُتَّصِفِ النَّهَارِ!! لَا يَتَحَرَّكُ مِنْ مَوْضِعِهِ، يَظُلُّ فِي ذِكْرِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَإِقْبَالِ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

عِبَادَةُ سَهْلَةٌ مَيْسِرَةٌ، وَلَكِنْ لَا يُوفَّقُ إِلَيْهَا إِلَّا الْمُؤَفَّقُونَ؛ لِأَنَّ مَا يُكَلِّفُكَ الذُّكْرُ؟! وَالْمَرْأَةُ - أَيْضًا - فِي بَيْتِهَا، مَا الَّذِي يُكَلِّفُهَا الذُّكْرُ?!

إِنَّهَا لَا تَطْبُخُ بِلِسَانِهَا، وَإِنَّهَا لَا تَكْنُسُ بِلِسَانِهَا، وَإِنَّهَا لَا تَغْسِلُ بِلِسَانِهَا!! وَلَكِنْ لِلْأَسْفِ الشَّدِيدِ؛ مَعَ أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَعْطَاهَا فُسْحَةً لِلْسَّانِ؛ إِلَّا أَنَّهُنَّ يَا لَيْتَهُنَّ يَسْكُتْنَ، وَإِنَّمَا يَتَكَلَّمْنَ بِالْكَلامِ الْبَاطِلِ، وَالْغَيْبَةِ وَالنَّمِيمَةِ، وَالشُّرْكِ بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، وَالصُّرَاخِ وَالْعَوِيلِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافِ النَّهَارِ، وَتَجِدُ أَشْيَاءَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ - إِلَّا عِنْدَ مَنْ رَحِمَ اللَّهُ مِنْهُنَّ -.

مَعَ أَنَّ قَضِيَّةَ الذُّكْرِ لَوْ أَنَّ اللَّهَ وَفَّقَ إِلَيْهَا امْرَأَةً - عَلَى كَثْرَةِ مَا عِنْدَهَا مِنَ الْوَقْتِ الَّذِي تَسْتَطِيعُ فِيهِ أَنْ تَصْرِفَهُ فِي الذُّكْرِ؛ حَتَّى عِنْدَ أَدَاءِ الْأَعْمَالِ -؛ لَكَانَتْ مِنَ السَّابِقَاتِ، إِلَّا أَنَّهُ لَا يُوفَّقُ إِلَى ذَلِكَ إِلَّا الْمُؤَفَّقُونَ، عَلَى يُسْرِهِ، وَعَلَى بَسَاطَتِهِ، وَعَلَى عَدَمِ تَكْلِيفِهِ الْإِنْسَانَ شَيْئًا، بَلْ عَلَى عَظِيمِ عَطَائِهِ فِي الْمُقَابَلِ.

(١) «الوابل الصيب»: ص ٩٦، بلفظ: «حضرت شيخ الاسلام ابن تيمية مرة صلى الفجر ثم جلس يذكر الله تعالى إلى قريب من انتصاف النهار، ثم التفت إلي وقال: هذه غدوتي، ولو لم أتغد الغداء سقطت قوتي»، وقال: «وقال لي مرة: لا أترك الذكر إلا بنية إجمام نفسي وإراحتها لأستعد بتلك الراحة لذكر آخر».

كَانَ الشَّيْخُ يَظُلُّ إِلَى قَرِيبٍ مِنْ مُتَنَصِّفِ النَّهَارِ فِي ذِكْرِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، يَقُولُ ابْنُ الْقَيْمِ: «ثُمَّ يَلْتَفِتُ إِلَيَّ يَقُولُ: يَا بَنِي! هَذِهِ غَدَوَتِي، وَلَوْ لَمْ أَتَّخِذْ الْغَدَاءَ لَذَهَبَتْ قُوَّتِي».

فَالسُّرُّ فِي مَا كَانَ فِيهِ مِنَ النَّصْرَةِ، وَالسُّرُّ فِيَمَا كَانَ فِيهِ مِنَ التَّأْيِيدِ، وَالسُّرُّ فِيَمَا كَانَ فِيهِ مِنَ الْعَطَاءِ الْبَاهِرِ، وَالتَّغْيِيرِ لِلْمُنْكَرَاتِ، وَإِقَامَةِ سُنَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْكُونِ؛ إِنَّمَا كَانَ بِسَبَبِ الْإِكْتَارِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

يُكْثِرُ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﷻ؛ حَتَّى إِنَّهُ لَمَّا دَخَلَ الْحَبْسَ رَحِمَهُ اللَّهُ؛ كَانَ الْمَحَابِيسُ الَّذِينَ يَأْتِي أَوَانُ وَزَمَانُ الْإِفْرَاجِ عَنْهُمْ يَرْفُضُونَ الْخُرُوجَ مِنَ السِّجْنِ، وَيَقُولُونَ: نَظَلُّ فِي السِّجْنِ مَعَ الشَّيْخِ؛ لِأَنَّ السِّجْنَ تَحَوَّلَ إِلَى مَدْرَسَةٍ عِلْمِيَّةٍ لِذِكْرِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى^(١)، وَالْإِقْبَالَ عَلَى دِينِ اللَّهِ ﷻ.

فَكَانَ الْمَحَابِيسُ مِمَّا وَجَدُوا مِنْ لَذَّةِ الذِّكْرِ، وَالْإِقْبَالَ عَلَى اللَّهِ، وَبِهَجَةِ الْعِلْمِ، وَآثَرِ الْعِلْمِ فِي النُّفُوسِ؛ بِتَغْيِيرِ النَّفْسِ مِمَّا كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ السُّوءِ إِلَى الْخَيْرِ وَالْبَهْجَةِ، وَالْإِحْسَاسِ بِالْحَيَاةِ الْآخِرَةِ، وَالْجَمَالِ الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فِي كَوْنِهِ؛ كَانُوا يَرْفُضُونَ أَنْ يَخْرُجُوا، وَأَنْ يُفَارِقُوا الشَّيْخَ، يَقُولُونَ: بَلْ نَحْنُ مَعَ الشَّيْخِ!!

أَنْ أَوَانَ الْإِفْرَاجِ؛ فَاخْرُجُوا إِلَى الْحُرِّيَّةِ!!

يَقُولُونَ: الْحُرِّيَّةُ هَاهُنَا، فِي الْخَارِجِ حَبْسٌ وَسِجْنٌ صَحِيحٌ، وَأَمَّا هُنَا؛ فَحُرِّيَّةٌ

حَقِيقِيَّةٌ!!

(١) «العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية»: ص ٢٨٦-٢٨٨.

فَهَذَا الْأَمْرُ الْعَظِيمُ الْجَلِيلُ الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مُيَسَّرًا، وَمِنْ الْحُجَجِ
الَّتِي يُقِيمُهَا اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَيْنَا؛ لِأَنَّ الْأَنْفَاسَ الَّتِي نَتَنَفَّسُهَا إِنَّمَا هِيَ فِي النِّهَايَةِ
خَزَائِنٌ.

سَتَاتِي أَنْفَاسُنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَهَيْئَةِ الْخَزَائِنِ - تَمَثِيلًا -، وَهَذِهِ الْخَزَائِنُ مَهْمَا
وَجَدْتُمْ فِيهَا مِنْ خَزَائِنِ فَارِغَةٍ فَهِيَ الْحَسْرَةُ؛ لِأَنَّ أَهْلَ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ لَا
يَنْدُمُونَ عَلَى شَيْءٍ فِي الْجَنَّةِ مِثْلَمَا يَنْدُمُونَ عَلَى مَا فَرَطُوا فِيهِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ، وَإِضَاعَةِ الْأَوْقَاتِ.

وَاللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمَّا جَعَلَ الْحَيَاةَ مَبْنِيَّةً عَلَى قَاعِدَةِ الْمَنْفَعَةِ، فَالْكَائِنُ الْإِنْسَانِيُّ
لَا يَبْحَثُ إِلَّا عَمَّا فِيهِ مَنْفَعَتُهُ؛ سِوَاءَ كَانَتْ مَنْفَعَةٌ أُخْرَوِيَّةً، أَمْ كَانَتْ مَنْفَعَةً دُنْيَوِيَّةً؛
جَعَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَنَا فِي ذَلِكَ حِطًّا وَنَصِيحًا. (*)



(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَةٍ: «الذُّكْرُ.. عِبَادَةُ الْعَشْرِ» - السَّبْتُ ١٩ رَمَضَانَ ١٤٢٦هـ/

ذِكْرُ اللَّهِ فِي خِتَامِ رَمَضَانَ

عِبَادَ اللَّهِ؛ لَقَدْ شَرَعَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي خِتَامِ شَهْرِكُمْ هَذَا عِبَادَاتٍ تَزِيدُكُمْ مِنْ اللَّهِ قُرْبًا، وَتَزِيدُ فِي إِيمَانِكُمْ قُوَّةً، وَفِي سَجَلِ أَعْمَالِكُمْ حَسَنَاتٍ. مِنْهَا: أَنْ شَرَعَ اللَّهُ لَكُمْ التَّكْبِيرَ عِنْدَ إِكْمَالِ الْعِدَّةِ، وَيَبْدَأُ مِنْ غُرُوبِ الشَّمْسِ لَيْلَةَ الْعِيدِ إِلَى صَلَاةِ الْعِيدِ.

قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَانَكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥] (١).

(١) أخرج الطبري في «جامع البيان»: ١٥٧/٢، بإسناد صحيح، عن زيد بن أسلم، في قوله: ﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَانَكُمْ﴾، قَالَ «إِذَا رَأَى الْهَلَالَ، فَالْتَكْبِيرُ مِنْ حِينَ يَرَى الْهَلَالَ حَتَّى يَنْصَرِفَ الْإِمَامُ فِي الطَّرِيقِ وَالْمَسْجِدِ إِلَّا أَنَّهُ إِذَا حَضَرَ الْإِمَامُ كَفَّ فَلَا يُكَبِّرُ إِلَّا بِتَكْبِيرِهِ».

وهو قول الشافعي كما في «الأم»: ٤٨٦/٢، ومذهب الحنابلة كما في «المغني» لابن قدامة: ٢٥٦/٣، و«الفروع»: ٢١١/٣، و«الإنصاف»: ٤٣٤/٢ و٤٣٥.

وَأَمَّا سَائِرُ الْأَخْبَارِ عَنِ الْأَوَائِلِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ، فَدَالَّةٌ عَلَى أَنَّهُمْ: «كَانُوا يُكَبِّرُونَ يَوْمَ الْفِطْرِ حِينَ يَخْرُجُونَ مِنْ بَيْوتِهِمْ حَتَّى يَأْتُوا الْمُصَلَّى».

فَمِمَّنْ كَانَ يَفْعَلُ ذَلِكَ ابْنُ عُمَرَ وَأَبُو قَتَادَةَ، وَرُوِيَ ذَلِكَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَأَبِي أَمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ، وَأَبِي رَهْمٍ، وَنَاسٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَفَعَلَ ذَلِكَ: عُرْوَةُ،

والتَّكْبِيرُ شَعِيرَةٌ مِنْ شَعَائِرِ الْإِسْلَامِ فِي الْعِيدَيْنِ، وَصِفَتُهُ: أَنْ يَقُولَ الْمُسْلِمُ:
«اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، وَاللَّهُ الْحَمْدُ» (١).

وسَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ، وأبو عبد الرحمن السلمي، وإبراهيم النَّخَعِيُّ، وسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ،
وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي لَيْلَى، وَأَبُو الزُّنَادِ، وجعفر بن محمد، وهو قول: عُمَرُ بْنُ عَبْدِ
الْعَزِيزِ، وَأَبَانُ بْنُ عُثْمَانَ، وَأَبِي بَكْرٍ بْنُ مُحَمَّدٍ، وَالْحَكَمُ، وَحَمَّادُ، والزهري، وَمَالِكُ بْنُ
أَنَسٍ وَالْأَوْزَاعِيُّ، وَبِهِ قَالَ أَحْمَدُ وَإِسْحَاقُ وَأَبُو ثَوْرٍ، واختاره ابن المنذر.

انظر: «المصنف» لابن أبي شيبة: ١٦٤/٢ و ١٦٥، و«أحكام العيدين» للفريابي:
ص ١٠٩-١٢٢، و«الأوسط» لابن المنذر: ٢٤٩-٢٥١/٤، و«مسائل الإمام أحمد»
رواية ابنه عبد الله: ص ١٢٨ و ١٢٩، رقم (٤٧٣ و ٤٧٤)، و«مسائل الإمام أحمد
وإسحاق»: ٤٨٥٧/٩، رقم (٣٥٥٧).

(١) وهو الثابت عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه.

فأخرج ابن أبي شيبة في «المصنف»: ١٦٥/٢ و ١٦٧، وابن المنذر في «الأوسط»:
٣٠١/٤ و ٣٠٤، والطبراني في «المعجم الكبير»: ٣٠٧/٩، رقم (٩٥٣٨)، بإسناد
صحيح، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ: «أَنَّهُ كَانَ يُكَبِّرُ صَلَاةَ الْغَدَاةِ يَوْمَ عَرَفَةَ إِلَى صَلَاةِ الْعَصْرِ
مِنْ يَوْمِ النَّحْرِ، يَقُولُ: اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ»،
وروي عن عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما، نحوه، وهو قول سَعِيدِ بْنِ
جُبَيْرٍ، وَمُجَاهِدٍ، وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى، وغيرهم من الفقهاء.

وقال أبو داود كما في «مسائل الإمام أحمد»: ص ٨٨، رقم (٤٢٩): قُلْتُ لِأَحْمَدَ: كَيْفَ
التَّكْبِيرُ؟ قَالَ: «كَتَّكْبِيرِ ابْنِ مَسْعُودٍ، يَعْنِي: اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ
أَكْبَرُ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ»، وَقَالَ أَحْمَدُ: «كَبَّرَ تَكْبِيرَ ابْنِ مَسْعُودٍ».

وقال أبو داود أيضا: ص ٨٩، رقم (٤٣٥): قِيلَ لِأَحْمَدَ: ابْنُ الْمُبَارَكِ يَقُولُ فِي الْفِطْرِ
يَعْنِي مَعَ التَّكْبِيرِ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا هَدَانَا»، قَالَ: «هَذَا وَاسِعٌ».

وَقَدْ وَرَدَتْ صِيغٌ لِلتَّكْبِيرِ سِوَى هَذِهِ الصِّيغَةِ.
 وَيُسْنُّ جَهْرُ الرِّجَالِ بِالتَّكْبِيرِ فِي الْمَسَاجِدِ وَالْأَسْوَاقِ وَالْبُيُوتِ؛ إِعْلَانًا
 بِتَعْظِيمِ اللَّهِ، وَإِظْهَارًا لِعِبَادَتِهِ وَشُكْرِهِ وَحَمْدِهِ.
 وَيُسْرُّ بِهِ النِّسَاءُ؛ لِأَنَّهِنَّ مَأْمُورَاتٌ بِالتَّسْتُرِ، وَالْإِسْرَارِ بِالصَّوْتِ.
 وَمَا أَجْمَلَ حَالِ النَّاسِ وَهُمْ يُكَبِّرُونَ اللَّهَ تَعْظِيمًا وَإِجْلَالًا فِي كُلِّ مَكَانٍ عِنْدَ
 انْتِهَاءِ شَهْرِ صَوْمِهِمْ!!
 يَمْلَأُونَ الْأَفَاقَ تَكْبِيرًا، وَتَحْمِيدًا، وَتَهْلِيلًا، يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ، وَيَخَافُونَ
 عَذَابَهُ! (١). (*)

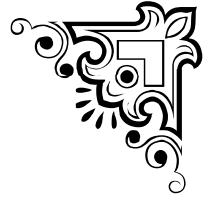
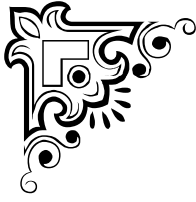


(١) «مجالس شهر رمضان» طبع ضمن مجموع فتاوى ورسائل العثميين: ٤٠٧/٢٠

و٤٠٨، بتصرف يسير.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «حِتَامُ شَهْرِ رَمَضَانَ» - الْجُمُعَةُ ٢٣ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٦هـ/ ١٠-

٧-٢٠١٥م.



أَقْبِلُوا عَلَى ذِكْرِ اللَّهِ!

عَلَى الْعَبْدِ أَنْ يَجْتَهِدَ إِذَا وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي دَارِهِ أَنْ يَجْعَلَ لِنَفْسِهِ فِي بَيْتِهِ مَسْجِدًا، أَنْ يَجْعَلَ لِنَفْسِهِ فِي بَيْتِهِ وَلَوْ أَمْتَارًا؛ تَكُونُ خَاصَّةً بِالصَّلَاةِ، وَتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ، وَقِيَامِ اللَّيْلِ، وَذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.


يَخْلُو فِي مَسْجِدِ بَيْتِهِ بِرَبِّهِ دَاعِيًا مُنِيبًا مُتَبَتِّلًا بَعِيدًا عَنِ الْأَصْوَاتِ الْمُلْهِمَةِ، وَالْمَرَائِي الدَّاعِيَةِ إِلَى تَشْتِتِ الْخَاطِرِ، وَتَبَلُّبِ الْفِكْرِ، فَيَكُونُ مُقْبِلًا عَلَى رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِالذِّكْرِ وَالِدُّعَاءِ، وَالصَّلَاةِ، وَالْإِنَابَةِ، وَتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ، فَمُقِلٌّ وَمُسْتَكْتِرٌ.

وَقَدْ مَرَّ أَنَّ الذِّكْرَ مِنْ أَهْوَنِ الْأُمُورِ وَأَيْسَرِهَا إِذَا يَسَّرَهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، لَيْسَ فِيهِ بَدَلٌ مَالٍ، وَلَيْسَ فِيهِ بَدَلٌ مَجْهُودٍ، وَلَيْسَ فِيهِ تَكْلُفٌ بِشَيْءٍ يَجِدُ الْمَرْءُ فِيهِ الْعَنْتَ وَالْمَشَقَّةَ، وَإِنَّمَا هُوَ أَمْرٌ يَسَّرَهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فَالْسَّعِيدُ مَنْ أَقْبَلَ عَلَيْهِ سَائِلًا رَبَّهُ أَنْ يُيسِّرَ عَلَيْهِ هَذَا الْأَصْلَ الْكَبِيرَ؛ يَذْكُرُ رَبَّهُ فِي كُلِّ حَالٍ؛ قَائِمًا وَقَاعِدًا وَعَلَى جَنْبٍ.

وَلَكِنْ مَعَ هَذَا التَّيْسِيرِ الْعَظِيمِ لَا تَجِدُ مَنْ يُوفِّقُ إِلَيْهِ إِلَّا الْقَلِيلُ، أَوْ إِلَّا النَّادِرُ،
وَالنَّاسُ فِي غَفْلَةٍ يَعْمَهُونَ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.
وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ
بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ. (*)



(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةٍ: «ذِكْرُ اللَّهِ ﷻ.. مَعْنَاهُ.. أَنْوَاعُهُ.. فَوَائِدُهُ» - الْمُحَاضِرَةُ الثَّانِيَةُ -
الأحد ٦ من ذي الحجة ١٤٣٦هـ / ٢٠-٩-٢٠١٥م.



رَمَّضَانُ شَهْرُ إِجَابَةِ الدُّعَاءِ،
وَالانْتِصَارَاتِ العَظِيمَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا
وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا
إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل

عمران: ١٠٢].

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا
رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ۖ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾

[النساء: ١].

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ
وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

• أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ،
وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ
ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

• أَمَّا بَعْدُ:

مَعْنَى الدُّعَاءِ

فَالدُّعَاءُ مَصْدَرٌ، وَيُقَالُ إِنَّهُ: الطَّلَبُ، وَالسُّؤَالُ، وَالْمَسْأَلَةُ.

وَكُلُّ ذَلِكَ عِبَادَةٌ، وَسِمَةٌ -أَي: عَلَامَةٌ- لِلْعُبُودِيَّةِ، يَسْتَدْعِي الْعَبْدُ بِالذُّعَاءِ مِنْ اللَّهِ الْعِنَايَةَ، وَيَسْتَمِدُّ الْمَعُونَةَ، وَيَسْتَجَلِبُ الرَّحْمَةَ، وَيَسْتَدْفِعُ النُّقْمَةَ، وَيُظْهِرُ بِهِ الْاِفْتِقَارَ وَالذَّلَّةَ، مُتَبَرِّئًا مِنَ الْحَوْلِ وَالْقُوَّةِ إِلَّا بِهِ.

* فَضْلُ الدُّعَاءِ، وَمَنْزِلَتُهُ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى:

إِذَا التَّفَتَّ إِلَى فَاتِحَةِ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ، وَخَاتَمَتِهِ بَدَا لَكَ مِنْ أَسْرَارِ التَّنْزِيلِ الْعَجَبُ؛ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ افْتَسَحَ كِتَابَهُ الْكَرِيمَ بِالذُّعَاءِ فِي سُورَةِ الْفَاتِحَةِ دُعَاءَ ثَنَاءٍ، وَدُعَاءَ مَسْأَلَةٍ.

أَمَّا دُعَاءُ الثَّنَاءِ حَيْثُ قَالَ تَعَالَى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنِ

الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ [الفاتحة: ٢-٤].

وَأَمَّا دُعَاءُ الْمَسْأَلَةِ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ

الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ [الفاتحة: ٥-٦].

وَاخْتَمَمَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى كِتَابَهُ الكَرِيمَ بِالدُّعَاءِ فِي سُورَتِي المَعُودَتَيْنِ دُعَاءِ مَسْأَلَةٍ مُتَضَمَّنًا دُعَاءَ الشَّنَاءِ، فَهَذَا مِمَّا يَبْدُو لِلنَّظَرِ فِي كِتَابِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَلِلْمُلْتَمِعِ إِلَى فَاتِحَةِ كِتَابِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَخَاتِمَتِهِ (*).

وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

أي: وَإِذَا سَأَلَكَ يَا رَسُولَ اللهِ عِبَادِي عَن ذَاتِي أَوْ صِفَاتِي أَوْ أَعْمَالِي؛ فَقُلْ لَهُمْ: إِنِّي قَرِيبٌ بِالْعِلْمِ وَالْحِفْظِ، لَا يَخْفَى عَلَيَّ شَيْءٌ، أَسْمَعُ دُعَاءَ عَبْدِي إِذَا دَعَانِي، وَأَلْبِي دَعْوَةَ الدَّاعِي، وَأُسْعِفُ السَّائِلَ إِذَا التَّجَأَ إِلَيَّ؛ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي بِعِبَادَتِي وَطَاعَتِي، وَلْيُؤْمِنُوا بِي الْإِيمَانَ الصَّحِيحَ الْوَاجِبَ عَلَيْهِمْ، بِالثَّبَاتِ وَالِدَّوَامِ عَلَيْهِ؛ رَغْبَةً أَنْ يَهْتَدُوا إِلَى مَصَالِحِ دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ، وَيَسِيرُوا فِي طَرِيقِ الرِّشَادِ الَّذِي لَا عَوْجَ فِيهِ، فَيَصْلِحُونَ وَيُصْلِحُونَ.

فَإِذَا سَأَلَكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ عِبَادِي عَن قُرْبِي وَإِجَابَتِي لِدُعَائِهِمْ؛ فَإِنِّي قَرِيبٌ مِنْهُمْ، عَالِمٌ بِأَحْوَالِهِمْ، سَامِعٌ لِدُعَائِهِمْ، لَا يَحْتَاجُونَ إِلَيَّ وَسَطَاءً، وَلَا إِلَيَّ رَفْعَ أَصْوَاتِهِمْ، أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذَا دَعَانِي مُخْلِصًا فِي دُعَائِهِ؛ فَلْيَنْقَادُوا لِي وَلَا وَأَمْرِي، وَلْيَثْبُتُوا عَلَيَّ إِيمَانِهِمْ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ أَنْفَعُ وَسِيلَةٌ لِإِجَابَتِهِمْ، لَعَلَّهُمْ يَسْلُكُونَ بِذَلِكَ سَبِيلَ الرُّشْدِ فِي شُؤْنِهِمُ الدِّينِيَّةِ وَالدُّنْيَوِيَّةِ (*/٢).

(* / ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَةٍ: «فَضْلُ وَآدَابِ الدُّعَاءِ» بِتَارِيخِ ١/٣/٢٠٠٦ م.

(* / ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ «الْفِرَاءَةِ وَالتَّعْلِيقِ عَلَيَّ مُخْتَصِرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ [سُورَةُ البَقَرَةِ: ١٨٦]».

* فَضْلُ الدُّعَاءِ، وَعُلُوُّ مَنْزِلَتِهِ فِي سُنَّةِ النَّبِيِّ ﷺ:

ثُمَّ التَّفَتُّ إِلَى عُلُوِّ مَنْزِلَةِ الدُّعَاءِ، وَسُمُوِّ مَرْتَبَتِهِ فِي سُنَّةِ النَّبِيِّ ﷺ؛ فَقَدْ ثَبَتَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ مِنَ الدُّعَاءِ» (١). (*) .

«لَيْسَ شَيْءٌ»؛ أَي: مِنَ الْعِبَادَاتِ الْقَوْلِيَّةِ.

«أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ»: أَي أَفْضَلَ عِنْدَ اللَّهِ.

فَالدُّعَاءُ عِنْدَ اللَّهِ أَفْضَلُ وَأَرْفَعُ دَرَجَةً وَأَعْلَى قَدْرًا؛ لِأَنَّهُ يَدُلُّ عَلَى قَدْرِهِ تَعَالَى، وَعَلَى الْإِعْتِرَافِ بِذَلِكَ، مَعَ اعْتِرَافِ الدَّاعِي بِعَجْزِهِ وَتَبَرُّيهِ مِنْ حَوْلِهِ وَطَوْلِهِ.

«لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ مِنَ الدُّعَاءِ» أَي: لَيْسَ شَيْءٌ مِنَ الْأَذْكَارِ وَالْعِبَادَاتِ، -وَكُلُّ شَيْءٍ يَتَشَرَّفُ فِي بَابِهِ- أَكْثَرَ كَرَامَةً، وَأَعْلَى قَدْرًا، وَأَرْفَعُ دَرَجَةً -فَهُوَ أَحْرَى بِالِاسْتِجَابَةِ وَالْقَبُولِ- مِنَ الدُّعَاءِ.

«مِنَ الدُّعَاءِ» أَي: مِنْ سُؤَالِ الْعَبْدِ رَبَّهُ؛ لِأَنَّ فِيهِ إِظْهَارَ الْعَجْزِ وَالِافْتِقَارِ، وَالتَّذَلُّلِ وَالِانْكِسَارِ، مَعَ الْإِعْتِرَافِ بِقُوَّةِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ، وَبِغْنَاهُ وَإِغْنَائِهِ وَكِبْرِيَايَتِهِ ﷺ، مَعَ تَفْوِيضِ الْأَمْرِ إِلَيْهِ.

(١) أخرجه الترمذي في «جامعه» في (الدعوات، ١: ١، رقم ٣٣٧٠)، وابن ماجه في «سننه» في

(الدعاء، ١: ٣، رقم ٣٨٢٩)، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١٦٢٩).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاصِرَةِ: «فَضْلُ وَآدَابِ الدُّعَاءِ» بِتَارِيخِ ١/٣/٢٠٠٦ م.

وَالدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ؛ لِأَنَّهُ تَعَالَى إِنَّمَا خَلَقَ الْخَلْقَ لِأَجْلِ الْعِبَادَةِ؛ لِذَا قَالَ ﷺ: «الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ»، قَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

«الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ» أَي: الْعِبَادَةُ الْحَقِيقِيَّةُ الَّتِي تَسْتَأْهِلُ أَنْ تُسَمَّى عِبَادَةً؛ لِذَلَالَتِهَا عَلَى الْإِقْبَالِ عَلَى اللَّهِ، وَالْإِعْرَاضِ عَمَّا سِوَاهُ بِحَيْثُ لَا يَرْجُو الْعَبْدُ، وَلَا يَخَافُ إِلَّا إِيَّاهُ، قَائِمًا بِوُجُوبِ الْعِبُودِيَّةِ وَوَاجِبِهَا، مُعْتَرِفًا بِحَقِّ الرُّبُوبِيَّةِ (*).

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَفْضَلُ الْعِبَادَةِ الدُّعَاءُ». وَهَذَا الْحَدِيثُ حَدِيثٌ صَحِيحٌ، رَوَاهُ الْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ»، وَصَحَّحَهُ، وَوَافَقَهُ الذَّهَبِيُّ، وَرَوَاهُ ابْنُ عَدِيٍّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ (٢).

وَعَنِ النَّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ»، ثُمَّ قَرَأَ ﷺ قَوْلَ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠] (٣). وَهَذَا الْحَدِيثُ حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

(* مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ: «شَرْحِ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» - الْجُزْءُ الرَّابِعُ (ص ٣٠٣٧ - ٣٠٣٨)، بِاخْتِصَارٍ.

(٢) أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» (١/ ٤٩١، رَقْم ١٨٠٥)، مِنْ حَدِيثِ: ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَأَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» (رَقْم ٧١٣)، وَابْنُ عَدِيٍّ فِي «الْكَامِلِ» (٦/ ١٦٣، تَرْجَمَةُ ١٢٦٥)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (١١٢٢).

(٣) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي «سُنَنِ» فِي (الصَّلَاةِ، ٣٥٦: ١، رَقْم ١٤٧٩)، وَالتِّرْمِذِيُّ فِي (الدُّعَاءِ، ٣: ١، رَقْم ٣٣٧٢) وَفِي مَوَاضِعَ، وَابْنُ مَاجَهَ فِي «سُنَنِ» (الدُّعَاءِ، ١: ٢، رَقْم ٣٨٢٨)، مِنْ

﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي ﴾:
يَعْنِي عَنْ دُعَائِي، ﴿ سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾: ذَلِيلِينَ حَقِيرِينَ، يَجْتَمِعُ عَلَيْهِمُ
الْعَذَابُ وَالْإِهَانَةُ؛ جَزَاءً عَلَى اسْتِكْبَارِهِمْ عَنْ دُعَاءِ رَبِّهِمْ جَلَّ وَعَلَا (*).



حديث: النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» (٥ / رقم
١٣٢٩)، وفي «صحيح الترغيب والترهيب» (١٦٢٧).
(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَةٍ: «فَضْلُ وَآدَابِ الدُّعَاءِ» بِتَارِيخِ ١ / ٣ / ٢٠٠٦ م.

جُمْلَةٌ مِنْ آدَابِ الدُّعَاءِ، وَشُرُوطِ قَبُولِهِ

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله وسلامته عليه: «يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ، يَقُولُ: دَعَوْتُ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي» (١). أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ، وَمُسْلِمٌ.

فِي هَذَا الْحَدِيثِ أَدَبٌ مِنْ آدَابِ الدُّعَاءِ، وَهُوَ: أَنَّهُ يَنْبَغِي إِدَامَةَ الدُّعَاءِ، وَأَلَّا يَسْتَبْطِئَ الْمَرْءُ الْإِجَابَةَ.

* وَمِنْ جُمْلَةِ آدَابِ الدُّعَاءِ:

- تَحَرِّيِ الْأَوْقَاتِ الْفَاضِلَةِ؛ كَالسُّجُودِ، وَعِنْدَ الْأَذَانِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ الْأَوْقَاتِ.

- وَمِنْهَا: تَقْدِيمُ الْوُضُوءِ وَالصَّلَاةِ، مَعَ اسْتِقْبَالِ الْقِبْلَةِ وَرَفْعِ الْيَدَيْنِ.

- وَتَقْدِيمُ التَّوْبَةِ، مَعَ الْأَعْتِرَافِ بِالذَّنْبِ، مَعَ الْإِخْلَاصِ.

- وَالْإِفْتِاحُ بِالْحَمْدِ وَالشَّنَاءِ عَلَى اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا.

- وَالْإِتْيَانُ بِالصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ صلوات الله وسلامته عليه.

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (الدَّعَوَاتِ، ٢٢، رَقْمُ ٦٣٤٠)، وَمُسْلِمٌ فِي (الذِّكْرِ وَالِدُّعَاءِ، ٢٥: ١

- وَالسُّؤَالُ بِالْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى.

وَفِي الْحَدِيثِ: دَلِيلٌ عَلَيَّ أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يُحِبُّ مِنْ عِبَادِهِ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَدْعُوهُ، وَيَطْلُبُوا مِنْهُ مَا أَرَادُوا مِنْ خَيْرِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَبِالدَّرَجَةِ الْأُولَى أَعْمَالُ الْآخِرَةِ، وَالثَّبَاتُ عَلَيْهَا، مِنْ أَدَاءِ الْفَرَائِضِ، وَالْوَاجِبَاتِ، وَالْمُسْتَحَبَّاتِ، وَتَرْكِ الْمَحْرَمَاتِ، وَالْمَكْرُوهَاتِ، وَالْحِفْظِ مِنَ الْمَآثِمِ وَالْمَحَارِمِ، وَيُكْثِرُ الْإِنْسَانُ مِنَ الدُّعَاءِ فِي ذَلِكَ؛ لِيَحَقِّقَ اللَّهُ لَهُ طَلْبَهُ، فَيَفُوزَ بِرِضَا اللَّهِ وَجَنَّتِهِ، وَيَنْجُوَ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ وَأَلِيمِ عَذَابِهِ.

* مِنْ شُرُوطِ قَبُولِ الدُّعَاءِ:

وَالدُّعَاءُ الَّذِي يَدْعُو بِهِ الْإِنْسَانُ مِنْ خَيْرِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَهُ شُرُوطٌ يَجِبُ أَنْ تَتَوَفَّرَ، مِنْهَا:

- أَلَّا يَسْتَعْجَلَ الدَّاعِي، فَيَقُولُ: دَعَوْتُ اللَّهَ كَذَا وَكَذَا، وَمَضَتْ عَلَيَّ مُدَّةٌ كَذَا وَكَذَا، وَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي، فَيَكُونُ سَبَبًا فِي انْصِرَافِهِ عَنِ الدُّعَاءِ، وَالدُّعَاءُ مِنْ أَفْضَلِ الْعِبَادَاتِ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ» (١).

وَدُعَاءُ الْعِبَادَةِ وَدُعَاءُ الْمَسْأَلَةِ فِي ذَلِكَ سَوَاءٌ، وَكُلُّهُ دُعَاءُ عِبَادَةٍ؛ فَلَا يَجُوزُ لِلْعَبْدِ أَنْ يَسْتَعْجَلَ؛ لِأَنَّهُ إِذَا دَعَا اللَّهَ ﷻ - كَمَا ثَبَتَ فِي النُّصُوصِ - كَانَ لَهُ أَحَدُ أُمُورٍ:

إِمَّا أَنْ يُعَجَّلَ اللَّهُ لَهُ حَاجَتَهُ، فَتَقْضَى وَيَرَاهَا قَدْ قُضِيَتْ، فَهَذَا نَوْعٌ مِنْ أَنْوَاعِ الْإِجَابَةِ.

وَمَا أَنْ يَصْرِفَ اللَّهُ عَنْهُ سُوءًا وَشَرًّا لَا يَعْلَمُهُ، فَيَصْرِفُهُ اللَّهُ ﷻ بِسَبَبِ دُعَائِهِ، وَهَذَا نَوْعٌ قَدْ لَا يَعْلَمُهُ كَيْفَ وَمَتَى.

وَمَا أَنْ يَدَّخِرَ اللَّهُ لَهُ الْإِجَابَةَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ عِنْدَمَا يَكُونُ النَّاسُ أَحْوَجَ مَا يَكُونُونَ إِلَى النَّجَاةِ مِنَ النَّارِ وَالْفَوْزِ بِالْجَنَّةِ، فَتَكُونُ دَعْوَتُهُ مُسْتَجَابَةً فِي الْآخِرَةِ.

وَعَلَى هَذَا؛ فَالدُّعَاءُ لَا يَضِيعُ مِنَ الْمُؤْمِنِ، وَلَا يَجُوزُ لَهُ أَنْ يُسِيءَ الظَّنَّ بِاللَّهِ بِأَنَّهُ دَعَا وَلَمْ يُسْتَجَبْ لَهُ.

وَمِنْ شُرُوطِ الدُّعَاءِ أَيضًا:

- أَلَّا يَدْعُو بِإِثْمٍ، وَلَا قَطِيعَةٍ رَحِمٍ؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةٍ رَحِمٍ، أَوْ يَسْتَعْجِلُ، فَيَقُولُ: دَعَوْتُ فَلَا أَرَى يُسْتَجِيبُ لِي، فَيَدْعُ الدُّعَاءَ». أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» (١).

- وَأَلَّا يَسْأَمَ وَيَمَلَّ مِنَ الدُّعَاءِ، يَقُولُ: «دَعَوْتُ، وَدَعَوْتُ، فَلَمْ أَرَهُ يُسْتَجَابُ لِي»، فَهَذَا لَا يُسْتَجَابُ لَهُ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُعْطِي الْعَبْدَ إِذَا دَعَاهُ بِالْخَيْرِ عَلَى كُلِّ حَالٍ (*).

- وَأَنْ يَكُونَ آكِلًا مِنْ حَلَالٍ؛ فَأَعْظَمُ قَوَاطِعِ الدُّعَاءِ وَمَوَانِعِهِ: هُوَ أَكْلُ الْحَرَامِ؛ ذَكَرَ النَّبِيُّ رضي الله عنه: «الرَّجُلُ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي (الذِّكْرِ وَالِدُّعَاءِ، ٢٥: ٣، رَقْمُ ٢٧٣٥).

(* مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ: «شَرْحِ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» - الْجُزْءُ الرَّابِعُ (ص ٢٨٥١-٢٨٥٦)،

السَّمَاءِ، يَقُولُ: يَا رَبِّ يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ،
وَعُذْيَ بِالْحَرَامِ؛ فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لَهُ؟! (١).

هَذَا الْحَدِيثُ الْعَظِيمُ الصَّحِيحُ يَرْكُزُ عَلَى أَصْلِ خَطِيرٍ فِي دِينِ اللَّهِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ، وَهُوَ أَكْلُ الْحَلَالِ، وَيَحْذَرُ مِنْ خُطُورَةِ أَكْلِ الْحَرَامِ، وَيَجْعَلُ الرَّبْطَ
مُبَاشِرًا بَيْنَ أَكْلِ الْحَلَالِ وَاسْتِجَابَةِ الدُّعَاءِ، وَيُبَيِّنُ أَنَّ أَعْظَمَ قَوَاطِعِ الدُّعَاءِ
وَمَوَانِعِهِ: هُوَ أَكْلُ الْحَرَامِ.

فَأَكُلُ الْحَرَامِ يُثْمِرُ هَذَا الثَّمَرَ الْخَبِيثَ، وَهُوَ قَطْعُ الدُّعَاءِ، فَلَا اسْتِجَابَةَ، وَلَوْ
ظَلَّ يَدْعُو حَتَّى تَفْنَى نَفْسُهُ فِي الدُّعَاءِ؛ لَا يُسْتَجَابُ لَهُ، نَسْأَلُ اللَّهَ السَّلَامَةَ
وَالْعَافِيَةَ (*).



(١) أخرجه مسلم في (الزكاة، ١٩: ٥، رقم ١٠١٥).

(* ما مرَّ ذِكرُهُ مِنْ: «سِلْسِلَةِ: أَكْلُ الْحَلَالِ» - الْمُحَاضِرَةِ الْأُولَى، بِاخْتِصَارٍ.

الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى يُحِبُّ أَنْ يُدْعَى

وَاللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يُحِبُّ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ يَسْأَلُوهُ مِنْ خَيْرِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَكَانَ السَّلْفُ الصَّالِحُ يَسْأَلُونَ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَاجَتَهُمُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ؛ حَتَّى إِذَا أَحَدُهُمْ إِذَا لَمْ يَجِدْ مِلْحَ طَعَامِهِ؛ سَأَلَ اللهُ أَنْ يَرْزُقَهُ مِلْحَ طَعَامِهِ، وَإِذَا انْقَطَعَ شِرَاكُ نَعْلِهِ؛ سَأَلَ اللهُ أَنْ يُعَوِّضَهُ خَيْرًا، فَيَعُوِّضُهُ اللهُ خَيْرًا.

وَإِنَّ اللهَ ﷻ لَيَغْضَبُ إِنْ تَرَكَ النَّاسُ سُؤَالَهُ، بِخِلَافِ بَنِي آدَمَ؛ فَإِنَّكَ إِذَا سَأَلْتَ بَنِي آدَمَ الْمَالَ أَوْ الْعُونَ، وَكَرَّرْتَ ذَلِكَ أَغْضَبْتَهُمْ، وَأَخْرَجْتَهُمْ؛ قَالَ ﷺ: «إِنَّهُ مَنْ لَمْ يَسْأَلِ اللهُ يَغْضَبْ عَلَيْهِ».

وَاللهُ ﷻ صَاحِبُ الْخَزَائِنِ الَّتِي لَا تَنْقُصُ، يُحِبُّ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ يَسْأَلُوهُ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ، وَفِي كُلِّ طَرْفَةِ عَيْنٍ، إِسْأَلْ مَا شِئْتَ رَبَّكَ مِنْ خَيْرِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَأَنْتَ صَائِمٌ؛ فَرَمَضانُ شَهْرُ الدُّعَاءِ .

إِسْأَلْهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أُمُورَ الْآخِرَةِ بِالدرَجَةِ الْأُولَى.

وَإِسْأَلْهُ مَا شِئْتَ مِنْ دُنْيَاكَ، وَلَا تَتَجَاوَزْ حُدُودَ الشَّرْعِ، وَلَا تَعْتَدِ فِي الدُّعَاءِ.

وَإِذَا سَأَلْتَ اللهُ الْمَالَ؛ فَلْتَكُنْ لَكَ النِّيَّةُ الْحَسَنَةُ أَنْ تَعْرِفَ حَقَّ الْمَالِ.

وَإِذَا سَأَلْتَ اللَّهَ طَوْلَ الْحَيَاةِ؛ فَلْتَكُنْ نِيَّتَكَ حَسَنَةً أَنْ تَقْضِيَ حَيَاتَكَ فِي طَاعَةِ
اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَفِيمَا أَبَاحَ لَكَ مِنْ مُتَطَلِّبَاتِ الْجَسَدِ، وَمُتَطَلِّبَاتِ الْحَيَاةِ الَّتِي
لَا بُدَّ مِنْهَا.

وَإِذَا سَأَلْتَ اللَّهَ كَثْرَةَ الْوَلَدِ؛ فَلْيَكُنْ لَكَ النِّيَّةُ الْحَسَنَةُ؛ لِيَكُونُوا مِنْ عُمَّارِ
الْأَرْضِ بِطَاعَةِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَيَكُونُوا مِنْ حَمَلَةِ الْعِلْمِ، حَمَلَةِ الشَّرْعِ، وَمِنْ أَهْلِ
الْجِهَادِ؛ لِإِعْلَاءِ كَلِمَةِ اللَّهِ بِالْكَلِمَةِ وَبِالْمُؤَلَّفَاتِ، وَبِمَا أَمَكَنَ أَنْ يُجَاهِدَ بِهِ الْإِنْسَانُ.
وَاجْتَهِدْ فِي ذَلِكَ أَشَدَّ الاجْتِهَادِ فِي أَثْنَاءِ صَوْمِكَ، وَخُصُوصًا فِي
رَمَضَانَ (*).



(* مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ: «شَرْحُ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» - الْجُزْءُ الرَّابِعُ (ص ٢٨٤٩-٢٨٥٠).

الْحَثُّ عَلَى الاجْتِهَادِ فِي الدُّعَاءِ فِي شَهْرِ رَمَضانَ

وَشَهْرُ رَمَضانَ خَصَّهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِخِصَائِصٍ بَاهِرَةٍ، وَأَنْزَلَ فِيهِ الْآيَاتِ الْمُبْهَرَةَ؛ فَمِنْهَا:

- أَنْ شَهْرَ رَمَضانَ يَغْفِرُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ لِلصَّائِمِينَ فِي آخِرِ لَيْلَةٍ مِنْهُ: «وَلِلَّهِ جَلٌّ وَعَلَا عِتْقَاءُ مِنَ النَّارِ، وَذَلِكَ كُلُّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضانَ»^(١).

- وَلِلصَّائِمِ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ؛ فَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ لَا تُرَدُّ: دَعْوَةُ الْوَالِدِ، وَدَعْوَةُ الصَّائِمِ، وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ»^(٢). (*)

فَعَلَيْنَا أَنْ نَأْخُذَ بِآدَابِ الدُّعَاءِ، وَعَلَيْنَا أَلَّا نَعْجِزَ فِي الدُّعَاءِ، وَعَلَيْنَا أَنْ نَكُونَ مِنَ الْمُكْثِرِينَ فِي الدُّعَاءِ فِي أَثْنَاءِ الصِّيَامِ، وَأَنْ نَدْعُوَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى كُلِّ حَالٍ،

(١) أخرجه الترمذي في (الصوم، ١ : ١، رقم ٦٨٢)، وابن ماجه في (الصيام، ٢ : ٢، رقم ١٦٤٢)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٩٩٨).

(٢) أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (٣ / رقم ٦٣٩٢)، وحسنه لغيره الألباني في «الصحيحة» (١٧٩٧).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «رَمَضانَ كَيْفَ نَحْيَاهُ»: الْجُمُعَةُ ١٥ مِنْ رَمَضانَ ١٤٣٣ هـ /

وَأَنْ نَعْلَمَ أَنَّ هَذَا هُوَ أَشْرَفُ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْعِبَادَةِ، يَتَعَبَّدُ بِهِ الْعَبْدُ الصَّالِحُ لِرَبِّهِ
 جَلَّ وَعَلَا كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:
 «الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ» (١).

فَعَلَيْنَا أَنْ نَتَوَجَّهَ دَائِمًا وَأَبَدًا إِلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَأَنْ نُخْلِصَ الْقُلُوبَ لَهُ، وَأَنْ
 نَكُونَ مُوَحِّدِينَ؛ حَتَّى يَسْتَجِيبَ لَنَا رَبُّنَا رَبُّ الْعَالَمِينَ (*).



(١) تقدم تخريجه.

(* مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضِرَةٍ: «فَضْلُ وَآدَابِ الدُّعَاءِ» بِتَارِيخِ ١/٣/٢٠٠٦ م.

شَهْرُ رَمَضانَ هُوَ شَهْرُ الأَحداثِ العَظِيمَةِ

لَقَدْ شَهِدَ شَهْرُ رَمَضانَ العَديدَ مِنَ الأَحداثِ الفارِقَةِ فِي مَسِيرَةِ التَّاريخِ
الإِنسانِيَّ عامَّةً، وَالإِسلامِيَّ خاصَّةً، وَمِنْ ذَلِكَ:

*** بَعَثَهُ النَّبِيُّ ﷺ، وَنَزُولِ الوَحْيِ فِي رَمَضانَ:**

إِنَّ شَهْرَ رَمَضانَ هُوَ شَهْرُ الأَحداثِ الجِسامِ وَالانْتِصاراتِ العِظامِ، وَمِنْ
أَكْبَرِ الأَحداثِ الَّتِي شَهِدَهَا العالَمُ إِنْ لَمْ يَكُنْ أَكْبَرَهَا: بَدَأَ نَزُولِ الوَحْيِ عَلَيَّ
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

وَقَدْ بَدَأَ ذَلِكَ التَّزُولُ فِي شَهْرِ رَمَضانَ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ قَدْ اعْتادَ فِي رَمَضانَ
مِنْ كُلِّ عامٍ أَنْ يذْهَبَ إِلى غارِ حِراءٍ بِمَكَّةَ؛ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَتَحَنَّثَ اللَّيالي ذَوَاتِ
العَدَدِ، وَكَانَ يَأْخُذُ مَعَهُ ﷺ مَا تيسَّرَ مِنْ زادٍ.

فإِذا قَضَى ﷺ وَطَرَهُ مِنْ تِلْكَ الخَلوةِ فِي الغارِ، وَنَفَدَ ما مَعَهُ مِنَ الزَّادِ؛ نَزَلَ إِلى
أَهْلِهِ بِمَكَّةَ؛ لِيَتزوَّدَ مَرَّةً أُخْرى، حَتَّى أَذِنَ اللَّهُ تَبارَكَ وَتعالى أَنْ يَبْدَأَ نَزُولِ الوَحْيِ عَلَيْهِ
ﷺ، وَجاءَهُ جِبْرِيلُ ﷺ وَهُوَ فِي غارِ حِراءٍ؛ وَنَبى النَّبِيُّ ﷺ بِقَوْلِهِ تعالى: ﴿اقْرَأْ﴾
[العلق: ١]، وَكَانَ أَمْرًا عَظِيمًا لَمْ يَشْهَدْهُ النَّبِيُّ ﷺ، وَلا هُوَ بِالْمَعْهُودِ فِي حَياةِ النَّاسِ.

وَفُوجِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِمَا كَانَ مِنْ أَمْرِ الْوَحْيِ وَالْمَلَكِ، وَنَزَلَ مِنَ الْغَارِ تَرْتَعِدُ فَرَائِصُهُ، وَهَوَّتْ خَدِيدَجَةُ ﷺ الطَّاهِرَةُ الْبَرَّةُ عَلَى الرَّسُولِ ﷺ مَا كَانَ، مُقْسِمَةً بِاللَّهِ جَلَّ وَعَلَا أَنَّ اللَّهَ لَا يُخْزِيهِ أَبَدًا، مُسْتَدِلَّةٌ عَلَى ذَلِكَ بِمَا كَانَ مِنْ كَرِيمِ الْخِصَالِ وَعَظِيمِ الْفَعَالِ الَّذِي كَانَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْهِ مِنَ الْخَلْقِ الْحَسَنِ، وَمِمَّا كَانَ يَأْتِي بِهِ مِنَ الْمَكْرَمَاتِ، حَيْثُ قَالَتْ ﷺ: «وَاللَّهِ لَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا».

ثُمَّ أَخَذَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِلَى ابْنِ عَمِّهَا وَرَقَةَ بْنِ نَوْفَلٍ، فَقَصَّ الرَّسُولُ ﷺ عَلَيْهِ مَا كَانَ، فَقَالَ وَرَقَةُ -وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ، وَقَرَأَ فِي كُتُبِ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَكَانَ مُتَطَرًّا مَقْدِمَ النَّبِيِّ الْخَاتَمِ ﷺ-، فَلَمَّا قَصَّ عَلَيْهِ الرَّسُولُ ﷺ مَا كَانَ، قَالَ: «قُدُوسٌ قُدُوسٌ، إِنَّهُ النَّامُوسُ الَّذِي كَانَ يَنْزِلُ عَلَى مُوسَى، يَا لَيْتَنِي كُنْتُ فِيهَا جَدَعًا، أَمَا إِنِّي لَوْ كُنْتُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ؛ لَنْصَرْتُكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا».

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَوْ مُخْرِجِي هُمْ؟».

فَقَالَ: «مَا جَاءَ أَحَدٌ قَوْمَهُ بِمِثْلِ مَا آتَيْتَ بِهِ إِلَّا عُودِي».

ثُمَّ لَمْ يَنْشُبْ أَنْ مَاتَ، وَمَضَى الْوَحْيُ مُتَتَابِعًا (١).

فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْقُرْآنَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، وَبَدَأَ الْوَحْيَ الْمَعْصُومُ الَّذِي غَيَّرَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِهِدْيِهِ الدُّنْيَا كُلَّهَا، وَأَخْرَجَ بِهِ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، بَدَأَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ [البقرة: ١٨٥].

(١) أخرجه البخاري في (بدء الوحي، ١: ٣، رقم ٣) وفي مواضع، ومسلم في (الإيمان، ٧٣:

١، رقم ١٦٠)، من حديث: عائشة أم المؤمنين ﷺ.

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ١].

فَهَذَانِ مَوْضِعَانِ دَلَّ فِيهِمَا رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى أَنَّ الْقُرْآنَ أَنْزَلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ بَدْءًا فِي شَهْرِ رَمَضانَ، وَهَذَا الْحَدِيثُ الْفَرِيدُ فِي تَارِيخِ الْبَشَرِيَّةِ كُلِّهَا كَانَ فَارِقًا بَيْنَ عَهْدَيْنِ؛ بَيْنَ مَا قَبْلَ الْوَحْيِ الْمُنَزَّلِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمَا بَعْدَ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ رِسَالَةَ الرَّسُولِ ﷺ هِيَ آخِرُ رِسَالَاتِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ.

وَالرَّسُولُ ﷺ أَرْسَلَهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً فِي عُمُومِ الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ، وَإِلَى الْجِنِّ كَذَلِكَ، فَهَذَا حَدِيثُ الْأَحْدَاثِ فِي تَارِيخِ الْبَشَرِيَّةِ؛ نَبِيٌّ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﷺ، وَبَدَأَ نَزُولَ الْوَحْيِ فِي رَمَضانَ.

وَالنَّبِيُّ ﷺ فِي السَّنَةِ الْعَاشِرَةِ مِنَ الْبَعْثَةِ؛ تُوْفِّي عَمَّهُ، وَتُوْفِيَتْ زَوْجُهُ خَدِيجَةُ -رَضِيَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَنْهَا-، وَضَاقَتْ مَكَّةُ بِالْدَّعْوَةِ، وَأَجْمَعَ أَهْلُهَا عَلَى الْكُفْرِ وَالشُّرْكِ، وَمُعَادَاةِ الرَّسُولِ ﷺ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَلَمَّسُ مَجَالًا جَدِيدًا لِيَتَفْتَحَهُ الدَّعْوَةَ بِنُورِهَا، وَلِتُنَشَرَ فِيهِ هِدَايَةُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى الطَّائِفِ؛ وَعَظَّمَ أَهْلُهَا مِنْ ثَقِيفٍ، وَعَرَضَ النَّبِيُّ ﷺ الدَّعْوَةَ عَلَى ثَلَاثَةِ مِنْ سَادَتِهَا؛ وَهُمْ: عَبْدُ يَالِيلَ بْنِ عَمْرٍو، وَأَخُوهُ حَبِيبٌ وَمَسْعُودٌ، فَكَانُوا بَيْنَ مُكْذِبٍ وَسَاخِرٍ.

قَالَ أَحَدُهُمْ لِلنَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّهُ يَمِزُقُ أَسْتَارَ الْكَعْبَةِ إِنْ كَانَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدْ أَرْسَلَهُ».

وَقَالَ الْآخَرُ: «إِنْ كَانَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدْ أَرْسَلَكَ؛ فَأَنْتَ أَجَلٌ فِي عَيْنِي مِنْ أَنْ أَكَلِّمَكَ، وَإِنْ كُنْتَ تَكْذِبُ عَلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى؛ فَأَنْتَ أَقْلٌ مِنْ أَنْ أَكَلِّمَكَ، فَلَا أَكَلِّمَكَ عَلَى كُلِّ حَالٍ».

وَأَمَّا الثَّالِثُ؛ فَقَالَ لِلرَّسُولِ ﷺ: «أَلَمْ يَجِدِ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى غَيْرَكَ لِيُرْسِلَهُ؟!». .

وَأَبَى اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَقَدْ سَلَطُوا عَلَيْهِ الْغُلَمَانَ وَالسُّفَهَاءَ، فَقَذَفُوهُ بِالْحِجَارَةِ حَتَّى دُمِيتْ عَقْبُهُ ﷺ.

والتَّجَأَ إِلَى ظِلِّ حَائِطٍ لِعُتْبَةَ وَشَيْبَةَ وَلَدَيْ رَبِيعَةَ وَقَدْ عَطَفْتَهُمَا عَلَيْهِ الرَّحِمُ، فَأَرْسَلَا عَدَّاسًا - وَكَانَ غَلَامًا لَهُمَا نَصْرَانِيًّا - بِقُطْفٍ مِنْ عِنَبٍ، وَأَبَى اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَّا أَنْ يَقَعَ الْأَعْتِذَارُ لِلرَّسُولِ ﷺ قَبْلَ أَنْ يُبَارِحَ، فَذَهَبَ عَدَّاسٌ بِالْعِنَبِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا أَهْوَى إِلَيْهِ الرَّسُولُ ﷺ؛ قَالَ: «بِسْمِ اللهِ».

فَقَالَ عَدَّاسٌ: هَذَا شَيْءٌ لَمْ أَسْمَعُهُ قَطُّ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الْأَرْضِ.

فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «مِنْ أَيْنَ أَنْتَ يَا عَدَّاسُ؟».

فَقَالَ: مِنْ نَيْنَوَى.

قَالَ: «مِنْ بَلَدِ الرَّجُلِ الصَّالِحِ يُونُسَ بْنِ مَتَّى؟».

فَقَالَ: وَمَا يُدْرِيكَ بِيُونُسَ؟

قَالَ: «هُوَ أَخِي، كَانَ نَبِيًّا، وَأَنَا نَبِيٌّ» (١).

فَأَهْوَى عَدَّاسٌ عَلَى رَأْسِهِ وَيَدَيْهِ وَقَدَمَيْهِ مُقْبَلًا، وَعَادَ إِلَى سَيِّدِيهِ؛ فَقَالَا:

وَيَحْكُ يَا عَدَّاسُ؛ مَا هَذَا الَّذِي صَنَعْتَ مَعَ الرَّجُلِ؟

(١) «السيرة» لابن هشام (١ / ٤١٩ - ٤٢١).

قَالَ: إِنَّهُ لَيْسَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ أَحَدٌ هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ ﷺ.

فَهَكَذَا كَذَبَتْ ثَقِيفٌ، وَقَدْ ذَهَبَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى الطَّائِفِ دَاعِيًا؛ فَلَقِيَتْهُ بِكُلِّ سُوءٍ؛ حَتَّى قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لِلنَّبِيِّ ﷺ: «هَلْ وَجَدْتَ مِنْ قَوْمِكَ يَوْمًا قَطُّ كَانَ أَشَدَّ عَلَيْكَ مِنْ يَوْمِ أَحَدٍ؟».

قَالَ ﷺ: «لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكَ، وَأَشَدُّ مَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ لَمَّا ذَهَبْتُ إِلَى الطَّائِفِ لِدَعْوَةِ ثَقِيفٍ إِلَى دِينِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فَكَانَ مِنْهُمْ مَا هُوَ مَعْلُومٌ».

قَالَ: فَذَهَبْتُ مَغْمُومًا، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَسَمِعْتُ حِسًّا فِي السَّمَاءِ، فَإِذَا هُوَ جِبْرِيلُ يَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ؛ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدْ عَلِمَ مَا قَالَ لَكَ قَوْمُكَ وَمَا صَنَعُوا، وَقَدْ أَرْسَلَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ، فَإِنْ شِئْتَ أَنْ يُطَبَّقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبِينَ فَعَلْ (١).

فَقَالَ ﷺ: لَا، اللَّهُمَّ اهْدِ قَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٢).

(١) أخرجه البخاري في (بدء الوحي، ٧: ٨، رقم ٣٢٣١)، وفي (التوحيد، ٩: ٣، رقم ٧٣٨٩) مختصراً، ومسلم في (الجهاد، ٣٩: ٥، رقم ١٧٩٥)، من حديث: عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وفي آخره: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا».

(٢) أخرجه البخاري في (أحاديث الأنبياء، ٥٤: ١٤، رقم ٣٤٧٧)، وفي (استتابة المرتدين، ٥، رقم ٦٩٢٩)، ومسلم في (الجهاد، ٣٧: ٦، رقم ١٧٩٢)، من حديث: عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: كَانِي أَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ صَرَبَهُ قَوْمُهُ، وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ، وَيَقُولُ: «رَبِّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ».

* غَزْوَةُ بَدْرِ فِي رَمَضَانَ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الْهَجْرَةِ:

وَفِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنْ هِجْرَةِ الرَّسُولِ ﷺ: نَمَا إِلَى عِلْمِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ فِي عَيْرٍ عَظِيمَةٍ، وَقَافِلَةٍ كَبِيرَةٍ، وَمَالٍ وَفَيْرٍ، وَرِزْقٍ غَزِيرٍ قَدْ خَرَجَ إِلَى الشَّامِ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ أَوْ أَرْسَلَ، فَلَمْ يُدْرِكْ.

ثُمَّ نَمَا إِلَى عِلْمِهِ ﷺ بَعْدُ أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ قَافِلٌ بِالْقَافِلَةِ، فَأَرَادَ الرَّسُولُ ﷺ أَنْ يَسْتَطْلِعَ الْأَمْرَ، وَأَرْسَلَ رَجُلَيْنِ عَلَى بَعِيرَيْنِ مِمَّا يُعْلَفُ بِعَلَائِفِ يَثْرِبَ، فَخَرَجَا.

وَأَمَّا أَبُو سُفْيَانَ؛ فَقَدْ كَانَ أَرِيْبًا حَصِيْفًا ﷺ، فَذَهَبَ إِلَى مَجْدِيِّ، فَسَأَلَهُ: هَلْ رَأَيْتَ مَا يُرِيْبُ؟

قَالَ: لَا، غَيْرَ أَنِّي رَأَيْتُ رَجُلَيْنِ قَدْ أَنَاخَا بَعِيرَيْهِمَا فِي هَذَا الْمَوْضِعِ.

فَذَهَبَ أَبُو سُفْيَانَ ﷺ، فَفَتَّ الْبَعْرَ؛ فَوَجَدَ النَّوَى -نَوَى يَثْرِبَ-، فَقَالَ: هَذِهِ وَاللَّهِ عَلَائِفُ يَثْرِبَ، وَإِنَّ مُحَمَّدًا لَنَا لِبِالْمَرْصَادِ، وَأَرْسَلَ إِلَى قُرَيْشٍ أَنْ أَدْرِكُوا عَيْرَكُمْ، وَخَالَفَ هُوَ إِلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ فَجَعَى.

وَنَدَبَ الرَّسُولُ ﷺ أَصْحَابَهُ لِلْخُرُوجِ لِلْعَيْرِ لَا لِلنَّفِيرِ، فَخَرَجَ مَعَهُ ثَلَاثِمِئَةً وَبِضْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا مِنَ الصَّحَابَةِ ﷺ، جُلُّهُمْ مِنَ الْأَنْصَارِ، وَلَمْ يَعْرَمْ عَلَيْهِمْ فِي الْخُرُوجِ، وَمَا ظَنَّ الَّذِينَ تَخَلَّفُوا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ يَجِدُ قِتَالًا، وَلَوْ ظَنُّوا ذَلِكَ مَا تَخَلَّفَ عَنْهُ وَاحِدٌ، وَلَفَدَّوهُ بِأَرْوَاحِهِمْ -رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ-.

خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ لِيَتَعَرَّضَ لِلْعَيْرِ؛ لِيُرَدَّ بَعْضَ مَا سُلِبَ مِمَّا نَهَبَتْ قُرَيْشٌ
وَاسْتَوْلَتْ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّهَا لَمْ تَبْقِ لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ شَيْئًا مِنْ مَالٍ أَوْ مَتَاعٍ؛ حَتَّى قَالَ
الرَّسُولُ ﷺ لَمَّا نَزَلَ مَكَّةَ فَاتِحًا، فَلَمْ يَجِدْ مَكَانًا يَنْزِلُ فِيهِ، وَقَدْ قِيلَ لَهُ: فَلْتَنْزِلْ فِي
دَارِكَ وَدَارِ أَيْبِكَ.

فَقَالَ ﷺ: «وَهَلْ أَبْقَى لَنَا عَقِيلٌ مِنْ دَارٍ؟!» (١).

فَلَمْ يَكُنْ لَهُ بِمَكَّةَ دَارٌ - صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ -، فَنَزَلَ عِنْدَ أُمِّ هَانِيءٍ.

إِذَنْ، النَّبِيُّ ﷺ إِنَّمَا خَرَجَ لِيُرَدَّ بَعْضَ مَا سُلِبَ مِنْ ثَرَوَاتِ قُرَيْشٍ الَّتِي نَهَبَتْ
مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَمَا كَانَ فِي هَذَا مِنْ عَابٍ، وَمَا عَلَى الْمُسْلِمِينَ فِي فِعْلِهِ مِنْ
تَثْرِيْبٍ، وَإِنَّمَا هُوَ رَدٌّ لِبَعْضِ الْحَقِّ السَّلِيْبِ.

وَأَبَى اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَّا أَنْ يَلْقَى ﷺ النَّفِيرَ، وَأَلَّا يَلْقَى الْعَيْرَ وَمَعَهُ هَذِهِ
الثَّلَاةُ الْمُبَارَكَةُ مِنْ أَصْحَابِهِ - رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ -.

نَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ بَدْرًا، وَأَمَّا قُرَيْشٌ؛ فَإِنَّهَا أَعَدَّتْ عُدَّتَهَا، وَجَاءَتْ لِلِقَاءِ
رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَذْرَكَهُمُ الْبَشِيرُ؛ أَرْسَلَهُ أَبُو سُفْيَانَ: أَنَّ اللهُ قَدْ نَجَّى عَيْرَكُمْ،
وَحَفِظَ عَلَيْكُمْ أَمْوَالَكُمْ؛ فَلَا تَخْرُجُوا لِلِقَاءِ مُحَمَّدٍ وَحِزْبِهِ ﷺ.

(١) أخرجه البخاري في (الحج، ٤٤، رقم ١٥٨٨)، ومسلم في (الحج، ٨٠، رقم ١٣٥١)،
من حديث: أسامة بن زيد رضي الله عنه، أنه قال: يا رسول الله، أين تنزل في دارك بمكة؟ فقال:
«وهل ترك عقيلاً من رباح أو دور»، وكان عقيلاً ورث أبا طالب هو وطالب، ولم يرثه
جعفر ولا علي رضي الله عنهما، شيئاً لأنهما كانا مسلمين، وكان عقيلاً وطالب كافرين.

فَقَالَ فِرْعَوْنُ هَذِهِ الْأُمَّةُ أَبُو جَهْلٍ: «وَاللَّهِ لَا نَعُودُ حَتَّى نَنْزِلَ بَدْرًا، حَتَّى نُوقِدَ النَّيْرَانَ، وَنُنْحَرَ الْجُزْرَ، وَتَعْرِفَ عَلَيْنَا الْقِيَانَ، وَحَتَّى تَسْمَعَ بِنَا الْعَرَبِ، فَمَا يَزَالُونَ فِي هَيْبَةٍ مِنَّا أَبَدًا».

وَأَبَى اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَّا أَنْ تَسْمَعَ بِهِمُ الْعَرَبُ؛ بَلْ أَبِي اللَّهُ إِلَّا أَنْ تَسْمَعَ بِهِمُ الدُّنْيَا إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ، وَبَدَلْ أَنْ يَنْحَرُوا الْجُزْرَ؛ نُحِرُوا هُمْ، وَبَدَلْ أَنْ تَعْرِفَ عَلَيْهِمُ الْقِيَانَ؛ نَاحَتْ عَلَيْهِمُ النَّوَائِحُ، وَبَدَلْ أَنْ يُوقِدُوا النَّيْرَانَ؛ أَوْقَدَتْ لَهُمُ النَّيْرَانَ: ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١].

أَبُوا أَنْ يَعُودُوا، وَعَلِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَا كَانَ، وَاسْتَشَارَ أَصْحَابَهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فَتَكَلَّمَ الْمُهَاجِرُونَ فَأَحْسَنُوا، وَهُوَ يَقُولُ ﷺ: «أَلَا تُشِيرُونَ عَلَيَّ أَيُّهَا النَّاسُ؟».

فَقَامَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ: «كَأَنَّكَ تَعْنِينَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ فِي بَيْعَةِ الْعَقَبَةِ، لَمْ يَشْتَرِطْ عَلَيْهِمْ حِمَايَتَهُ خَارِجَ الْمَدِينَةِ، فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَوْثِقَ، وَكَانَ عَبْءُ الْمَعْرَكَةِ إِنْ وَقَعَتْ سَيَكُونُ عَلَى كَوَاهِلِ الْأَنْصَارِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ لِكثْرَةِ الْعَدَدِ، ثُمَّ هُمْ لَمْ يُعْطُوا الْعَهْدَ وَالْمِيثَاقَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فِي الْبَيْعَةِ بِحِمَايَتِهِ خَارِجَ مَدِينَتِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَوْثِقَ.

فَقَامَ سَعْدٌ، فَقَالَ: «كَأَنَّكَ تَعْنِينَا يَا رَسُولَ اللَّهِ».

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَجَلٌ».

فَقَالَ سَعْدٌ رضي الله عنه: «يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ وَاللَّهِ لَوْ اسْتَعْرَضْتَ بِنَا هَذَا الْبَحْرَ فُخِضَتْهُ؛ لَخُضِنَاهُ خَلْفَكَ، إِمضِ لِمَا تُحِبُّ يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ فَوَاللَّهِ إِنَّا لَصُدُقٌ عِنْدَ اللِّقَاءِ، وَوَاللَّهِ إِنَّا لَشُجْعَانٌ فِي الْحُرُوبِ... إِلَى آخِرِ مَا قَالَ»، فَدَعَا لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله وسلامته عليه (١).

وَوَقَعَ ذَلِكَ فِي شَهْرِ رَمَضانَ، وَكَانَتْ مَعْرَكَةٌ حَاسِمَةً فَاصِلَةً فِي تَارِيخِ الْمُسْلِمِينَ، وَسُمِّيَتْ يَوْمَ الْفُرْقَانِ؛ حَيْثُ فَرَقَتْ بَيْنَ زَمَنِ الْإِسْتِضْعَافِ، وَزَمَنِ قُوَّةِ الْمُسْلِمِينَ، فَرَقَتْ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَلَا ضَيْرَ فَهِيَ فِي شَهْرِ رَمَضانَ، شَهْرِ الْفُرْقَانِ.

وَدَائِمًا تَكُونُ الْأَحْدَاثُ عَلَى هَذَا النِّحْوِ: فَسَادٌ يَسْتَشْرِي فِي الْعَالَمِ، وَمُفْسِدُونَ يَنْسَلِطُونَ عَلَى أَقْوَاتِ النَّاسِ وَأَرْزَاقِهِمْ، وَعَلَى مُسْتَقْبَلِهِمْ وَحَيَاتِهِمْ، يُبَدِّلُونَ وَجْهَ الْحَيَاةِ الْمَشْرِقِ، وَيَسْتَعْبِدُونَ الْخَلْقَ مِنْ دُونِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَيَرَكَّبُونَ أَكْتافَ النَّاسِ بِغَيْرِ مُوجِبٍ وَلَا حَقٍّ، ثُمَّ تَأْتِي إِرَادَةُ التَّغْيِيرِ، لَا إِرَادَةُ التَّدْمِيرِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

وَكَانَتْ فُرْقَانًا فِي تَارِيخِ الْعَالَمِ كُلِّهِ، فُرْقَانًا بَيْنَ عَهْدِ مَضَى وَعَهْدِ بَقِيَ، لَا يَعْلَمُ إِلَّا اللَّهُ مَتَى يَنْقُضِي!

كَانَتْ فُرْقَانًا كَمَا وَصَفَهَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَوَصَفَ يَوْمَهَا، فِي السَّابِعِ عَشَرَ مِنْ شَهْرِ رَمَضانَ، فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنْ هِجْرَةِ النَّبِيِّ صلوات الله وسلامته عليه، وَدَارَتْ رَحَى الْحَرْبِ الضَّرُوسِ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله وسلامته عليه وَمَعَهُ ثَلَاثِمِئَةٍ وَبِضْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِهِ

(١) «السيرة» لابن هشام (١/ ٦١٥).

وَمَا مَعَهُمْ إِلَّا الْقَلِيلُ مِنَ الظَّهْرِ، فَكَانَ الثَّلَاثَةَ وَالْأَكْثَرَ يَتَعَاقِبُونَ عَلَى الْبَعِيرِ
الْوَاحِدِ مَرَحَلَةً وَمَرَحَلَةً وَمَرَحَلَةً، ثُمَّ فُلِيْمِضِ الْبَعِيرِ هَانِئًا مَرَحَلَةً؛ رَحْمَةً وَشَفَقَةً
وَعَدْلًا لَا جَوْرَ فِيهِ وَلَا ظُلْمَ يَلْحَقُهُ، وَبِهِ يَنْصُرُ اللَّهُ رَبَّ الْعَالَمِينَ النَّاسَ.

دَارَتْ رَحَى الْمَعْرَكَةِ بَيْنَ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
وَأَلْفٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، خَرَجُوا لِلِقَاءِ، وَخَرَجُوا لِلنِّزَالِ، وَأَمَّا أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ
ﷺ؛ فَإِنَّمَا خَرَجُوا لِلْبَعِيرِ، وَلَمْ يَخْرُجُوا لِلنَّفِيرِ، وَمَا اتَّخَذُوا لِلْأَمْرِ عُدَّةً، وَمَا
أَعَدُّوا لَهُ أُهْبَةً، وَإِنَّمَا خَرَجُوا خُرُوجًا يَسِيرًا لَمْ يَعِزْمُ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَنْ
يَخْرُجُوا، وَلَا أَنْ يَكُونُوا عَلَى اسْتِعْدَادٍ لِحَرْبٍ.

وَمَعَ ذَلِكَ نَصَرَهُمُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى هُوَ نَاصِرُ حِزْبِهِ،
وَهُوَ الَّذِي يُعَلِّي كَلِمَتَهُ، وَهُوَ الَّذِي يَرْفَعُ رَايَةَ الْحَقِّ، وَهُوَ الَّذِي يُعِزُّ مَنْ
نَصَرَهُ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى نَاصِرُ مَنْ نَصَرَهُ، وَالرَّسُولُ ﷺ يَضْرَعُ إِلَى رَبِّهِ،
وَيَتَوَجَّهُ مُبْتَهَلًا إِلَى اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ بِالدُّعَاءِ: «اللَّهُمَّ إِنَّ تَهْلُكَ هَذِهِ الْعِصَابَةُ
- يَعْنِي أَصْحَابَهُ -؛ فَلَنْ تُعْبَدَ فِي الْأَرْضِ» (١).

وَالْكَفَّارُ يَسْتَفْتِحُونَ: «اللَّهُمَّ عَلَيَّ أَقْطَعْنَا لِلرَّحِمِ، وَعَلَيَّ مَنْ آتَانَا بِمَا
لَا نَعْرِفُ، وَعَلَيَّ أَبْعَدِنَا مِنَ الْحَقِّ دِينًا» (٢)، يَسْتَفْتِحُ بِذَلِكَ الْمُشْرِكُونَ

(١) أخرجه مسلم في (الجهاد، ١٨، رقم ١٧٦٣)، من حديث: ابن عباسٍ رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه ابن هشام في «السيرة» (١ / ٦٢٨)، وأحمد في «المسند» (٥ / ٤٣٢، رقم
٢٣٦٦١، و٢٣٦٦٢)، والنسائي في «الكبرى» (رقم ١١١٣٧)، من طرق: عن الزُّهْرِيِّ،
عن عبد الله بن ثعلبة بن صعيرٍ، قال: «كَانَ الْمُسْتَفْتِحُ يَوْمَ بَدْرٍ أَبُو جَهْلٍ، وَإِنَّهُ قَالَ حِينَ

الكَافِرُونَ، وَيَسْتَفْتِحُ بِهِ فِرْعَوْنُ هَذِهِ الْأُمَّةَ، وَلَكَ أَنْ تَعْجَبَ الْعَجَبَ كُلَّهُ مِنْ هَذَا الَّذِي يَقُولُ هَذَا الرَّجُلُ!!

فَمَنْ الَّذِي قَطَعَ الرَّحِمَ؛ أَهْوَأَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟!!

وَمَنْ الَّذِي هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا وَأَقْوَمُ قِيْلًا؛ أَهْوَأَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟!!

وَمَنْ هُوَ الَّذِي هُوَ أَسَدٌ دِعَايَةً، وَالَّذِي هُوَ أَقْوَمُ سَبِيلًا؛ أَهْوَأَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟!!

ﷺ؟!!

نَصَرَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ جُنْدَهُ، وَأَعَزَّ حِزْبَهُ، وَنَصَرَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ الْمُسْلِمِينَ فِي بَدْرٍ، فَدَبَّحُوهُمْ دَبْحًا، وَأَسْرَوْا مِنْهُمْ سَبْعِينَ، وَعَادُوا ظَافِرِينَ مُظْفَرِينَ، وَعَادَتْ فُرَيْشٌ تَدْبِهَا نَوَادِيهَا، وَتَنُوْحٌ عَلَيْهَا نَوَائِحُهَا، وَتَبَكَّى دَمًا، وَأَعَزَّ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ نَبِيَّهُ ﷺ وَالْمُسْلِمِينَ مَعَهُ

* فَتَحْ مَكَّةَ وَتَحْطِمْ الْأَصْنَامَ فِي رَمَازُنْ:

وَمِنْ الْأَحْدَاثِ الْفَاصِلَةِ فِي تَارِيخِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ، وَالْخَلْقِ أَجْمَعِينَ: فَتَحْ مَكَّةَ.

مَرَّتِ الْأَيَّامُ فِي طَرِيقِهَا، وَفَتَحَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَكَّةَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَالْمُسْلِمِينَ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي شَهْرِ رَمَازُنْ مِنَ السَّنَةِ الثَّامِنَةِ مِنَ الْهَجْرَةِ، وَدَخَلَ

التَّقَى الْقَوْمُ: اللَّهُمَّ إِنَّا كَانُوا أَقْطَعَ لِلرَّحِمِ، وَأَتَى لِمَا لَا نَعْرِفُ فَافْتَحِ الْغَدَّ، وَكَانَ ذَلِكَ اسْتِفْتَا حَهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ﴾ [الأنفال: ١٩].

النَّبِيُّ ﷺ مَكَّةَ ظَافِرًا وَمُنْتَصِرًا، وَعَابِدًا لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَاشِعًا وَمُنِيبًا، وَطَافَ بِالْبَيْتِ، وَكَانَ فِي جَوْفِ الْكَعْبَةِ صَنَمٌ لِقَرِيشٍ مِنْ عَقِيْقِ أَحْمَرَ، وَقَدْ كُسِرَتْ يَدُهُ الْيُمْنَى؛ فَجَعَلُوا مَكَانَهَا يَدًا مِنْ ذَهَبٍ، وَكَانَ كَبِيرَ آلِهِتِهِمْ، وَهُوَ هُبْلٌ.

فَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِالْأَصْنَامِ، فَجَمِعَتْ خَارِجَ الْبَيْتِ بَعْدَ أَنْ طَافَ ﷺ وَمَعَهُ رُوحٌ قَصِيرٌ، فَكَانَ يَطْعَنُ بِرُمْحِهِ ﷺ فِي أَعْيُنِ الْأَصْنَامِ وَفِي أَوْجُهِهَا؛ فَتَخَرَّتْ تَحْتَ قَدَمَيْهِ ﷺ، وَكَانَ فِي رَمَضَانَ هَذَا الْحَدَثُ الْعَظِيمُ، وَهُوَ تَحْطِيمُ الْأَصْنَامِ.

حُطِّمَتِ الْأَصْنَامُ فِي رَمَضَانَ، أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِهَا، فَأُخْرِجَتْ خَارِجَ الْبَيْتِ، ثُمَّ أُضْرِمَتْ فِيهَا النَّيرانُ، وَفِي السَّنَةِ نَفْسَهَا أَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ مَنْ هَدَمَ مِئَاةَ وَالْعَزَى وَسَوْعَا.

فَالنَّبِيُّ ﷺ دَخَلَ مَكَّةَ فِي السَّنَةِ الثَّامِنَةِ مِنَ الْهَجْرَةِ فِي رَمَضَانَ فَاتِحًا وَظَافِرًا ﷺ، وَعَلَا صَوْتُ الْأَذَانِ يُعْلَنُ أَنَّ اللَّهَ أَكْبَرُ، أَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَأَكْبَرُ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ، وَأَكْبَرُ مِنَ الْأَعْرَافِ وَالتَّقَالِيدِ، وَأَكْبَرُ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، يُعْلِنُهَا بِلَالٌ - رَضِيَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَنْهُ - فَوْقَ الْكَعْبَةِ الْمُشْرِفَةِ.

فَتَحَّ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ مَكَّةَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَالْمُسْلِمِينَ مَعَهُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، وَحُطِّمَتِ الْأَصْنَامُ، ثُمَّ أَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ فِي السَّنَةِ التَّاسِعَةِ مَنْ هَدَمَ اللَّاتَ، وَخَلَّتِ الْجَزِيرَةُ مِنْ شُرْكِهَا، وَأَقْفَرَتِ الدِّيَارُ مِنْ أَصْنَامِهَا، وَعَبَدَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ.

وَقَعَ ذَلِكَ كُلُّهُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ.

* حَفْرُ النَّبِيِّ ﷺ الْخَنْدَقِ فِي رَمَضانَ:

فَفِي رَمَضانَ مِنَ السَّنَةِ الْخَامِسَةِ مِنَ الْهَجْرَةِ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ وَالصَّحَابَةُ
يَحْفَرُونَ الْخَنْدَقَ؛ اسْتِعْدَادًا لِمَا يَكُونُ مِنْ قُدُومِ قُرَيْشٍ وَأَحْلَافِهَا غَازِيَةً
مَدِينَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَمَّا غَزْوَةُ الْخَنْدَقِ نَفْسُهَا؛ فَقَدْ وَقَعَتْ فِي شَوَالٍ مِنَ
السَّنَةِ عَيْنِهَا.

وَأَمَّا مَا كَانَ مِنَ الْأَسْتِعْدَادِ بِحَفْرِ الْخَنْدَقِ، وَالرَّسُولُ يَحْمِلُ فِي ذَلِكَ التُّرَابَ
عَلَى عَاتِقِهِ بِنَفْسِهِ، وَهُوَ أَشْرَفُ خَلْقِ اللَّهِ، وَأَحَبُّ الْخَلْقِ إِلَى اللَّهِ ﷻ؛ حِيَاطَةً
لِدِينِهِ، وَنُصْرَةً لِرَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى؛ فَنَصَرَهُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ، وَكَانَ يُرَدِّدُ:

وَاللَّهِ لَوْ لَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا
فَأَنْزَلَنَ سَكِينَةً عَلَيْنَا وَثَبَّتَ الْأَقْدَامَ إِنْ لَا قَيْنَا (١)

وَالنَّبِيُّ ﷺ بَيْنَهُمْ يُحْفَرُهُمْ إِلَى الْحَقِّ وَعَمَلِ الْخَيْرِ؛ حَتَّى رَدَّ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى
كَيْدَ الْمُشْرِكِينَ فِي نُحُورِهِمْ، وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ؛ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا
يَعْلَمُونَ.

فَفِي شَهْرِ رَمَضانَ الْمُبَارَكِ وَقَعَتْ أَحْدَاثٌ جِسَامٌ، وَمِنْ أَهْمَمِهَا: فَتْحُ
الْأَنْدَلُسِ، ذَلِكَ الْفِرْدَوْسُ الْمَفْقُودُ.

(١) أخرجه البخاري في (الجهاد، ٣٤: ٢، ٣، رقم ٢٨٣٦، و٢٨٣٧)، ومسلم في (الجهاد،

٤٤: ١، رقم ١٨٠٣)، من حديث: البراءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

* فَتْحُ الْأَنْدَلُسِ فِي رَمَضَانَ:

وَفِي السَّنَةِ الْحَادِيَةِ وَالتَّسْعِينَ مِنْ هِجْرَةِ الرَّسُولِ ﷺ: فَتَحَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ الْأَنْدَلُسَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَكَانَ طَارِقُ بْنُ زِيَادٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مُرْسَلًا مِنْ قِبَلِ مُوسَى بْنِ نَصِيرٍ، فَفَتَحَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فَتَحَهُ.

وَكَانَتْ خُطَّةُ الْمُسْلِمِينَ: أَنْ يَكُونَ الْبَحْرُ الْأَبْيَضُ الْمُتَوَسِّطُ بَحِيرَةً إِسْلَامِيَّةً، فَذَهَبُوا غَازِينَ إِلَى فُبْرَصَ، ثُمَّ كَانُوا مُرِيدِينَ عَلَى نِيَّةِ الْإِضْعَادِ؛ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَكُونُوا ذَاهِبِينَ فِي غَرْبِ أُرْبَةَ، ثُمَّ فَلْيَلْقَهُمْ مَنْ يَأْتِي مُشْرَقًا مِنْ قِبَلِ الْأَنْدَلُسِ بَعْدَ غَزْوِ فَرَنْسَا، وَكَانُوا عَلَى مَشَارِفِ جَنُوبِهَا؛ إِلَّا أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَشَأْ لَهَا الْهَدَايَةَ، فَظَلَّتْ سَادِرَةً فِي كُفْرِهَا، وَفِي عَمَائِتِهَا، وَفِي ضَلَالِهَا وَشُرْكِهَا، وَلَمْ يَأْذَنْ لَهَا رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِخَيْرٍ.

فَتَحَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَفْرِيْقِيَّةً فِي شَمَالِهَا جَمِيعِهِ؛ حَتَّى جَازُوا الْعُدُوءَ إِلَى بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ، فَفَتَحُوهَا بِكَلِمَةِ التَّوْحِيدِ، كَلِمَةَ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ». وَمِنَ الْأَحْدَاثِ الْجِسَامِ الَّتِي وَقَعَتْ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ: مَوْقِعَةُ مَرْجِ الصُّفْرِ، وَمَوْقِعَةُ عَيْنِ جَالُوتَ.

* مَوْقِعَتَا مَرْجِ الصُّفْرِ، وَعَيْنِ جَالُوتَ فِي رَمَضَانَ:

فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِمِئَةٍ مِنْ هِجْرَةِ الرَّسُولِ ﷺ: كَانَتْ «مَوْقِعَةُ مَرْجِ الصُّفْرِ» أَوْ «مَوْقِعَةُ شَقْحَبِ» الَّتِي كَانَ فِيهَا النَّاصِرُ مُحَمَّدُ بْنُ قَلَاوُونَ، وَالْخَلِيفَةُ الْمُسْتَكْفِي بِاللَّهِ، وَكَانَ مَعَهُمَا شَيْخُ الْإِسْلَامِ

ابْنُ تَيْمِيَّةَ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى رَحْمَةً وَاسِعَةً -، فَبَدَّدُوا جُمُوعَ التَّارِ، وَمَزَّقُوهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ، وَنَصَرَ اللهُ رَبَّ الْعَالَمِينَ الْمُسْلِمِينَ نَصْرًا عَزِيزًا مُؤَزَّرًا.

وَقَبْلَ ذَلِكَ فَتَحَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فَتْحًا عَظِيمًا، فِي «عَيْنِ جَالُوتَ» نَصَرَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْمُسْلِمِينَ عَلَى التَّارِ؛ فَانْحَسَرَتْ مَوْجَةُ الْهَمَجِيَّةِ وَالْفَوْضَى عَلَى صَخْرَةِ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمَةِ بِجُنْدِ الشَّامِ وَجُنْدِ مِصْرَ، فَبَدَّدُوهُمْ كُلَّ مُبَدَّدٍ، وَشَتَّتُوهُمْ كُلَّ مُشْتَتٍ، وَمَزَّقُوهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ، وَمَنْ نَجَا مِنَ الْقَتْلِ أُسِرَ، ثُمَّ كَانَ بَعْدَ عَبْدًا ذَلِيلًا، فَحَسَرَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى تِلْكَ الْمَوْجَةَ، وَكُلَّ ذَلِكَ كَانَ وَاقِعًا فِي رَمَضانَ تَحْتَ رَايَةِ الْإِسْلَامِ.

لَمْ يُنَصِرِ الْمُسْلِمُونَ فَطُّ إِلَّا تَحْتَ رَايَةِ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ، وَلَمْ يَكُنِ الْمَعْنَى فِي هَذَا كُلِّهِ: أَنَّهُ إِذَا تَسَلَّطَتْ طَائِفَةٌ مِنَ الْمُفْسِدِينَ... مِنَ الْمُشْرِكِينَ الضَّالِّينَ عَلَى مَقَالِيدِ الْأَمْرِ فِي الْأُمَّةِ؛ أَنْ تَصِيرَ الْأُمَّةُ كُلُّهَا مِنَ الْمُفْسِدِينَ الْمُجْرِمِينَ الضَّالِّينَ، بَلْ كَانَتْ الْأُمَّةُ تُحَافِظُ عَلَى نَقَائِهَا، ثُمَّ يَذْهَبُ هَذَا الْخَبْثُ بَعِيدًا إِذَا مَا عَلَا صَوْتُ الْإِسْلَامِ، وَإِذَا مَا رُفِعَتْ رَايَةُ التَّوْحِيدِ، وَكَذَلِكَ الشَّانُ دَائِمًا وَأَبَدًا.

* حَرْبُ الْعَاشِرِ مِنْ رَمَضانَ، آخِرُ انْتِصَارَاتِ الْمُسْلِمِينَ:

حَتَّى فِي آخِرِ مَا شَهِدَ الْمُسْلِمُونَ فِي هَذَا الْعَصْرِ: فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ وَثَلَاثِ مِئَةٍ وَأَلْفٍ مِنْ هِجْرَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فِي مِثْلِ هَذِهِ الْأَيَّامِ مِنْ شَهْرِ رَمَضانَ فِي الْعَاشِرِ مِنْهُ: (١٠ مِنْ رَمَضانَ ١٣٩٣ هـ)، وَهُوَ مُوَافِقٌ لِلْسَّادِسِ مِنَ الشَّهْرِ الْعَاشِرِ مِنْ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ وَتِسْعِ مِئَةٍ وَأَلْفٍ مِنَ التَّارِيخِ النَّصْرَانِيِّ

(٦ / ١٠ / ١٩٧٣): لَمَّا رُفِعَتْ رَايَةُ التَّوْحِيدِ، وَعَلَتْ كَلِمَةُ التَّكْبِيرِ؛ نَصَرَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ الْمُسْلِمِينَ.

وَلَمْ يُنْصَرُوا إِلَّا بِالْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ، وَلَنْ يُنْصَرَ الْمُسْلِمُونَ فِي أَيِّ بُقْعَةٍ مِنْ بَقَاعِ الْأَرْضِ، وَلَا فِي أَيِّ زَمَانٍ مِنَ الْأَزْمِنَةِ، وَلَنْ تَكُونَ لَهُمْ شَوْكَةٌ، وَلَنْ تُسْمَعَ لَهُمْ كَلِمَةٌ، وَلَنْ تُرْفَعَ لَهُمْ رَايَةٌ إِلَّا بِالْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ، وَبِالتَّوْحِيدِ الْكَرِيمِ.

فِي مِثْلِ هَذِهِ الْأَيَّامِ مِنْ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ وَثَلَاثِ مِئَةٍ وَأَلْفٍ مِنْ هِجْرَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ «فِي ١٠ مِنْ رَمَضَانَ ١٣٩٣ هـ»: رَدَّ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى الْمُسْلِمِينَ عَامَّةً، وَعَلَى الْمِصْرِيِّينَ وَجُنْدِ الشَّامِ خَاصَّةً بَعْضَ الْكَرَامَةِ السَّلْبِيَّةِ، وَأَعَزَّ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى دِينَهُ، وَنَصَرَ جُنْدَهُ لَمَّا فَاءَ النَّاسُ إِلَى الْحَقِّ وَرَجَعُوا إِلَيْهِ.



الأسباب الحقيقية لنكسة عام (١٩٦٧م)

لَقَدْ كَانَ الَّذِينَ عَلَى الْأَمْرِ قَبْلَ قَدْ عَاشُوا فِي الْأَرْضِ فَسَادًا، وَتَحَوَّلَتْ سِهَامُهُمْ إِلَى نُحُورِ أَبْنَاءِ شَعْبِهِمْ، فَسَامُوهُمْ الْخَسْفَ، وَأَذَلُّوهُمْ، وَشَرَّدُوهُمْ كُلَّ مُشَرَّدٍ، وَأَنْزَلُوا بِهِمْ سُوءَ الْعَذَابِ، أَبَى اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَّا أَنْ يُرِيَهُمْ بَعْضَ الَّذِي وَعَدَهُمْ، وَأَوْعَدَهُمْ بِهِ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ.

أَبَى اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَّا أَنْ يَشْرَبُوا كَأَسَا مُتْرَعَةً مِنَ الذَّلِّ فِي الْحَيَاةِ، وَاللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

وَكَانُوا لِسُوءِ التَّدْبِيرِ قَدْ صَاحُوا بِكُلِّ فَجٍّ أَنَّهُمْ سَوْفَ يُلْقُونَ الْيَهُودَ فِي الْبَحْرِ، وَأَنَّهَا شِرْذِمَةٌ قَلِيلَةٌ مُسْتَضْعَفَةٌ لَا يُؤْبَهُ لَهَا، وَأَنَّهَا لَا تَثْبُتُ عَلَى النَّفْخِ لَا عَلَى الْجَلَادِ وَالْحَرْبِ.

ثُمَّ دَفَعَ بِالْجَيْشِ الْمَصْرِيِّ وَجُنْدِهِ مِنْ خَيْرِ أَجْنَادِ الْأَرْضِ؛ مَا هَزَمُوا مِنْ خَوْرٍ وَلَا ضَعْفٍ، وَإِنَّمَا يُؤْتُونَ بِالْعَدْرِ وَيُؤْخَذُونَ بِالْحَيَاةِ، كَانُوا قَدْ دَفَعُوا بِالْجَيْشِ الْبَاسِلِ إِلَى الصَّحَرَاءِ الْمَكْشُوفَةِ، كَأَنَّمَا يُرْهَبُونَ عَدُوَّهُمْ، وَكَأَنَّمَا يَسْتَدِرُّونَ الْعَطْفَ مِنْ أُمَّمِ الْأَرْضِ؛ مَخَافَةَ أَنْ يَحِيقَ بِالشَّرْذِمَةِ الطَّاغِيَةِ مِنْ يَهُودِ سُوءِ

الْعَذَابِ، هَكَذَا قَدَّرُوا؛ لِأَنَّ الْغَوَايَةَ كَانَتْ سَادِرَةً، وَلِأَنَّ تَحْوِيلَ الْمُجْتَمَعِ مِنْ دِينِهِ، وَمِنْ هُوَيْتِهِ الْأَصِيلَةَ كَانَ مُرْتَبًّا وَمُنْظَمًا - أَلَا سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ -.

عِنْدَمَا تَحِيدُ الْأُمَّةُ عَنِ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ، عِنْدَمَا يَصِيرُ الْمُجْتَمَعُ مُسْتَنْقَعًا كَبِيرًا تَرْتَعُ فِيهِ نَوَازِعُ الرِّذِيلَةِ، وَتَنْطَلِقُ فِيهِ الشَّهَوَاتُ مِنْ عُقْلِهَا، وَلَا تَجِدُ فِيهِ مَكَانًا تَحْمِي فِيهِ سَمْعَكَ وَبَصْرَكَ، وَلَا تَحْمِي فِيهِ مِنَ الْفِتَنِ نَفْسَكَ؛ حَتَّى الْمَسَاجِدَ أَفْسَدُوهَا، وَعَدَّوْا عَلَيْهَا فَخَرَّبُوهَا، وَجَعَلُوا فِيهَا مِنْ أَهْلِ الْجَهْلِ مَنْ جَهَلُوا، وَمِنْ أَهْلِ الْحَزِيَّةِ مَنْ أَفْسَدُوا عَلَى النَّاسِ دِينَهُمْ، فَصَارَتْ كَمَسَاجِدِ ضِرَارٍ، لَا يَجِدُ الْمَرْءُ فِيهَا بُغْيَتَهُ، وَلَا يَلْقَى فِيهَا سَكِينَتَهُ، وَلَا تَسْتَقِرُّ فِيهَا رُوحُهُ عَلَى قَرَارٍ!!

وَقَعَ مَا وَقَعَ؛ مِنْ تَغْيِيبِ لِدِينِ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ، ثُمَّ أَرَادَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِالنَّكْبَةِ أَنْ يَخْرِجَ النَّاسَ مِنْ نِدَاءِ بَاطِلٍ بِقَوْلِ قَائِلِهِمْ: «أَمْجَاد! يَا عَرَب! أَمْجَاد!!» إِلَى قَوْلِ: «اللَّهُ أَكْبَرُ»؛ فِيهَا نُنْصَرُ إِذَا مَا حَقَّقْنَاهَا فِي النُّفُوسِ وَالضَّمَائِرِ وَالْقُلُوبِ، وَكَانَتْ وَاقِعًا يُعَاشُ فِي الْحَيَاةِ.



نَصْرُ العَاشِرِ مِنْ رَمَضانَ، وَشِعَارُ «اللهِ أَكْبَرُ»

أَبَى اللهُ إِلَّا أَنْ يَحْفَظَ عَلَيَّ أَرْضِ الكِنَانَةِ دِينَهَا، وَعَلَى أبنائِهِمْ إِسلامَهُمْ، وَأَنْ يُعِزَّهُمُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِدِينِ الإِسلامِ العَظِيمِ، وَتَحَطَّمَتِ الأُسْطُورَةُ أُسْطُورَةُ الشَّعْبِ الَّذِي يَدُهُ طُولِي، فَمَهْمَا أَرَادَ أَنْ يَصِلَ بِيَدِهِ إِلَيْهِ وَصَلَ.

أَرَادَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يُحَطِّمَ أُسْطُورَةَ الجَيْشِ الَّذِي لَا يُقَهَّرُ، فَسِيمَ العَذَابِ، وَسَارَ كالدَّجَاجِ لَا يَجِدُ مَأْوِي، وَقَدْ عَدَّتْ عَلَيْهِ السَّبَاعُ، وَنَصَرَ اللهُ رَبُّ العَالَمِينَ المِصْرِيِّينَ، وَجُنَدَ الشَّامِ نَصْرًا مُؤَزَّرًا، وَحَاقَ بِيَهُودٍ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ، وَلَهَا أَخَوَاتٌ إِذَا عَادَ المُسْلِمُونَ إِلَى دِينِ الحَقِّ، وَفَاءُوا إِلَى طَرِيقِ الرُّشْدِ، وَرَفَعُوا رَايَةَ التَّوْحِيدِ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسولُ اللهِ».

وَكَذَبَ مَنْ قَالَ: «إِنَّ يَهُودَ لَمْ تَكُنْ تَخْشَى المُسْلِمِينَ بَعْدَ النِّكْبَةِ»، فَهَذَا وَهْمٌ وَاهِمٌ وَخِيَالٌ عَابَثٌ، إِنَّمَا كَانُوا مِنْهُمْ عَلَى الرَّهْبَةِ، وَالدَّلِيلُ: مَا كَانَ، فَهَذَا مَانِعٌ مَائِي عَظِيمٌ؛ سُلِّطَتْ عَلَيْهِ أَنَابِيبُ النَّابَالِمِ، حَتَّى إِذَا مَا بَدَأَ المِصْرِيُّونَ فِي العُبُورِ لِذَلِكَ المَانِعِ المَائِي؛ اشْتَعَلَتِ القَنَاةُ نَارًا، فَأَعَدُّوا ذَلِكَ، ثُمَّ أَعَدُّوا السَّدَّ التُّرابِيَّ، وَاجْتِيَازَهُ لَا يَكُونُ إِلَّا بِشِبْهِ مُعْجَزَةٍ تَأْتِي مِنْ قِبَلِ مَنْ هُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، إِلَى مَا وَرَاءَ ذَلِكَ مِنْ «خَطِّ بَارْلَيْف».

وَوَضَعُوا الْعَسْكَرِيَّةَ عَلَى الْمَحَكِّ؛ لِيَنْظُرَ الْعَالَمُ كُلَّهُ إِلَى هَذَا الْجُنْدِ الْمُسْلِمِ
 مِنْ أَرْضِ الْكِنَانَةِ، وَقَدْ صَدَّ قَبْلُ أَمْوَاجِ الْهَمْجِيَّةِ التَّزْيِيَّةِ، وَأَمْوَاجِ الْفَوْضَى
 الصَّلِيْبِيَّةِ، وَكُلُّ غَازٍ أَرَادَ أَنْ يَعْْبُرَ إِلَى دِيَارِ الْإِسْلَامِ؛ تَحَطَّمَ عَلَى صَخْرَةِ هَذِهِ الْأُمَّةِ
 الْمُبَارَكَةِ، وَبِسَوَاعِدِ أَبْنَائِهَا، تُحَرِّكُهَا عَزَمَاتُ إِيمَانِهَا بِقُلُوبِهَا، بِأَنَّهُ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»،
 وَأَنَّنَا إِنَّمَا نَدُورُ عَلَى أَحَدِ أَمْرَيْنِ، وَهُمَا حُسْنِيَانِ مَعًا: إِمَّا النَّصْرُ وَإِمَّا الشَّهَادَةُ،
 فَجَازُوا تِلْكَ الْمَوَانِعَ كُلَّهَا، وَلَمْ يَقِفْ فِي وَجْهِهِمْ شَيْءٌ، وَلَا صَدَّهُمْ عَنْ بُغْيَتِهِمْ.

فِي مِثْلِ هَذِهِ الْأَيَّامِ نَصَرَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ جُنْدَهُ، وَصَارَ إِخْوَانُ الْقِرْدَةِ
 وَالْخَنَازِيرِ كَعَجُوزٍ تَلْطِمُ مَوْلُوْلَةً، تَسْتَجِدِي أُمَّمَ الْكُفْرِ الْعِتَادَ وَالسَّلَاحَ وَالْمَثُوْنَةَ،
 وَهَوْلَاءِ يَرْفَعُونَ شِعَارًا وَاحِدًا: «اللَّهُ أَكْبَرُ».

اللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ.

اللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ مَوَانِعِ الْمَاءِ، وَمِنْ مَوَانِعِ التُّرَابِ وَسَوَاتِرِهَا.

اللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ خَطِّ دِفَاعٍ.

اللَّهُ أَكْبَرُ مِنَ الطَّائِرَاتِ وَالذَّبَّابَاتِ، وَالْمَدَافِعِ وَالصَّوَارِيخِ.

اللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ عَادٍ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ.

اللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ أُمَّمِ الْكُفْرِ كُلِّهَا.

فَكَانَ النَّصْرُ، وَهُوَ دَرَسٌ مَطْرُوحٌ كَانَ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْأَيَّامِ، وَمَا زَالَ دَرَسًا
 مَطْرُوحًا إِلَى الْيَوْمِ، وَسَيَظَلُّ، فَهَلْ مِنْ مُسْتَفِيدٍ؟!

أَسبابُ نَصْرِ العَاشِرِ مِنْ رَمَضانَ

كَانَتْ مَوْقِعَةً مِنَ المَوَاقِعِ الظَّافِرَةِ، تُعيدُ إِلى العالَمِ نَسائِمَ المَاضِي البَعِيدِ،
نَسائِمَ يَوْمِ بَدْرِ، نَسائِمَ يَوْمِ عَيْنِ جالُوتَ، تُعيدُ إِلى الأُمَّةِ نَسائِمَ تُرطِّبُ القُلُوبَ،
وَتَحْنُو عَلى الأَفئِدَةِ؛ لِيَعَلَّمَ النَّاسُ أَنَّ اللهَ عَلى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ، وَأَنَّهُ لا يُعجزُهُ أَحَدٌ
وَلا يُعجزُهُ شَيءٌ، وَلِيُغَلِّبَنَّ مُغالِبُ الغَلابِ.

نَصَرَ اللهُ رَبُّ العالَمِينَ جُنْدَهُ، وَكانَتِ الأُمَّةُ - وَكُنَّا حاضِرِها - عَلى قَلْبِ
رَجُلٍ واحِدٍ، وَتَعَجَبُ: كَيْفَ زالَتِ الأحقادُ فِي لَحظةٍ واحِدَةٍ؟!!

كَيْفَ انْمَحَقَتِ الأحسادُ فِي ثانِيَةٍ أو أَقلَّ مِنْها؟!!

كَيْفَ صارَ النَّاسُ قَلبًا واحِدًا نابِضًا يَضْرَعُ إِلى اللهِ بِأَكْفِ ضِراعةِ نَقِيَّةِ نَقِيَّةٍ، لا
سارِقَةٍ، وَلا عاصِبَةٍ، وَلا مُرْتَشِيَةٍ، وَلا مُلوَّثَةٍ بِدِماءِ تَعذِيبِ البَشَرِ، وَإِنَّمَا هِيَ
خاضِعَةٌ لِللهِ نَقِيَّةٌ، وَهِيَ ذَليلةٌ لِللهِ تَقِيَّةٌ؟!!

كَيْفَ تَحَوَّلَ المُجتمَعُ كُلُّهُ فِي لَحظةٍ واحِدَةٍ إِلى قَلْبٍ تَقِيٍّ نابِضٍ بِالصِّدْقِ،
وَرُوحٍ مُوحِّدَةٍ ناطِقَةٍ بِالحَقِّ؟!!

كَيْفَ تَكَاتفَ النَّاسُ؟!!

كَيْفَ تَأْزَرَ النَّاسُ !!؟

كَيْفَ تَعَاوَنُوا وَتَعَاضَدُوا !!؟

كَيْفَ فَزَعُوا جَمِيعًا إِلَى اللَّهِ؛ لِيَنْصُرَ جُنْدَهُ !!؟

وَكَانَ الْجُنْدُ بَيْنَ النَّكْبَةِ وَالنَّصْرِ، قَدْ رُبُّوا عَلَى مَعْرِفَةِ الْحَقِّ، وَسَارَتْ فِيهِمْ
دُعَاةٌ يَدْعُونَهُمْ إِلَى دِينِ الْهُدَى وَإِلَى دِينِ الْحَقِّ الَّذِي جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ،
فَعَلَّمُوهُمْ مَعَانِي الْجِهَادِ، وَعَرَفُوا مَعْنَى الشَّهَادَةِ وَحِلَاوَةَ الْإِسْتِشْهَادِ، وَلَمْ يَكُونُوا
مِمَّنْ يُقَاتِلُ عَن أَرْضِ بِلَا هُوِيَّةٍ، وَإِنَّمَا هِيَ أَرْضُ إِسْلَامِيَّةٍ، إِذَا مَاتَ مُدَافِعٌ عَنْهَا
فَقَدْ مَاتَ شَهِيدًا، فَهِيَ أَرْضُ الْإِسْلَامِ.

هِيَ هَذِهِ الْكِنَانَةُ... كِنَانَةُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ.

تِلْكَ الصَّخْرَةُ الَّتِي تَتَحَطَّمُ عَلَيْهَا أَمْوَاجُ الْغَزَاةِ بِفَضْلِ اللَّهِ.

وَهُمْ مِنْ أَرْقِ النَّاسِ قُلُوبًا، وَمِنْ أَخْشَعِهِمْ نَفُوسًا، وَمِنْ أَنْقَاهُمْ أَفْتِدَةً إِذَا
عَرَفُوا الْحَقَّ وَلَزِمُوهُ، وَقَدْ وَصَّى بِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ خَاصًّا بِقَطْرِ
وَلَا شَعْبٍ، وَإِنَّمَا هُوَ لِعُمُومِ الْأُمَّةِ بِجَمِيعِ أَجْنَاسِهَا، وَبِكُلِّ النَّاطِقِينَ بِلُغَتِهِمْ
يَشْهَدُونَ أَنَّهُ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ»، وَكَانَ نَصْرًا عَزِيزًا.

هُوَ دَرَسٌ يُسْتَلْهَمُ.

وَحَادَ مَنْ حَادَ بَعْدُ؛ حَتَّى حُرِقَ الْحَرَمُ الْإِبْرَاهِيمِيُّ، وَأَعْتَدِي عَلَى الْمُصَلِّينَ

فِيهِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، وَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ !!

فَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَجْعَلَ سِجْلَيْنِ؛ وَاحِدًا لِلانْتِصاراتِ فِي رَمَضانَ، وَآخَرَ
لِلانْكِساراتِ فِي رَمَضانَ؛ فَاصْنَعْ؛ وَلَكِنْ ما هُوَ العامِلُ المُشْتَرَكُ بَيْنَ هَذَيْنِ
الأَمْرَيْنِ؟

هُوَ: إِذا تَمَسَّكْتُمْ بِدِينِ اللَّهِ نَصَرْتُمْ، وَإِذا خَفَّتْ قَبْضَتُكُمْ عَلَي دِينِ رَبِّكُمْ
كُسِرْتُمْ وَهَزِمْتُمْ.

وَلَنْ يَعودَ إِلَيْكُمْ مَجدُكُمْ وَلَنْ يَحْتَرِمَكُمُ العالِمُ إِلا بِتَمَسُّكِكُمْ بِدِينِكُمْ.
وَإِحْتِرامُ العالِمِ لَكُمْ مَطْلُوبٌ؛ لِأنَّهُمْ إِنْ لَمْ يَحْتَرِمُواكُمْ؛ فَلَنْ يَسْمَعُوا
دَعْوَتَكُمْ، وَأَنْتُمْ أُمَّةٌ دَاعِيَةٌ إِلى التَّوْحِيدِ، إِلى الإِسلامِ العَظيمِ، لَيْسَ لَكُمْ قِيَمَةٌ إِلا
بِهِ، فَقِيَمَتُكُمْ بِإِسلامِكُمْ.

قِيَمَتُكُمْ بِدِينِكُمْ!

قِيَمَتُكُمْ بِتَوْحِيدِكُمْ!

فَإِذْ نَظَرْتَ فِي السِّجْلَيْنِ مَعًا؛ وَجَدْتَ العامِلَ المُشْتَرَكَ.

وَلَمْ يَكُنْ فِي الأَحْداثِ الَّتِي مَرَّتْ إِلا قَليلًا إِلا المَعْنى القائِمُ؛ وَهُوَ أَنَّهُ لَيْسَ
مَعْنى أَنْ تَكُونَ طُهْمَةٌ فَاجِرَةٌ... وَأَنْ تَكُونَ جَماعَةٌ ناكِرَةٌ... وَأَنْ تَكُونَ عِصابَةٌ
مُفسِدَةٌ قَدْ تَحَكَّمتْ فِي شَيْءٍ؛ لَيْسَ مَعْنى ذَلِكَ أَنْ تَصِيرَ الأُمَّةُ كُلُّها فَاجِرَةٌ، وَأَنْ
تَصِيرَ الأُمَّةُ كُلُّها فَاسِدَةٌ مُفسِدَةٌ، وَإِنَّمَا تُحافِظُ الأُمَّةُ عَلَي نَقائِها؛ وَإِنْ فَسَدَ مَنْ
فَسَدَ، وَإِنَّمَا يُفَرِّزُ مِنَ الأُمَّةِ بَعْدَ مَنْ يُعَلِي اللَّهُ تَبارَكَ وَتَعالَى بِهِ الرِّايَةَ، وَيُثَبِّتُ اللَّهُ
تَبارَكَ وَتَعالَى مَنْ شاءَ عَلَي الحَقِّ بِالْحَقِّ، وَهُوَ عَلَي كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

أَسْأَلُ اللَّهَ - جَلَّتْ قُدْرَتُهُ وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ - أَنْ يَرُدَّنَا وَالْمُسْلِمِينَ أَجْمَعِينَ
إِلَى الْحَقِّ رَدًّا جَمِيلًا.

اللَّهُمَّ رُدَّنَا وَالْمُسْلِمِينَ جَمِيعًا إِلَى الْحَقِّ رَدًّا جَمِيلًا، وَأَحْسِنْ خِتَامَنَا
أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ أَحْسِنْ خِتَامَنَا أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ أَحْسِنْ خِتَامَنَا أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ جَنِّبْ وَطَنَنَا مِصْرَ، وَجَمِيعَ أَوْطَانِ الْمُسْلِمِينَ مُضِلَّاتِ الْفِتَنِ؛ مَا ظَهَرَ
مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، وَطَهِّرْ وَطَنَنَا وَجَمِيعَ أَوْطَانِ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْكُفْرِ وَالْكَافِرِينَ،
وَالشُّرْكِ وَالْمُشْرِكِينَ، وَالْخِيَانَةِ وَالْخَائِنِينَ، وَالْفَسَادِ وَالْمُفْسِدِينَ، وَالْبِدْعَةَ
وَالْمُبْتَدِعِينَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ، يَا ذَا الْقُوَّةِ الْمَتِينِ.

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَيَّ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ (*).



(*): مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «حَدَّثَ فِي رَمَضَانَ - الْجُمُعَةَ ١٠ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣١ هـ، الْمَوْافِقُ



رَمَضَانُ

دَعْوَةٌ لِلْوَحْدَةِ وَالْإِتِّلَافِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا
وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا
إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل

عمران: ١٠٢].

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا
رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ۖ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾

[النساء: ١].

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ
وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

• أَمَا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ،
وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ
ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

• أَمَا بَعْدُ:

النَّبِيُّ ﷺ دَاعِيَةٌ مَحَبَّةٍ وَاتِّلَافٍ

فَإِنَّ اللَّهَ - جَلَّتْ قُدْرَتُهُ - أَرْسَلَ نَبِيَّهُ ﷺ؛ لِيَهْدِيَ بِهِ الْخَلْقَ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى قَلْبِهِ الشَّرِيفِ كِتَابَهُ الْعَظِيمِ؛ هِدَايَةً وَنُورًا، وَرُوحًا مِنْ أَمْرِهِ يُحْيِي بِهِ اللَّهُ مَوَاتَ الْقُلُوبِ، وَيُنِيرُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِهِ الظُّلُمَاتِ لِأَصْحَابِ الْبَصَائِرِ وَالْبَصَرِ؛ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَأْخُذَ اللَّهُ بِأَيْدِيهِمْ إِلَى جَنَّاتِ الْخُلْدِ وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ.

وَجَعَلَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ مُحَمَّدًا ﷺ دَاعِيَةً اتِّلَافٍ، لَا دَاعِيَةً اخْتِلَافٍ.

وَجَعَلَهُ رَبُّهُ جَلَّ وَعَلَا دَاعِيَةً إِلَى الْوَحْدَةِ وَالْإِجْتِمَاعِ، وَلَمْ يَجْعَلْهُ ﷺ دَاعِيًا إِلَى الْفُرْقَةِ وَالْإِخْتِلَافِ.

وَاتَاهُ اللَّهُ مَا يَجْمَعُ اللَّهُ بِهِ شَمَلَ الْمُسْلِمِينَ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، وَيُوَحِّدُ اللَّهُ بِهِ الْقُلُوبَ فِي وُجْهَتِهَا وَقَصْدِهَا، وَالْأَقْدَامَ فِي مَسِيرِهَا وَسَيْرِهَا، وَآتَاهُ اللَّهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَلَ الْخِطَابِ.

وَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ بِالْوَحْيِ الْمَعْصُومِ لَا يَأْتِيهِ الزَّيْغُ وَلَا الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ، وَبَلَغَ ﷺ الرِّسَالَةَ، وَأَدَّى الْأَمَانَةَ، وَنَصَحَ الْأُمَّةَ، وَكَشَفَ الْغُمَّةَ، وَجَعَلَهَا عَلَى الْمَحَبَّةِ الْبَيْضَاءِ لَيْلَهَا كَنَهَارِهَا لَا يَزِيغُ عَنْهَا إِلَّا هَالِكٌ.

جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ بِالْوَحْيَيْنِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَمَهُمَا تَأَمَّلْتَ فِيهِمَا وَجَدْتَ دَاعِيَ اللَّهِ ﷻ هَذِهِ الْأُمَّةَ إِلَى الْوَحْدَةِ وَالْإِجْتِمَاعِ وَنَبَذِ الْفُرْقَةَ وَالْإِخْتِلَافَ.

وَبَيْنَ لَنَا رَبُّنَا - جَلَّتْ قُدْرَتُهُ - أَنْ التَّنَازُعَ يُؤَدِّي إِلَى الْفَشْلِ، وَأَنَّ الْفَشَلَ يُؤَدِّي إِلَى الدَّمَارِ وَذَهَابِ الْقُوَّةِ، ﴿وَلَا تَنَزَعُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَتَذَهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦].

وَالْأَخْذُ بِعَدَمِ التَّنَازُعِ شَدِيدٌ؛ لِأَنَّ الطَّبَعَ رَبَّمَا حَضَّ عَلَيْهِ، وَرَبَّمَا دَعَتْ الْغَرِيزَةُ إِلَيْهِ؛ فَعَقَّبَ اللَّهُ ذَلِكَ الْأَمْرَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَأَصْبِرُوا﴾، فَبَيْنَ لَنَا رَبُّنَا - جَلَّتْ قُدْرَتُهُ - أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَبْتَعِدَ عَنِ التَّنَازُعِ حَتَّى لَا يَتَوَرَّطَ فِي الْفَشْلِ إِلَّا إِذَا حَالَفَهُ تَوْفِيقُ اللَّهِ بِالصَّبْرِ.



مَظَاهِرُ وَحْدَةِ الْأُمَّةِ فِي الْعِبَادَاتِ

عِبَادَ اللَّهِ! الرَّسُولُ ﷺ كَانَ حَرِيصًا غَايَةَ الْحِرْصِ عَلَى جَمْعِ الشَّمْلِ، وَنَبَذَ
الْفُرْقَةَ، وَتَرَسِيخَ الْإِتِّلَافِ، وَنَبَذَ الْخِلَافِ، حَتَّى فِي الشَّكْلِ الظَّاهِرِ.

كَانَ يَحْرِصُ ﷺ غَايَةَ الْحِرْصِ عَلَى أَنْ تَكُونَ الْعِبَادَةُ عَلَى صُورَةٍ مُتَمَاثِلَةٍ،
فَإِذَا قَامَ النَّاسُ عَلَى صُفُوفِهِمْ فِي صَلَاتِهِمْ، وَقَامَ أَمَامَهُمْ ﷺ إِمَامًا لَهُمْ؛ يَلْتَمْتُ
إِلَيْهِمْ، فَيَقُولُ ﷺ - مُحَدِّثًا وَمُبَشِّرًا، وَأَمِيرًا وَمُنذِرًا -: «اسْتَوْوُوا وَلَا تَخْتَلِفُوا؛
فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ» (١).

وَجَعَلَ الرَّسُولُ ﷺ الْإِخْتِلَافَ الظَّاهِرَ - حَتَّى فِي الْوُقُوفِ فِي الصَّفِّ فِي
الصَّلَاةِ بِأَنْ يَتَقَدَّمَ رَجُلٌ شَيْئًا أَوْ يَتَأَخَّرَ رَجُلٌ شَيْئًا - جَعَلَ هَذَا الْإِخْتِلَافَ مَدْعَاةً
لِإِخْتِلَافِ الْقُلُوبِ، وَتَأْثِيرًا لِلظَّوَاهِرِ عَلَى الْبَوَاطِنِ بِإِنْعِكَاسَاتٍ غَيْرِ مَرْغُوبَةٍ، «وَلَا
تَخْتَلِفُوا فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ».

وَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ بِعِبَادَاتِ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمَةِ، وَهِيَ مَهْمَا نَظَرْتَ فِيهَا وَتَأَمَّلْتَ
فِي مَطَاوِيهَا وَجَدْتَ أَنَّهَا تَدْعُو ظَاهِرًا وَبَاطِنًا إِلَى وَحْدَةِ الْأُمَّةِ، وَالْإِنْسِجَامِ الظَّاهِرِ
بَيْنَ أبنَائِهَا.

(١) أخرجه مسلم في «الصحیح»: ١ / ٣٢٣، رقم (٤٣٢)، من حديث: أَبِي مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

حَتَّىٰ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يَجْعَلُ ذَلِكَ عَلَى التَّدْرِيجِ شَيْئًا فَشَيْئًا، حَتَّىٰ فِي الْعِبَادَةِ الْوَاحِدَةِ، فَيَجْعَلُ اللَّهُ -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ- عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺ النَّوَافِلَ فِي الْبُيُوتِ صَلَاةً وَقِيَامًا^(١)؛ لِإِنَّهَا مَدْعَاةٌ لِاجْتِهَادَاتٍ عَلَى حَسَبِ الْقُدْرَةِ.

فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ فَلْيَكُنْ كُلُّ إِنْسَانٍ فِيهَا بِحَيْثُ لَا يَرَاهُ أَحُوهُ، فَذَلِكَ أَبْعَدُ عَنِ الرِّيَاءِ، وَأَدْنَىٰ إِلَى الْإِخْلَاصِ، ثُمَّ هُوَ أَبْعَدُ عَنِ الْإِخْتِلَافِ الظَّاهِرِ مَهْمَا كَانَ الْأَمْرُ، ثُمَّ إِذَا جَاءَ وَقْتُ الصَّلَاةِ نَفَرَ الْجَمْعُ كُلُّهُمْ إِلَى بُيُوتِ رَبِّهِمْ؛ لَكِنِّي يَقُومُوا وَرَاءَ إِمَامٍ وَاحِدٍ، يَقُومُونَ بِقِيَامِهِ، وَيَرْكَعُونَ بِرُكُوعِهِ، وَيَسْجُدُونَ بِسُجُودِهِ.

وَنَفَرٌ وَحَدَرٌ، وَرَعَبٌ وَرَهَبٌ فِي الْمَتَابَعَةِ لِلْإِمَامِ وَعَدَمِ مُسَابَقَتِهِ^(٢)، حَتَّىٰ إِنَّهُ رَهَبٌ مِنْ ذَلِكَ: بِأَنَّ الَّذِي يَرْفَعُ قَبْلَ إِمَامِهِ فِي الصَّلَاةِ مِنْ حَالِ رُكُوعِهِ، يُخْشَىٰ

(١) أخرج البخاري في «الصحیح»: ٢/ ٢١٤ و ٢١٥، رقم (٧٣١)، ومسلم في «الصحیح»: ٥٣٩/١، رقم (٧٨١)، من حديث: زيد بن ثابت: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ اتَّخَذَ حُجْرَةً فِي رَمَضَانَ، فَخَرَجَ يُصَلِّي فِيهَا، فَتَتَّبَعَ إِلَيْهِ رِجَالٌ وَجَاءُوا يُصَلُّونَ بِصَلَاتِهِ، ثُمَّ جَاءُوا لَيْلَةً فَحَضَرُوا، وَأَبْطَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْهُمْ فَلَمْ يَخْرُجْ إِلَيْهِمْ، فَرَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ وَحَصَبُوا الْبَابَ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُغْضَبًا، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا زَالَ بِكُمْ صَنِيعُكُمْ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيَكْتُبُ عَلَيْكُمْ، فَعَلَيْكُمْ بِالصَّلَاةِ فِي بُيُوتِكُمْ، فَإِنَّ خَيْرَ صَلَاةِ الْمَرْءِ فِي بَيْتِهِ إِلَّا الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ».

(٢) أخرج مسلم في «الصحیح»: ١/ ٣٢٠، رقم (٤٢٦)، من حديث: أنس، قَالَ: صَلَّى بِنَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ فَلَمَّا قَضَى الصَّلَاةَ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ، فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي

عَلَيْهِ أَنْ يَتَحَوَّلَ رَأْسُهُ إِلَى رَأْسِ حِمَارٍ^(١)؛ لِكَيْ يَكُونَ الْأَمْرُ وَاحِدًا بِلَا مُسَابِقَةٍ،
وَإِنَّمَا عَلَى اتِّبَاعِ مُتَسَاوِقٍ بغيرِ مَا سَبَقَ وَلَا إِبْطَاءٍ.

ثُمَّ جَعَلَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ هَذَا الْجَمْعَ يَكُونُ فِي مَسَاجِدِ الْأَحْيَاءِ مَدْفُوعًا إِلَى
مَسْجِدِ الْجُمُعَةِ الْجَامِعِ؛ مِنْ أَجْلِ أَنْ يُصَلِّيَ جَمِيعُ أَهْلِ الْمَحَلَّةِ - مَهْمَا قَدَرُوا
عَلَى ذَلِكَ - فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ هُوَ الْمَسْجِدُ الْجَامِعُ، وَرَاءَ إِمَامٍ وَاحِدٍ، يَسْمَعُونَ
كَلَامًا وَاحِدًا، وَيَلْقَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا.

فَإِذَا مَا مَرَّ مَرُّ الْعَامِ وَآتَى الْعِيدَانَ، أَخْرَجَ اللهُ الْجَمْعَ إِلَى الْخَلَاءِ؛ لِكَيْ يَرَى
بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَلِكَيْ يَبْدُو عِزُّ الْإِسْلَامِ بِتَكْبِيرٍ فِيهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

ثُمَّ إِذَا مَا مَرَّ مَرُّ الْأَيَّامِ نَفَرَ الْجَمْعُ - مِمَّنْ قَدَّرَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ لَهُ ذَلِكَ -
فَذَهَبُوا إِلَى صَعِيدٍ وَاحِدٍ فِي عَرَفَاتٍ، عَلَى هَيْئَةٍ وَاحِدَةٍ، بِتَلْبِيَةِ وَاحِدَةٍ، وَإِقْبَالٍ
وَاحِدٍ، وَعَطَاءٍ يَخْتَلِفُ عَلَى حَسَبِ نِيَّاتِ الْقُلُوبِ.

إِمَامُكُمْ، فَلَا تَسْبِقُونِي بِالرُّكُوعِ وَلَا بِالسُّجُودِ، وَلَا بِالْقِيَامِ وَلَا بِالْإِنْصِرَافِ...»،
الحديث، والمراد بالانصراف: السلام.

(١) أخرج البخاري في «الصحیح»: ١٨٢/٢ و ١٨٣، رقم (٦٩١)، ومسلم في
«الصحیح»: ٣٢٠/١ و ٣٢١، رقم (٤٢٧)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ
رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَمَا يَخْشَى أَحَدُكُمْ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ قَبْلَ الْإِمَامِ، أَنْ يَجْعَلَ اللهُ رَأْسَهُ
رَأْسَ حِمَارٍ، أَوْ يَجْعَلَ اللهُ صُورَتَهُ صُورَةَ حِمَارٍ»، وفي رواية لمسلم: «...، أَنْ
يَجْعَلَ اللهُ وَجْهَهُ وَجْهَ حِمَارٍ».

مَهْمَا نَظَرْتَ فِي هَذَا الدِّينِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا وَجَدْتَ دَعْوَةَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ
لِلْوَحْدَةِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ؛ لِأَنَّهُمْ كَالْجَسَدِ الْوَاحِدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عَضْوٌ تَدَاعَى لَهُ
سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى^(١).



(١) أخرج البخاري في «الصحیح»: ١٠ / ٤٣٩، رقم (٦٠١١)، ومسلم في «الصحیح»: ٤ / ١٩٩٩، رقم (٢٥٨٦)، من حديث الثَّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عَضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى».

وفي رواية البخاري، بلفظ: «تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادُّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ...» الحديث، وفي رواية لمسلم: «الْمُؤْمِنُونَ كَرَجُلٍ وَاحِدٍ إِنْ اشْتَكَى رَأْسُهُ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالْحُمَّى وَالسَّهَرِ»، وفي رواية له أيضا: «الْمُسْلِمُونَ كَرَجُلٍ وَاحِدٍ، إِنْ اشْتَكَى عَيْنَهُ اشْتَكَى كُلُّهُ، وَإِنْ اشْتَكَى رَأْسَهُ اشْتَكَى كُلُّهُ».

والحديث بنحوه في «الصحیحین» أيضا من حديث: أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، بلفظ: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا»، وسيأتي إن شاء الله.

مَعَالِمُ الْوَحْدَةِ وَالْإِتِّلَافِ فِي رَمَضَانَ

هَذِهِ مُنَاسَبَةٌ مِنَ الْمُنَاسَبَاتِ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ فِيهَا مِنَ الْفَضْلِ مَا هُوَ مَعْلُومٌ
وَمِنَ الْخَيْرِ مَا هُوَ مَشْهُورٌ مَشْهُودٌ؛ هَذَا الشَّهْرُ الَّذِي فَرَضَ عَلَيِ الْمُؤْمِنِينَ
رَبُّهُمْ صِيَامَهُ.

هَذِهِ الْمُنَاسَبَةُ الَّتِي كَرَّمَهَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ؛ لِأَنَّهَا كَانَتْ ظَرْفًا لِنُزُولِ الْقُرْآنِ
الْعَظِيمِ فِيهَا، فَشَرَّفَهَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِهَذِهِ الْفَرِيضَةِ، وَجَعَلَ هَذَا الشَّهْرَ مُبَارَكًا
أَوَّلَهُ وَآخِرَهُ وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ.

وَجَعَلَ اللَّهُ فِيهِ مِنَ الْعِتْقِ مِنَ النَّارِ مَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ الْعُلَى،
وَجَعَلَ اللَّهُ فِيهِ مِنَ الْخَيْرِ مُنْتَزِلًا وَمُتَفَجِّرًا مِنَ الْأَرْضِ مَا لَا يُقَادِرُ قَدْرَهُ، وَلَا يَعْرِفُ
مَدَاهُ إِلَّا الَّذِي أَعْطَاهُ.

هَذَا الشَّهْرُ الَّذِي هُوَ تَوْحِيدٌ ظَاهِرٌ لِلْأُمَّةِ بِمَسِّ جُوعٍ وَعَطَشٍ فِيهَا، وَإِقْبَالٌ
بِالْغَرِيزَةِ الْبَشَرِيَّةِ عَلَى الرَّيِّ، وَالْأَكْلِ بَعْدَ طُولِ السَّغْبِ وَالنَّصَبِ وَالتَّعَبِ.

جَعَلَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ هَذَا الْأَمْرَ بِهَذِهِ الصُّورَةِ ظَاهِرًا مُؤَدِّيًا إِلَى ائْتِلافِهِمْ،
وَالِيِ اجْتِمَاعِ شَمْلِهِمْ، وَإِلَى تَرَاحُمِهِمْ، وَإِزَالَةِ مَا بَيْنَهُمْ مِمَّا عَلَقَ بِقُلُوبِهِمْ مِنْ

شَوَائِبِهِمْ وَأَحْقَادِهِمْ وَأَحْسَادِهِمْ، وَمَا يَتَأْتِي إِلَى الْقُلُوبِ مِنْ أُمُورِ الْغِلِّ وَمَا يَشُوبُهَا مِنْ تِلْكَ الْأَحْوالِ الَّتِي لَا تَسْرُ وَإِنَّمَا تَصْرُ.

جَعَلَ اللهُ هَذَا الشَّهْرَ مَدْعَاةً لِدَلِّكَ، فَهُوَ أَمْرٌ شَرْعِيٌّ لَا أَمْرٌ كَوْنِيٌّ؛ لِإِنَّهُ لَوْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ كَذَلِكَ - ضَرْبَةً لِأَرْبٍ - لَكَانَ، وَلَكِنْ هُوَ أَمْرٌ بِدَلِّكَ، فَمِنْهُمْ الطَّائِعُ وَمِنْهُمْ الْعَاصِي، وَلَا يَهْلِكُ عَلَى اللهِ إِلَّا هَالِكٌ.

جَعَلَ اللهُ الشَّهْرَ بِهَذِهِ الْمَثَابَةِ، وَعَلَى هَذِهِ الدَّرَجَةِ مِنَ الدَّعْوَةِ إِلَى الْوَحْدَةِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، حَتَّى فِي أَصْلِ الْجُوعِ بَعْدَ نَفْيِ الشَّبَعِ، وَبَعْدَ نَفْيِ الرَّيِّ، وَبَعْدَ التَّخْلِيِّ عَنِ مَظَاهِرِ آتَاهَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ مَنْ أَرَادَ مِنْ عِبَادَةٍ؛ تَمَلُّكًا وَقُدْرَةً.

ثُمَّ يَجْعَلُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ذَلِكَ مُرْتَبَطًا بِأَذَانٍ وَاحِدٍ بَدَأَ وَمُنْتَهَى، وَبِقِيَامٍ وَاحِدٍ فِي مَسَاجِدِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا.

جَعَلَ اللهُ الشَّهْرَ بِمَا فِيهِ مِنْ تِلْكَ النِّفَحَاتِ الْقُدْسِيَّةِ الَّتِي تَنْزِلُ عَلَى الْبَرِيَّةِ فِي هَذَا الشَّهْرِ مِمَّنْ أَحْسَنَ اسْتِقْبَالَهَا بِقَلْبٍ تَقِيٍّ وَضَمِيرٍ نَقِيٍّ.

جَعَلَ اللهُ الشَّهْرَ بِهَذِهِ الْمَثَابَةِ وَعَلَى هَذِهِ الدَّرَجَةِ مَدْعَاةً لِلْأُخُوَّةِ فِي أَجْلِ مَجَالِيهَا، وَمَدْعَاةً لِلتَّوْحِيدِ عَلَى أَعْمَقِ صُورِهِ وَأَصْفَاهَا.

جَعَلَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ الشَّهْرَ بِهَذِهِ الْمَثَابَةِ وَعَلَى هَذِهِ الدَّرَجَةِ.

وَالرُّسُولُ ﷺ لَمْ يَأْتِ بِشَرْعٍ يُفَرِّقُ النَّاسَ، وَإِنَّمَا أَتَى الرَّسُولُ ﷺ بِمَا يُوَحِّدُ الْأُمَّةَ، وَيَجْعَلُهَا جَسَدًا وَاحِدًا، نَابِضًا بِقَلْبٍ وَاحِدٍ، مُتَحَرِّكًا بِحَيَاةٍ وَاحِدَةٍ، يَتَأَلَّمُ الْأَلَمَ كُلَّهُ إِذَا مَا أُصِيبَ عَضْوٌ مِنْ أَعْضَائِهِ.

كَذَلِكَ جَاءَ مُحَمَّدٌ ﷺ دَاعِيَةً ائْتِلَافٍ لَا دَاعِيَةً اخْتِلَافٍ؛ لِكَيْ يَمْحُوَ عَنِ الْقُلُوبِ أَوْضَارَهَا وَقَادُورَاتِهَا؛ لِكَيْ تَكُونَ صَالِحَةً، وَمَحَلًّا قَابِلًا لِتَلْقَى أَنْوَارَ عَطَاءَاتِ رَبِّهَا.

جَاءَ الرَّسُولُ ﷺ؛ لِيُخْرِجَ الْإِنْسَانَ مِنْ حَدِّ الْحَيَوَانِيَّةِ إِلَى حَدِّ الْإِنْسَانِيَّةِ الَّتِي أَرَادَهَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ لِلْإِنْسَانِ.

لَمْ يَأْتِ مُحَمَّدٌ ﷺ بِشَرَعٍ فِيهِ دَعْوَةٌ لِلِاخْتِلَافِ، وَإِنَّمَا يَتَأْتَى الْإِخْتِلَافُ لِأَسْبَابٍ وَلِأَسْبَابٍ كَثِيرَةٍ تُحْصَرُ أَوْ لَا تُحْصَرُ، لَيْسَ هَذَا هُوَ الشَّأْنُ هَاهُنَا وَإِنَّمَا يَنْبَغِي عَلَيْنَا أَنْ نَلْتَمِثَ إِلَى مَقَاصِدِ الشَّرِيعَةِ فِي أَجَلِي مَعَانِيهَا، وَأَبْهَى مَجَالِيهَا عَلَى حَسَبِ مَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ. (*)



(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ خُطْبَةٍ: «رَمَضَانَ دَعْوَةٌ إِلَى الْإِئْتِلَافِ» - الْجُمُعَةُ ٢٤ مِنْ شَعْبَانَ

الْحَثُّ عَلَى الْإِتِّلَافِ وَالْإِجْتِمَاعِ

فِيَا أَيُّهَا الْأَحِبَّةُ فِي اللَّهِ! اتَّقُوا اللَّهَ تَعَالَى، وَاحْمَدُوا رَبَّكُمْ عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْكُمْ مِنْ نِعْمَةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَقُومُوا بِمَا أَوْجَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ مِنَ التَّحَابِّ، وَالتَّعَاوُنِ، وَالْإِجْتِمَاعِ عَلَى الْمَصَالِحِ؛ لِتَكُونُوا مِنَ الْفَائِزِينَ.

اجْتَمِعُوا وَلَا تَفَرَّقُوا، وَتَعَاوَنُوا وَلَا تَخَازِلُوا، وَتَأَلَّفُوا وَلَا تَتَأَفَّرُوا، وَكُونُوا فِي جَمِيعِ أَعْمَالِكُمْ مُخْلِصِينَ.

إِنَّ بِالْإِجْتِمَاعِ تَفَقُّ الْكَلِمَةِ، وَتَجَمُّعُ الْأَرَاءِ، وَتَتِمُّ الْمَصَالِحِ، إِنَّ الْمَصَالِحَ الْعَامَّةَ لَا يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ هَدَفًا لِلْأَعْرَاضِ الشَّخْصِيَّةِ، وَالْعُلُوِّ الْفَرْدِيِّ، إِنَّ الْمَصَالِحَ الْعَامَّةَ يَجِبُ أَنْ تَكُونَ فَوْقَ جَمِيعِ الْمُسْتَوِيَّاتِ الَّتِي دُونَهَا.

يَجِبُ أَنْ تَكُونَ مَبْسُوطَةً بِذَاتِهَا وَلِذَاتِهَا، يَجِبُ أَنْ تُدْرَسَ مِنْ جَمِيعِ النَّوَاحِي، وَأَنْ تُسْتَخْلَصَ فِيهَا جَمِيعُ الْأَرَاءِ، ثُمَّ يُنظَرُ فِيهَا يُمْكِنُ مِنَ الطَّرِيقِ الْمُوَصِّلَةِ إِلَيْهَا، فَيَتَّفَقُ عَلَيْهَا وَيَمْشِي عَلَيْهَا.

وَالْإِنْسَانُ مَتَى خَلَصَتْ نِيَّتُهُ، وَصَلِحَ عَمَلُهُ بِالْإِجْتِهَادِ وَالنَّظَرِ فِي الْمَصَالِحِ، وَسُلُوكِ أَقْرَبِ الطَّرِيقِ الْمُوَصِّلَةِ إِلَيْهَا، مَتَى اتَّصَفَ بِهِذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ: الْإِخْلَاصِ وَالْإِجْتِهَادِ فِي الْإِصْلَاحِ؛ صَلَحَتِ الْأَشْيَاءُ وَقَامَتِ الْأُمُورُ.

وَمَتَى نَقَصَ أَحَدُ الْأَمْرَيْنِ إِمَّا الْإِخْلَاصَ وَإِمَّا الْجِتْهَادُ؛ فَإِنَّهُ يُفَوِّتُ مِنَ الْمَصْلَحَةِ بِقَدْرِ ذَلِكَ.

إِنَّ بَعْضَ النَّاسِ إِذَا نَظَرَ إِلَى الْأُمُورِ نَظَرَ إِلَيْهَا نَظْرَةَ اسْتِغْلَالٍ لِمَصْلَحَتِهِ الْخَاصَّةِ، أَوْ نَظَرَ إِلَيْهَا نَظْرَةً قَاصِرَةً مِنْ جَانِبٍ وَاحِدٍ، وَبِذَلِكَ تَخْتَلُّ الْأُمُورُ وَتَفُوتُ الْمَصَالِحُ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ! إِنَّ الْوَاجِبَ عَلَيْنَا كَأَبْنَاءِ أُمَّةٍ وَاحِدَةٍ أَنْ نَسْعَى لِهَدَفٍ وَاحِدٍ هُوَ إِصْلَاحُ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِصْلَاحًا دِينِيًّا وَدُنْيَوِيًّا بِقَدْرِ مَا يُمَكِّنُ، وَلَنْ يُمَكِّنَ ذَلِكَ حَتَّى تَتَّفِقَ كَلِمَتُنَا، وَنَتْرَكَ الْمُنَازَعَاتِ بَيْنَنَا، وَالْمُعَارَضَاتِ الَّتِي لَا تُحَقِّقُ هَدَفًا، بَلْ رُبَّمَا تَفُوتُ مَقْصُودًا، وَتُعَدِّمُ مَوْجُودًا.

إِنَّ الْكَلِمَةَ إِذَا تَفَرَّقَتْ دَخَلَتْ الْأُمُورَ الْأَهْوَاءَ وَالضَّغَائِنُ، وَصَارَ كُلُّ وَاحِدٍ يَسْعَى لِتَنْفِيذِ كَلِمَتِهِ، وَإِنْ تَبَيَّنَ أَنَّ الْحَقَّ وَالْعَدْلَ فِي خِلَافِهَا.

وَلَكِنْ إِذَا اجْتَمَعْنَا مِنْ أَوَّلِ الْأَمْرِ، وَدَرَسْنَا الْمَوْضُوعَ مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهِ، وَاتَّفَقْنَا عَلَى مَا نَرَاهُ مُمَكِّنًا نَافِعًا، مِنْ غَيْرِ أَنْ نَنْظُرَ إِلَى مَصَالِحِنَا الْخَاصَّةِ، حَصَلَ لَنَا بِذَلِكَ خَيْرٌ كَثِيرٌ.

وَتَقُوا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ أَنْكُمْ مَتَى أَخْلَصْتُمْ النِّيَّةَ، وَسَلَكْتُمْ الْحِكْمَةَ فِي الْحُصُولِ عَلَى الْمَطْلُوبِ، فَإِنَّ اللَّهَ سَيُسِّرُ لَكُمْ الْأُمُورَ، وَيُصْلِحُ لَكُمْ الْأَعْمَالَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ! لَقَدْ مَثَلَ النَّبِيُّ ﷺ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ بِالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا^(١)، وَهَذَا هُوَ الْمِثَالُ الصَّحِيحُ لِكُلِّ شَعْبٍ مُؤْمِنٍ، أَنْ يَتَعَاضُوا أَفْرَادُهُ فِي إِقَامَةِ بِنَائِهِ، بِحَيْثُ يَكُونُ الْغَرَضُ تَشْيِيدَ هَذَا الْبِنَاءِ وَتَمَاسِكَهُ وَتَرَاصُّهُ، بِحَيْثُ يَكْمُلُ بَعْضُهُ بَعْضًا، وَيَقْوَمُ بَعْضُهُ بَعْضًا، فَلَا إِيمَانَ كَامِلَ مَعَ التَّفَرُّقِ، وَلَا بِنَاءَ مُحْكَمٍ مَعَ التَّفَكُّكِ.

أَرَأَيْتُمْ لَوْ أُخِذَ مِنَ الْبِنَاءِ لَبِنَةٌ؛ أَلَا يَنْقُصُ هَذَا الْبِنَاءُ؟! فَكَيْفَ إِذَا كَانَتِ اللَّبَنَاتُ مُتَنَازِرَةً مُتَنَافِرَةً، بَلْ كُلُّ وَاحِدَةٍ تَهْدِمُ الْأُخْرَى وَتَنْزِلُ لَهَا؟!!

فَيَا أَيُّهَا النَّاسُ! اجْتَمِعُوا عَلَى الْحَقِّ، وَتَعَاوَنُوا عَلَيْهِ، وَلَا تَبْعُدُوا شَطَطًا، وَلَا تَقُولُوا بَاطِلًا، وَتَنَاصَحُوا فِيمَا بَيْنَكُمْ، وَاتَّقُوا اللَّهَ؛ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ. (*).



(١) أخرج البخاري في «الصحیح»: ٥٦٥/١، رقم (٤٨١)، ومسلم في «الصحیح»: ١٩٩٩/٤، رقم (٢٥٨٥)، من حديث: أَبِي مُوسَى، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا» وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ.

(*): مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةٍ: «التَّحْذِيرُ مِنَ الْفُرْقَةِ وَالْإِخْتِلَافِ وَحُقُوقِ الْمُسْلِمِ عَلَى أَخِيهِ» - الْمُحَاصِرَةُ الْأُولَى - الثَّلَاثَاءُ ٢٥ مِنْ صَفَرِ ١٤٣٩ هـ / ١٤-١١-٢٠١٧ م (كَلِمَةٌ لِإِخْوَانِنَا فِي لِيْبِيَا).

مُرَاعَاةُ الْمَصْلَحَةِ الْعُلْيَا لِلْأُمَّةِ سَبِيلٌ لَوْحَدَتِهَا

إِنَّ مِمَّا كَانَ عَلَيْهِ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَكَذَلِكَ مَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ مِنْ أَهْلِ الْهُدَى وَالتَّقَى وَالْعَفَافِ وَالْغِنَى فِي الْعِلْمِ، مِمَّا كَانُوا عَلَيْهِ: أَنَّهُمْ يُرَاعُونَ الْمَصَالِحَ الْعُلْيَا لِلْأُمَّةِ، يُقَدِّمُونَ مَصْلَحَةَ الْأُمَّةِ عَلَى الْمَصْلَحَةِ الشَّخْصِيَّةِ.

لَا يَعْتَبِرُونَ الْمَصْلَحَةَ الْخَاصَّةَ وَلَا يُبَالُونَ بِهَا، وَيَنْظُرُونَ إِلَى الْمَصَالِحِ الْعُلْيَا لِلْأُمَّةِ، وَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ مَا نَالَ مِنَ الْأُمَّةِ عَدُوٌّ مِثْلَمَا نَالَتِ الْأُمَّةُ مِنْ نَفْسِهَا؛ بِاخْتِلَافِهَا، وَتَدَابُرِ قُلُوبِ أبنَائِهَا!!

وَكَيفَ لَا يَكُونُ ذَلِكَ كَذَلِكَ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدْ بَيَّنَّ لَهُمْ أَنَّ هَذَا هُوَ حَظُّ الشَّيْطَانِ مِنْهُمْ؛ «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ آيسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ»!! رَوَاهُ مُسْلِمٌ^(١).

الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، كَانُوا يُرَاعُونَ مَصْلَحَةَ الْأُمَّةِ الْعُلْيَا، يَحْرِصُونَ عَلَى الْأَرْضِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَالْوَطَنِ الْإِسْلَامِيِّ، يُقَاتِلُونَ دُونَهُ، وَيَجَاهِدُونَ مَنْ أَرَادَ اغْتِصَابَهُ

(١) أخرجه مسلم في «الصحیح»: ٤ / ٢١٦٦، رقم (٢٨١٢)، من حديث: جَابِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَالْإِعْتِدَاءَ عَلَيْهِ، وَلَا يُحْدِثُونَ الْفَوْضَى وَلَا الشَّغَبَ فِيهِ، وَلَا يَكُونُونَ إِلَيَّ ذَلِكَ سَبَبًا وَلَوْ بِكَلِمَةٍ.

فَالنَّبِيُّ ﷺ هُوَ الَّذِي عَلَّمَهُمْ، وَهُوَ الَّذِي رَبَّاهُمْ، وَهَذَا سَبِيلُ سَلَفِكَ الصَّالِحِينَ مِنَ الصَّحَابَةِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ.

فَاتَّقِ اللَّهَ فِي نَفْسِكَ؛ فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَتَّبِعْهُ؛ فَإِنَّمَا تَقَامِرُ بِأَخْرَجَتِكَ، وَلَيْسَ لَكَ بَعْدَهَا مِنْ بَعْدٍ؛ فَاتَّقِ اللَّهَ فِي مُسْتَقْبَلِكَ الْحَقِّ.

إِيَّاكَ وَتَحْزُبَاتِ الْخَلْقِ، وَأَقْبِلْ عَلَى دِينِكَ، وَإِيَّاكَ وَالتَّعَصُّبَ لِلرَّجَالِ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ مُهْلِكٌ أَيْمًا إِهْلَاكٍ.

الَّذِينَ وَاضِحٌ وَمُبِينٌ، وَعَلَيْهِ نُورٌ وَلَا أَلَاءَ، وَفِي السَّنَةِ بَرْدُ الْيَقِينِ وَطُمَأْنِينَةُ الْإِيمَانِ.

اتَّقُوا اللَّهَ.

أَيُّهَا الْأُمَّةُ الْمَرْحُومَةُ؛ تَمَسَّكِي بِكِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِفَهْمِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَرَضَائِهِمْ.

عُودِي -أَيُّهَا الْأُمَّةُ- إِلَى الْأَمْرِ الْعَتِيقِ، إِلَى الْأَمْرِ الْأَوَّلِ، ثُمَّ يَخْرُجُ النَّاسُ بَعْدَ ذَلِكَ مِنَ الْخِلَافِ، تَتَأَلَّفُ الْقُلُوبُ، وَتَتَوَحَّدُ الْوُجُوهُ، وَتَتَازَرُ الْقُوَى، وَتَتَسَانَدُ الْأَبْدَانُ، وَتَتَعَاضِدُ السَّوَاعِدُ؛ بِنَاءً فِي هَذَا الْوَطَنِ.

اتَّقُوا اللَّهَ فِي وَطَنِكُمْ -عِبَادَ اللَّهِ-، وَاتَّقُوا اللَّهَ فِي أَوْطَانِكُمْ -أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ-؛ فَإِنَّهَا مُسْتَهْدَفَةٌ مَرَادَةٌ مَطْلُوبَةٌ.

تَازَرُوا، وَتَعَاوَنُوا، وَنَمُّوا الْمَوْجُودَ؛ حَتَّى تُحْصَلُوا الْمَفْقُودَ، وَلَا تَتَّبِعُوا
السَّرَابَ؛ فَإِنَّهُ هَبَاءٌ يُفْضِي إِلَى يَبَابٍ.

نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَعِصِمَهُ مِنَ الْفِتَنِ ظَاهِرِهَا وَبَاطِنِهَا؛ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ،
وَأَنْ يَعِصِمَ جَمِيعَ أَوْطَانِ الْمُسْلِمِينَ.

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ. (*)



(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «أَيُّهَا الْمَصْرِيُّونَ! لَا عُذْرَ لَكُمْ!!» - ٢٩ مِنْ صَفَرِ ١٤٣٧ هـ -



رَمَّضَانُ

شَهْرُ الْجُودِ وَالْعَطَاءِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا
وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا
إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُونَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل

عمران: ١٠٢].

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا
رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ۖ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾

[النساء: ١].

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ
وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

• أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ،
وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ
ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

• أَمَّا بَعْدُ:

تَرْبِيَةُ النَّبِيِّ ﷺ وَالصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عَلَى الْجُودِ

فَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُرَبِّي أَصْحَابَهُ عَلَى الْبَذْلِ وَالْجُودِ وَالْكَرَمِ، وَيَحْضُهُمْ عَلَى الصَّدَقَةِ، فَعَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: رَغَبَ النَّبِيُّ ﷺ فِي الصَّدَقَةِ يَوْمًا، وَقَدْ صَادَفَ ذَلِكَ مَا لَّا عِنْدِي، فَقُلْتُ: الْيَوْمَ أَسْبِقُ أَبَا بَكْرٍ إِنْ سَبَقْتَهُ يَوْمًا.

قَالَ: فَانْقَلَبْتُ إِلَى أَهْلِي، فَاتَيْتُ بِشَطْرِ مَالِي - يَعْنِي بِنِصْفِهِ - حَتَّى وَضَعْتُهُ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

فَقَالَ: «مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟».

قُلْتُ: مِثْلَهُ.

قَالَ: ثُمَّ جَاءَ أَبُو بَكْرٍ، فَوَضَعَ مَا أَتَى بِهِ بَيْنَ يَدَيْ النَّبِيِّ ﷺ.

فَقَالَ: «مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟».

قَالَ: أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللَّهُ وَرَسُولَهُ.

فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَا جَرَمَ، لَا أَسَابِقُكَ إِلَى شَيْءٍ بَعْدَهَا أَبَدًا^(١).

(١) أخرجه أبو داود في «السنن»: ٢ / ١٢٩، رقم (١٦٧٨)، والترمذي في «الجامع»: ٥ /

٦١٤، رقم (٣٦٧٥) وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ».

فَأَذَعَنَ لَهُ بِالسَّبْقِ، وَصَدَّقَ فِعْلُ أَبِي بَكْرٍ مَا كَانَ فِي نَفْسِ عُمَرَ رضي الله عنه: الْيَوْمَ
أَسْبِقُهُ إِنْ كُنْتُ سَابِقَهُ يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ، وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ يَسْبِقُهُ.

وَهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَكْنِزُونَ شَيْئًا مِنَ الْمَالِ، وَلَا يَحْرِصُونَ عَلَيْهِ؛ بَلْ كَانُوا أَجْوَدَ
الْخَلْقِ بَعْدَ النَّبِيِّ صلوات الله وسلاماته عليه بَعْطِيَّةً، وَهَيْبَةً، وَصِلَةً، وَبِرًّا (١).

وَالرَّسُولُ صلوات الله وسلاماته عليه يُعَلِّمُهُمْ، وَيَدْعُوهُمْ إِلَى ذَلِكَ، وَيُرَبِّبُهُمْ عَلَيْهِ، حَتَّى إِنَّهُ صلوات الله وسلاماته عليه
كَانَ جُودُهُ لَا يُبْقِي لَدَيْهِ شَيْئًا مِمَّا يُمَكِّنُ أَنْ يُقَيَّتَ ذَا كَبِدٍ رَطْبَةٍ (٢).

والحديث حسن إسناده الألباني في «صحيح أبي داود»: ٥ / ٣٦٥ و ٣٦٦، رقم
(١٤٧٣).

(١) أخرج مسلم في «الصحيح»: ٢ / ٧٠٤ و ٧٠٥، رقم (١٠١٧)، من حديث: جَرِيرٍ، قَالَ:
كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله وسلاماته عليه فِي صَدْرِ النَّهَارِ، فَجَاءَهُ قَوْمٌ حُفَاءُ عُرَاةٌ مُجْتَابِي النَّمَارِ أَوْ
الْعَبَاءِ، مُتَقَلِّدِي السُّيُوفِ، عَامَّتُهُمْ مِنْ مُضَرَ، بَلَّ كُلُّهُمْ مِنْ مُضَرَ فَتَمَعَّرَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ
صلوات الله وسلاماته عليه لِمَا رَأَى بِهِمْ مِنَ الْفَاقَةِ، فَدَخَلَ ثُمَّ خَرَجَ، فَأَمَرَ بِالْأَذْنِ وَأَقَامَ، فَصَلَّى ثُمَّ خَطَبَ
فَقَالَ: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴿١﴾ [النساء: ١] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، وَالْآيَةِ
الَّتِي فِي الْحَشْرِ: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مِمَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴿١﴾
[الحشر: ١٨]، «تَصَدَّقَ رَجُلٌ مِنْ دِينَارِهِ، مِنْ دِرْهَمِهِ، مِنْ ثَوْبِهِ، مِنْ صَاعِ بُرِّهِ، مِنْ صَاعِ
تَمْرِهِ - حَتَّى قَالَ - وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ»، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ بِبُصْرَةٍ كَادَتْ كَفَّهُ تَعَجَّزَ
عَنْهَا، بَلْ قَدْ عَجَزَتْ، ثُمَّ تَتَابَعَ النَّاسُ، حَتَّى رَأَيْتُ كَوْمَيْنِ مِنْ طَعَامِ وَثِيَابٍ، حَتَّى
رَأَيْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله وسلاماته عليه يَتَهَلَّلُ، كَأَنَّهُ مُذْهَبَةٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله وسلاماته عليه: «مَنْ سَنَّ فِي
الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ
أُجُورِهِمْ شَيْءٌ...»، الحديث.

(٢) أخرج الترمذي في «الجامع»: ٤ / ٦٤٤، رقم (٢٤٧٠)، من حديث: عَائِشَةَ، أَنَّهُمْ ذَبَحُوا شَاةً،
فَقَالَ النَّبِيُّ صلوات الله وسلاماته عليه: «مَا بَقِيَ مِنْهَا؟» قَالَتْ: مَا بَقِيَ مِنْهَا إِلَّا كَيْفَهَا، قَالَ: «بَقِيَ كُلُّهَا غَيْرَ كَيْفِهَا».

عَبَدَ اللَّهِ! لَا تَبْغِ عَلَيَّ الْإِطْعَامَ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا، وَإِنَّمَا تَقَعُ صِدْقَتِكَ فِي يَدِ اللَّهِ، فَيُرِيهَا لَكَ، كَمَا يُرِيِّي أَحَدَكُمْ فَلَوْهُ، يَعْنِي مُهْرَهُ.

فَمَا يَزَالُ يَرُبُّ وَيَرُبُّ حَتَّى تَكُونَ التَّمْرَةُ جَبَلًا مِنْ تَمْرِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ أَنِّي هَذَا، وَمَا امْتَلَكْتُ عَشْرَ مِعْشَارِهِ فِي الدُّنْيَا أَبَدًا!!

يَقُولُ: «صِدْقَتِكَ فِي يَوْمِ كَذَا، مَا زِلْتُ أُرِيهَا لَكَ» يَعْنِي: أَزِيدُهَا لَكَ بَرَكَتًا، وَعَطَاءً، وَبِرًّا، حَتَّى صَارَتْ إِلَيَّ مَا تَرَى^(١).

وَقَدْ كَانَ الرَّسُولُ ﷺ يُخْبِرُ النَّاسَ مِنْ أَصْحَابٍ وَمَنْ يَلِي، يُخْبِرُهُمْ أَنَّهُ مَا مِنْ يَوْمٍ جَدِيدٍ إِلَّا وَاللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَجْعَلُ مَلَكَيْنِ هُنَالِكَ قَائِمَيْنِ، يَقُولُ أَحَدُهُمَا: «اللَّهُمَّ اعْطِ مُنْفِقًا خَلْفًا، وَيَقُولُ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ اعْطِ مُمْسِكًا تَلْفًا»^(٢).



والحديث صححه الألباني في «الصحيحة»: ٩٧/٦، رقم (٢٥٤٤).

(١) أخرج البخاري في «الصحيح»: ٣/ ٢٨١، رقم (١٤١٠)، ومسلم في «الصحيح»: ٢/

٧٠٢، رقم (١٠١٤)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، وَإِنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرِيهَا لِصَاحِبِهِ، كَمَا يُرِيِّي أَحَدَكُمْ فَلَوْهُ، حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ».

وفي رواية لمسلم: «مَا تَصَدَّقَ أَحَدٌ بِصَدَقَةٍ مِنْ طَيِّبٍ، وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، إِلَّا أَخَذَهَا الرَّحْمَنُ بِيَمِينِهِ، وَإِنْ كَانَتْ تَمْرَةً، فَتَرُبُّ فِي كَفِّ الرَّحْمَنِ حَتَّى تَكُونَ أَعْظَمَ مِنَ الْجَبَلِ، كَمَا يُرِيِّي أَحَدَكُمْ فَلَوْهُ أَوْ فَصِيلَهُ».

(٢) أخرجه البخاري في «الصحيح»: ٣/ ٣٠٤، رقم (١٤٤٢)، ومسلم في «الصحيح»: ٢/

٧٠٠، رقم (١٠١٠)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكَرَمَ وَأَهْلَهُ

لَقَدْ أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ - فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ الَّذِي رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ فِي «جَامِعِهِ»، وَحَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ -: «إِنَّ اللَّهَ كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكُرَمَاءَ، جَوَادٌ يُحِبُّ الْجَوَدَةَ، يُحِبُّ مَعَالِيَ الْأُمُورِ، وَيَكْرَهُ سُفْسَافَهَا» (١).

فَاللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى هُوَ الْكَرِيمُ وَهُوَ الْجَوَادُ، وَيُحِبُّ الْكَرَمَ وَأَهْلَهُ، وَيُحِبُّ الْجُودَ وَأَهْلَهُ، وَيُحِبُّ مَعَالِيَ الْأُمُورِ، وَلَا شَكَّ أَنَّ الْكَرَمَ وَالْجُودَ مِنْ مَعَالِيَ الْأُمُورِ.

(١) أخرج الترمذي في «الجامع»: ١١١/٥، رقم (٢٧٩٩م)، وابن أبي الدنيا في «مكارم الأخلاق» ضمن موسوعة ابن أبي الدنيا الحديثية: ٦/٧٠ و٧١، رقم (٨)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق»: ١٤/٢٨٨ و٢٨٩، ترجمة (١٥٨٥) واللفظ له، من حديث: سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ رضي الله عنه.

وفي رواية: «إِنَّ اللَّهَ كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكَرَمَ، جَوَادٌ يُحِبُّ الْجُودَ...»، وفي أخرى: «إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ يُحِبُّ الطَّيِّبَ، نَظِيفٌ يُحِبُّ النَّظَافَةَ، كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكَرَمَ، جَوَادٌ يُحِبُّ الْجُودَ، فَتَنظَّفُوا أَفْنِيَتَكُمْ وَلَا تَشَبَّهُوا بِالْيَهُودِ».

قال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ»، والحديث حسنه الألباني في هامش «المشكاة»: ٢/١٢٧١ و١٢٧٢، رقم (٤٤٨٧)، وروي أيضا عن سهل بن سعد وجابر والحسن بن علي رضي الله عنهم، وَعَنْ طَلْحَةَ بْنِ كَرِيمِ الْخَزَاعِيِّ مرسلا، بنحوه.

وَيَكْرَهُ اللَّهُ - جَلَّتْ قُدْرَتُهُ - السَّفَاسِيفَ، وَالْأُمُورَ الْمُسْتَضْعَرَةَ، وَالْأَحْوَالَ
 الْمُسْتَرْدَلَةَ، يَكْرَهُ اللَّهُ سَفْسَافَ الْأَخْلَاقِ، وَمُنْحَطَّهَا، وَيُحِبُّ اللَّهُ - جَلَّتْ قُدْرَتُهُ -
 مَعَالِيَ الْأُمُورِ.



الْجُودُ وَالْإِيثَارُ فِي رَمَضَانَ

إِنَّ الرَّسُولَ ﷺ كَانَ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ^(١)؛
فَهَذَا مَحَلٌّ لِلتَّرْبِيَةِ الْعَمَلِيَّةِ عَلَى الْجُودِ، وَالْبَذْلِ، وَالْعَطَاءِ.

وَالنَّبِيُّ ﷺ يُمَارِسُ ذَلِكَ فِي وَاقِعِ الْحَيَاةِ، وَفِي ظَاهِرِ الْأَمْرِ؛ لِيَقْتَدِيَ بِهِ
مَنْ هُنَالِكَ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَمَنْ يَأْتِي بَعْدُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، حَتَّى يَرِثَ اللَّهُ الْأَرْضَ
وَمَنْ عَلَيْهَا.

«وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ» يَعْنِي: يَبْلُغُ الْجُودَ مِنْهُ غَايَةَ الْوُسْعِ بِحَيْثُ
لَا جُودَ فَوْقَ جُودِهِ يَكُونُ لِمَخْلُوقٍ أَبَدًا ﷺ.

اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ يَبِينُ لَنَا عَلَى لِسَانِ نَبِيِّنا ﷺ طَرِيقَةَ عَمَلِيَّةِ الْخُرُوجِ مِنْ قَيْدِ
النَّفْسِ، وَمِنْ أَسْرِ شَحْهَها؛ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَتَدَرَّبَ الْإِنْسَانُ عَلَى الْعَطَاءِ، وَيَجْعَلُهَا

(١) أخرج البخاري في «الصحیح»: ١ / ٣٠، رقم (٦)، ومسلم في «الصحیح»: ٤ / ١٨٠٣،
رقم (٢٣٠٨)، حديث: ابن عَبَّاسٍ، قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدَ
مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ
الْقُرْآنَ، فَلَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ».

النَّبِيُّ ﷺ حَالَةً مِنْ حَالَاتِ الْبَدَلِ الَّذِي لَا يَتَنَاهَى؛ حَتَّى إِنَّهُ لَيَقُولُ: «وَابْتِسَامُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ صَدَقَةٌ»^(١).

وَمَا هِيَ بِشَيْءٍ فِي حَقِيقَةِ الْأَمْرِ، وَلَكِنَّهَا عُنْوَانٌ عَلَى بَاطِنٍ مُبْسِطٍ لِيَخْلِقَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ.

وَأَمَّا كَذَاذَةُ الطَّبَعِ، وَأَمَّا الْغُلْظَةُ وَالْجَفَاءُ وَالْفَظَاطَةُ؛ فَلَا يُمَكِّنُ أَنْ تَبْضَ شَيْئًا مِنْ ابْتِسَامٍ، وَلَا شَيْئًا مِنْ فَرَحٍ يَلْقَى بِهِ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنًا، وَيُلَاقِي بِهِ مُسْلِمٌ مُسْلِمًا.

فَالنَّبِيُّ ﷺ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ كَمَا وَصَفَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما حَالَهُ: «أَجُودٌ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ»^(٢).

وَكَانَ هُوَ فِي حَالَتِهِ فِي غَيْرِ شَهْرِ رَمَضَانَ أَكْرَمَ النَّاسِ، وَأَجُودَ النَّاسِ رضي الله عنه؛ فَنَفِي «الصَّحِيحِ»^(٣): أَنْ امْرَأَةً جَاءَتْ إِلَى النَّبِيِّ رضي الله عنه بِبُرْدَةٍ فَأَهْدَتْهَا إِلَيْهِ.

تَدْرُونَ مَا الْبُرْدَةُ؟

(١) أخرجه الترمذي في «الجامع»: ٣٣٩/٤، رقم (١٩٥٦)، من حديث: أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ...» الحديث.

والحديث حسنه الألباني في «الصحيحة»: ١١٦/٢، رقم (٥٧٢)، وفي «صحيح الترغيب والترهيب»: ٥٨١/٢، رقم (٢٣٢١)، وأصله في «صحيح مسلم»: ٤٩٨/١، رقم (٧٢٠)، بلفظ: «يُصْبِحُ عَلَى كُلِّ سُلَامَى مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ، فَكُلُّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ...»، الحديث.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) «صحيح البخاري»: ١٤٣/٣، رقم (١٢٧٧)، من حديث: سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه.

قَالُوا: الشَّمْلَةُ^(١).

قَالَ: شَمْلَةٌ مُطْرَزَةٌ بِحَاشِيَتِهَا، مَنْسُوجَةٌ بِحَاشِيَتِهَا^(٢).

فَأَخَذَهَا النَّبِيُّ ﷺ مُحْتَاجًا إِلَيْهَا فَلَبَسَهَا.

فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اكْسُنِيهَا.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «هِيَ لَكَ». وَأَعْطَاهُ إِيَّاهَا.

ثُمَّ دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ بَيْتَهُ، فَأَقْبَلَ أَصْحَابَهُ -أَيَّ أَصْحَابِ الرَّجُلِ، أَقْبَلُوا عَلَيْهِ لِأَيِّمِينَ، وَقَالُوا: تَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يَرُدُّ السَّائِلَ، وَأَنَّهُ لَمْ يَقُلْ لَشَيْءٍ: لَا، قَطُّ، وَأَنَّكَ مَتَى سَأَلْتَهُ أَنْ يُعْطِيَكَهَا أَعْطَاكَهَا مِنْ غَيْرِ مَا تَسْوِيفٍ وَلَا مَنْظَرَةٍ - يَعْنِي مِنْ غَيْرِ مَا انْتِظَارٍ وَلَا تَرِيثٍ -، وَأَخَذُوا يَلُومُونَهُ يَقُولُونَ: إِنَّهُ إِنَّمَا أَخَذَهَا وَهُوَ مُحْتَاجٌ إِلَيْهَا ﷺ.

فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: وَاللَّهِ مَا أَخَذْتُهَا إِلَّا رَجَاءَ بَرَكَتِهَا؛ إِذْ جَعَلَهَا عَلَيَّ جِلْدِهِ، إِذْ جَعَلَهَا عَلَيَّ جَسَدِهِ، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ كَفَنِي.

فَكَانَتْ!!

(١) الشَّمْلَةُ: كِسَاءٌ يُتَغَطَّى بِهِ وَيُتَلَفَّفُ فِيهِ، انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير: ٥٠١ / ٢، مادة (شَمَل).

(٢) حَاشِيَةٌ كُلُّ شَيْءٍ جَانِبُهُ وَطَرَفُهُ، والمراد: أَنَّهَا جَدِيدَةٌ لَمْ يُقْطَعْ طَرَفُهَا وَلَمْ تُلْبَسْ بَعْدُ، انظر: «فتح الباري» لابن حجر: ١٤٣ / ٣.

فَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ فِي حَالَاتِهِ جَمِيعَهَا أَجُودَ الْخَلْقِ، لَا يَرُدُّ سَائِلًا، وَيُعْطِي عَطَاءً مَنْ لَا يَخْشَى الْفَقْرَ، كَمَا فِي «الصَّحِيحِ»^(١): أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ غَنَمًا فِي شِعْبِ بَيْنَ جَبَلَيْنِ^(٢).

فَأَعْطَاهُ الرَّسُولُ ﷺ إِيَّاهَا جَمِيعَهَا.

فَعَادَ الرَّجُلُ إِلَى قَوْمِهِ يَقُولُ: إِنَّ مُحَمَّدًا يُعْطِي عَطَاءً لَا يَخْشَى الْفَقْرَ.

يُعْطِي النَّبِيُّ ﷺ عَطَاءً بِلَا حُدُودٍ، وَهُوَ يُعْطِي عَطَاءً مَنْ لَا يَخْشَى الْفَقْرَ.

وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَأَلَّفُ بِالْعَطَاءِ، وَبِالْبَدْلِ قُلُوبَ أَقْوَامٍ لَا تُقَادُ إِلَّا بِزِمَامِ الْعَطَاءِ، وَلَا تُنْقَادُ إِلَّا لَهُ.

كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَجُودَ النَّاسِ، وَأَكْرَمَ النَّاسِ، وَأَحْسَنَ النَّاسِ، وَأَجْمَلَ النَّاسِ.

(١) «صحيح مسلم»: ٤/١٨٠٦، رقم (٢٣١٢)، من حديث: أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: «مَا سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْإِسْلَامِ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ»، فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَأَعْطَاهُ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ، فَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ، فَقَالَ: يَا قَوْمِ أَسْلِمُوا، فَإِنَّ مُحَمَّدًا يُعْطِي عَطَاءً لَا يَخْشَى الْفَقْرَ».

وفي رواية: أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ،... فَقَالَ أَنَسٌ: «إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيْسَ بِمَا يَرِيدُ إِلَّا الدُّنْيَا، فَمَا يُسَلِّمُ حَتَّى يَكُونَ الْإِسْلَامُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا».

(٢) أي: كَثِيرَةً كَانَتْهَا تَمَلُّ مَا بَيْنَ جَبَلَيْنِ، انظر: شرح النووي على «صحيح مسلم»:

عِبَادَ اللَّهِ! يَقُولُ رَبُّنَا - جَلَّتْ قُدْرَتُهُ -: «يَا ابْنَ آدَمَ! أَنْفِقْ أَنْفِقْ عَلَيْكَ»، يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «يَمِينُهُ مَلَأَتْ، سَحَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، لَا تَغِيضُهَا نَفَقَةٌ»^(١).

نَعَمْ! لَوْ أَنَّكَ نَظَرْتَ مَا أَنْفَقَ، وَكَمْ أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ الْخَلْقَ؛ لَعَلِمْتَ أَنَّ ذَلِكَ مُسْتَعْظَمٌ عِنْدَ الْخَلْقِ، وَأَمَّا عِنْدَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى؛ فَشَيْءٌ هَيِّنٌ يَسِيرٌ.*



(١) أخرجه البخاري في «الصحیح»: ٣٥٢ / ٨، رقم (٤٦٨٤)، ومسلم في «الصحیح»: ٦٩١ / ٢ و ٦٩٠، رقم (٩٩٣)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ، قال: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: قَالَ اللَّهُ ﷻ: «أَنْفِقْ أَنْفِقْ عَلَيْكَ»، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَدُ اللَّهِ مَلَأَتْ لَا تَغِيضُهَا نَفَقَةٌ سَحَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَغْضُ مَا فِي يَدِهِ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، وَبِيَدِهِ الْمِيزَانُ يَخْفِضُ وَيَرْفَعُ». وفي رواية لهما: «يَمِينُ اللَّهِ مَلَأَتْ...».

(* مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «رَمَضَانُ دَعْوَةٌ لِلجُودِ وَالكَرَمِ» - الْجُمُعَةَ ٤ رَمَضَانَ ١٤٢٦ هـ -

الْحَثُّ عَلَى أَلْوَانٍ مِنَ الصَّدَقَاتِ فِي رَمَضَانَ

إِنَّ الْأَعْمَالَ الَّتِي تُعْمَلُ فِي رَمَضَانَ مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ الرَّحِيمِ الرَّحْمَنِ كَثِيرَةٌ؛ مِنْهَا: الصَّدَقَةُ:

* فَالصَّدَقَةُ مِنْ أَعْمَالِ هَذَا الشَّهْرِ، وَمِمَّا يَتَأَكَّدُ فِيهِ: الصَّدَقَةُ وَالْجُودُ بِالْمَوْجُودِ؛ فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه وآله أَجْوَدَ النَّاسِ بِالْخَيْرِ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ» (١).

لَقَدْ رَغِبَ النَّبِيُّ صلوات الله عليه وآله فِي تَفْطِيرِ الصَّائِمِ، وَإِطْعَامِ الطَّعَامِ، وَسَقْيِ الْمَاءِ (*):
النَّبِيُّ صلوات الله عليه وآله يُخْبِرُنَا النَّبِيُّ أَنَّ مَنْ فَطَرَ فِيهِ - أَي فِي رَمَضَانَ - صَائِمًا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ؛ وَلَوْ بِمَذْقَةٍ مِنْ مَاءٍ أَوْ لَبَنٍ، وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، يَجْعَلُ اللَّهُ - جَلَّتْ قُدْرَتُهُ - الثَّوَابَ وَافِرًا، وَيَجْعَلُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ الْعَطَاءَ وَاصِلًا؛ وَلَوْ عَلَى جَرَعَةٍ مَاءٍ.
فَمَا أْبْلَغَهُ مِنْ عَطَاءٍ لَا يُقَابَلُ إِلَّا جَرَعَةٌ مِنْ مَاءٍ، هِيَ مُبْدُولَةٌ فِي كُلِّ حِينٍ لِطَالِبِهَا بِفَضْلِ رَبِّهَا وَقُدْرَتِهِ!! (* / ٢).

(١) تقدم تخريجه.

(* مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «رَمَضَانَ كَيْفَ نَحْيَاهُ؟»: الْجُمُعَةُ ١٥ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م / ١ / ٣.

(* / ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «رَمَضَانَ دَعْوَةٌ لِلْجُودِ وَالْكَرَمِ.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ فَطَرَ صَائِمًا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ الصَّائِمِ شَيْءٌ»^(١)، رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: «حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ».

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»^(٢): عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: أَيُّ الْإِسْلَامِ خَيْرٌ؟

قَالَ: «تَطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ، وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ».

وَعَنْ عُمَرَ رضي الله عنه قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟

قَالَ: «إِدْخَالُكَ السُّرُورَ عَلَى مُؤْمِنٍ، أَشْبَعْتَهُ مِنْ جُوعٍ، كَسَوْتَهُ مِنْ عُرْيٍ، قَضَيْتَ لَهُ حَاجَةً، أَعْنَتَهُ، فَرَجَّتْ لَهُ كَرْبًا بِإِذْنِ رَبِّهِ»^(٣).

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فِي كُلِّ ذَاتِ كَبِدٍ رَطْبَةٌ أَجْرٌ»^(١). وَالْحَدِيثُ فِي «الصَّحِيحَيْنِ».

(١) أخرجه الترمذي في «الجامع»: ٣ / ١٦٢، رقم (٨٠٧)، وابن ماجه في «السنن»: ١ / ٥٥٥، رقم (١٧٤٦)، من حديث: زَيْدِ بْنِ خَالِدِ الْجُهَنِيِّ رضي الله عنه. قال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»، والحديث صححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»: ١ / ٦٢٣، رقم (١٠٧٨).

(٢) «صحيح البخاري»: ١ / ٥٥، رقم (١٢)، و«صحيح مسلم»: ١ / ٦٥، رقم (٣٩). (٣) أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط»: ٥ / ٢٠٢، رقم (٥٠٨١)، وفي «المعجم الصغير»: ٢ / ١٠٦، رقم (٨٦١).

والحديث حسنه لغيره الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»: ١ / ٥٦٤ رقم (٩٥٤) و ٢ / ٤٨٠ و ٧٠٨ رقم (٢٠٩٠ و ٢٦٢١)، وروي نحوه عن ابن عمر وجابر وابن عباس رضي الله عنهم، وعن أبي شريح مرسلا.

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح»: ٥ / ١١٣، رقم (٢٤٦٦)، ومسلم في «الصحيح»: ٤ / ١٧٦١، رقم (٢٢٤٤)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، بلفظ: «فِي كُلِّ ذَاتِ كَبِدٍ رَطْبَةٌ أَجْرٌ».

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَيْسَ صَدَقَةٌ أَعْظَمَ أَجْرًا مِنْ مَاءٍ»^(١). رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ،
وَحَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ.

يَخْفِرُ بَرًّا، يَجْعَلُ لِلنَّاسِ صُنْبُورًا فِي سَبِيلِ، يَبْذُلُ الْمَاءَ لِابْنِ السَّبِيلِ
وَالْعَطْشَانَ.

سَقَى الْمَاءِ؛ حَتَّى وَلَوْ لِلْكِلابِ؛ حَتَّى وَلَوْ كَانَ لِلْكَلبِ الضَّالِّ؛ فِيهِ أَجْرٌ عِنْدَ
الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِ.

وَتَلَوُّثُ الْمِيَاهِ شَائِعٌ ذَائِعٌ لَا يَخْفَى، وَتَدَبُّ بِسَبَبِهِ أَمْرَاضٌ تَفْتِكُ
بِالْأَجْسَادِ وَتَفْرِيهَا فَرِيًّا، فَمَنْ شَارَكَ أَوْ صَنَعَ لَهُمْ صَنِيعًا؛ لِيَكُونَ مَأْوُهُ بَعِيدًا
عَنْ هَذَا التَّلَوُّثِ؛ فَهُوَ دَاخِلٌ فِي الْحَدِيثِ، وَقَدْ أَتَى بِأَعْظَمِ مَا يُمَكِّنُ أَنْ
يَتَقَرَّبَ بِهِ عَبْدٌ إِلَى اللَّهِ. (*)

عِبَادَ اللَّهِ! مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَّقِيَ النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ فَلْيَفْعَلْ؛ لِأَنَّهُ إِذَا قَامَ
النَّاسُ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ أَيَمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ، وَيَنْظُرُ

(١) أخرجه ابن عدي في «الكامل»: ٩ / ١١٥، ترجمة (٢١٤٧)، والبيهقي في «شعب
الإيمان»: ٥ / ٦٧ و ٦٨، رقم (٣١٠٦)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.
والحديث حسنه لغيره الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»: ١ / ٥٦٦، رقم
(٩٦٠).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «رَمَضَانَ كَيْفَ نَحْيَاهُ؟»: الْجُمُعَةُ ١٥ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٣هـ /
٢٠١٢م / ٨ / ٣.

أَشَامَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ، وَيَنْظُرُ تَلْقَاءَ وَجْهِهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ؛ فَمَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَتَّقِيَ النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ فَلْيَفْعَلْ (١).

يَا لَهُ مِنْ دِينٍ لَوْ كَانَ لَهُ رِجَالٌ! يَا لَهُ مِنْ دِينٍ لَوْ كَانَ لَهُ رِجَالٌ!! (٢).

اللَّهُمَّ أَصْلِحْ أَحْوَالَنَا، وَارْزُقْنَا الْجُودَ وَالْكَرَمَ؛ وَأَنْتَ الْجَوَادُ الْكَرِيمُ.

وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ. (*)



(١) أخرج البخاري في «الصحیح»: ١٣ / ٤٧٤، رقم (٧٥١٢)، ومسلم في «الصحیح»: ٢ /


٧٠٣ و ٧٠٤، رقم (١٠١٦)، من حديث: عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا سَيَكَلِمُهُ رَبُّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيَمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ مِنْ عَمَلِهِ، وَيَنْظُرُ أَشَامَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ تَلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ».

وفي رواية لمسلم: ٧٠٣ / ٢: «مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَتِرَ مِنَ النَّارِ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَلْيَفْعَلْ»، وللبخاري: ١٠ / ٤٤٨، رقم (٦٠٢٣): «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ».

(٢) أخرج الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم»: ٣ / ٢١١، رقم (٨٥٢)، والذهبي في

«سير أعلام النبلاء»: ٧ / ٣٩٤، ترجمة (١٤٢)، بإسناد صحيح، عن إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَدَهَمَ، قَالَ: «أَيُّ دِينٍ أَيْ دِينٍ، لَوْ كَانَ لَهُ رِجَالٌ؟!».

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «رَمَضَانَ دَعْوَةٌ لِلْجُودِ وَالْكَرَمِ» - الْجُمُعَةَ ٤ رَمَضَانَ ١٤٢٦ هـ -



رَمَضَانَ شَهْرَ الْبِرِّ وَالصَّلَةِ
وَالْتَعَرُّضِ لِرَحْمَاتِ اللَّهِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا
وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا
إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل

عمران: ١٠٢].

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا
رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ۖ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾

[النساء: ١].

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ
وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

• أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ،
وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ
ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

• أَمَّا بَعْدُ:

رَمَضَانُ شَهْرُ الْعِبَادَاتِ وَالْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ

«فَرَمَضَانُ شَهْرٌ مُبَارَكٌ اجْتَمَعَتْ فِيهِ أَنْوَاعُ الْعِبَادَاتِ وَالطَّاعَاتِ الَّتِي لَا تَكَادُ تَجْتَمِعُ جَمِيعًا فِي غَيْرِهِ مِنَ الْأَوْقَاتِ؛ صِيَامٌ، وَقِيَامٌ، وَاعْتِكَافٌ، وَزَكَاةٌ وَصَدَقَةٌ فِطْرٌ، وَتِلَاوَةُ قُرْآنٍ، وَعُمْرَةٌ فِي رَمَضَانَ تَعْدِلُ حَجَّةً»^(١)، كَمَا فِي «صَحِيحِي الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ»^(٢). (*)

«وَالصَّوْمُ يَهْدُفُ فِي أُسُسِهِ السَّلِيمَةِ الصَّحِيحَةِ، وَفِي قَوَاعِدِهِ الصَّافِيَةِ الْمَتِينَةِ، إِلَى حِرْمَانِ النَّفْسِ مِنَ الْمَادَّةِ حِرْمَانًا تَجْرِييًّا عَمَلِيًّا؛ يَسْتَطِيعُ فِيهِ الْغَنِيُّ أَنْ يَعِيشَ

(١) «أنوار البيان في أحكام الصيام» لحمد بن إبراهيم العثمان: (ص ٥).

(٢) أخرج البخاري في «الصحيح»: (٤ / ٧٢ - ٧٣، رقم ١٨٦٣)، ومسلم في «الصحيح»:

(٢ / ٩١٧، رقم ١٢٥٦)، من حديث: ابن عباس رضي الله عنهما، قَالَ:

لَمَّا رَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ حَجَّتِهِ قَالَ لِأُمِّ سِنَانِ الْأَنْصَارِيَّةِ: «مَا مَنَعَكَ مِنَ الْحَجِّ؟»، قَالَتْ: أَبُو فَلَانٍ، تَعْنِي زَوْجَهَا، كَانَ لَهُ نَاصِحَانِ حَجَّ عَلَيَّ أَحَدِهِمَا، وَالْآخَرُ يَسْتَقِي أَرْضًا لَنَا، قَالَ: «فَإِنْ عُمْرَةٌ فِي رَمَضَانَ تَقْضِي حَجَّةً أَوْ حَجَّةً مَعِي».

وفي رواية لمسلم: «فَإِذَا جَاءَ رَمَضَانُ فَاعْتَمِرِي، فَإِنَّ عُمْرَةً فِيهِ تَعْدِلُ حَجَّةً».

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ: «فِقْهُ الصِّيَامِ» «الْمُحَاضِرَةُ الثَّانِيَّةُ: مِنْ خِصَائِصِ وَفَضَائِلِ

رَمَضَانَ - ١»، الثَّلَاثَاءُ ٢٢ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٣٩ هـ | ٨-٥-٢٠١٨ م.

مَعَ الْفَقِيرِ فَتَرَاتٍ مُتَوَالِيَةً مِنَ الزَّمَنِ، فَيَعْرِفُ لَا بِاللَّفْظِ وَالْوَصْفِ وَإِنَّمَا بِالْعَمَلِ
وَالْمُجَاهِدَةِ وَالرِّيَاضَةِ أَلَمَ الْحِرْمَانِ وَمَا يَعِيشُ فِيهِ الْفَقِيرُ وَالْمُسْكِينُ وَالْمَحْرُومُ.

وَالصِّيَامُ فِي رَمَضانَ عَلَى هَذِهِ الصُّورَةِ يُحِبُّ إِلَى النَّفْسِ طَرِيقَ الْإِحْسَانِ؛
كَلَّمَا تَقَدَّمَ بِهِ الزَّمَانُ وَأَتَّخَذَتِ الْمُجَالِدَةُ وَالتَّرْوِيسُ وَالْمِرَانُ الْعَمَلِيُّ سَبِيلًا فِي
نَفْسِ الْإِنْسَانِ، وَلَمَسَ لِمَسًا صَحِيحًا صَائِبًا عَلَى مَرِّ الْأَيَّامِ حَتَّى يَجِدَ مَا فَقَدَهُ مِنْ
لَذَّةٍ وَمَا نَقَصَ مِنْ اسْتِمْتَاعٍ تَعَلُّو بِهِ نَفْسَهُ، فَيُقْبَلُ عَلَى مُشَارَكَةِ الْمَحْرُومِينَ فِي
طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ.

وَالنَّفْسُ -وَصِيَامُهَا- الَّتِي تَعَوَّدَتِ الْبِرَّ وَالْإِحْسَانَ عَلَى هَذِهِ الصُّورَةِ
الْعَمَلِيَّةِ التَّدْرِيبِيَّةِ لَمْ يَتْرُكْهَا الدِّينُ حُرَّةً فِي أَدَاءِ وَتَصْرِيفِ طَاقَةِ الْإِحْسَانِ،
فَقَدْ فَرَضَ عَلَيْهَا فَرَضًا لَازِمًا وَاجِبَ الْأَدَاءِ؛ أَنْ تُخْرِجَ مِنْ مَالِهَا مَقْدَارًا
مُعِينًا لِلْمَسَاكِينِ وَالْمَحْرُومِينَ وَالْفُقَرَاءِ؛ كَيْلًا يَكُونُ التَّدْرِيْبُ اخْتِيَارِيًّا، وَإِنَّمَا
يُضْبِحُ ضَرُورَةً وَاجِبَةً.

وَفِي ذَلِكَ حِكْمَةٌ سَامِيَةٌ؛ لِأَنَّ الصِّيَامَ سَيِّئَتِهِ بِالْجَزَاءِ الْحَسَنِ وَالْفَرَحَةَ
الْعَامَّةَ، فَكَيْفَ يَسْتَطِيعُ الدِّينُ أَنْ يَتْرُكَ الْفَقِيرَ مَحْرُومًا مُعْدَمًا وَالْفَرَحَةَ قَدْ أَقْبَلَتْ
مُتَوَثِّبَةً وَمِيْعَادُهَا قَدْ قَرُبَ؟! فَلَ تَكُونُ لِلْغَنِيِّ دُونَ الْفَقِيرِ؛ بَلْ يَجِبُ أَنْ تَعْمَّ
النَّاسَ جَمِيعًا؛ فَكَانَتْ زَكَاةُ الْفِطْرِ.

فَفِي زَكَاةِ الْفِطْرِ مُشَارَكَةٌ وَجِدَانِيَّةٌ لِإِحْسَانِ عَامٍّ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمُسْلِمِينَ
سَيَتَقَبَّلُونَ مَوْعِدًا وَلِقَاءً تَهْتَفُ بِهِ النَّفْسُ، فِي هَذَا اللَّقَاءِ يَجِبُ أَنْ نَنْسِيَ الْحِرْمَانَ

وَأَعْبَاءَ الدَّهْرِ وَتَكَالِيفَ الْمَشَقَّةِ وَالشَّظْفِ (١)، وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا بِالتَّخْفِيفِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ غَنِيهِمْ وَفَقِيرِهِمْ، فَجَاءَتْ زَكَاةُ الْفِطْرِ حِكْمَةً مَادِيَةً تَتَحَوَّلُ إِلَى أُنْفُقِ رُوحِيٍّ يَشْعُرُ فِيهِ الْجَمِيعُ بِالْوَحْدَةِ وَبِالْفَرَحَةِ الَّتِي تُوَحِّدُ بَيْنَهُمْ جَمِيعًا، لَا حَاقِدَ وَلَا حَاسِدًا، وَلَا كَاظِمَ غَيْظٍ (٢). (*)

«وَكَذَلِكَ لِلصَّدَقَةِ فِي رَمَضَانَ مَزِيَّةٌ وَخُصُوصِيَّةٌ؛ فَيَبَادِرُ إِلَيْهَا الْعَبْدُ الْمُسْلِمُ، وَيَحْرِصُ عَلَى أَدَائِهَا بِحَسَبِ حَالِهِ، وَلِلصَّدَقَةِ فِي رَمَضَانَ صُورٌ كَثِيرَةٌ؛ مِنْهَا: إِطْعَامُ الطَّعَامِ (٤)» (٥)، وَإِطْعَامُ الطَّعَامِ مِنْ أَبْلَغِ مَا يَأْتِي بِهِ الْعَبْدُ بِلَاغَةً وَبِلَاغًا فِي الْوُصُولِ إِلَى رُضْوَانِ اللَّهِ. (*) (٢).

(١) «الشَّظْفُ» بِالتَّحْرِيكِ: شِدَّةُ الْعَيْشِ وَضِيقُهُ.

(٢) «الصَّوْمُ وَالنَّفْسُ» لِأَمِينِ مِصْطَفَى عَفِيفِي: (ص ١١٨-١٢١) بِقَلِيلٍ مِنَ التَّصْرِيفِ وَالِاخْتِصَارِ، نَقْلًا مِنْ «صَوْمِ رَمَضَانَ: أَحْكَامُهُ الْفَقْهِيَّةُ وَالطَّبِيبِيَّةُ» لِمَحْمُودِ مَهْدِي الْأَسْتَانْبُولِيِّ: (ص ١١٤-١١٥).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ: «مَجَالِسُ شَهْرِ رَمَضَانَ» - الْأَحَدُ ١٨ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٩ هـ - ٣-٦-٢٠١٨ م.

(٤) أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ فِي «الصَّحِيحِ»: (١ / ٥٥، رَقْمُ ١٢)، وَمُسْلِمٌ فِي «الصَّحِيحِ»: (١ / ٦٥، رَقْمُ ٣٩)، مِنْ حَدِيثِ: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: أَيُّ الْإِسْلَامِ خَيْرٌ؟ قَالَ: «تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ».

(٥) «أَرْبَعُونَ دَرَسًا لِمَنْ أَدْرَكَ رَمَضَانَ» لِعَبْدِ الْمَلِكِ الْقَاسِمِ: الدَّرْسُ الثَّانِي: كَيْفَ نَعِيشُ رَمَضَانَ، (ص ٢٠).

(*) (٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «رَمَضَانَ كَيْفَ نَحْيَاهُ» - الْجُمُعَةُ ١٥ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٣ هـ - ٣-٨-٢٠١٢ م.

«كُلُّ ذَلِكَ مِنَ الْإِحْسَانِ الَّذِي يَسْتَجَلِبُ بِهِ الْعَبْدُ رَحْمَةَ اللَّهِ ﷻ؛ حَيْثُ يَقُولُ

سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦].

وَيَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ هَذَا الْخَيْرَ خَزَائِنٌ، وَلِتِلْكَ الْخَزَائِنِ مَفَاتِيحُ، فَطُوبَى لِعَبْدٍ جَعَلَهُ اللَّهُ مِفْتَاحًا لِلْخَيْرِ مِغْلَقًا لِلشَّرِّ، وَوَيْلٌ لِعَبْدٍ جَعَلَهُ اللَّهُ مِفْتَاحًا لِلشَّرِّ مِغْلَقًا لِلْخَيْرِ» (١) «(٢)».



-
- (١) أخرجه ابن ماجه في «السنن»: (١/٨٧، رقم ٢٣٨)، من حديث: سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه.
والحديث حسنه لغيره الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»: (١/١٣٥، رقم ٦٦).
(٢) مِنْ خُطْبَةِ وَرَارَةِ الْأَوْقَافِ الْمِصْرِيَّةِ: «رَمَضانُ شَهْرُ الْبِرِّ وَالصَّلَاةِ وَالتَّعَرُّضِ لِرَحْمَاتِ اللَّهِ»
(ص: ١)، ٢٦ مِنْ رَمَضانَ ١٤٤٠هـ | ٣١-٥-٢٠١٩م.

رَمَضَانُ شَهْرُ الْبِرِّ وَالْإِطْعَامِ

إِنَّ شَهْرَ رَمَضَانَ الْمُبَارَكَ مِيدَانٌ لِلتَّنَافُسِ فِي أَعْمَالِ الْخَيْرِ وَالْبِرِّ؛ حَيْثُ يَتَسَابِقُ فِيهِ الْعِبَادُ بِخَالِصِ الْأَعْمَالِ تَقَرُّبًا إِلَى اللَّهِ ﷻ، وَتَقَدَّ كَانَ هَذَا حَالَ النَّبِيِّ ﷺ فِي رَمَضَانَ^(١)؛ فَقَدْ أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ فِي «صَحِيحَيْهِمَا»^(٢) بِسَنَدَيْهِمَا عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدَ - وَأَجْوَدَ، بِالضَّمِّ وَالْفَتْحِ مَعًا، وَالضَّمُّ أَشْهَرُ وَأَفْصَحُ - مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ جِبْرِيلُ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ لَيَالِي رَمَضَانَ يُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ، فَلِلنَّبِيِّ ﷺ أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ».*

(١) بِتَصْرِفٍ يَسِيرٍ مِنْ خُطْبَةِ وَرَارَةِ الْأَوْقَافِ الْمِصْرِيَّةِ: «رَمَضَانُ شَهْرُ الْبِرِّ وَالصَّلَةِ وَالْتَعَرُّضِ لِرَحْمَاتِ اللَّهِ»: (ص ٢٦، (٢) مِنْ رَمَضَانَ ١٤٤٠ هـ | ٣١-٥-٢٠١٩ م.

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «الصَّحِيحِ»: (١/ ٣٠، رَقْم ٦)، وَمُسْلِمٌ فِي «الصَّحِيحِ»: (٤/ ١٨٠٣، رَقْم ٢٣٠٨).

وَفِي رِوَايَةٍ لِهَمَا: «... إِنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ سَنَةٍ فِي رَمَضَانَ حَتَّى يَنْسَلِخَ، فَيَعْرِضُ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْقُرْآنَ...».

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «أَسْبَابُ الْغُفْرَانِ فِي رَمَضَانَ» - الْجُمُعَةُ ٢ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٢٨ هـ

إِنَّ رَمَضَانَ مَجَالٌ وَاسِعٌ لِلْبِرِّ، وَبِخَاصَّةِ إِطْعَامِ الطَّعَامِ الَّذِي هُوَ مِنْ سِمَاتِ هَذَا الشَّهْرِ الْمُبَارَكِ، وَسِمَةٌ مِنْ سِمَاتِ دِينِنَا الْخَنِيفِ^(١)؛ فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَوَّلُ مَا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ أَنْجَفَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ، فَكَنْتُ فِيمَنْ جَاءَهُ، فَلَمَّا تَأَمَّلْتُ وَجْهَهُ وَاسْتَشَبَّتهُ؛ عَلِمْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ.

قَالَ: وَكَانَ أَوَّلُ مَا سَمِعْتُ مِنْ كَلَامِهِ: «أَيُّهَا النَّاسُ! أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ؛ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ^(٢) بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

فَقَدْ رَغَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي تَفْطِيرِ الصَّائِمِ، وَإِطْعَامِ الطَّعَامِ، وَسَقْيِ الْمَاءِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ فَطَرَ صَائِمًا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ الصَّائِمِ شَيْئًا»^(٣).

(١) بِتَصَرُّفٍ يَسِيرٍ مِنْ خُطْبَةِ وَرَارَةَ الْأَوْقَافِ الْمِصْرِيَّةِ: «رَمَضَانَ شَهْرُ الْبِرِّ وَالصَّلَاةِ وَالْتَعَرُّضِ لِرَحْمَاتِ اللَّهِ» (ص: ٢)، ٢٦ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٤٠ هـ / ٣١-٥-٢٠١٩ م.

(٢) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي «الْجَامِعِ»: (٤ / ٦٥٢، رَقْم ٢٤٨٥)، وَأَخْرَجَهُ أَيْضًا ابْنُ مَاجَةَ فِي «السَّنَنِ»: (١ / ٤٢٣، رَقْم ١٣٣٤) وَ(٢ / ١٠٨٣، رَقْم ٣٢٥١).

قَالَ التِّرْمِذِيُّ: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ»، وَكَذَا صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»: (٢ / ١١٣، رَقْم ٥٦٩).

(٣) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي «الْجَامِعِ»: (٣ / ١٦٢، رَقْم ٨٠٧)، وَقَالَ: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»، وَأَخْرَجَهُ -أَيْضًا- ابْنُ مَاجَةَ فِي «السَّنَنِ»: (١ / ٥٥٥، رَقْم ١٧٤٦)، مِنْ

حَدِيثِ: زَيْدِ بْنِ خَالِدِ الْجَهَنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَالْحَدِيثِ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهيبِ»: (١ / ٦٢٣، رَقْم ١٠٧٨).

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» (١): عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: أَيُّ الْإِسْلَامِ خَيْرٌ؟

قَالَ: «تَطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ».

وَعَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟

قَالَ: «إِدْخَالُكَ السُّرُورَ عَلَى مُؤْمِنٍ، أَشْبَعْتَهُ مِنْ جُوعٍ، كَسَوْتَهُ مِنْ عُرْيٍ، قَضَيْتَ لَهُ حَاجَةً، أَعْنَتَهُ، فَرَجَّتَ لَهُ كَرْبًا بِإِذْنِ رَبِّهِ» (٢). رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْأَوْسَطِ» بِإِسْنَادٍ حَسَنِ.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فِي كُلِّ ذَاتِ كَبِدٍ رَطْبَةٌ أَجْرٌ» (٣). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

سَقِي الْمَاءِ؛ حَتَّى وَلَوْ لِلْكَلابِ؛ حَتَّى وَلَوْ كَانَ لِلْكَلبِ الضَّالِّ؛ فِيهِ أَجْرٌ عِنْدَ الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِ.

يَخْفِرُ الْمُسْلِمُ بَثْرًا، يَجْعَلُ لِلنَّاسِ صُنْبُورًا فِي سَبِيلِ، يَبْدُلُ الْمَاءَ لِابْنِ السَّبِيلِ وَالْعَطْشَانَ. (*)

(١) «صحيح البخاري»: ٥٥ / ١، رقم (١٢)، و«صحيح مسلم»: ٦٥ / ١، رقم (٣٩).

(٢) أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط»: ٢٠٢ / ٥، رقم (٥٠٨١).

والحديث حسنه غيره الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»: ٥٦٤ / ١، رقم (٩٥٤) و٤٨٠ / ٢ و٧٠٨ و٢٠٩٠ و٢٦٢١)، وروي نحوه عن ابن عمر وجابر وابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وعن أبي شريح مرسلًا.

(٣) أخرجه البخاري في «الصحيح»: ١١٣ / ٥، رقم (٢٤٦٦)، ومسلم في «الصحيح»:

٤ / ١٧٦١، رقم (٢٢٤٤)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «رَمَضَانَ كَيْفَ نَحْيَاهُ» - الْجُمُعَةُ ١٥ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٣ هـ | ٣-

وَيَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَلَّا يَسْتَصْغِرَ أَوْ يَحْتَقِرَ شَيْئًا مِنَ الْمَعْرُوفِ؛ فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي أَيَّ عَمَلٍ يَقْبَلُهُ اللَّهُ^(١)؛ فَعَنْ سُلَيْمِ بْنِ جَابِرِ الْهَجِيمِيِّ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ مُحْتَبٍ فِي بُرْدَةٍ، وَإِنَّ هُدَابَهَا لَعَلَى قَدَمَيْهِ.

فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْصِنِي.

قَالَ: «عَلَيْكَ بِاتِّقَاءِ اللَّهِ، وَلَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تُفْرَغَ لِلْمُسْتَسْقِيِّ مِنْ دَلْوِكَ فِي إِنْائِهِ، أَوْ تَكَلَّمَ أَخَاكَ وَوَجْهَكَ مُنْبَسِطًا، وَإِيَّاكَ وَإِسْبَالَ الْإِزَارِ، فَإِنَّهَا مِنَ الْمَخِيلَةِ، وَلَا يُحِبُّهَا اللَّهُ، وَإِنْ أَمْرٌ وَعَيْرُكَ بِشَيْءٍ يَعْلَمُهُ مِنْكَ فَلَا تُعَيِّرْهُ بِشَيْءٍ تَعْلَمُهُ مِنْهُ، دَعَهُ يَكُونُ وَبَالُهُ عَلَيْهِ، وَأَجْرُهُ لَكَ، وَلَا تَسْبَنَّ شَيْئًا».

قَالَ: فَمَا سَبَبَتْ بَعْدَ دَابَّةٍ وَلَا إِنْسَانًا^(٢). وَالْحَدِيثُ صَحِيحٌ لِغَيْرِهِ.

قَوْلُهُ: «هُدَابُهَا»: هُدْبُ الثَّوْبِ، وَهُدْبَتُهُ، وَهُدَابُهُ، طَرَفُ الثَّوْبِ مِمَّا يَلِي طَرْتَهُ.

وَقَوْلُهُ: «وَهُوَ مُحْتَبٌ فِي بُرْدَتِهِ»؛ أَي: كَانَ جَالِسًا عَلَى هَيْئَةِ الْإِحْتِبَاءِ وَأَلْقَى رِدَاءَهُ فَوْقَ رُكْبَتَيْهِ، وَأَخَذَ بِكُلِّ يَدٍ طَرَفًا مِنَ الرِّدَاءِ؛ لِيَكُونَ كَالْمَتَكِّيِّ عَلَى الشَّيْءِ، وَهَذَا مِنْ عَادَةِ الْعَرَبِ إِذَا لَمْ يَتَكُونُوا عَلَى الشَّيْءِ.

«وَلَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا»: الْمَعْرُوفُ: اسْمٌ جَامِعٌ لِكُلِّ مَا عُرِفَ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ -تَعَالَى-، وَالْإِحْسَانِ إِلَى النَّاسِ.

(١) مِنْ خُطْبَةِ وَزَارَةِ الْأَوْقَافِ الْمِصْرِيَّةِ: «رَمَضَانَ شَهْرُ الْبِرِّ وَالصَّلَاةِ وَالْتَعَرُّضِ لِرَحْمَاتِ اللَّهِ» (ص: ٢٦، ٢٧) مِنْ رَمَضَانَ ١٤٤٠ هـ | ٣١-٥-٢٠١٩ م.

(٢) وَأَخْرَجَهُ ابْنُ وَهْبٍ فِي «الْجَامِعِ» (٣٧٨)، وَالطَّيَالِسِيُّ (١٣٠٤)، وَابْنُ حِبَّانَ (٥٢١)، مِنْ طَرِيقِ: قُرَّةِ بْنِ خَالِدٍ، عَنْ قُرَّةِ بْنِ مُوسَى، عَنْ سُلَيْمِ بْنِ جَابِرٍ، بِهِ وَصَحَّحَهُ لِغَيْرِهِ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» (٩٠٥).

وَهُوَ مِنَ الصِّفَاتِ الْغَالِيَةِ؛ أَيُّ: أَمْرٌ مَعْرُوفٌ بَيْنَ النَّاسِ إِذَا رَأَوْهُ لَمْ يُنْكِرُوهُ،
وَمِنَ الْمَعْرُوفِ: النَّصْفَةُ، وَحُسْنُ الصُّحْبَةِ مَعَ الْأَهْلِ وَغَيْرِهِمْ، وَتَلَقَّى النَّاسِ
بِوَجْهِ طَلِقٍ. (*)

وَيَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ».

قِيلَ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَجِدْ؟

قَالَ: «يَعْتَمِلُ بِيَدِهِ؛ فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ».

قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ؟

قَالَ: «يُعِينُ ذَا الْحَاجَةِ الْمَلْهُوفَ».

قَالَ: قِيلَ لَهُ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ؟

قَالَ: «يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ أَوْ الْخَيْرِ».

قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَفْعَلْ؟

قَالَ: «يُمْسِكُ عَنِ الشَّرِّ؛ فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ» (٢).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ: «شَرْحُ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» «بَابُ: الْإِحْتِيَاءِ» (ص: ٤٥٣٩ -

٤٥٤٢) - شَرْحُ الْعَلَامَةِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدِ رَسْلَانَ - حَفِظَهُ اللَّهُ -.

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «الصَّحِيحِ»: ٣/٣٠٧-٣٠٨، رَقْمٌ (١٤٤٥) وَ ١٠/٤٤٧، رَقْمٌ

(٦٠٢٢)، وَمُسْلِمٌ فِي «الصَّحِيحِ»: ٢/٦٩٩، رَقْمٌ (١٠٠٨)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي مُوسَى

الْأَشْعَرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

حَتَّى إِذَا مَا أَمْسَكَ الْإِنْسَانُ عَنِ الشَّرِّ؛ فَقَدْ أَتَى بِالصَّدَقَةِ، إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ
يَأْمُرَ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْ يَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ، وَإِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُعِينَ ذَا الْحَاجَةِ
الْمَلْهُوفَ.

وَإِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَعْتَمِلَ بِيَدِهِ فَيَنْفَعُ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِهِ ذَاتَهُ، وَيَتَصَدَّقُ عَلَى
خَلْقِ اللَّهِ؛ فَعَلَيْهِ أَنْ يُمْسِكَ عَنِ الشَّرِّ؛ فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ، فَمَنْ أَمْسَكَ عَنِ الشَّرِّ فَقَدْ
تَصَدَّقَ كَمَا قَالَ الرَّسُولُ ﷺ فِي هَذَا الْحَدِيثِ الْمُتَّفَقِ عَلَى صِحَّتِهِ. (*)



(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ دَرَسٍ: «السَّعْيُ فِي قَضَاءِ حَاجَةِ الْأَخْرَيْنَ».

رَمَضَانُ شَهْرُ الْبِرِّ بِالْأَرْحَامِ وَصَلَاتِهِمْ

عِبَادَ اللَّهِ! إِنَّ الْبِرَّ: اسْمٌ جَامِعٌ لِلْخَيْرِ وَكُلِّ فِعْلٍ مَرْضِيٍّ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «الْبِرُّ: حُسْنُ الْخُلُقِ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» (١).

وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَقُولُ: «الْبِرُّ شَيْءٌ هَيِّنٌ: وَجْهٌ طَلِيقٌ، وَكَلَامٌ لَيِّنٌ» (٢).

وَإِذَا قَرِنَ الْبِرُّ بِالتَّقْوَى، كَمَا فِي قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى» [المائدة: ٢]؛ فَقَدْ يَكُونُ الْمُرَادُ بِالْبِرِّ: مُعَامَلَةُ الْخَلْقِ بِالْإِحْسَانِ، وَبِالتَّقْوَى: مُعَامَلَةُ الْحَقِّ بِفِعْلٍ طَاعَتِهِ، وَاجْتِنَابِ مَحَارِمِهِ. (*)

(١) «صَحِيحُ مُسْلِمٍ»: رَقْمٌ ٢٥٥٣.

(٢) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي «الصِّمْتِ»: رَقْمٌ (٣١٦)، وَفِي «مُدَارَاةِ النَّاسِ»: رَقْمٌ (١٠٩)، وَالخِرَائِطِي فِي «مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ»: رَقْمٌ (١٤٨)، وَالبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الْإِيمَانِ»: ١٠/٤٠٤-٤٠٥، رَقْمٌ (٧٧٠٢)، وَابْنُ عَسَاكِرَ فِي «تَارِيخِ دِمَشْقَ»: ٣١/١٧٦-١٧٧، تَرْجَمَهُ (٣٤٢١)، بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ: «التَّغْلِيْقُ وَالتَّهْدِيْبُ عَلَيَّ جَامِعِ الْعُلُومِ وَالحِكْمِ - الْمُحَاضَرَةُ ٤٢ الْإِثْنِيْنَ ١٨ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٣ هـ | ٦-٨-٢٠١٢ م».

وَمِنْ أَعْظَمِ صُورِ الْبِرِّ الصَّلَاةُ وَالتَّوَاصُلُ بَيْنَ الْأَهْلِ وَالْأَقْرَابِ وَالْجِيرَانِ وَالنَّاسِ جَمِيعًا، وَذَلِكَ مِنْ أَكْبَرِ عَوَامِلِ التَّالْفِ وَالتَّرَابُطِ، وَنَشْرِ قِيَمِ التَّرَاحُمِ بَيْنَ النَّاسِ كَافَّةً (١).

قَالَ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْفُوكَ بَعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

جَعَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنَ الْبِرِّ: صَلَاةَ الْأَقْرَابِ وَإِعْطَاءَهُمْ مِنَ الْمَالِ، «وَهُمْ أَوْلَىٰ مَنْ أُعْطِيَ مِنَ الصَّدَقَةِ، كَمَا ثَبَتَ فِي الْحَدِيثِ: «الصَّدَقَةُ عَلَى الْمَسَاكِينِ صَدَقَةٌ، وَعَلَى ذَوِي الرَّحِمِ ثِنْتَانِ: صَدَقَةٌ وَصِلَةٌ» (٢)، فَهُمْ أَوْلَىٰ النَّاسِ بِكَ وَبِإِغْنَائِكَ، وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ -تَعَالَى- بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ فِي غَيْرِ مَا مَوْضِعٍ مِنْ كِتَابِهِ الْعَزِيزِ» (٣). (*)

(١) مِنْ خُطْبَةِ وَزَارَةَ الْأَوْقَافِ الْمِصْرِيَّةِ: «رَمَضَانَ شَهْرُ الْبِرِّ وَالصَّلَاةِ وَالتَّعَرُّضِ لِرَحْمَاتِ اللَّهِ»: (ص ٣)، ٢٦ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٤٠ هـ | ٣١-٥-٢٠١٩ م.

(٢) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي «الْجَامِعِ»: (٣/ ٣٨، رَقْم ٦٥٨)، وَالنَّسَائِيُّ فِي «الْمَجْتَبَى»: (٥/

٩٢، رَقْم ٢٥٨٢)، وَابْنُ مَاجَةَ فِي «السُّنَنِ»: (١/ ٥٩١، رَقْم ١٨٤٤)، مِنْ حَدِيثِ:

سَلْمَانَ بْنِ عَامِرٍ الضَّبِّيِّ رضي الله عنه.

قَالَ التِّرْمِذِيُّ: «حَدِيثٌ حَسَنٌ»، وَكَذَا حَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «إِرْوَاءِ الْغَلِيلِ»: (٣/ ٣٨٧، رَقْم

٨٨٣).

(٣) «تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ» لِابْنِ كَثِيرٍ: (١/ ٤٨٦-٤٨٧).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ: «تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ» (تَفْسِيرُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ) (الْمُحَاصِرَةُ

السَّادِسَةَ عَشْرَةَ)، الْإِثْنَيْنِ ١٩ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ ١٤٣٧ هـ | ٢٢-٨-٢٠١٦ م.

إِنَّ رَمَضَانَ لَا مَجَالَ فِيهِ لِلتَّشَاحُنِ وَلَا لِلْمُتَشَاحِنِينَ، وَإِذَا كَانَ رَمَضَانَ شَهْرَ الصَّلَاةِ؛
فَفِي مُقَدِّمَتِهِ هَذِهِ الصَّلَاةُ يَأْتِي أَمْرَانِ: صَلَاةُ الرَّحِمِ (١)، وَقَدْ بَيَّنَّ رَبُّنَا جَلَّ وَعَلَا فِي كِتَابِهِ مَكَانَتَهُ
صَلَاةُ الرَّحِمِ وَقَدَّرَهَا؛ وَرَهَّبَ -سُبْحَانَهُ- مِنْ قَطْعِهَا؛ فَقَالَ -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ-: ﴿وَالَّذِينَ
يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ [الرعد: ٢١].

فَمِنْ صِفَاتِ أَصْحَابِ الْعُقُولِ الْكَامِلَةِ: أَنَّهُمْ لَا يَجِدُونَ مُنْقَطِعًا أَمْرَ اللَّهِ
بِأَنْ يُوصَلَ إِلَّا وَصَلُوهُ؛ كَصِلَةِ الرَّحِمِ، وَالْأُخُوَّةِ فِي اللَّهِ، وَصِلَةِ كُلِّ مُسْلِمٍ
وَكُلِّ ذِي رُوحٍ. (*).

وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ [الأنفال: ٧٥].

وَذَوُو الْأَرْحَامِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَهُمُ الْأَوْلِيَّةُ فِي الْمَوَالَاةِ بِحَقِّ الْإِسْلَامِ
وَحَقِّ الرَّحِمِ، فَأَحْكَامُ الْمَوَالَاةِ الْعَامَّةُ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ لَا تَتَعَارَضُ مَعَ أَوْلِيَّةِ
الْمَوَالَاةِ بَيْنَ أَوْلِي الْأَرْحَامِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، فَأَصْحَابُ الْقَرَابَاتِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ
بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ، وَمِنْهَا أَحْكَامُ التَّوَارِثِ. (* / ٢).

وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ رضي الله عنه أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «قَالَ اللَّهُ ﻋَﻠَﻴْ:
أَنَا الرَّحْمَنُ، وَأَنَا خَلَقْتُ الرَّحِمَ، وَاشْتَقَقْتُ لَهَا مِنْ اسْمِي، فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلَتْهُ،

(١) مِنْ خُطْبَةِ وَرَارَةِ الْأَوْقَافِ الْمِصْرِيَّةِ: «رَمَضَانَ شَهْرُ الْبِرِّ وَالصَّلَاةِ وَالتَّعَرُّضِ
لِرَحِمَاتِ اللَّهِ»: (ص ٣)، ٢٦ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٤٠ هـ | ٣١-٥-٢٠١٩ م.

(* / ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ التَّعْلِيقِ عَلَيَّ: «مُخْتَصَرُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» [الرعد: ٢١].

(* / ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَيَّ مُخْتَصَرُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» [الأنفال: ٧٥].

وَمَنْ قَطَعَهَا بَتُّهُ»^(١). وَالْحَدِيثُ «صَحِيحٌ لِغَيْرِهِ».

وَالْمَعْنَى: «قَالَ اللَّهُ ﷻ: أَنَا الرَّحْمَنُ، وَأَنَا خَلَقْتُ الرَّحِمَ، «وَأَشْتَقْتُ»: أَيُّ
أَخْرَجْتُ وَأَخَذْتُ اسْمَهَا «مِنْ اسْمِي»: الرَّحْمَنِ وَالرَّحِيمِ، «فَمَنْ وَصَلَهَا»: رَاعَى
حُقُوقَهَا، «وَصَلَّتهُ»: رَاعَيْتُ حُقُوقَهُ وَوَفَّيْتُ ثَوَابَهُ، «وَمَنْ قَطَعَهَا»: وَمَنْ قَطَعَ
الرَّحِمَ، «قَطَعْتَهُ»: مِنْ رَحْمَتِي الْخَاصَّةِ.

«وَمَنْ قَطَعَهَا بَتُّهُ»: وَالْبَتُّ الْقَطْعُ، فَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعَهُ اللَّهُ، وَمَنْ وَصَلَهَا
وَصَلَهُ اللَّهُ ﷻ.

فِي هَذَا الْحَدِيثِ: تَعْظِيمُ شَأْنِ الرَّحِمِ، وَبَيَانُ فَضِيلَةِ وَصْلِهَا، وَعِظْمُ الْإِثْمِ
بِقَطْعِهَا. (*).

وَقَرَنَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بَيْنَ الْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ وَقَطِيعَةِ الْأَرْحَامِ، وَأَخْبَرَ -سُبْحَانَهُ-
أَنَّ الَّذِينَ أَفْسَدُوا فِي الْأَرْضِ، وَقَطَّعُوا أَرْحَامَهُمْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِأَن أْبَعَدَهُمْ عَنْ رَحْمَتِهِ،
وَقَرَّبُوا مِنْ سُخْطِ اللَّهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي
الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ﴾
[محمد: ٢٢-٢٣].

(١) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (١٦٨٠) (١٦٨١) (١٦٨٦)، وَأَبُو دَاوُدَ (١٦٩٤) (١٦٩٥)، وَالتِّرْمِذِيُّ
(١٩٠٧)، مِنْ طَرِيقِ: أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ اللَّيْثِيِّ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، بِهِ.
وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «السُّلْسِلَةِ الصَّحِيحَةِ» (٥٢٠).

(* مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ: «شَرْحُ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» «بَابُ: فَضْلُ صَلَاةِ الرَّحِمِ» (ص: ٣٨٩-
٣٩١) - شَرْحُ الْعَلَامَةِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدِ رَسُلَانٍ - حَفِظَهُ اللَّهُ -.

فَلَعَلَّكُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ وَأَدْبَرْتُمْ إِلَيْهَا الْمُتَنَافِقُونَ عَنِ الْإِيمَانِ وَالْجِهَادِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَوْ إِنْ كُنْتُمْ أَوْلِيَاءَ الْأَمْرِ وَأَصْحَابَ الْقُوَّةِ أَنْ تَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بِخَرَابِ الْعُمَرَانَ الْحَضَارِيِّ فِي الْمُدُنِ وَالْقُرَى، وَإِهْلَاكِ الْحَرْثِ وَالنَّسْلِ، وَالْبَغْيِ وَسَفْكِ الدِّمَاءِ، وَإِفْسَادِ أَخْلَاقِ النَّاسِ وَسُلُوكِهِمْ، وَإِفْسَادِ أَفْكَارِهِمْ وَمَفْهُومَاتِهِمْ، وَتَقَطُّعِ أَرْحَامِكُمْ لِتَحْقِيقِ أَغْرَاضِكُمْ الشَّخْصِيَّةِ وَمَصَالِحِكُمُ الدُّنْيَوِيَّةِ. (*)

وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» (٢): «أَنَّ اللَّهَ - جَلَّتْ قُدْرَتُهُ.. كَمَا رَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - يَفْتَحُ أَبْوَابَ الْجَنَّةِ فِي كُلِّ اثْنَيْنِ وَخَمِيسٍ؛ فَيَغْفِرُ اللَّهُ - رَبُّ الْعَالَمِينَ - لِلْمُؤْمِنِينَ إِلَّا رَجُلًا كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءٌ - كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ بَغْضَاءٌ - فَيَقُولُ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: أَنْظِرُوا - أَي: أَجَلًا، أَي: دَعَا، أَي: اتْرُكُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا».

فَلَا يَنْعَمَانِ بِالْغُفْرَانِ الَّذِي يَلْحَقُ غَيْرَ الْمُشَاحِنِينَ فِي كُلِّ اثْنَيْنِ وَخَمِيسٍ، إِذْ تَفْتَحُ أَبْوَابَ الْجَنَّةِ، وَإِذْ تَهْبُ نَسَمَاتُ.. نَفَحَاتُ.. رَحِمَاتُ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. (*) (٢).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةٍ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَى مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» [محمد: ٢٢-٢٣].

(٢) «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» (٢٥٦٥)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بِلَفْظِ: «تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ، وَيَوْمَ الْخَمِيسِ، فَيَغْفِرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا، إِلَّا رَجُلًا كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءٌ، فَيُقَالُ: أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا».

(*) (٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «مَا صَحَّ فِي لَيْلَةِ النَّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ» - الْجُمُعَةُ ١٠ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٢٥ هـ | ٢٤-٩-٢٠٠٤ م.

النَّبِيُّ ﷺ يَأْمُرُ بِصَلَاةِ الرَّحِمِ وَيَرْغَبُ فِيهَا، وَيُخْبِرُ أَنَّ صَلَاةَ الرَّحِمِ تُقَرِّبُ مِنَ الْجَنَّةِ وَتُبَاعِدُ مِنَ النَّارِ؛ فَعَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ، أَنَّ أَعْرَابِيًّا عَرَضَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فِي مَسِيرِهِ، فَقَالَ: أَخْبِرْنِي مَا يُقَرِّبُنِي مِنَ الْجَنَّةِ، وَيُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ؟

قَالَ: «تَعْبُدُ اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ»^(١). وَالْحَدِيثُ فِي «الصَّحِيحِينَ».

«تَصِلُ الرَّحِمَ»؛ أَي: تُحَسِّنُ إِلَى أَقَارِبِكَ، وَتُوَاسِي ذَوِي الْقَرَابَةِ فِي الْخَيْرَاتِ. (*)

عَلَيْنَا عِبَادَ اللَّهِ- فِي هَذَا الشَّهْرِ الْمُبَارَكِ أَنْ نَصِلَ مَنْ قَطَعْنَا؛ فَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لَيْسَ الْوَاصِلُ بِالْمُكَافِي، وَلَكِنَّ الْوَاصِلَ الَّذِي إِذَا قُطِعَتْ رَحْمُهُ وَصَلَهَا^(٣). وَالْحَدِيثُ حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

لَيْسَ الْوَاصِلُ مَنْ يَنْفَضِلُ عَلَى صَاحِبِهِ بِالْمَعْرُوفِ، بَلْ يُعْطِي مَنْ مَنَعَهُ مِنْ مَعْرُوفِهِ.

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (١٣٩٦) (٥٩٨٢) (٥٩٨٣)، وَمُسْلِمٌ (١٣)، وَالنَّسَائِيُّ (٤٦٨)، مِنْ طَرِيقِ: مُوسَى بْنِ طَلْحَةَ، عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ، بِهِ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ: «شَرْحُ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» (بَابُ: صَلَاةِ الرَّحِمِ) (ص: ٣٧٣-٣٧٦) - شَرْحُ الْعَلَّامَةِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدِ رَسَلَانَ - حَفِظَهُ اللَّهُ -.

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٥٩٩١)، وَأَبُو دَاوُدَ (١٦٩٧)، وَالتِّرْمِذِيُّ (١٩٠٨)، مِنْ طَرِيقِ: مُجَاهِدٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، بِهِ.

وَالْمُكَافِئُ: مَنْ يَصِلُ وَلَا يَزِيدُ عَلَيَّ مَا يَأْخُذُ، هَذَا هُوَ الَّذِي يَصِلُ كَمَا يُوَصَّلُ، هَذَا هُوَ الَّذِي يُعْطِي كَمَا أَخَذَ، فَهَذَا مُكَافِئٌ؛ مَنْ زَارَهُ زَارَهُ، وَمَنْ أَعْطَاهُ أَعْطَاهُ، وَمَنْ بَرَّهُ بَرَّهُ، هَذَا لَيْسَ بِوَاصِلٍ لِلرَّحِمِ فَلَا يَدْخُلُ فِي تِلْكَ الشَّمَرَاتِ الَّتِي ذَكَرَهَا النَّبِيُّ ﷺ الَّتِي يُحْصِلُهَا وَاصِلُ الرَّحِمِ؛ هَذَا الْمُكَافِئُ.

فإِذَنْ؛ وَاصِلُ الرَّحِمِ هُوَ الَّذِي يَصِلُ مَا قُطِعَ مِنْهُ، لَا الَّذِي يُكَافِئُ عَلَيَّ الْوَصْلَ يُوَصَّلُ هُوَ بِهِ، وَإِنَّمَا تُقَطِّعُ رَحِمَهُ فَيَصِلُهَا هُوَ، فَهَذَا هُوَ وَاصِلُ الرَّحِمِ فِي لِسَانِ الشَّرْعِ.

عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَبْدَأَ فِي صَلَاةِ أَرْحَامِهِ وَيَسْتَمِرَّ عَلَيَّ ذَلِكَ، وَلَوْ لَمْ يُقَابِلُوا صَنِيعَهُ بِالْإِحْسَانِ وَالْوَصْلِ، وَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ كَذَلِكَ عَلَيَّ قَاعِدَةَ الْإِخْلَاصِ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ لِأَنَّهُ لَا يَفْعَلُ ذَلِكَ إِلَّا مَنْ كَانَ مُخْلِصًا لِلَّهِ، فَهُوَ مُتَّبِعٌ لِأَمْرِ اللَّهِ وَأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَا يَنْتَظِرُ عَلَيْهَا أَجْرًا وَثَوَابًا مِنْ أَحَدٍ، كَلَّفَهُ اللَّهُ وَأَمَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِصَلَاةِ الرَّحِمِ فَهُوَ يَصِلُهَا. (*)

عِبَادَ اللَّهِ! إِنَّ الصَّدَقَةَ عَلَيَّ الْأَقَارِبِ وَالْجِيرَانِ أَفْضَلُ مِنْهَا عَلَيَّ الْأَبْعَدِينَ؛ فَقَدْ أَوْصَى اللَّهُ بِالْأَقَارِبِ، وَجَعَلَ لَهُمْ حَقًّا عَلَيَّ قَرِيبَهُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْآيَاتِ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى (*): ﴿وَأَقْرَبَ الْمَالِ عَلَيَّ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ﴾

[البقرة: ١٧٧].

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ: «شَرْحُ الْأَدَبِ الْمُنْفَرِدِ» «بَابُ: لَيْسَ الْوَاصِلُ بِالْمُكَافِئِ» (ص: ٤٣٨-٤٤١) - شَرْحُ الْعَلَامَةِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدِ رَسَلَانَ - حَفِظَهُ اللَّهُ -.

(*) (٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ: «شَرْحُ الْجَوْهَرَةِ الْفَرِيدَةِ» - الْمُحَاضَرَةُ ٢٢ - : الْإِثْنَيْنِ ٣

مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ١٤٣٧هـ | ٥-٩-٢٠١٦م.

﴿وَعَاتَى أَمْالَ عَلَىٰ حُبِّهِ﴾؛ أَي: أَخْرَجَهُ وَهُوَ مُحِبٌّ لَهُ رَاغِبٌ فِيهِ، كَمَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ» (١) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعًا: «أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ أَنْ تَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَاحِبٌ صَاحِحٌ شَاحِحٌ، تَأْمَلُ الْغِنَى، وَتَخْشَى الْفَقْرَ».

وَقَوْلُهُ: ﴿ذَوَى الْقُرْبَى﴾؛ وَهُمْ: قَرَابَاتُ الرَّجُلِ، وَهُمْ أَوْلَى مَنْ أُعْطِيَ مِنَ الصَّدَقَةِ، كَمَا ثَبَتَ فِي الْحَدِيثِ: «الصَّدَقَةُ عَلَى الْمَسَاكِينِ صَدَقَةٌ، وَعَلَى ذَوِي الرَّحِمِ اثْنَتَانِ: صَدَقَةٌ، وَصِلَةٌ» (٢).

فَهُمْ أَوْلَى النَّاسِ بِكَ وَبِبِرِّكَ وَإِعْطَائِكَ، وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ - أَيِ إِلَى ذِي الْقُرْبَى - فِي غَيْرِ مَا مَوْضِعٍ مِنْ كِتَابِهِ الْعَزِيزِ. (*).

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الصَّدَقَةُ عَلَى الْمَسْكِينِ صَدَقَةٌ، وَعَلَى ذِي الرَّحِمِ اثْنَتَانِ؛ صَدَقَةٌ، وَصِلَةٌ». رَوَاهُ الْخَمْسَةُ وَغَيْرُهُمْ مِنْ حَدِيثِ سَلْمَانَ الضَّبِّيِّ

(١) «صحيح البخاري»: ٢٨٤ / ٣ و ٢٨٥، رقم (١٤١٩)، و«صحيح مسلم»: ٧١٦ / ٢، رقم (١٠٣٢).

(٢) أخرجه الترمذي في «الجامع»: ٣ / ٣٨، رقم (٦٥٨)، والنسائي في «المجتبى»: ٥ / ٩٢، رقم (٢٥٨٢)، وابن ماجه في «السنن»: ١ / ٥٩١، رقم (١٨٤٤)، من حديث: سَلْمَانَ بْنِ عَامِرٍ الضَّبِّيِّ رضي الله عنه.

قال الترمذي: «حَدِيثٌ حَسَنٌ»، والحديث حسنه -أيضا- الألباني في «إرواء الغليل»: ٣ / ٣٨٧، رقم (٨٨٣).

(* مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنَ التَّعْلِيقِ عَلَى «تَفْسِيرِ ابْنِ كَثِيرٍ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ» - الْمُحَاضَرَةُ ١٦ - الْإِثْنَيْنِ ١٩ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ ١٤٣٧ هـ | ٢٢-٨-٢٠١٦ م.

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَحَسَنَهُ التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ^(١)، وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»^(٢): «أَجْرَانِ؛ أَجْرُ الْقَرَابَةِ، وَأَجْرُ الصَّدَقَةِ». (*).

وَالْجَانِبُ الْآخَرُ مِنَ الصَّلَاةِ هُوَ صَلَّاهُ كُلُّ مَنْ حَوْلَكَ، فَلَا تَقْطَعُ أَحَدًا^(٤) - إِلَّا أَهْلَ الْبِدْعِ، فَهَجْرُهُمْ وَبُغْضُهُمْ فِي اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.. نُبْغِضُ أَهْلَ الْبِدْعِ، وَنَتَقَرَّبُ إِلَى اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ بِبُغْضِهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ بِمَبْعَدَةٍ مِنَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ لِأَنَّهُمْ يُخَالِفُونَ سُنَّةَ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ - (*). (٢/).

النَّبِيُّ ﷺ لَمَّا حَرَّمَ عَلَيْنَا مَا حَرَّمَ مِنْ أُمُورِ الْمُحَرَّمَاتِ وَجَعَلَ الْكِبَائِرَ بَارِزَاتٍ وَاضِحَاتٍ، جَعَلَ مِنْهَا هَذَا التَّدَابُرَ وَالتَّنَاحُرَ الَّذِي يَكُونُ بَيْنَ الْعَبْدِ الْمُسْلِمِ وَأَخِيهِ،

(١) أخرجه الترمذي في «الجامع»: ٣ / ٣٨، رقم (٦٥٨)، والنسائي في «المجتبى»: ٥ / ٩٢، رقم (٢٥٨٢)، وابن ماجه في «السنن»: ١ / ٥٩١، رقم (١٨٤٤)، من حديث: سَلْمَانَ الضَّبِّيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. قال الترمذي: «حَدِيثٌ حَسَنٌ»، والحديث حسنه -أيضا- الألباني في «إرواء الغليل»: ٣ / ٣٨٧، رقم (٨٨٣).

(٢) «صحيح البخاري»: ٣ / ٣٢٩، رقم (١٤٦٦)، و «صحيح مسلم»: ٢ / ٦٩٤، رقم (١٠٠٠)، من حديث: زَيْنَبَ امْرَأَةَ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(*). مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ: «شَرْحُ الْجَوْهَرَةِ الْفَرِيدَةِ» - الْمُحَاضَرَةُ ٢٢ - : الْإِثْنَيْنِ ٣ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ١٤٣٧ هـ | ٥-٩-٢٠١٦ م.

(٤) مِنْ خُطْبَةِ وَزَارَةَ الْأَوْقَافِ الْمِصْرِيَّةِ: «رَمَضَانُ شَهْرُ الْبِرِّ وَالصَّلَاةِ وَالتَّعَرُّضِ لِرَحْمَاتِ اللَّهِ»: (ص ٤)، ٢٦ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٤٠ هـ | ٣١-٥-٢٠١٩ م.

(*). (٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ خُطْبَةٍ: «كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ» - الْجُمُعَةُ ١٤ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٣٢ هـ | ١٥-٧-٢٠١١ م.

يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ هَجَرَ أَخَاهُ سَنَةً، فَهُوَ كَسَفِكَ دَمِهِ»^(١)؛ يَعْنِي: الَّذِي يُخَاصِمُ أَخَاهُ سَنَةً هُوَ فِي الذَّنْبِ وَالْوِزْرِ عِنْدَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ كَالَّذِي يَقْتُلُهُ، سَوَاءً بِسَوَاءٍ، حَذَوِ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ، كُلُّ ذَلِكَ فِي مِيزَانِ سَيِّئَاتِهِ عِنْدَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

الرَّسُولُ ﷺ يَقُولُ: «لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثٍ، فَإِنْ هَجَرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثٍ فَمَاتَ، دَخَلَ النَّارَ»^(٢).

النَّبِيُّ ﷺ يُرْشِدُنَا إِلَى أَنَّ الْهَجْرَةَ فَوْقَ ثَلَاثٍ تُدْخِلُ صَاحِبَهَا النَّارَ، فَمَنْ هَجَرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثٍ دَخَلَ النَّارَ.

وَيُوضِّحُ لَنَا نَبِينَا مُحَمَّدٌ ﷺ أَنَّ هَذِهِ الْهَجْرَةَ الَّتِي تَكُونُ بَيْنَ الْمُسْلِمِ وَأَنَّ التَّرَاغُ وَالْخِلَافَ وَالْخِصَامَ لَا يَكُونُ إِلَّا بِذَنْبٍ يُحْدِثُهُ أَحَدُهُمَا، يَقُولُ الرَّسُولُ ﷺ: «مَا تَوَادَّ اثْنَانِ فِي اللَّهِ - أَوْ قَالَ: فِي الْإِسْلَامِ - فَيُفَرِّقُ بَيْنَهُمَا، إِلَّا بِذَنْبٍ أَحَدُهُمَا أَحَدُهُمَا»^(٣). (*)

(١) أخرجه أبو داود في «السنن»: (٢/٢٧٩، رقم ٤٩١٥)، من حديث: أَبِي خِرَاشٍ السُّلَمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. والحديث صححه الألباني في «الصحيحة»: (٢/٥٩٩، رقم ٩٢٨).

(٢) أخرجه مسلم في «الصحيح»: (٤/١٩٨٤، رقم ٢٥٦٢) مختصراً، وأبو داود في «السنن»: (٤/٢٧٩، رقم ٤٩١٤)، بتمامه، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

والحديث صححه بتمامه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»: (٣/٥٠، رقم ٢٧٥٧)، وفي الصحيحين عن أبي أيوب وأنس وابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، مرفوعاً، بنحوه.

(٣) أخرجه أحمد في «المسند»: (٢/٦٨)، من حديث: ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

والحديث صححه لغيره الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»: (٢/٥٣٢، رقم ٢٢١٩).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «صَلُّوا أَرْحَامَكُمْ» - الْجُمُعَةُ: ٧-٦-٢٠٠٢ م.

الرَّسُولُ ﷺ لَمْ يُرْخَصْ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثٍ؛ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثٍ...».

ثُمَّ بَيَّنَّ النَّبِيُّ ﷺ أَمْرًا نَفْسِيًّا يَعْتَرِي النَّاسَ عِنْدَمَا لَا يَكْسِرُونَ حِدَّةَ الْبَشَرِيَّةِ الْمُوْغَلَةِ فِي الطَّيْنِيَّةِ فِيهِمْ، فَيَتَرَفَّعُ الْأَخُ عَلَى أَخِيهِ، عِنْدَمَا يَلْقَاهُ وَهُوَ لَهُ مُخَاصِمٌ، فَيَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «... يَلْتَقِيَانِ فَيُعْرِضُ هَذَا وَيُعْرِضُ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ»^(١).

النَّبِيُّ ﷺ يَرَعَى هَذَا الْجَانِبَ النَّفْسِيَّ فِي النَّاسِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ هُوَ الَّذِي خَلَقَ الْخَلْقَ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤]، ثُمَّ أَعْلَمَ نَبِيَّهُ ﷺ بِأَحْوَالِ النَّاسِ، فَجَاءَ كَلَامُ النَّبِيِّ ﷺ مُتَّسِقًا مَعَ الطَّبِيعَةِ الْبَشَرِيَّةِ لَا يَخْرُجُ عَنْهَا قِيدَ أَنْمَلَةٍ وَلَا أَقْلٍ مِنْهَا؛ لِكِنِّي يَسِيرَ النَّاسِ عَلَى أَمْرِ الْفِطْرَةِ كَمَا خَلَقَهُمْ رَبُّهُمْ - جَلَّتْ قُدْرَتُهُ -.

النَّبِيُّ ﷺ بَيَّنَّ أَنَّ أَمْرَ الْخِصَامِ قَدْ يَكُونُ مُسْتَفْشِيًّا، وَيَكُونُ مُتَأَصِّلًا فِي بَعْضِ الصُّدُورِ، مُتَغْلَغَلًا فِي بَعْضِ الْقُلُوبِ، فَمَا الْحَلُّ إِذَا عَادَ أَحَدُهُمَا وَلَمْ يَعُدَّ الْآخَرُ؟

(١) أخرجه البخاري في «الصحیح»: (٤٩٢/١٠)، رقم (٦٠٧٧)، ومسلم في «الصحیح»:

(٤/١٩٨٤، رقم ٢٥٦٠)، من حديث: أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه:

أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ، يَلْتَقِيَانِ فَيُعْرِضُ هَذَا وَيُعْرِضُ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ».

بَيْنَ النَّبِيِّ ﷺ هَذَا الْأَمْرَ، فَيَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا يَحِلُّ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَهْجُرَ مُؤْمِنًا فَوْقَ ثَلَاثٍ، فَإِنْ مَرَّتْ بِهِ ثَلَاثٌ، فَلْيَلْقَهُ -أَيُّ: فَلْيُقَابِلْهُ- فَلْيُسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَإِنْ رَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ فَقَدْ اشْتَرَكََا فِي الْأَجْرِ، وَإِنْ لَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ فَقَدْ بَاءَ بِالْإِثْمِ، وَخَرَجَ الْمُسَلِّمُ مِنَ الْهَجْرَةِ» (١) (٢).

فَإِذَا مَرَّتْ ثَلَاثٌ عَلَى مُتَخَاصِمَيْنِ، ثُمَّ لَقِيَ أَحَدُهُمَا أَخَاهُ يُرِيدُ أَنْ يَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَيَخْرُجَ مِنَ الْهَجْرَةِ الْمَذْمُومَةِ -أَيُّ: مِنْ هَجْرِهِ لِأَخِيهِ- إِلَّا أَنَّ الْأَخَرَ قَدْ رَكِبَ رَأْسَهُ وَقَادَهُ شَيْطَانُهُ إِلَى مَهَاوِي الضَّلَالِ وَالْعِنَادِ وَالزَّيْغِ، فَيَقْبَلُ عَلَيْهِ أَخُوهُ فَيُلْقِي عَلَيْهِ السَّلَامَ، إِنْ رَدَّ فَقَدْ بَرَّأ مِنْ أَمْرِ الْهَجْرَةِ وَمِنْ أَمْرِ الْخِصَامِ، وَإِنْ رَكِبَ رَأْسَهُ وَأَبَى إِلَّا الْخِصَامَ وَالْمُخَاصِمَةَ وَالْعِنَادَ وَالْمُعَانَدَةَ، فَإِنَّ الَّذِي سَلَّمَ -أَيُّ: الْمُسَلِّمُ- كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ قَدْ بَرِيَ مِنَ الْهَجْرَةِ وَلَا يُعَدُّ هَاجِرًا، وَبَاءَ الْأَخْرُ بِالذَّنْبِ. (*)

(١) «الْمُسَلِّمُ» بِتَشْدِيدِ اللَّامِ الْمَكْسُورَةِ، أَيُّ: عَلَى أَخِيهِ بِالسَّلَامِ، «مِنَ الْهَجْرَةِ»، أَيُّ: مِنْ إِثْمِ الْهَجْرَانِ.

انظر: شرح ابن رسلان على «سنن أبي داود»: (١٨/٦٦٩، رقم ٤٩١٢)، و«مِرْقَاةُ الْمِفَاتِيحِ»: (٨/٣١٥٣، رقم ٥٠٣٦).

(٢) أخرجه أبو داود في «السنن»: (٤/٢٧٩، رقم ٤٩١٢)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. والحديث حسنه لغيره الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»: (٣/٥٠، رقم ٢٧٥٧).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ: «بِرُّ الْوَالِدَيْنِ وَصِلَةُ الرَّحِمِ» - مُحَاصِرَةُ ١ - الْجُمُعَةُ ١٩ - ٨ - ١٩٩٥ م.

الرَّسُولُ ﷺ يُحَرِّمُ هَذَا الْخِصَامَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، وَيَحْرَمُ الْهَجْرَةَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، وَيَأْمُرُ بِالتَّوَاصُلِ وَبِالتَّوَادِّ، وَبِالتَّحَابِّ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ.

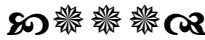
ثُمَّ يُضَيِّقُ الدَّائِرَةَ فِي أَمْرِ الْهَجْرَةِ تَضْيِيقًا مِنْ بَعْدِ تَضْيِيقٍ، فَيَبِينُ لَنَا نَبِيَّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ أَنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْهَجْرِ هَذَا الْهَجْرُ الَّذِي يَكُونُ بَيْنَ ذَوِي الْأَرْحَامِ.

فَيَبِينُ لَنَا النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا قَدْ بَيَّنَّ فِيمَا أَوْحَى إِلَيَّ نَبِيِّ ﷺ أَنَّ الَّذِينَ يَقْطَعُونَ أَرْحَامَهُمْ وَيَهْجُرُونَ إِخْوَانَهُمْ، وَأَنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَسْتَبِيحُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ يَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوَصَلَ، هَؤُلَاءِ لَعَنَهُمُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ، وَأَصَمَّهُمْ، وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ. (*)

عِبَادَ اللَّهِ! بِصِلَةِ الرَّحِمِ تَصْلُحُ الْمُجْتَمَعَاتُ، وَيَحْصُلُ التَّالْفُ بَيْنَ الْأَقْرَابِ فِي النَّسَبِ، وَكَذَلِكَ الْأَقْرَابُ بِالْجَوَارِ وَالْأَصْحَابِ، فَالْمُجْتَمَعُ لَا يَكُونُ سَعِيدًا إِلَّا إِذَا كَانَ بَيْنَ أَهْلِهِ التَّوَاصُلُ وَالتَّوَادُّ وَالتَّرَاحُمُ وَالمَحَبَّةُ الشَّرْعِيَّةُ.

وَأَمَّا الْقَطِيعَةُ فَكُلُّهَا شَرٌّ، وَالْإِنْتِقَامُ لِلنَّفْسِ كَذَلِكَ يَجْرُ إِلَى شَرِّ كَبِيرٍ، وَالصَّبْرُ وَالتَّرَاضِي ثَمَرَاتُهُ طَيِّبَةٌ وَعَوَاقِبُهُ حَمِيدَةٌ.

وَقَدْ قِيلَ: اصْبِرْ وَصَابِرْ تُدْرِكُ الْمَكَارِمَ. (*) (٢/٢).



(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «صَلُّوا أَرْحَامَكُمْ» - الْجُمُعَةُ: ٧-٦-٢٠٠٢ م.

(*) (٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ: «شَرْحُ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» «بَابُ: وَجُوبُ صِلَةِ الرَّحِمِ»

(ص: ٣٧٠-٣٧١) - شَرْحُ الْعَلَّامَةِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدِ رَسَلَانَ - حَفِظَهُ اللَّهُ -.

رَمَضَانُ شَهْرُ التَّعَرُّضِ لِرَحْمَاتِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى

عِبَادَ اللَّهِ! إِنَّ الْعَطَايَا الَّتِي أَعْطَاهَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ لِلْأُمَّةِ فِي هَذَا الشَّهْرِ هِيَ أَجَلُ الْعَطَايَا.

لَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ مِنَ الْمَكْرُمَاتِ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ فِي هَذَا الشَّهْرِ أَنْ جَعَلَ صِيَامَهُ عِتْقًا مِنَ النَّارِ، ثُمَّ إِنَّ الدَّائِرَةَ مَا تَزَالُ تَتَّسِعُ لِتَشْمَلَ أَكْبَرَ عَدَدٍ مِمَّنْ فِي قَلْبِهِ ذَرَّةٌ مِنْ خَيْرٍ؛ مِنْ إِيْمَانٍ وَيَقِينٍ؛ لِكَيْ يَدْخُلَ فِي عَطَاءِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَمَنْ قَامَ لَيْلَةً وَاحِدَةً؛ فَبَقَدَرَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ صَادِفَهَا، وَبَقَدَرَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَافَقَهَا.. بَلِيْلَةً وَاحِدَةً، جَعَلَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ الْعَطَاءَ مَوْصُولًا، وَالْفَضْلَ زَاخِرًا، وَالْمِنْنَ نَازِلَةً، وَالْعَطَايَا سَابِغَةً، فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مُوَافَقَةً بِفَضْلِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَقُدْرَتِهِ وَرَحْمَتِهِ؛ غَفَرَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ.

ثُمَّ مَا تَزَالُ الْمِنْنُ تَتَوَالَى: «إِنَّ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عِنْدَ كُلِّ فِطْرِ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ عِتْقَاءَ مِنَ النَّارِ»^(١).

(١) أخرجه ابن ماجه في «السنن»: (٥٢٦/١)، رقم (١٦٤٣)، من حديث: جَابِرٍ رضي الله عنه،

وأخرجه الترمذي في «الجامع»: (٥٧/٣-٥٨)، رقم (٦٨٢)، وابن ماجه أيضا:

(٥٢٦/١)، رقم (١٦٤٢)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

الْمَلِكُ الْجَلِيلُ الَّذِي يَكُونُ عِنْدَهُ الْعَبِيدُ يَتَحَرَّكُونَ فِي طَاعَتِهِ، يَبْتَغُونَ
مَرْضَاتَهُ.. الْمَلِكُ الْجَلِيلُ إِذَا مَا أَدَّى عَبِيدُهُ مَا كَلَّفُوا بِهِ أَتَتْ فَوَاضِلُهُ سَابِعَةً،
وَعَطَايَاهُ غَامِرَةً.

وَهَذَا فِي دُنْيَا النَّاسِ فِي عَالَمِ الْبَشَرِ عِنْدَ السَّيِّدِ الْكَرِيمِ الَّذِي عِنْدَهُ الْبَدَلُ
وَالْعَطَاءُ وَعِنْدَهُ التَّقْدِيرُ؛ فَإِنَّهُ مَا كَلَّفَ عَبْدَهُ بِشَيْءٍ فَاتَى بِهِ عَلَى النَّحْوِ الَّذِي
يُرِضِيهِ، أَوْ وَقَعَ مَقَارِبًا لِلْهَدَفِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ، أَوْ بَدَلَ الْجُهْدِ وَالْوُسْعِ مِنْ
غَيْرِ أَنْ يَصِلَ إِلَى مَا يُرِضِي سَيِّدَهُ عَلَى النَّحْوِ، فَإِنَّهُ إِذَا مَا أَنْتَهَى الْأَجَلَ الْمَضْرُوبُ
تَأْتِي الْعَطَايَا وَتَأْتِي الْفَوَاضِلُ وَتَأْتِي النِّعَمُ سَابِعَةً، فَكَيْفَ بِصَاحِبِ الْقُوَى
وَالْقُدْرِ؟! فَكَيْفَ بِاللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ!؟

«إِنَّ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ عِنْدَ كُلِّ فِطْرٍ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ عِتْقَاءَ مِنَ النَّارِ»، هَذَا عَتِيقُ
الرَّحْمَنِ فَلَا يَشْهَدُ نَارًا، وَلَا يَقْرُبُهَا، وَإِنَّمَا هُوَ بِمَبْعَدَةٍ وَمَنْجَاةٍ مِنْهَا، فَمَا أَجْمَلُهُ!

ثُمَّ يَجْعَلُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ لِكُلِّ آخِذٍ بِتَوَجُّهِ إِلَيْهِ مُقْبِلٍ عَلَيْهِ.. يَجْعَلُ اللَّهُ رَبُّ
الْعَالَمِينَ لِكُلِّ مَنْ كَانَ كَذَلِكَ دَعْوَةً مُسْتَجَابَةً عِنْدَ كُلِّ فِطْرٍ، يَأْذُنُ الْمَلِيكَ الْأَجَلَ
لِعَبْدِهِ الضَّعِيفِ الْمُسْتَكِينِ الْمُسْتَدِلِّ بَيْنَ يَدَيْهِ.. يَأْذُنُ لَهُ بِأَنْ يَرُويَ ظَمَأَهُ، وَأَنْ
يُشَبِّعَ نَهْمَتَهُ، وَأَنْ يَقْضِي وَطْرَهُ مِنْ أَهْلِهِ وَحَاجَتَهُ، وَيَأْتِي الْإِفْرَاجَ عَنِ الْإِمْسَاكِ

والحديث حسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»: (١/ ٥٨٥، رقم ٩٩٨)، وفي

«صحيح الجامع»: (١/ ٤٣٣، رقم ٢١٧٠)، وروي عن أبي سعيد وأبي أمامة وأنس

رضي الله عنهم، مرفوعا، بنحوه.

بِهَذِهِ السَّعَةِ وَقَبْلَ ذَلِكَ إِنْ دَعَوْتَ اسْتَجِيبَ لَكَ، فَيَجْعَلُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ عِنْدَ إِفْطَارِ الْعَبْدِ دَعْوَةً مُسْتَجَابَةً. (*)

«مِنْ أَعْظَمِ نِعَمِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ فَتَحَ بَابَ التَّوْبَةِ، وَجَعَلَهُ فَجْرًا تَبْدَأُ مَعَهُ رِحْلَةَ الْعُودَةِ بِقُلُوبٍ مُنْكَسِرَةٍ، وَدُمُوعٍ مُنْسَكِبَةٍ، وَجِبَاهٍ خَاضِعَةٍ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿نَبِيٌّ عِبَادِي أَيُّ أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

وَقَالَ -تَعَالَى- حَاطًا عَلَى التَّوْبَةِ وَالرُّجُوعِ وَالْأُوبَةِ: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١].

وَعِنْدَ مُسْلِمٍ فِي «صَحِيحِهِ» (٢)، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا».

وَهَذَا نَبِيُّ الرَّحْمَةِ ﷺ، وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، يَقُولُ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ! تُوبُوا إِلَى اللَّهِ؛ فَإِنِّي أَتُوبُ فِي الْيَوْمِ إِلَيْهِ مِائَةَ مَرَّةٍ» (٣). رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «رَمَضَانَ شَهْرُ الْعَطَاءِ» - الْجُمُعَةُ ٢٦ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٢٦ هـ | ٣٠-٩-٢٠٠٥ م.

(٢) «صَحِيحُ مُسْلِمٍ»: (٤ / ٢١١٣، رقم ٢٧٥٩)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «الصَّحِيحِ»: (٤ / ٢٠٧٥ - ٢٠٧٦، رقم ٢٧٠٢)، مِنْ حَدِيثِ: الْأَعْرَضِيِّ الْمُرَزِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ: «إِنَّهُ لَيَعَانُ عَلَيَّ قَلْبِي، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ».

فَتَأَمَّلْ فِي فَضْلِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا عَلَى التَّائِبِ الْعَائِدِ؛ فَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ» (١) «(٢)». وَالْحَدِيثُ حَدِيثٌ حَسَنٌ، أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهَ.

«وَفِي الْحَدِيثِ الْمُتَّفَقِ عَلَى صِحَّتِهِ (٣) مِنْ رِوَايَةِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ رَجُلًا قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، مِائَةً إِلَّا وَاحِدَةً، ثُمَّ أَرَادَ أَنْ يَتُوبَ، فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ؛ فَدُلَّ عَلَى عَابِدٍ، فَقَالَ: إِنِّي قَتَلْتُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَهَلْ لِي مِنْ تَوْبَةٍ؟

قَالَ: لَا، فَقَتَلَهُ؛ فَكَمَلَ بِهِ الْمِائَةَ، ثُمَّ حَنَّتْ نَفْسُهُ إِلَى التَّوْبَةِ، فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ؛ فَدُلَّ عَلَى عَالِمٍ، فَقَالَ: قَتَلْتُ مِائَةَ نَفْسٍ، فَهَلْ لِي مِنْ تَوْبَةٍ؟
قَالَ: وَمَنْ الَّذِي يَحُولُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ؟!!

وَلَكِنْ أَرْضُكَ أَرْضٌ سُوءٌ، فَدَعَهَا وَاذْهَبْ إِلَى أَرْضٍ كَذَا؛ فَإِنَّ فِيهَا قَوْمًا يَعْْبُدُونَ اللَّهَ، فَاعْبُدِ اللَّهَ مَعَهُمْ.

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهَ فِي «السَّنَنِ»: (٢ / ١٤١٩ - ١٤٢٠، رَقْم ٤٢٥٠)، مِنْ حَدِيثِ: عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَالْحَدِيثُ حَسَنُهُ ابْنُ حَجْرٍ فِي «فَتْحِ الْبَارِيِّ»: (١٣ / ٤٧١)، وَحَسَنُهُ لغيره الألباني فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ»: (٢ / ٢١٩، رَقْم ٣١٤٥).

(٢) «أَرْبَعُونَ دَرَسًا لِمَنْ أَدْرَكَ رَمَضَانَ»: الدَّرْسُ الرَّابِعُ وَالْعِشْرُونَ: التَّوْبَةُ، (ص ١٥٧) بِتَصْرِفٍ يَسِيرٍ.

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «الصَّحِيحِ»: (٦ / ٥١٢، رَقْم ٣٤٧٠)، وَمُسْلِمٌ فِي «الصَّحِيحِ»: (٤ / ٢١١٨، رَقْم ٢٧٧٦).

فَخَرَجَ مُهَاجِرًا إِلَى رَبِّهِ فَقَبِضَ، فَتَنَازَعَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ، تَقُولُ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ: مَا عَمِلَ خَيْرًا قَطُّ!! وَتَقُولُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ: إِنَّهُ خَرَجَ إِلَى رَبِّهِ تَائِبًا.

فَأَرْسَلَ اللَّهُ -تَعَالَى- إِلَيْهِمْ مَلَكًا عَلَى هَيْئَةِ رَجُلٍ فَحَكَّمُوهُ، فَقَالَ: قِيسُوا بَيْنَ الْمَوْضِعِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ وَالْمَوْضِعِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ، وَبَيْنَ الْمَوْضِعِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ وَالْمَوْضِعِ الَّذِي ذَهَبَ مُهَاجِرًا إِلَيْهِ، فَإِلَى أَيِّهِمَا كَانَ أَقْرَبَ فَلْتَقْبِضْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ أَوْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ، فَقَاسُوا فَوَجَدُوهُ أَقْرَبَ إِلَى الْأَرْضِ الطَّيِّبَةِ بِشَبْرٍ؛ فَقَبِضَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ».

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (١) وَأَنَسٍ (٢): أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَوْ أَنَّ لِابْنِ آدَمَ وَادِيًا مِنْ ذَهَبٍ؛ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَادِيَانِ، وَلَنْ يَمْلَأَ فَاهُ إِلَّا التُّرَابَ، وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ».

وَعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ جُهَيْنَةَ آتَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهِيَ حُبْلَى مِنَ الزَّانَا، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَصَبْتُ حَدًّا فَأَقِمْهُ عَلَيَّ، فَدَعَا نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ وَلِيَّهَا، فَقَالَ: «أَحْسِنُ إِلَيْهَا، فَإِذَا وَضَعْتَ فَأْتِنِي»، فَفَعَلَ، فَأَمَرَ بِهَا نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ، فَشَدَّتْ عَلَيْهَا ثِيَابَهَا، ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فَرَجِمَتْ، ثُمَّ صَلَّى عَلَيْهَا.

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح»: (١١/٢٥٣، رقم ٦٤٣٦ و٦٤٣٧)، ومسلم في «الصحيح»: (٢/٧٢٥، رقم ١٠٤٩).

(٢) أخرجه البخاري في «الصحيح»: (١١/٢٥٣، رقم ٦٤٣٩)، ومسلم في «الصحيح»: (٢/٧٢٥، رقم ١٠٤٨).

فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: تُصَلِّي عَلَيْهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَقَدْ زَنْتَ؟!!

فَقَالَ: «لَقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً لَوْ قُسِمَتْ بَيْنَ سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَوَسِعَتْهُمْ، وَهَلْ وَجَدْتَ أَفْضَلَ مِنْ أَنْ جَادَتْ بِنَفْسِهَا لِلَّهِ ﷻ؟»، رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١) «(٢)».

«إِنَّ رَمَضَانَ فُرْصَةٌ عَظِيمَةٌ لِلتَّوْبَةِ لِمَنْ صَدَقَ مَعَ اللَّهِ ﷻ؛ فَلَا يَكُونَنَّ الْمُفْرَطُ مِمَّنْ رَغِمَ أَنْفُهُ وَخَسِرَ هَذِهِ الْفُرْصَةَ الْعَظِيمَةَ؛ فَعَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «رَغِمَ أَنْفٌ مَنْ أَدْرَكَهُ رَمَضَانٌ فَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ» (٣).

«رَغِمَ أَنْفُهُ»؛ أَي: أَذَلَّهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَقَهَرَهُ، وَجَعَلَ أَنْفَهُ عَلَى الرَّغَامِ وَهُوَ التُّرَابُ.

فَلَا يَأْخُذَنَّ الْهَوَىٰ وَمُلْهِيَاتِ النَّفْسِ عَبْدًا عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ؛ فَإِنَّ الرَّسُولَ ﷺ قَالَ: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى»؛ أَي: إِلَّا مَنْ رَفَضَ وَامْتَنَعَ.

قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَمَنْ يَأْبَى؟

(١) أخرجه مسلم في «الصحیح»: (٣/ ١٣٢٤، رقم ١٦٩٦).

(٢) «رياض الصالحين»: باب التوبة: (ص ٣٦-٤١، رقم ٢٠-٢٣).

(٣) أخرجه مسلم في «الصحیح»: (٤/ ١٩٧٨، رقم ٢٥٥١) مختصراً، والترمذي في

«الجامع»: (٥/ ٥٥٠، رقم ٣٥٤٥)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ»، وصححه الألباني في «صحیح الترغيب

والترهيب»: (٢/ ٣٠٠، رقم ١٦٨٠).

قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى»^(١). أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ.

فَهَذَا الْحَدِيثُ بِشَارَةَ لِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِالْجَنَّةِ؛ إِلَّا صِنْفًا مِنْهُمْ لَا يُرِيدُونَ دُخُولَ الْجَنَّةِ، لَا زُهْدًا فِيهَا، وَلَكِنْ جَهْلًا بِالطَّرِيقِ الْمَوْصَلَةِ إِلَيْهَا، وَتَرَاحِيًا وَتَكَاسُلًا عَنِ دُخُولِهَا، وَتَفْضِيلًا لِهَذِهِ الْمُتَمَعِ الدُّنْيَوِيَّةِ الزَّائِلَةِ عَلَى تِلْكَ النَّعْمِ الْخَالِدَةِ الْبَاقِيَةِ فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ.

فَجِدَّ فِي التَّوْبَةِ، وَسَارِعْ إِلَيْهَا، فَلَيْسَ لِلْعَبْدِ مُسْتَرَا حٌ إِلَّا تَحْتَ شَجَرَةِ طُوبَى، وَلَا لِلْمُحِبِّ قَرَارٌ إِلَّا يَوْمَ الْمَزِيدِ، فَسَارِعْ إِلَى التَّوْبَةِ، وَهَبَّ مِنَ الْغَفْلَةِ، وَاعْلَمْ أَنَّ خَيْرَ أَيَّامِكَ يَوْمُ الْعُودَةِ إِلَى رَبِّكَ، فَاصْدُقْ فِي ذَلِكَ الْمَسِيرِ، وَلِيَهْنِكَ حَدِيثُ الرَّسُولِ ﷺ: «لِلَّهِ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلَاةٍ، فَاَنْفَلَتْ مِنْهُ، وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَأَيْسَ مِنْهَا، فَأَتَى شَجَرَةً، فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا، وَقَدْ أَيْسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ؛ إِذْ هُوَ بِهَا قَائِمَةٌ عِنْدَهُ، فَاخَذَ بِخَطَامِهَا، ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ! أَخْطَأُ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ»^(٢). رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «الصَّحِيحِ»: (١٣ / ٢٤٩، رَقْم ٧٢٨٠)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي هُرَيْرَةَ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَلِلطَّبْرَانِيِّ فِي «الْمَعْجَمِ الْأَوْسَطِ»: (١ / ٢٤٦، رَقْم ٨٠٨)، مِنْ رِوَايَةِ: أَبِي سَعِيدٍ

الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بِلَفْظٍ: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي دَخَلَ النَّارَ».

(٢) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «الصَّحِيحِ»: (٤ / ٢١٠٤، رَقْم ٢٧٤٧)، مِنْ حَدِيثِ: أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

يَنْبَغِي لِكُلِّ ذِي عَقْلٍ وَفِطْنَةٍ أَنْ يَحْذَرَ عَوَاقِبَ الْمَعَاصِي؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَ
الْأَدْمِيِّ وَبَيْنَ اللَّهِ -تَعَالَى- قَرَابَةً وَلَا رَحِمًا، وَإِنَّمَا هُوَ قَائِمٌ بِالْقِسْطِ، حَاكِمٌ بِالْعَدْلِ،
وَإِنْ كَانَ حِلْمُهُ يَسَعُ الذُّنُوبَ؛ إِلَّا أَنَّهُ إِذَا شَاءَ عَفَا، فَعَفَا عَنْ كُلِّ كَثِيفٍ مِنَ
الذُّنُوبِ، وَإِنْ شَاءَ أَخَذَ وَأَخَذَ بِالْيَسِيرِ؛ فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ!

وَكُنَّا أَصْحَابُ ذُنُوبٍ وَخَطَايَا، وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ هُوَ مَعْصُومٌ عَنِ الزَّلَلِ
وَالْخَطَا؛ وَلَكِنْ خَيْرِنَا مَنْ يُسَارِعُ إِلَى التَّوْبَةِ، وَيُبَادِرُ إِلَى الْعُودَةِ، تَحْتَهُ الْخُطْيَا،
وَتُسْرِعُ بِهِ الدَّمْعَةُ، وَيَعِينُهُ أَهْلُ الْخَيْرِ رُفَقَاءُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَإِنَّ مِنْ وَاجِبِ
الْأُخُوَّةِ فِي اللَّهِ: عَدَمَ تَرْكِ الْعَاصِي يَسْتَمِرُّ فِي مَعْصِيَتِهِ؛ بَلْ يُحَاطُ بِإِخْوَانِهِ، وَيُذَكَّرُ
وَيُنَبِّهُ، وَلَا يُهْمَلُ وَلَا يُتْرَكُ فَيُضِلُّ وَيَشْقَى.

أَرَأَيْتَ إِنْ نَزَلَ بِهِ مَرَضٌ أَوْ شَأْنٌ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا كَيْفَ تَقِفُ مَعَهُ وَتَعِينُهُ؟!
فَالْآخِرَةُ أَوْلَى وَأَبْقَى.

وَلَوْ تَفَقَّدَ كُلُّ مُسْلِمٍ أَخَاهُ وَقَرِيبَهُ وَجَارَهُ؛ لَصَلَحَتِ الْحَالُ، وَاسْتَقَامَتِ
الْأُمُورُ، خَاصَّةً فِي هَذَا الشَّهْرِ الْعَظِيمِ الَّذِي صَفَّتْ فِيهِ الْقُلُوبُ، وَاطْمَأَنَّتْ فِيهِ
النُّفُوسُ، وَسَارَعَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى فِعْلِ الْخَيْرَاتِ وَتَرْكِ الْمُنْكَرَاتِ؛ فَإِنَّهَا فُرْصَةٌ
عَظِيمَةٌ لِنُصْحِ الْمَذْنِبِ، وَتَنْبِيهِ الْغَافِلِ، وَتَعْلِيمِ الْجَاهِلِ.

وَالْحَالُ كَمَا ذَكَرَهَا ابْنُ الْجَوْزِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ^(١): «رَأَيْتَ الْخَلْقَ كُلَّهُمْ فِي صَفِّ
مُحَارَبَةٍ، وَالشَّيَاطِينُ يَرْمُونَهُمْ بِنَبْلِ الْهَوَى، وَيَضْرِبُونَهُمْ بِأَسْيَافِ اللَّذَّةِ، فَمَا

(١) «صيد الخاطر»: (ص ٢٠٢).

الْمُخَلِّطُونَ فَصَرَعَى مِنْ أَوَّلِ وَقْتِ اللَّقَاءِ، وَأَمَّا الْمُتَّقُونَ - جَعَلَنَا اللَّهُ مِنْهُمْ - فَفِي جُهْدٍ جَهِيدٍ مِنَ الْمُجَاهِدَةِ، فَلَا بُدَّ مَعَ طَوْلِ الْوُقُوفِ فِي الْمُحَارَبَةِ مِنْ جِرَاحٍ، مِنْهُمْ يُجْرَحُونَ وَيُدَاوُونَ؛ إِلَّا أَنَّهُمْ مِنَ الْقَتْلِ مَحْفُوظُونَ، بَلْ إِنَّ الْجِرَاحَةَ فِي الْوَجْهِ شَيْنٌ بَاقٍ^(١)؛ فَلْيَحْذَرِ ذَلِكَ الْمُجَاهِدُونَ^(٢).

نَسَأَلُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْنَا تَوْبَةً نَصُوحًا لَا نَعْصِيهِ مِنْ بَعْدِهَا أَبَدًا، وَأَنْ يُثَبِّتَنَا عَلَيْهَا حَتَّى يَقْبِضَنَا عَلَى الْإِخْلَاصِ مُؤْمِنِينَ مُتَّقِينَ مُحْسِنِينَ. (*).



(١) «الْجِرَاحَةُ» كناية عن الذنب، وإذا كانت في الوجه فهي ذنب كبير، والمصنف يحذر المجاهدون من كبائر الذنوب التي هي بمثابة الجرح في الوجه فهو باق ويشوه المنظر.
(٢) «أربعون درسا لمن أدرك رمضان»: الدرس الرابع والعشرون: التوبة، (ص ١٥٨ - ١٦١) بتصرف يسير.

(*): مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ: «مَجَالِسُ شَهْرِ رَمَضانَ» - الْخَمِيسُ ١٥ مِنْ رَمَضانَ ١٤٣٩ هـ|

التَّعَرُّضُ لِلرَّحْمَاتِ فِي الْعَشْرِ وَلَيْلَةِ الْقَدْرِ

«إِنَّ مِنْ حِكْمَةِ اللَّهِ ﷻ أَنْ جَعَلَ الْعَشْرَ الْأَوَّخِرَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ فُرْصَةً لِلْمُحْسِنِ أَنْ يَسْتَزِيدَ مِنَ الْخَيْرَاتِ، وَلِلْمُقْصِرِ أَنْ يَسْتَدْرِكَ مَا فَاتَ؛ فَهِيَ أَيَّامٌ مَبِيئَةٌ بِالنَّفَحَاتِ الْإِلَهِيَّةِ وَالْعَطَايَا الرَّبَّانِيَّةِ الَّتِي أَمَنَّ اللَّهُ ﷻ بِهَا عَلَى عِبَادِهِ، فَحَرِيٌّ بِكُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَتَعَرَّضَ فِيهَا لِرَحْمَاتِ اللَّهِ ﷻ» (١).

«فَمَا زِلْنَا نَعِيشُ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ وَاللَّيَالِي الْمُبَارَكَةِ الَّتِي هِيَ الْعَشْرُ الْأَخِيرَةُ مِنْ رَمَضَانَ، وَالَّتِي كَانَ يَخْصُهَا النَّبِيُّ ﷺ بِمَزِيدِ عِبَادَةٍ لَيْسَتْ فِي غَيْرِهَا، وَمِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا أَنْ جَعَلَ لَيْلَةً فِي هَذِهِ الْعَشْرِ خَيْرًا مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - فِيمَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» (٢) - قَالَتْ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَجْتَهِدُ فِي الْعَشْرِ الْأَوَّخِرِ مَا لَا يَجْتَهِدُ فِي غَيْرِهِ».

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» (٣) عَنْهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ شَدَّ مِئْزَرَهُ، وَأَحْيَا لَيْلَهُ، وَأَيَّقَظَ أَهْلَهُ».

(١) مِنْ خُطْبَةِ وَرَارَةَ الْأَوْقَافِ الْمِصْرِيَّةِ: «رَمَضَانَ شَهْرُ الْبِرِّ وَالصَّلَاةِ وَالتَّعَرُّضِ لِرَحْمَاتِ اللَّهِ»: (ص ٥)، ٢٦ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٤٠ هـ | ٣١-٥-٢٠١٩ م.

(٢) «صَحِيحُ مُسْلِمٍ»: (٢ / ٨٣٢، رَقْم ١١٧٥).

(٣) «صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ»: (٤ / ٢٦٩، رَقْم ٢٠٢٤)، و«صَحِيحُ مُسْلِمٍ»: (٢ / ٨٣٢، رَقْم

«وَشَدَّ مِئْزَرَهُ»؛ أَيِ اعْتَزَلَ نِسَاءَهُ لِيَتَفَرَّغَ لِلصَّلَاةِ وَالذِّكْرِ، «وَأَحْيَا لَيْلَهُ»: بِالْقِيَامِ، وَالْقِرَاءَةِ، وَالذِّكْرِ بِقَلْبِهِ وَلِسَانِهِ وَجَوَارِحِهِ، وَيُوقِظُ أَهْلَهُ؛ لِيَسْتَعْمِلُوا بِالصَّلَاةِ، وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، وَالذِّكْرِ، وَالدُّعَاءِ، وَالتَّضَرُّعِ لِلَّهِ جَلَّ وَعَلَا؛ حِرْصًا مِنْهُ ^{لِللَّيْلِ} وَالرَّحْمَةِ ^{وَالرَّحْمَةِ} عَلَيَّ اغْتِنَامِ هَذِهِ اللَّيَالِي الْمُبَارَكَةِ بِمَا هِيَ جَدِيرَةٌ بِهِ مِنَ الْعِبَادَةِ، فَإِنَّهَا فُرْصَةٌ الْعُمْرِ، وَغَنِيمَةٌ لِمَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ ^{عَلَيْكَ} لِلْخَيْرِ.

وَعَلَى هَذَا فَلَا يَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ الْعَاقِلِ أَنْ يُفَوِّتَ هَذِهِ الْفُرْصَةَ الْعَظِيمَةَ وَهَذِهِ اللَّيَالِي الثَّمِينَةَ عَلَيَّ نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ، فَمَا هِيَ إِلَّا سَاعَاتٌ قَلِيلَةٌ وَلَيَالٍ مَعْدُودَةٌ رَبِّمَا يُدْرِكُ فِيهَا الْإِنْسَانُ نَفْحَةً مِنْ نَفْحَاتِ الْمَوْلَى جَلَّ وَعَلَا فَتَكُونُ سَعَادَةً لَهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

وَيَزِيدُ مِنْ شَرَفِ هَذِهِ اللَّيَالِي وَيَرْفَعُ مِنْ قَدْرِهَا أَنْ أَنْعَمَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا عَلَيَّ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنْ جَعَلَ فِيهَا لَيْلَةً خَيْرًا مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ -ثَلَاثٍ وَثَمَانِينَ سَنَةً وَأَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ-، وَهِيَ نِعْمَةٌ أَعْظَمُ بِهَا مِنْ نِعْمَةٍ، وَمِنْحَةٌ أَكْرَمُ بِهَا مِنْ مِنْحَةٍ، وَفُرْصَةٌ رَبَّانِيَّةٌ لَا يُوفِّقُ لَهَا إِلَّا الْمُخْلِصُونَ لِلَّهِ أَعْمَالَهُمْ، الْعَامِلُونَ لِلصَّالِحَاتِ، التَّائِبُونَ لِرَبِّهِمْ، الْخَائِفُونَ مِنْهُ -تَعَالَى-، الرَّاجُونَ لِرَحْمَتِهِ وَمَغْفِرَتِهِ -فَهَذِهِ اللَّيْلَةُ -يَعْنِي: لَيْلَةَ الْقَدْرِ- هِيَ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، وَأَلْفِ شَهْرٍ: ثَلَاثٌ وَثَمَانُونَ سَنَةً وَأَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ، مَعَ أَنَّ مُتَوَسِّطَ عُمْرِ الْمُسْلِمِ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ مَا بَيْنَ السِّتِّينَ وَالسَّبْعِينَ.

فَلَيْلَةٌ وَاحِدَةٌ هِيَ خَيْرٌ مِنْ عُمْرِهِ كُلِّهِ؛ لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «أَعْمَارُ أُمَّتِي مَا بَيْنَ السِّتِّينَ وَالسَّبْعِينَ، وَقَلِيلٌ مَنْ يُجَاوِزُ» (١).

فَلَيْلَةٌ هِيَ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، خَيْرٌ مِنْ ثَلَاثِ وَثَمَانِينَ سَنَةً وَأَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ - .

يَقُولُ فِيهَا جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٢) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣) نَزَّلُ الْمَلَائِكَةَ وَالرُّوحَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ (٤) سَلَّمَ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ [القدر: ١-٥].

وَيَقُولُ - تَعَالَى - أَيْضًا: ﴿حَمِّ (١) وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ (٣) فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ (٤) أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ (٥) رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٦) رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ (٧) لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ﴾ [الدخان: ١-٨].

فَهِيَ لَيْلَةٌ مُبَارَكَةٌ لِكَثْرَةِ خَيْرِهَا وَبَرَكَتِهَا وَفَضْلِهَا، وَكَيْفَ لَا وَهَذَا الْقُرْآنُ الْمَجِيدُ أَنْزَلَ فِيهَا؟

وَفِيهَا يُفْصَلُ مِنَ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ مَا هُوَ كَائِنٌ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا فِي تِلْكَ السَّنَةِ؛ مِنَ الْأَرْزَاقِ، وَالْأَجَالِ، وَالْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَالْحَيَاةِ وَالْمَمَاتِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ حَكِيمٍ.

(١) أخرجه الترمذي في «الجامع»: (٤ / ٥٦٦ رقم ٢٣٣١)، و (٥ / ٥٥٣ رقم ٣٥٥٠)،

وابن ماجه في «السنن»: (٢ / ١٤١٥، رقم ٤٢٣٦)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

والحديث صححه لغيره الألباني في «الصحيحه»: (٢ / ٣٨٥، رقم ٧٥٧).

وَهِيَ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ فِي الْفَضْلِ وَالْبَرَكَةِ وَالشَّرَفِ، وَكَثْرَةِ الثَّوَابِ وَالْأَجْرِ.

وَفِيهَا تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَةِ رَبِّهِمْ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ^(١)، يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ، يَنْزِلُونَ إِلَى الْأَرْضِ بِالْخَيْرِ وَالْبَرَكَةِ وَالرَّحْمَةِ.

وَهِيَ سَلَامٌ لِلْمُؤْمِنِينَ مِنْ كُلِّ مَخُوفٍ؛ لِكَثْرَةِ مَنْ يُعْتَقُ فِيهَا مِنَ النَّارِ، وَيَسْلَمُ مِنْ عَذَابِهَا، وَفِيهَا تُغْفَرُ الذُّنُوبُ، وَتُقَالُ الْعَثَرَاتُ، وَيُعْفَى عَنِ الزَّلَّاتِ، وَتُسْتَجَابُ الدَّعَوَاتُ؛ لِمَنْ قَامَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ مُؤْمِنًا بِرَبِّهِ، وَاثِقًا مِنْ عَطَايَاهُ، مُحْتَسِبًا لِلْأَجْرِ وَالثَّوَابِ، مُخْلِصًا نِيَّتَهُ، مُقْتَدِيًا بِنَبِيِّهِ ﷺ وَالرَّسُولِ.

فِي «الصَّحِيحَيْنِ»^(٢) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ».

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِي بَيَانِ تَحْدِيدِ لَيْلَةِ الْقَدْرِ: «تَحَرَّوْا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضانَ»^(٣). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

(١) «يستحسرون»، أي: لا ينقطعون عما هم فيه من العبادة.

(٢) «صحيح البخاري»: (١/ ٩١ - ٩٢، رقم ٣٥ و ٣٧ و ٣٨)، و«صحيح مسلم»: (١/

٥٢٣ - ٥٢٤، رقم ٧٦٠)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري في «الصحيح»: (٤/ ٢٥٩، رقم ٢٠٢٠)، ومسلم في «الصحيح»:

(٢/ ٨٢٨، رقم ١١٦٩)، من حديث: عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وفي رواية للبخاري (٤/ ٢٥٩، رقم ٢٠١٧)، بلفظ: «تَحَرَّوْا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْوَتْرِ مِنْ

وَهِيَ فِي الْأَوْتَارِ أَقْرَبُ مِنَ الْأَشْفَاعِ؛ فَقَدْ أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ وَغَيْرُهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «تَحَرَّوْا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْوَتْرِ مِنَ الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ».

وَفِي السَّبْعِ الْأَوَاخِرِ مِنْهُ أَقْرَبُ؛ لِمَا رَوَى الشَّيْخَانِ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ أَرَوْا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْمَنَامِ فِي السَّبْعِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَرَى رُؤْيَاكُمْ قَدْ تَوَاطَأَتْ - يَعْنِي: اتَّفَقَتْ - فِي السَّبْعِ الْأَوَاخِرِ؛ فَمَنْ كَانَ مُتَحَرِّبًا فَلْيَتَحَرَّهَا فِي السَّبْعِ الْأَوَاخِرِ»^(١). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَأَقْرَبُ أَوْتَارِ السَّبْعِ الْأَوَاخِرِ لَيْلَةُ سَبْعِ وَعِشْرِينَ^(٢)، وَلَكِنْ لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَا تَخْتَصُّ بِلَيْلَةٍ مُعَيَّنَةٍ فِي جَمِيعِ الْأَعْوَامِ؛ بَلْ تَتَقَلُّ مِنْ عَامٍ لِآخَرَ.

وَقَدْ أَخْفَى اللَّهُ - تَعَالَى - عِلْمَهَا عَنِ الْعِبَادِ رَحْمَةً بِهِمْ؛ لِيُكْثِرُوا عَمَلَهُمْ فِي طَلَبِهَا فِي تِلْكَ اللَّيَالِي الْفَاضِلَةِ كُلِّهَا بِمَا يُقْرَبُهُمْ إِلَيْهِ - تَعَالَى -؛ مِنْ الصَّلَاةِ، وَالذِّكْرِ، وَالِدُّعَاءِ، وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، وَالصَّدَقَةِ، وَالْبِرِّ، وَإِعَانَةِ الْمُحْتَاجِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ - فَلَيْلَةُ الْقَدْرِ قَدْ تَكُونُ لَيْلَةً إِحْدَى وَعِشْرِينَ، فَقَدْ كَانَتْ

العشر الأواخر من رمضان».

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح»: (٤/٢٥٦، رقم ٢٠١٥)، ومسلم في «الصحيح»: (٢/٨٢٢-٨٢٤، رقم ١١٦٥).

وفي رواية لمسلم: «أَرَى رُؤْيَاكُمْ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ، فَاطْلُبُوهَا فِي الْوَتْرِ مِنْهَا».

(٢) أخرجه مسلم في «الصحيح»: (١/٥٢٥) و(٢/٨٢٨، رقم ٧٦٢)، من حديث: أَبِي بَنْ كَعْبٍ، قَالَ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ: «وَاللَّهِ إِنِّي لَأَعْلَمُهَا، وَأَكْثَرُ عِلْمِي هِيَ اللَّيْلَةُ الَّتِي أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِقِيَامِهَا هِيَ لَيْلَةُ سَبْعِ وَعِشْرِينَ».

كَذَلِكَ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَقَدْ أَعْلَمَ بِعَلَامَةٍ يَرَاهَا فِي صُبْحِهَا: أَنَّهُ يَسْجُدُ فِي صُبْحِهَا فِي مَاءٍ وَطِينٍ، فَكَانَتْ تِلْكَ اللَّيْلَةَ، أَرْسَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِيهَا الْمَطَرَ حَتَّى أَصَابَ أَرْضَ مَسْجِدِ النَّبِيِّ ﷺ؛ فَلَمَّا سَجَدَ بَدَأَ أَنْزَلَ الْمَاءَ وَالطِّينَ عَلَى جَبْهَتِهِ وَأَنْفِهِ ﷺ (١)، وَكَانَتْ لَيْلَةً إِحْدَى وَعِشْرِينَ.

وَكَذَلِكَ لِيَالِي الْأَشْفَاعِ لَا تَسْتَهِنُ بِهَا؛ فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «التَّمِسُّوْهَا فِي تَاسِعَةِ تَبْقَى، فِي سَابِعَةِ تَبْقَى...» الْحَدِيثُ (٢).

فَإِذَا كَانَ الشَّهْرُ نَاقِصًا وَكَانَ تِسْعَةَ وَعِشْرِينَ يَوْمًا، فَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ قَوْلَهُ ﷺ: «التَّمِسُّوْهَا فِي تَاسِعَةِ تَبْقَى» تَكُونُ لَيْلَةَ عِشْرِينَ، فَلَيْلَةَ عِشْرِينَ قَدْ تَكُونُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ؛ وَلِذَلِكَ فَالْعُلَمَاءُ عَلَى بَدَلِ الْمَجْهُودِ فِي الْعَشْرِ جَمِيعِهَا، مَعَ رِعَايَةِ أَوْتَارِهَا، وَمَا دَلَّ عَلَيْهِ الرَّسُولُ ﷺ لِيُخَصَّ بِمَزِيدٍ طَلَبٍ وَاجْتِهَادٍ -.

هَذِهِ اللَّيْلَةُ فُرْصَةٌ قَدْ لَا تَمُرُّ وَلَا تَسْنَحُ لِلْإِنْسَانِ مَرَّةً أُخْرَى، فَاجْتَهِدْ غَايَةَ جَهْدِكَ، وَقَدِّمْ فِيهَا مَا تَسْتَطِيعُ تَقْدِيمَهُ، وَلَا تُضَيِّعْ فِيهَا وَقْتَكَ؛ فَإِنَّ الْوَقْتَ فِيهَا ثَمِينٌ، وَمَا مَرَّ رَبِّمَا لَا يَعُودُ، وَهَذِهِ الْفُرْصَةُ رَبِّمَا لَا تَسْنَحُ لِلْعَبْدِ مَرَّةً أُخْرَى، فَمَنْ يَدْرِي إِذَا جَاءَ رَمَضانُ بَعْدُ نَكُونُ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا أَمْ مِنْ أَهْلِ الْقُبُورِ!!

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «الصَّحِيحِ»: (٢/٢٩٨، رَقْمُ ٨١٣)، وَمُسْلِمٌ فِي «الصَّحِيحِ»:

(٢/٨٢٤، رَقْمُ ١١٦٧)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «الصَّحِيحِ»: (٤/٢٦٠، رَقْمُ ٢٠٢١ وَ ٢٠٢٢)، مِنْ حَدِيثِ: ابْنِ

عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وَفِي رِوَايَةٍ لَهُ: «هِيَ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ، هِيَ فِي تِسْعِ يَمُضِينَ، أَوْ فِي سَبْعِ بَيْتَيْنِ».

نَسَأَلُ اللّٰهَ أَنْ يُحْسِنَ خِتَامَنَا أَجْمَعِينَ .

وَعَلَيْنَا أَلَّا نُنْسِيَ أَنْفُسَنَا وَلَا أَوْلَادَنَا وَلَا أَهْلِينَا فِي هَذِهِ اللَّيَالِي الْمُبَارَكَةِ؛ فَلَنُقْتَدِ
بِنَبِيِّنا ﷺ؛ كَانَ يُحْيِي لَيْلَهُ، وَيُوقِظُ أَهْلَهُ، وَكَفَى تَفْرِيطًا فِيمَا مَرَّ مِنْ سَالِفِ الْعُمُرِ .

التَّاجِرُ يَنْبَغِي عَلَيْهِ أَنْ يَقِفَ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ وَقَفَةً لِلْحِسَابِ مَعَ نَفْسِهِ؛ لِيُرَاجِعَ
أَمْوَالَهُ، وَيُدَقِّقَ حِسَابَهُ، وَلِيُنَيِّبَ إِلَى رَبِّهِ الْكَرِيمِ الْمَنَّانِ .

الْمَوْظَفُ عَلَيْهِ أَنْ يَعْتَنِمَ هَذِهِ اللَّيْلَةَ الشَّرِيفَةَ الْعَظِيمَةَ؛ لِيُصَحِّحَ مَا وَقَعَ فِيهِ مِنْ
زَلَّاتٍ وَأَخْطَاءٍ، وَلِيُعَالِجَ مَا وَقَعَ فِيهِ مِنْ تَقْصِيرٍ .

الْمَرْأَةُ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ تُرَاجِعُ حِسَابَاتِهَا مَعَ رَبِّهَا جَلَّ وَعَلَا فِيمَا أَوْجَبَ اللّٰهُ
عَلَيْهَا، وَلْتَجْعَلَ هَذِهِ اللَّيْلَةَ خُطْوَةً تَتَقَدَّمُ بِهَا إِلَى الْأَمَامِ (١) .

لَوْ عَلِمَ الْمُسْلِمُ فَضَائِلَ هَذِهِ اللَّيْلَةِ الْعَظِيمَةِ، وَعَلِمَ أَنَّ لَيْلَةَ الْقَدْرِ مَحْضُورَةٌ
فِي الْعَشْرِ الْأَوَّخِرِ مِنْ رَمَضَانَ؛ لَجَدَّ وَاجْتَهَدَ كَمَا كَانَ يَفْعَلُ رَسُولُهُ ﷺ: «جَدَّ
وَشَدَّ الْمِثْرَ» . (*) .



(١) مقال بعنوان: «ليلة القدر خير من ألف شهر»، بتصرف واختصار يسير .

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ: «مَجَالِسُ شَهْرِ رَمَضَانَ» - الثَّلَاثَاءُ ٢٠ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٩ هـ |

أَحْكَامُ زَكَاةِ الْفِطْرِ

وَقْتَهَا، وَحُكْمُهَا، وَعَلَى مَنْ تَجِبُ؟ وَعَمَّنْ تُؤَدَّى؟

وَالْحِكْمَةُ مِنْهَا، وَجِنْسُ الْوَاجِبِ فِي زَكَاةِ الْفِطْرِ...

* وَقْتُهَا:

عِبَادَ اللَّهِ! لَقَدْ شَرَعَ اللَّهُ تَعَالَى لَنَا فِي خِتَامِ شَهْرِنَا هَذَا - شَهْرِ رَمَضَانَ - أَنْ تُؤَدَّى زَكَاةُ الْفِطْرِ قَبْلَ صَلَاةِ الْعِيدِ.

* فَأَمَّا حُكْمُهَا:

فَإِنَّهَا فَرِيضَةٌ فَرَضَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَمَا فَرَضَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَوْ أَمْرٌ بِهِ؛ فَلَهُ حُكْمُ مَا فَرَضَهُ اللَّهُ تَعَالَى أَوْ أَمْرٌ بِهِ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ۗ وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ

حَفِيظًا﴾ [النساء: ٨٠].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُنِنَ لَهُ الْأُهدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ

الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ ۖ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧].

* عَلَيَّ مَنْ تَجِبُ؟

وَزَكَاةُ الْفِطْرِ فَرِيضَةٌ عَلَيَّ الْكَبِيرِ وَالصَّغِيرِ، وَالذَّكْرِ وَالْأُنْثَى، وَالْحُرِّ وَالْعَبْدِ
مِنَ الْمُسْلِمِينَ.

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «فَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَكَاةَ الْفِطْرِ مِنْ رَمَضَانَ
صَاعًا مِنْ تَمْرٍ، أَوْ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ عَلَيَّ الْعَبْدِ وَالْحُرِّ، وَالذَّكْرِ وَالْأُنْثَى، وَالصَّغِيرِ
وَالْكَبِيرِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ». وَالْحَدِيثُ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» (١).

وَلَا تَجِبُ عَنِ الْحَمْلِ الَّذِي فِي الْبَطْنِ إِلَّا أَنْ يَتَطَوَّعَ بِهَا عَنْهُ فَلَا بَأْسَ؛ فَقَدْ
كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُمَانُ بْنُ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُخْرِجُهَا عَنِ الْحَمْلِ.

* عَمَّنْ تُوَدَّى؟

وَيَجِبُ إِخْرَاجُهَا عَنْ نَفْسِهِ، وَعَمَّنْ تَلَزَمَهُ مَثُونَتُهُمْ مِنْ زَوْجَةٍ أَوْ قَرِيبٍ؛ إِذَا
لَمْ يَسْتَطِيعُوا إِخْرَاجَهَا عَنْ أَنْفُسِهِمْ، فَإِنْ اسْتَطَاعُوا فَلْأَوْلَى أَنْ يُخْرِجُوهَا عَنْ
أَنْفُسِهِمْ؛ لِأَنََّّهُمُ الْمُخَاطَبُونَ بِهَا أَصْلًا.

وَلَا تَجِبُ إِلَّا عَلَيَّ مَنْ وَجَدَهَا فَاضِلَةً زَائِدَةً عَمَّا يَحْتَاجُهُ مِنْ نَفَقَةِ يَوْمِ الْعِيدِ
وَلَيْلَتِهِ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ إِلَّا أَقْلَ مِنْ صَاعٍ أَخْرَجَهُ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَأَنْقُوا اللَّهَ مَا
أَسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، وَلِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأَتُوا مِنْهُ مَا
إَسْتَطَعْتُمْ». كَمَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ» (٢).

(١) «صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ» فِي (الزَّكَاةِ، ٧٠، رَقْمُ ١٥٠٣) وَفِي مَوَاضِعَ، وَ«صَحِيحُ مُسْلِمٍ» فِي
(الزَّكَاةِ، ٤: ١، رَقْمُ ٩٨٤).

(٢) «صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ» فِي (الاعْتِصَامِ، ٢: ١٢، رَقْمُ ٧٢٨٨)، وَ«صَحِيحُ مُسْلِمٍ» فِي
(الْحَجِّ، ٧٣، رَقْمُ ١٣٣٧).

* وَالْحِكْمَةُ مِنْ صَدَقَةِ الْفِطْرِ:

وَالْحِكْمَةُ مِنْ صَدَقَةِ الْفِطْرِ ظَاهِرَةٌ جَدًّا، وَمِنْ ذَلِكَ:

- فِيهَا إِحْسَانٌ إِلَى الْفُقَرَاءِ، وَكَفٌّ لَهُمْ عَنِ السُّؤَالِ فِي يَوْمِ الْعِيدِ؛ لِيُشَارِكُوا الْأَغْنِيَاءَ فِي فَرَحِهِمْ وَسُرُورِهِمْ بِهِ، وَلِيَكُونَ عِيدًا لِلْجَمِيعِ.

- وَفِيهَا الْإِتِّصَافُ بِخُلُقِ الْكَرَمِ، وَحُبُّ الْمُوَاسَاةِ.

- وَفِيهَا تَطْهِيرُ الصَّائِمِ مِمَّا يَحْصُلُ فِي صِيَامِهِ مِنْ نَقْصٍ، وَلَغْوٍ، وَإِثْمٍ.

- وَفِيهَا إِظْهَارُ شُكْرِ نِعْمَةِ اللَّهِ بِاتِّمَامِ صِيَامِ شَهْرِ رَمَضانَ وَقِيَامِهِ، وَفِعْلُ مَا تيسَّرَ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ فِيهِ.

فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: «فَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه وآله زَكَاةَ الْفِطْرِ طَهْرَةً لِلصَّائِمِ مِنَ اللَّغْوِ وَالرَّفَثِ، وَطَعْمَةً لِلْمَسَاكِينِ؛ فَمَنْ أَدَّاهَا قَبْلَ الصَّلَاةِ فَهِيَ زَكَاةٌ مَقْبُولَةٌ، وَمَنْ أَدَّاهَا بَعْدَ الصَّلَاةِ فَهِيَ صَدَقَةٌ مِنَ الصَّدَقَاتِ». أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ، وَابْنُ مَاجَةَ، وَهُوَ حَدِيثٌ حَسَنٌ^(١).

* وَجِنْسُ الْوَاجِبِ فِي الْفِطْرَةِ -أَي: صَدَقَةِ الْفِطْرِ-:

هُوَ طَعَامُ الْأَدَمِيِّينَ مِنْ تَمْرٍ، أَوْ بُرٍّ، أَوْ أَرْزٍ، أَوْ زَبِيبٍ، أَوْ أَقِطٍ -وَهُوَ اللَّبَنُ الْمُجَفَّفُ الَّذِي لَمْ تُنَزَعْ زُبْدَتُهُ- إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ طَعَامِ بَنِي آدَمَ.

(١) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي (الزَّكَاةِ، ١٧، رَقْم ١٦٠٩)، وَابْنُ مَاجَةَ فِي (الزَّكَاةِ، ٢١: ٣، رَقْم

١٨٢٧)، وَحَسَنَةُ الْأَلْبَانِيِّ «الْإِرْوَاءِ» (٨٤٣).

وَالدَّلِيلُ: عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «فَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ زَكَاةَ الْفِطْرِ مِنْ رَمَضَانَ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ، أَوْ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ». وَكَانَ الشَّعِيرُ يَوْمَ ذَلِكَ مِنْ طَعَامِهِمْ.

وَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كُنَّا نُخْرِجُ يَوْمَ الْفِطْرِ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ صَاعًا مِنْ طَعَامٍ، وَكَانَ طَعَامُنَا: الشَّعِيرَ، وَالزَّبِيبَ، وَالْأَقِطَ، وَالتَّمْرَ». وَهَذَا أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «الصَّحِيحِ» (١).

وَالصَّاعُ: أَرْبَعَةُ أَمْدَادٍ.

وَالْمُدُّ: حَفْنَةٌ بِكَفِّي الرَّجُلِ الْمُعْتَدِلِ الْكَفَّيْنِ.

فَأَرْبَعَةُ أَمْدَادٍ: صَاعٌ؛ فَالصَّاعُ أَرْبَعَةُ أَمْدَادٍ.

وَانْتَبَهْ: الْمُدُّ أَنْ تَأْخُذَ بِكَفَيْكَ مِلْأَهُمَا؛ فَهَذَا مُدٌّ - أَرْبَعَةُ أَمْدَادٍ صَاعٌ -.

لَا يُجْزَى إِخْرَاجُ طَعَامِ الْبَهَائِمِ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَرَضَهَا طَعْمَةً لِلْمَسَاكِينِ، لَا لِلْبَهَائِمِ.

وَلَا يُجْزَى إِخْرَاجُهَا مِنَ الثِّيَابِ، وَالْفُرُشِ، وَالْأَوَانِي، وَالْأَمْتَعَةِ وَغَيْرِهَا مِمَّا سِوَى طَعَامِ الْآدَمِيِّينَ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَرَضَهَا مِنَ الطَّعَامِ؛ فَلَا تَتَعَدَّ مَا عِنْدَهُ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

(١) «صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ» فِي (الزَّكَاةِ، ٧٣، رَقْمُ ١٥٠٦)، وَفِي مَوَاضِعَ، وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ أَيْضًا فِي (الزَّكَاةِ، ٤: ٦، رَقْمُ ٩٨٥).

* هَلْ يُجْزَى إِخْرَاجُ زَكَاةِ الْفِطْرِ قِيَمَةَ الطَّعَامِ؟

وَلَا يُجْزَى إِخْرَاجُ قِيَمَةَ الطَّعَامِ؛ لِمَاذَا؟

- لِأَنَّ ذَلِكَ خِلَافٌ مَّا أَمَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَقَدْ ثَبَتَ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ». أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «الصَّحِيحِ» (١).

وَرَدٌّ: أَي: مَرْدُودٌ؛ لِأَنَّ إِخْرَاجَ الْقِيَمَةِ مُخَالَفٌ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَمُخَالَفٌ لِأَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ فَقَدْ كَانُوا يُخْرِجُونَهَا صَاعًا مِنْ طَعَامٍ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمُهَدِّينَ مِنْ بَعْدِي» (٢).

- وَلِأَنَّ زَكَاةَ الْفِطْرِ عِبَادَةٌ مَفْرُوضَةٌ مِنْ جِنْسٍ مُعَيَّنٍ؛ فَلَا يُجْزَى إِخْرَاجُهَا مِنْ غَيْرِ الْجِنْسِ الْمُعَيَّنِ، كَمَا لَا يُجْزَى إِخْرَاجُهَا فِي غَيْرِ الْوَقْتِ الْمُعَيَّنِ؛ وَلِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ عَيَّنَهَا مِنْ أَجْنَاسٍ مُخْتَلِفَةٍ، وَأَقْيَامَهَا مُخْتَلِفَةً غَالِبًا؛ فَلَوْ كَانَتِ الْقِيَمَةُ مُعْتَبَرَةً لَكَانَ الْوَاجِبُ صَاعًا مِنْ جِنْسٍ، وَمَا يُقَابَلُ قِيَمَتَهُ مِنَ الْأَجْنَاسِ الْأُخْرَى.

- وَلِأَنَّ إِخْرَاجَ الْقِيَمَةِ يُخْرِجُ الْفِطْرَةَ عَنْ كَوْنِهَا شَعِيرَةً ظَاهِرَةً إِلَى كَوْنِهَا صَدَقَةً خَفِيَّةً؛ فَإِنَّ إِخْرَاجَهَا (صَاعًا) مِنْ طَعَامٍ يَجْعَلُهَا ظَاهِرَةً بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ،

(١) «صَحِيحُ مُسْلِمٍ» فِي (الْأَفْضِيَّةِ، ٨: ٢، رَقْم ١٧١٨).

(٢) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي (السُّنَّةِ، ٦: ٤، رَقْم ٤٦٠٧)، وَالتِّرْمِذِيُّ فِي (الْعِلْمِ، ١٦: ١، رَقْم

٢٦٧٦)، وَابْنُ مَاجَهَ فِي (الْمُقَدِّمَةِ، ٦، رَقْم ٤٢، ٤٣، وَ٤٤)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي

(الْإِرْوَاءِ) (٢٤٥٥)، وَفِي «الصَّحِيحَةِ» (٩٣٧).

مَعْلُومَةٌ لِلصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ، يُشَاهِدُونَ كَيْلَهَا وَتَوَزِيرِعَهَا، وَيَتَبَادَلُونَهَا بَيْنَهُمْ، بِخِلَافِ مَا لَوْ كَانَتْ نَقْدًا يُخْرِجُهَا الْإِنْسَانُ حُفِيَّةً بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْآخِذِ (*).

وَالْأَخَنَافُ يَقُولُونَ - فِي زَكَاةِ الْفِطْرِ - بِالْقِيَمَةِ، وَلَمْ يُخَالَفْ إِلَّا أَبُو حَنِيفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَهُوَ إِمَامٌ مُعْتَبَرٌ مُتَّبَعٌ لَا خِلَافَ عَلَى هَذَا، وَلَيْسَ مِنَ الْحَطِّ مِنْ شَأْنِ أَيِّ إِمَامٍ مِنَ الْأَثَمَةِ إِذَا مَا خَالَفَ سُنَّةَ الرَّسُولِ ﷺ أَنْ يُقَالَ خَالَفَ.

هَذَا لَا يَحْطُّ مِنْ قَدْرِهِ؛ لِأَنَّهُ قَدْ صَحَّ عَنْهُمْ جَمِيعًا قَوْلُهُمْ: «إِذَا صَحَّ الْحَدِيثُ فَهُوَ مَذْهَبِي»، فَلِأَثَمَةِ الْأَرْبَعَةِ صَحَّ عَنْهُمْ هَذَا الْقَوْلُ الْعَظِيمُ، وَكَمَا قَالَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِذَا جَاءَكَ الْقَوْلُ مِنْ قَوْلِي مُخَالَفًا لِمَا جَاءَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ فَاضْرِبْ بِقَوْلِي عَرْضَ الْحَائِطِ، وَلَا تَلْتَفِتْ إِلَيَّ قَوْلِي».

وَمَنْ يَكُونُ الْمَرْءُ حَتَّى يُخَالَفَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ !!؟

فَأَنْتَ إِذَا مَا خَالَفْتَ الْإِمَامَ فِيمَا خَالَفَ فِيهِ؛ لِأَنَّ السُّنَّةَ لَمْ تَصِلْهُ، أَوْ لِأَنَّ الْحَدِيثَ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ مِمَّا يُعْمَلُ بِهِ، كَأَنْ يَكُونَ مُعَارِضًا بِمَا هُوَ أَقْوَى مِنْهُ فِي نَظَرِهِ، أَوْ أَنْ يَرَى أَنَّهُ مَنْسُوخٌ، أَوْ لَا تَبَيَّنَ لَهُ الدَّلَالَةُ مِنْهُ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَعْزُضُ لِلْأَثَمَةِ.

لِأَنَّهُ لَا يُعْقَلُ أَنْ يُخَالَفَ إِمَامٌ مِنْ أُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ سُنَّةَ النَّبِيِّ الْأَمِينِ ﷺ، وَلَكِنَّ أَبَا حَنِيفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خَالَفَ فِي هَذَا الْأَمْرِ، كَمَا خَالَفَ فِي مَسْأَلَةِ الْوَلِيِّ، وَلِذَلِكَ

(* مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «فِي وَدَاعِ رَمَضَانَ» - ٢٤ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٤ هـ - ٢ أَيْسُطُس

نَقُولُ لِلَّذِينَ يَقُولُونَ بِالْقِيَمَةِ قَوْلًا وَاحِدًا - وَيَقُولُونَ لَنَا إِمَامٌ مُعْتَبَرٌ، هُوَ مُعْتَبَرٌ وَهُوَ إِمَامٌ، وَلَكِنَّهُ خَالَفَ فِي هَذَا الْأَمْرِ؛ لِأَنَّ هَذَا لَمْ يَثْبُتْ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَلَا عَنِ الصَّحَابَةِ، وَلَا مَنْ بَعْدَهُمْ إِلَى عَصْرِهِ.

وَالْأَيُّمَةُ الثَّلَاثَةُ أَلَيْسُوا بِمُعْتَبَرِينَ؟!

الإِمَامُ مَالِكٌ، وَالْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ، وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ كُلُّهُمْ عَلَى عَدَمِ إِجْرَاءِ الْقِيَمَةِ قَوْلًا وَاحِدًا.

فَالْمَسْأَلَةُ لَيْسَتْ انْتِقَاءً، يَعْنِي أَنْتَ تَتَّقِي؛ لِأَنَّكَ إِذَا أَخَذْتَ بِرُخْصَةِ كُلِّ إِمَامٍ تَجَمَّعَ فِيكَ الشَّرُّ كُلُّهُ.

فَنَقُولُ لِلَّذِينَ يَقُولُونَ إِنَّمَا هِيَ الْقِيَمَةُ قَوْلًا وَاحِدًا؛ أَخَذًا بِقَوْلِ أَبِي حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ، نَقُولُ: وَقَدْ رَأَى أَبُو حَنِيفَةَ أَنَّ الْمَرْأَةَ تَزُوجُ نَفْسَهَا، فَهَلْ تَقْبَلُ أَنْ تَزُوجَ ابْنَتَكَ نَفْسَهَا، ثُمَّ تَأْتِي بِزَوْجِهَا وَتَدْخُلُ بِهِ عَلَيْكَ؟!!

هُوَ يَقُولُ: إِنْ هَذَا لَا شَيْءَ فِيهِ، هَلْ تَقْبَلُ هَذَا لِابْنَتِكَ أَوْ لِأَخْتِكَ؟!!

نَحْنُ نَسْأَلُ: لِمَاذَا تَقْبَلُ هَذَا، وَلَا تَقْبَلُ هَذَا؟

فَإِذَا خَالَفَ الْإِمَامُ فِي مَسْأَلَةٍ مِنَ الْمَسَائِلِ؛ نَعُودُ إِلَى مَا صَحَّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَا يَنْقُصُ هَذَا مِنْ قَدْرِ الْإِمَامِ فِي شَيْءٍ؛ لِأَنِّي عِنْدَ مُخَالَفَتِهِ أَكُونُ مُتَّبِعًا لَهُ، كَيْفَ أَكُونُ مُتَّبِعًا لَهُ عِنْدَ مُخَالَفَتِي إِيَّاهُ؟

لِقَوْلِهِ هُوَ، فَكُلُّهُمْ صَحَّ عَنْهُمْ: «إِذَا صَحَّ الْحَدِيثُ فَهُوَ مَذْهَبِي».

فَإِذَنْ؛ أَنَا إِذَا أَخَذْتُ بِالْحَدِيثِ الصَّحِيحِ أَكُونُ مُتَّبِعًا لِلْإِمَامِ عِنْدَ مُخَالَفَةِ الْإِمَامِ؛ لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي أَمَرَنِي، قَالَ: «إِذَا صَحَّ الْحَدِيثُ فَهُوَ مَذْهَبِي» (*).

* مِقْدَارُ صَدَقَةِ الْفِطْرِ:

صَاعٌ بِصَاعِ النَّبِيِّ ﷺ الَّذِي يَبْلُغُ وَزْنُهُ بِالْمِثْقَالِ: (أَرْبَعٌ مِئَةٌ وَثَمَانِينَ مِثْقَالًا مِنْ الْبُرِّ الْجَيِّدِ).

وَبِالْجِرَامَاتِ يَبْلُغُ: (كِيلُوَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَرْبَعِينَ جِرَامًا مِنْ الْبُرِّ الْجَيِّدِ).

فَإِذَا أَرَادَ إِنْسَانٌ أَنْ يَعْرِفَ الصَّاعَ النَّبَوِيَّ فَلْيَزِنْ كِيلُوَيْنِ وَأَرْبَعِينَ جِرَامًا مِنَ الْبُرِّ، وَيَضَعَهَا فِي إِنَاءٍ بِقَدْرِهَا بِحَيْثُ تَمَلَّوْهُ ثُمَّ يَكِيلُ بِهِ.

يَكِيلُ بِهِ بَعْدَ ذَلِكَ مَا يُخْرِجُهُ مِنْ أُرْزٍ، أَوْ مِنْ أَقِطٍ، أَوْ مِنْ دَقِيقٍ، أَوْ مَا أَشْبَهَ مِنْ طَعَامِ بَنِي آدَمَ؛ الْمُهْمُ أَنَّهُ صَارَ عِنْدَهُ صَاعُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

* وَقْتُ وَجُوبِ الْفِطْرَةِ - صَدَقَةِ الْفِطْرِ -:

وَقْتُ وَجُوبٍ: وَهُوَ غُرُوبُ الشَّمْسِ مِنْ لَيْلَةِ الْعِيدِ؛ فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْوُجُوبِ حِينَ ذَاكَ وَجَبَتْ عَلَيْهِ، وَإِلَّا فَلَا.

وَعَلَى هَذَا إِذَا مَاتَ قَبْلَ الْغُرُوبِ وَلَوْ بِدَقَائِقٍ؛ لَمْ تَجِبْ صَدَقَةُ الْفِطْرِ عَلَيْهِ، وَإِنْ مَاتَ بَعْدَ الْغُرُوبِ وَلَوْ بِدَقَائِقٍ؛ وَجَبَ إِخْرَاجُ فِطْرَتِهِ.

(* مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاصِرَةِ: «زَكَاةُ الْفِطْرِ» - الثَّلَاثَاءُ ٢٣ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٢ هـ / الموافق

وَلَوْ وُلِدَ شَخْصٌ بَعْدَ الْغُرُوبِ وَلَوْ بِدَقَائِقٍ؛ لَمْ تَجِبْ فِطْرَتُهُ، وَلَكِنْ يُسْنُّ إِخْرَاجُهَا كَمَا فَعَلَ عُمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَلَوْ وُلِدَ قَبْلَ الْغُرُوبِ وَلَوْ بِدَقَائِقٍ؛ وَجِبَ إِخْرَاجُ الْفِطْرَةِ عَنْهُ.

وَإِنَّمَا كَانَ وَقْتُ وُجُوبِهَا غُرُوبَ الشَّمْسِ مِنْ لَيْلَةِ الْعِيدِ؛ لِأَنَّهُ الْوَقْتُ الَّذِي يَكُونُ بِهِ الْفِطْرُ مِنْ رَمَضَانَ، وَهِيَ مُضَافَةٌ إِلَى ذَلِكَ؛ فَإِنَّهُ يُقَالُ: زَكَاةُ الْفِطْرِ مِنْ رَمَضَانَ؛ فَكَانَ مَنَاطُ الْحُكْمِ ذَلِكَ الْوَقْتُ.

* وَأَمَّا زَمَنُ دَفْعِهَا: فَلَهُ وَقْتَانِ، وَقْتُ فَضِيلَةٍ، وَقْتُ جَوَازٍ:

أَمَّا وَقْتُ الْفَضِيلَةِ: فَهُوَ صُبْحُ يَوْمِ الْعِيدِ قَبْلَ الصَّلَاةِ؛ لِمَا رُوِيَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كُنَّا نَخْرُجُ يَوْمَ الْفِطْرِ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَاعًا مِنْ طَعَامٍ» (١).

وَفِيهِ أَيْضًا مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ بِزَكَاةِ الْفِطْرِ قَبْلَ خُرُوجِ النَّاسِ إِلَى الصَّلَاةِ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

قَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ فِي «تَفْسِيرِهِ»: عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ، عَنْ عِكْرِمَةَ، قَالَ: «يُقَدَّمُ الرَّجُلُ زَكَاتَهُ يَوْمَ الْفِطْرِ بَيْنَ يَدَيْ صَلَاتِهِ» (٢)؛ فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ (١٤)

(١) تَقَدَّمَ تَخْرِيجُهُ.

(٢) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي «الْمُصَنَّفِ» فِي (الزَّكَاةِ، ٦٧: ٩، رَقْمُ ١٠٣٢٩)، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ عُيَيْنَةَ، وَأَخْرَجَهُ أَيْضًا عَبْدُ الرَّزَّاقِ فِي «الْمُصَنَّفِ» (رَقْمُ ٥٨٤٧) وَاللَّفْظُ لَهُ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ، كِلَاهِمَا: عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ، عَنْ عِكْرِمَةَ قَالَ: «كَانَ النَّاسُ يُلْقُونَ زَكَاتَهُمْ وَيَأْكُلُونَ قَبْلَ أَنْ يَخْرُجُوا إِلَى الْمُصَلَّى»، وَهَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ.

وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴿ [الأعلى: ١٤ - ١٥] (١)، وَلِذَلِكَ كَانَ مِنَ الْأَفْضَلِ تَأْخِيرُ صَلَاةِ الْعِيدِ يَوْمَ الْفِطْرِ؛ لِتَسِعَ الْوَقْتُ لِإِخْرَاجِ الْفِطْرَةِ؛ فَهَذَا وَقْتُ الْفَضِيلَةِ.

وَأَمَّا وَقْتُ الْجَوَازِ: فَهُوَ قَبْلَ الْعِيدِ بِيَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ.

عِنْدَ الْبُخَارِيِّ فِي «الصَّحِيحِ» (٢) عَنْ نَافِعٍ قَالَ: «كَانَ ابْنُ عُمَرَ يُعْطِي عَنِ الصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ، حَتَّى إِنَّهُ كَانَ يُعْطِي عَن بَنِي، وَكَانَ يُعْطِيهَا الَّذِينَ يَقْبَلُونَهَا، وَكَانُوا يُعْطُونَ قَبْلَ الْفِطْرِ بِيَوْمٍ أَوْ بِيَوْمَيْنِ».

وَلَا يَجُوزُ تَأْخِيرُهَا عَن صَلَاةِ الْعِيدِ؛ فَإِنْ أَخْرَجَهَا عَن صَلَاةِ الْعِيدِ بِلَا عُذْرٍ لَمْ تُقْبَلْ مِنْهُ؛ لِأَنَّهُ خِلَافُ مَا أَمَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ آدَاهَا قَبْلَ الصَّلَاةِ فَهِيَ زَكَاةٌ مَقْبُولَةٌ، وَمَنْ آدَاهَا بَعْدَ الصَّلَاةِ فَهِيَ صَدَقَةٌ مِنَ الصَّدَقَاتِ» (٣).

وَإِنْ أَخْرَجَهَا لِعُذْرٍ فَلَا بَأْسَ، كَأَن يُصَادِفَهُ الْعِيدُ لَيْسَ عِنْدَهُ مَا يَدْفَعُ مِنْهُ، أَوْ لَيْسَ عِنْدَهُ مَنْ يَدْفَعُ إِلَيْهِ، أَوْ يَأْتِي خَبْرُ ثُبُوتِ الْعِيدِ مُفَاجِئًا بِحَيْثُ لَا يَتِمَكَّنُ مِنْ إِخْرَاجِهَا قَبْلَ الصَّلَاةِ، أَوْ أَنْ يَكُونَ مُعْتَمِدًا عَلَى شَخْصٍ فِي إِخْرَاجِهَا فَيَنْسَى أَنْ يُخْرِجَهَا؛ فَلَا بَأْسَ أَنْ يُخْرِجَهَا وَلَوْ بَعْدَ الْعِيدِ؛ لِأَنَّهُ مُعْذُورٌ فِي ذَلِكَ.

وَالْوَاجِبُ أَنْ تَصِلَ إِلَى مُسْتَحِقِّهَا أَوْ وَكَيْلِهِ فِي وَقْتِهَا قَبْلَ الصَّلَاةِ (*).

(١) «فتح الباري» لابن حجر (٣/ ٣٧٥).

(٢) «صحيح البخاري» في (الزكاة، ٧٧، رقم ١٥١١).

(٣) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي (الزكاة، ١٧، رقم ١٦٠٩)، وَابْنُ مَاجَهَ فِي (الزكاة، ٢١: ٣، رقم ١٨٢٧)، وَحَسَنَةُ الْأَلْبَانِيُّ «الإرواء» (٨٤٣)، وَقَدْ تَقَدَّمَ.

(* مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «فِي وَدَاعِ رَمَضَانَ» - ٢٤ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٤ هـ - ٢ أَيْسُطُس

وَقَتَّ الْجَوَازِ - كَمَا مَرَّ لِإِخْرَاجِ زَكَاةِ الْفِطْرِ - قَبْلَ الْعِيدِ بِيَوْمٍ أَوْ بِيَوْمَيْنِ، لَا بِأُسْبُوعٍ أَوْ أُسْبُوعَيْنِ.

وَالْأَحْنَافُ يَرَوْنَ أَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ تُخْرَجَ زَكَاةُ الْفِطْرِ مِنْ أَوَّلِ رَمَضَانَ، فَكَيْفَ تَكُونُ طُعْمَةً لِلْمَسَاكِينِ فِي يَوْمِ الْعِيدِ، وَكَيْفَ تَكُونُ إِغْنَاءً!!؟

هَذَا مُصَادِمٌ لِلْحِكْمَةِ الَّتِي لِأَجْلِهَا فُرِضَتْ، ثُمَّ إِنَّهَا تَكُونُ إِظْهَارًا لِإِنْعَمَةِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى الْعَبْدِ بِتَوْفِيقِ الرَّبِّ ﷻ لَهُ بِأَدَاءِ فَرَضِ الصِّيَامِ، وَسُنَّةِ الْقِيَامِ، وَمَا تَيْسَّرَ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، فَكُلُّ هَذَا يَنْتَفِي عِنْدَمَا نَقُولُ: نُخْرِجُ زَكَاةَ الْفِطْرِ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ مِنْ رَمَضَانَ، وَإِنَّمَا نَتَّبِعُ الْوَارِدَ عَنِ الرَّسُولِ ﷺ، وَعَنْ صَحَابَتِهِ (*).

* وَمَكَانٌ دَفَعَهَا:

تُدْفَعُ إِلَى فُقَرَاءِ الْمَكَانِ الَّذِي هُوَ فِيهِ وَقَتَّ الْإِخْرَاجِ؛ سَوَاءً كَانَ مَحَلَّ إِقَامَتِهِ أَوْ غَيْرَهُ مِنْ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ، لَا سِيَّمَا إِنْ كَانَ مَكَانًا فَاضِلًا كَمَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ، أَوْ كَانَ فُقَرَاؤُهُ أَشَدَّ حَاجَةً؛ فَإِنْ كَانَ فِي بَلَدٍ لَيْسَ فِيهِ مَنْ يَدْفَعُ إِلَيْهِ، أَوْ كَانَ لَا يَعْرِفُ الْمُسْتَحِقِّينَ فِيهِ؛ وَكُلٌّ مَنْ يَدْفَعُهَا عَنْهُ فِي مَكَانٍ فِيهِ مُسْتَحِقٌّ.

* وَالْمُسْتَحِقُّونَ لِزَكَاةِ الْفِطْرِ:

هُمُ الْفُقَرَاءُ - الْفُقَرَاءُ الْمَسَاكِينُ - كَمَا بَيَّنَّهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «طُعْمَةٌ لِلْمَسَاكِينِ».

فَلَا تُدْفَعُ عَلَى حَسَبِ مَصَارِفِ زَكَاةِ الْمَالِ الثَّمَانِيَّةِ، وَإِنَّمَا لَهَا مَصْرِفٌ وَاحِدٌ

(* مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاصِرَةِ: «زَكَاةُ الْفِطْرِ» - الثَّلَاثَاءُ ٢٣ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٢ هـ / الْمَوْافِقِ

وَهُمْ: الْمَسَاكِينُ وَالْفُقَرَاءُ؛ فَيَدْفَعُ زَكَاةَ الْفِطْرِ إِلَيْهِمْ (*).

إِنَّ الْمُجْتَمَعَ الْمُسْلِمَ مُجْتَمَعٌ مُتَكَافِلٌ، هَذَا هُوَ الْمُجْتَمَعُ الَّذِي أَرَادَهُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِإِنْشَاءِ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ ﷺ وَبِعَثَّةِ رَسُولِ اللَّهِ، لَوْ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَا وُجِدَ فِي الْأَرْضِ مُحْتَاجٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، لَتَكَافَلُوا وَتَنَاصَرُوا، وَتَازَرُوا وَتَعَاطَفُوا، وَتَسَانَدُوا وَتَعَاضَدُوا، كَالْجَسَدِ الْوَاحِدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عَضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحَمَى^(٢)، وَلَكِنَّ النُّفُوسَ فِيهَا كَثِيرٌ مِنَ الْآفَاتِ وَالْأَمْرَاضِ، نَسَأَلُ اللَّهَ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَنَا أَجْمَعِينَ.

فَهَذَا هُوَ مُلَخَّصُ مَا يَتَعَلَّقُ بِهَذَا الْأَمْرِ مِنْ هَذِهِ الْفَرِيضَةِ الَّتِي فَرَضَهَا الرَّسُولُ

ﷺ.

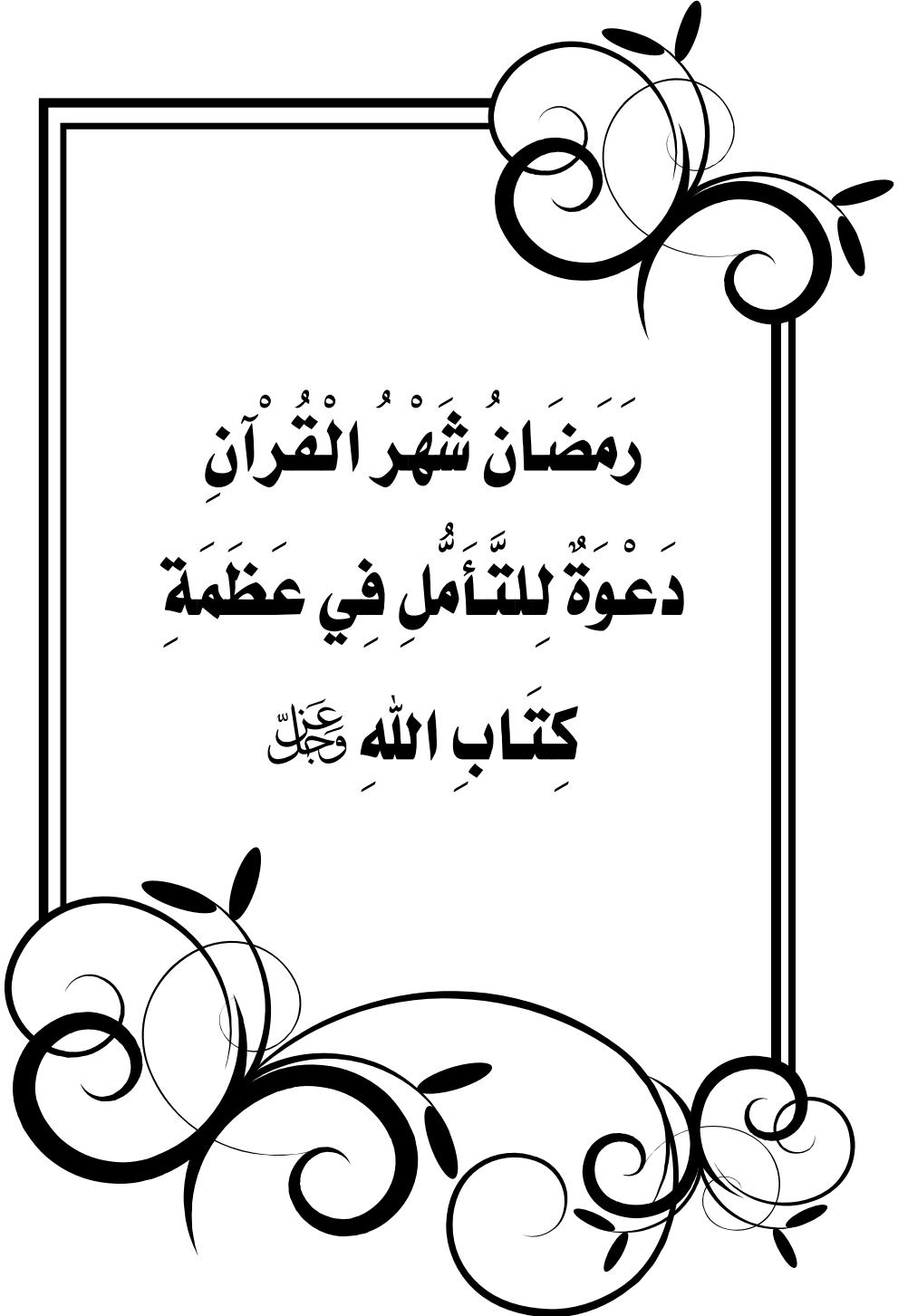
وَأَسْأَلُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ بِأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى، وَصِفَاتِهِ الْمُثَلَّى أَنْ يُعَلِّمَنَا مَا يَنْفَعُنَا، وَأَنْ يَنْفَعَنَا بِمَا عَلَّمَنَا، وَأَنْ يَزِيدَنَا عِلْمًا، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَيَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ. (* / ٢).



(* مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «فِي وَدَاعِ رَمَضَانَ» - ٢٤ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٤ هـ - ٢ أَيْغُسْطُس ٢٠١٣ م.

(٢) أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ فِي (الْأَدَبِ، ٢٧: ٤، رَقْمَ ٦٠١١)، وَمُسْلِمٌ فِي (الْبِرِّ وَالصَّلَاةِ، ١٧: ٢، رَقْمَ ٢٥٨٦)، مِنْ حَدِيثِ: النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عَضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحَمَى».

(* / ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَةٍ: «زَكَاةُ الْفِطْرِ» - الثَّلَاثَاءُ ٢٣ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٢ هـ / الموافق ٢٣ / ٨ / ٢٠١١ م.



رَمَضَانَ شَهْرَ الْقُرْآنِ
دَعْوَةٌ لِلتَّأْمَلِ فِي عِظَمَةِ
كِتَابِ اللَّهِ عَجَلًا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا
وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا
إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُونَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل

عمران: ١٠٢].

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا
رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ؕ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ؕ وَالْأَرْحَامَ ؕ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾

[النساء: ١].

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ
وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

• أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَشَرَّ
الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي
النَّارِ.

• أَمَّا بَعْدُ:

رَمَضَانُ وَالْقُرْآنُ

فَشَهْرُ رَمَضَانَ؛ عَظَّمَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدْرَهُ، وَأَبْقَى ذِكْرَهُ لَمَّا أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنَ الْمَجِيدَ؛ بَلْ إِنَّ النَّاطِرَ فِي الْآيَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِيهَا بِصِيَامِهِ؛ يَلْمَحُ أَنَّ هَذَا الصِّيَامَ إِنَّمَا فُرِضَ فِي هَذَا الشَّهْرِ لِنُزُولِ الْقُرْآنِ فِيهِ.

فَاللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ذَكَرَ أَنَّ الْقُرْآنَ أُنزِلَ فِي رَمَضَانَ ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ [البقرة: ١٨٥]، فَذَكَرَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى نُزُولَ الْقُرْآنِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، ثُمَّ قَالَ: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥].

فَفَرَضَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى صِيَامَهُ بَعْدَ مَا ذَكَرَ تَخْصِيصَهُ بِنُزُولِ الْقُرْآنِ فِيهِ؛ لِذَلِكَ يَقُولُ الْعُلَمَاءُ: شَهْرُ رَمَضَانَ شَهْرُ الْقُرْآنِ، أُنزِلَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِيهِ الْقُرْآنَ، وَسَنَّ فِيهِ النَّبِيُّ ﷺ الْقِيَامَ، وَفِي الْقِيَامِ تِلَاوَةٌ لِكِتَابِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا مَعَ التَّطْوِيلِ فِي ذَلِكَ مَا اسْتَطَاعَ الْمُسْلِمُونَ. (*)

لَقَدْ اقْتَرَنَ شَهْرُ رَمَضَانَ بِالْقُرْآنِ؛ ذَلِكَ لِأَنَّهُ الشَّهْرُ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ ذَلِكَ الْكِتَابُ الْعَزِيزُ، كَمَا قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاصِرَةٍ: «رَمَضَانَ وَالْقُرْآنُ ١».

كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ
بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْتُمْ وَلِعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ ﴿البقرة: ١٨٥﴾.

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ ﴿١﴾ أَي: الصَّوْمُ الْمَفْرُوضُ عَلَيْكُمْ
هُوَ شَهْرُ رَمَضَانَ، الشَّهْرُ الْعَظِيمُ الَّذِي قَدْ حَصَلَ لَكُمْ فِيهِ مِنَ اللَّهِ الْفَضْلُ الْعَظِيمُ،
وَهُوَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ الْمُشْتَمَلُ عَلَى الْهِدَايَةِ لِمَصَالِحِكُمُ الدِّينِيَّةِ وَالدُّنْيَوِيَّةِ، وَتَبَيَّنَ
الْحَقُّ بِأَوْضَحِ بَيَانٍ، وَالْفُرْقَانِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَالْهُدَى وَالضَّلَالِ، وَأَهْلَ
السَّعَادَةِ وَأَهْلَ الشَّقَاوَةِ؛ فَحَقِيقُ بِشَهْرٍ هَذَا فَضْلُهُ وَهَذَا إِحْسَانُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ فِيهِ أَنْ
يَكُونَ مَوْسِمًا لِلْعِبَادِ مَفْرُوضًا فِيهِ الصِّيَامُ.

فَلَمَّا قَرَّرَهُ، وَبَيَّنَّ فَضِيلَتَهُ وَحِكْمَةَ اللَّهِ -تَعَالَى- فِي تَخْصِيصِهِ؛ قَالَ: ﴿فَمَنْ
شَهِدَ مِنْكُمْ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ ﴿٢﴾، هَذَا فِيهِ تَعْيِينُ الصِّيَامِ عَلَى الْقَادِرِ الصَّحِيحِ الْحَاضِرِ.

وَلَمَّا كَانَ النَّسْخُ لِلتَّخْيِيرِ بَيْنَ الصِّيَامِ وَالْفِدَاءِ خَاصَّةً؛ أَعَادَ الرَّخْصَةَ لِلْمَرِيضِ
وَالْمُسَافِرِ؛ لِثَلَا يُتَوَهَّمُ أَنَّ الرَّخْصَةَ -أَيْضًا- مَنْسُوخَةٌ، فَقَالَ: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ
الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ ﴿٣﴾ أَي: يُرِيدُ اللَّهُ -تَعَالَى- أَنْ يُيسِّرَ عَلَيْكُمْ الطَّرْقَ
الْمُوصِلَةَ إِلَى رِضْوَانِهِ أَعْظَمَ تَيْسِيرٍ، وَيُسَهِّلَهَا أَشَدَّ تَسْهِيلٍ؛ وَلِهَذَا كَانَ جَمِيعُ مَا
أَمَرَ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ فِي غَايَةِ السُّهُولَةِ فِي أَصْلِهِ، وَإِذَا حَصَلَتْ بَعْضُ الْعَوَارِضِ
الْمُوجِبَةِ لِثِقَلِهِ؛ سَهَّلَهُ تَسْهِيلًا آخَرَ؛ إِمَّا بِإِسْقَاطِهِ، أَوْ تَخْفِيفِهِ بِأَنْوَاعِ التَّخْفِيفَاتِ.

وَهَذِهِ جُمْلَةٌ لَا يُمَكِّنُ تَفْصِيلُهَا؛ لِأَنَّ تَفَاصِيلَهَا جَمِيعُ الشَّرْعِيَّاتِ، وَيَدْخُلُ
فِيهَا جَمِيعُ الرُّخْصِ وَالْتَّخْفِيفَاتِ.

﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ﴾: وَهَذَا - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - لِئَلَّا يَتَوَهَّمُ مُتَوَهِّمٌ أَنَّ صِيَامَ رَمَضَانَ يَحْصُلُ الْمَقْصُودُ مِنْهُ بِبَعْضِهِ، دَفَعَ هَذَا الْوَهْمَ بِالْأَمْرِ بِتَكْمِيلِ عِدَّتِهِ، وَيَشْكُرُ اللَّهُ تَعَالَى عِنْدَ إِتْمَامِهِ عَلَى تَوْفِيقِهِ وَتَسْهِيلِهِ وَتَبَيُّنِهِ لِعِبَادِهِ، وَبِالتَّكْبِيرِ عِنْدَ انْقِضَائِهِ، وَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ التَّكْبِيرُ عِنْدَ رُؤْيَةِ هَالِالٍ شَوَالٍ إِلَى فَرَاغِ خُطْبَةِ الْعِيدِ^(١).

وَاقْتِرَانَ رَمَضَانَ بِالْقُرْآنِ لَهُ صِلَةٌ بِفَرْضِ الصِّيَامِ فِيهِ، فَالصَّوْمُ مِنْ أَقْوَى الْأَسْبَابِ فِي إِزَالَةِ الْعَلَائِقِ الْبَشَرِيَّةِ الْحَاجِبَةِ عَنِ رُؤْيَةِ الْهَدَايَاتِ الْإِلَهِيَّةِ الَّتِي بَثَّهَا اللَّهُ - تَعَالَى - فِي الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ؛ وَلِهَذَا فَإِنَّ الْمُنَاسَبَةَ وَالصَّلَةَ بَيْنَ الصَّوْمِ وَنُزُولِ الْقُرْآنِ عَظِيمَةٌ.

فَلَمَّا كَانَ رَمَضَانُ مُخْتَصًّا بِنُزُولِ الْقُرْآنِ؛ فَقَدْ كَانَ لَازِمًا أَنْ يَكُونَ مُخْتَصًّا بِالصِّيَامِ؛ لِأَنَّ الصَّوْمَ هُوَ أَنْسَبُ حَالَاتِ الْإِنْسَانِ لِتَلْقَى هُدَى اللَّهِ الْمُنَزَّلِ فِي الْقُرْآنِ. وَالْآيَاتُ تُشْعِرُكَ بِأَنَّ مِنْ أَعْظَمِ مَقَاصِدِ الصَّوْمِ: تَصْفِيَةَ الْفِكْرِ لِأَجْلِ فَهْمِ الْقُرْآنِ؛ فَبَعْدَ الْحَدِيثِ عَنِ فَرَضِيَّةِ الصِّيَامِ: ﴿كُنِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ [البقرة: ١٨٣] جَاءَ الْحَدِيثُ عَنِ تَنْزُلِ الْقُرْآنِ فِي رَمَضَانَ: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ [البقرة: ١٨٦]؛ لِيَكُونَ شَهْرُ رَمَضَانَ مُخْتَصًّا بِالصِّيَامِ لِأَجْلِ الْقُرْآنِ، وَمِنْ هُنَا كَانَ رَمَضَانُ وَكَانَ الصِّيَامُ لِأَجْلِ الْقُرْآنِ، وَلَا عَجَبَ بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ يُقَالَ عَنِ رَمَضَانَ: «شَهْرُ الْقُرْآنِ». (*).



(١) «تفسير السعدي» (ص ٨٦).

(* مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَةِ: «رَمَضَانُ وَالْقُرْآنُ ٢» - الْجُمُعَةُ ٢ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٩هـ | ١٨ -

حَالُ السَّلَفِ مَعَ الْقُرْآنِ فِي رَمَضَانَ

لَقَدْ فَهَمَ سَلَفُنَا الصَّالِحُ هَذَا الْمَعْنَى جَيِّدًا وَوَعَوْهُ - أَنَّ الصِّيَامَ لِأَجْلِ الْقُرْآنِ -، وَعَلِمُوا أَنَّ وَظِيفَةَ رَمَضَانَ الْكُبْرَى هِيَ الْإِعْتِنَاءُ بِالْقُرْآنِ، وَالْقِيَامُ بِالْقُرْآنِ، وَالصِّيَامُ لِأَجْلِ تَخْلِيَةِ الذَّهْنِ لِلْقُرْآنِ.

«سُئِلَ الزُّهْرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ الْعَمَلِ فِي رَمَضَانَ، فَقَالَ: «إِنَّمَا هُوَ تِلَاوَةُ الْقُرْآنِ، وَإِطْعَامُ الطَّعَامِ».

وَنَقَلَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ عَنِ الْإِمَامِ الثَّوْرِيِّ: «أَنَّهُ كَانَ إِذَا دَخَلَ رَمَضَانُ؛ تَرَكَ جَمِيعَ الْعِبَادَاتِ غَيْرِ الْوَاجِبَةِ، وَأَقْبَلَ عَلَى تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ».

وَحَكَى ابْنُ عَبْدِ الْحَكَمِ عَنِ الْإِمَامِ مَالِكٍ: «أَنَّهُ كَانَ إِذَا دَخَلَ رَمَضَانُ؛ فَرَّ مِنْ مَجَالِسِ الْعِلْمِ، وَأَقْبَلَ عَلَى تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ مِنَ الْمُصْحَفِ» (١). (*)

كَانَ الْأَئِمَّةُ - رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى - يَجْتَهِدُونَ فِي تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، فَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ يَخْتِمُ فِي كُلِّ يَوْمٍ خَتْمَةً، وَرَبَّمَا كَانَ يَخْتِمُ خَتْمَتَيْنِ،

(١) بتصرف يسير من: «لطائف المعارف» لابن رجب (ص ١٧١).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاصِرَةِ: «رَمَضَانَ وَالْقُرْآنَ ٢» - الْجُمُعَةُ ٢ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٩ هـ | ١٨ -

وَأَحْوَالُهُمْ نُسَلِّمُهَا إِلَيْهِمْ وَلَا نَقْتَدِي بِهِمْ فِيهَا؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَخْبَرَ أَنَّ: «مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فِي أَقَلِّ مِنْ ثَلَاثٍ لَمْ يَفْقَهُهُ» (١)؛ وَلَكِنَّ الْأُمَّةَ لِكَثِيرٍ مِنْهُمْ أَحْوَالٌ، وَآتَى اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى كَثِيرًا مِنْهُمْ قُدْرَةً عَلَى مَا لَا يَسْتَطِيعُهُ مَنْ لَيْسَ فِي دَرَجَتِهِمْ فِي الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ (*).

لَقَدْ كَانَ السَّلْفُ الصَّالِحُ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يُكْثِرُونَ مِنْ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ فِي رَمَضَانَ، وَكَانُوا إِذَا صَامُوا جَلَسُوا فِي الْمَسَاجِدِ وَقَالُوا: «نَحْفَظُ صَوْمَنَا وَلَا نَغْتَابُ أَحَدًا» (٣)، وَكَانُوا يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ فِي الصَّلَاةِ وَعَظِيرَهَا.

كَانَ عُمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَخْتُمُ الْقُرْآنَ كُلَّ يَوْمٍ مَرَّةً (٤)، وَكَانَ بَعْضُ السَّلْفِ يَخْتُمُ الْقُرْآنَ فِي قِيَامِ رَمَضَانَ فِي كُلِّ ثَلَاثِ لَيَالٍ، وَبَعْضُهُمْ فِي كُلِّ سَبْعٍ، وَبَعْضُهُمْ فِي كُلِّ عَشْرِ.

كَانَ الْأَسْوَدُ بْنُ يَزِيدَ النَّخَعِيُّ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ لَيْلَتَيْنِ فِي رَمَضَانَ.

(١) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (١٣٩٠)، وَالتِّرْمِذِيُّ (٢٩٤٩) وَغَيْرُهُمَا عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، أَنَّهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فِي كَمْ أَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟ قَالَ: «فِي شَهْرٍ»، قَالَ: إِنِّي أَقْوَى مِنْ ذَلِكَ، يُرَدِّدُ الْكَلَامَ أَبُو مُوسَى، وَتَنَاقَصَهُ حَتَّى قَالَ: «أَقْرَأُهُ فِي سَبْعٍ»، قَالَ: إِنِّي أَقْوَى مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: «لَا يَفْقَهُ مَنْ قَرَأَهُ فِي أَقَلِّ مِنْ ثَلَاثٍ». وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (٤/١٨، رَقْم ١٥١٣).

(* مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاصِرَةِ: «رَمَضَانَ وَالْقُرْآنَ ١».

(٣) «المغني» لابن قدامة (٣/١٨١).

(٤) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ (٥٠٦/٢) عَنْ ابْنِ سِيرِينَ، عَنْ عَثْمَانَ «أَنَّهُ قَرَأَ الْقُرْآنَ فِي رَكْعَةٍ فِي لَيْلَةٍ»، وَسَنَدُهُ حَسَنٌ.

وَكَانَ قِتَادَةٌ يَخْتَمُ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ سَبْعٍ دَائِمًا، وَفِي رَمَضَانَ كُلِّ ثَلَاثٍ، وَفِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ، وَأَخْبَارُهُمْ فِي ذَلِكَ مَشْهُورَةٌ.

«إِنَّمَا وَرَدَ النَّهْيُ عَنِ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ فِي أَقَلِّ مِنْ ثَلَاثٍ عَلَى الْمُدَاوِمَةِ عَلَى ذَلِكَ، فَأَمَّا الْأَوْقَاتُ الْمُفَضَّلَةُ كَشَهْرِ رَمَضَانَ، وَخُصُوصًا اللَّيَالِي الَّتِي تُطَلَّبُ فِيهَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ، أَوْ فِي الْأَمَاكِنِ الْمُفَضَّلَةِ كَمَكَّةَ لِمَنْ دَخَلَهَا مِنْ غَيْرِ أَهْلِهَا؛ فَيُسْتَحَبُّ الْإِكْتَارُ فِيهَا مِنْ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ؛ اغْتِنَامًا لِفَضِيلَةِ الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ، وَهُوَ قَوْلُ أَحْمَدَ، وَإِسْحَاقَ، وَغَيْرِهِمَا مِنَ الْأَثَمَةِ، وَعَلَيْهِ يَدُلُّ عَمَلُ غَيْرِهِمْ» (١). (*)



(١) «لطائف المعارف» (ص ١٧١).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَةٍ: «رَمَضَانُ وَالْقُرْآنُ ٢» - الْجُمُعَةُ ٢ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٩ هـ | ١٨ -

مِنْ فَضَائِلِ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ

لَقَدْ اصْطَفَى اللهُ - تَعَالَى - لِنَفْسِهِ أَهْلَ كِتَابِهِ التَّالِينَ لَهُ، وَالْعَامِلِينَ بِهِ؛ فَجَعَلَهُمْ أَهْلَهُ وَخَاصَّتَهُ، كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ أَهْلِينَ مِنَ النَّاسِ».

قِيلَ: مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟

قَالَ: «أَهْلُ الْقُرْآنِ هُمْ أَهْلُ اللهِ وَخَاصَّتُهُ»^(١). أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ، وَابْنُ مَاجَهَ، وَالْحَاكِمُ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

اهْتِمَامُكَ - أَيُّهَا الصَّائِمُ - بِالْقُرْآنِ فِي رَمَضَانَ تِلَاوَةً وَمُدَارَسَةً؛ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ بَدَايَةً لِتَصْحِيحِ الْمَسَارِ مَعَ الْقُرْآنِ؛ حَتَّى تَكُونَ مِنْ أَهْلِهِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُ اللهِ وَخَاصَّتُهُ، وَحَتَّى لَا تَكُونَ مِنَ الْهَاجِرِينَ لِلْقُرْآنِ، الْمُسْتَجْلِبِينَ لِغَضَبِ رَبِّهِمْ وَشَكْوَى رَسُولِهِمْ ﷺ: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَرْبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: ٣٠]؛ فَلْيَكُنْ لَكَ بِالْقُرْآنِ فِي رَمَضَانَ وَرْدٌ أَوْ حِزْبٌ تَسْتَمِرُّ بِهِ بَعْدَ رَمَضَانَ؛

(١) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٢٩٦/١٩)، رَقْمُ (١٢٢٧٩)، وَابْنُ مَاجَهَ (٢١٥)، وَالْحَاكِمُ فِي

«الْمُسْتَدْرَكُ» (٢٠٤٦) مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ

الترغيب» (١٤٣٢).

حَتَّى تَكُونَ مِنْ أَهْلِ الذِّكْرِ لَا مِنْ أَهْلِ الْهَجْرِ، فَتَحْزِيبُ الْقُرْآنِ سُنَّةٌ؛ لَكِنَّهَا مَهْجُورَةٌ، كَادَتْ تَضِيعُ بَيْنَ أَهْلِ الدَّعْوَةِ وَالْإِلْتِرَامِ؛ فَضَلًّا عَنِ الْعَوَامِّ.

وَقَدْ كَانَ شَأْنُ السَّلَفِ مَعَ الْقُرْآنِ أَنْ يُحَافِظُوا عَلَى قَدْرِ ثَابِتٍ مِنَ الْقِرَاءَةِ كُلِّ يَوْمٍ، يُسَمُّونَهُ حِزْبًا، أَوْ يُسَمُّونَهُ وَرْدًا أَوْ جُزْءًا يُوَصِّلُهُمْ إِلَى خْتَمِ الْقُرْآنِ فِي كُلِّ شَهْرٍ مَرَّةً، أَوْ فِي كُلِّ أُسْبُوعٍ مَرَّةً، أَوْ فِي كُلِّ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مَرَّةً.

وَأَصْلُ السُّنَّةِ فِي ذَلِكَ أَحَادِيثٌ صَحِيحَةٌ، مِنْهَا: قَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ نَامَ عَنْ حِزْبِهِ أَوْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ، فَقَرَأَهُ فِيمَا بَيْنَ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الظُّهْرِ؛ كُتِبَ لَهُ كَأَنَّمَا قَرَأَهُ مِنَ اللَّيْلِ»^(١). رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَاهْتِمَامُ السَّلَفِ بِتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ فِي رَمَضَانَ كَانَ لَهُ شَأْنٌ آخَرَ؛ فَقَدْ كَانَ يُسْمَعُ لَهُمْ بِالْقُرْآنِ فِي بُيُوتِهِمْ دَوِيٌّ كَدَوِيٍّ النَّحْلِ.

وَإِذَا كَانَ رَمَضَانُ بِتَمَامِهِ زَمَانًا شَرِيفًا لِلتَّلَاوَةِ وَالذِّكْرِ؛ فَإِنَّ لِيَالِيَهُ أَنْسَبُ لِذَلِكَ، فَهِيَ أَرْقُ فِي الشُّعُورِ، وَأَدَقُّ فِي التَّدْبِيرِ، وَلَعَلَّ هَذَا سَبَبٌ مَجِيءٌ جَبْرِيَلُ الْعَلِيِّ لِيَلًا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي رَمَضَانَ؛ لِكَيْ يُدَارِسَهُ الْقُرْآنَ، كَمَا ذَكَرَ ذَلِكَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما.

وَقَدْ عَلَّقَ ابْنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَى حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما فَقَالَ: «دَلَّ الْحَدِيثُ عَلَى اسْتِحْبَابِ الْإِكْثَارِ مِنْ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ فِي رَمَضَانَ لِيَلًا؛ فَإِنَّ اللَّيْلَ تُقَطَّعُ فِيهِ

(١) أخرجه مسلم (٧٤٧) من حديث عمر بن الخطاب.

الشَّوَاغِلُ، وَتُجْمَعُ فِيهِ الْهَمَمُ، وَيَتَوَاطَأُ الْقَلْبُ وَاللِّسَانُ عَلَى التَّدْبِيرِ، كَمَا قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْكَ وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾ [المزمل: ٦]» (١).

هَذَا مِنْ نَاحِيَةِ الْأَزْمِنَةِ، أَمَا مِنْ نَاحِيَةِ الْأَمْكِنَةِ؛ فَلَا شَكَّ أَنَّ لِلْمَسَاجِدِ فَضْلَهَا فِي الْقِرَاءَةِ، وَبِخَاصَّةٍ إِذَا اقْتَرَنَتِ التَّلَاوَةُ بِالْمُدَارَسَةِ وَالتَّعَلُّمِ؛ فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتَهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ» (٢). رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَعَنْ أَبِي أَمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «اقْرَؤُوا الْقُرْآنَ؛ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ» (٣). رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَالْحَدِيثُ دَلِيلٌ عَلَى فَضْلِ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ، وَعَظِيمِ ثَوَابِهِ، وَأَنَّهُ شَفِيعٌ لِأَصْحَابِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ.

وَعَنْ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «يُؤْتَى بِالْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَهْلِيهِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ تَقْدِمُهُ سُورَةُ الْبَقَرَةِ وَآلِ عِمْرَانَ»، وَضَرَبَ لَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثَةَ أَمْثَالٍ مَا نَسِيْتَهُنَّ بَعْدُ، قَالَ: «كَأَنَّهُمَا - يَعْنِي: الْبَقَرَةَ وَآلَ عِمْرَانَ - عِمَامَتَانِ - وَالْعِمَامَةُ وَالْغِيَايَةُ: كُلُّ شَيْءٍ

(١) «لطائف المعارف» (ص ١٦٩).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٩٩).

(٣) أخرجه مسلم (٨٠٤).

أَظَلَّ الْإِنْسَانَ فَوْقَ رَأْسِهِ؛ مِنْ سَحَابَةٍ، وَغَبْرَةٍ، وَغَيْرِهِمَا-، أَوْ ظَلَمَتَانِ سَوْدَاوَانَ بَيْنَهُمَا شَرْقٌ -أَيُّ: ضِيَاءٌ وَنُورٌ-، أَوْ كَأَنَّهُمَا حِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافٍ تُحَاجَّانِ عَنْ صَاحِبَيْهِمَا»^(١). رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله عليه وآله قَالَ: «الصَّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَقُولُ الصَّيَامُ: أَيُّ رَبِّ مَنَعْتَهُ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ فَشَفَّعْنِي فِيهِ، وَيَقُولُ الْقُرْآنُ: مَنَعْتَهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ فَشَفَّعْنِي فِيهِ، قَالَ: فَيُشَفَّعَانِ»^(٢). أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ، وَالْحَاكِمُ، وَصَحَّحَهُ الشَّيْخُ شَاكِرٌ، وَالشَّيْخُ الْأَلْبَانِيُّ.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله عليه وآله يَقُولُ: «مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ: (أَلْم) حَرْفٌ، وَلَكِنْ (أَلِفٌ) حَرْفٌ، وَ(لَامٌ) حَرْفٌ، وَ(مِيمٌ) حَرْفٌ»^(٣). أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

فَيَنْبَغِي لِلصَّائِمِ أَنْ يُكْثِرَ مِنْ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ الْمُبَارَكَةِ وَاللَّيَالِي الشَّرِيفَةِ؛ فَإِنَّ لِكَثْرَةِ الْقِرَاءَةِ فِي رَمَضَانَ مَزِيَّةً خَاصَّةً لَيْسَتْ لِغَيْرِهِ مِنَ الشُّهُورِ؛ لِيَعْتَنِمَ شَرَفَ الزَّمَانِ فِي هَذَا الشَّهْرِ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ، وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ فِي لَيَالِي

(١) أخرجه مسلم (٨٠٥).

(٢) أخرجه أحمد (٦٦٢٦)، والحاكم (٢٠٣٦)، والبيهقي في «الشعب» (٣/٣٧٨) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١٤٢٩).

(٣) أخرجه الترمذي بإسناد صحيح. أخرجه الترمذي (٢٩١٠)، والبيهقي في «الشعب» (٣/٣٧١) عن ابن مسعود رضي الله عنه، وصححه الألباني في «الصحيححة» (٣٣٢٧).

رَمَضَانَ لَهَا مَزِيَّةٌ؛ فَإِنَّ اللَّيْلَ تَنْقَطِعُ فِيهِ الشَّوَاعِلُ، وَتَجْتَمِعُ فِيهِ الْهِمَمُ، وَيَتَوَاطَأُ الْقَلْبُ وَاللِّسَانُ عَلَى التَّدَبُّرِ.

وَقَدْ ثُبَّتَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»^(١): «أَنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَلْقَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كُلَّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيَدَارِسُهُ الْقُرْآنَ».

وَلَوْ كَانَ الذُّكْرُ أَفْضَلَ مِنَ الْقُرْآنِ أَوْ مُسَاوِيًّا لَهُ؛ لَفَعَلَا - يَعْنِي: النَّبِيُّ ﷺ وَجِبْرِيلُ - دَائِمًا، أَوْ فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ مَعَ تَكَرُّرِ اجْتِمَاعِهِمَا.

فَأَفَادَنَا هَذَا الْحَدِيثُ اسْتِحْبَابَ دِرَاسَةِ الْقُرْآنِ فِي رَمَضَانَ، مَعَ الْاجْتِمَاعِ عَلَى ذَلِكَ، وَعَرْضِ الْقُرْآنِ عَلَى مَنْ هُوَ أَتَقَنُّ وَأَحْفَظُهُ لَهُ. (*).

وَكَمَا أَنَّ الصَّائِمَ يَجْتَهِدُ فِي قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ فَعَلَيْهِ - أَيْضًا - أَنْ يَجْتَهِدَ فِي إِحْسَانِ الْإِسْتِمَاعِ لِكَلَامِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى؛ فَإِنَّ قِرَاءَةَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ أَوْ الْإِسْتِمَاعَ لِتِلَاوَتِهِ بِتَدَبُّرٍ عِبَادَةٌ مِنْ أَفْضَلِ الْعِبَادَاتِ؛ فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَمَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ»^(٣) قَالَ: قَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ - يَعْنِي ذَاتَ يَوْمٍ - «اقْرَأْ عَلَيَّ الْقُرْآنَ».

قَالَ: قُلْتُ: أَقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أَنْزَلَ؟

فَقَالَ: «إِنِّي أَحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي» ﷺ.

(١) أخرجه البخاري (١٩٠٢) مسلم (٢٣٠٨).

(*): مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَةٍ: «رَمَضَانَ وَالْقُرْآنَ ٢» - الْجُمُعَةُ ٢ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٩هـ | ١٨ -

٥-٢٠١٨م.

(٣) «صحيح البخاري» (رقم ٤٥٨٢) ومواضع، و«صحيح مسلم» (رقم ٨٠٠).

قَالَ: فَاسْتَفْتَحْتُ النِّسَاءَ حَتَّى إِذَا وَصَلْتُ إِلَى قَوْلِ اللَّهِ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١].

قَالَ: «حَسْبُكَ الْآنَ».

قَالَ: فَالْتَفَتْتُ فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

اسْتَعْرَقَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَانِي هَذِهِ الْآيَةِ الْعَظِيمَةِ فِي كِتَابِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا، وَفِيهَا يَتَوَجَّهُ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا بِالْخَطَابِ إِلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾: يَعْنِي وَجِيءَ بِكَ يَا مُحَمَّدُ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ الْخَاتَمَةِ شَهِيدًا، بَلَّغْتَ الرِّسَالَهَ، وَأَدَيْتَ الْأَمَانَةَ، وَنَصَحْتَ الْأُمَّةَ، وَكَشَفْتَ الْغُمَّةَ، وَبَلَّغْتَهُمْ أَوْامِرَ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا، وَفَصَّلْتَ لَهُمْ، وَوَضَّحْتَ لَهُمْ مَا غَمَّصَ عَلَيْهِمْ، وَجَلَّيْتَ لَهُمْ مَا أَشْكَلَ عَلَى أَفْهَامِهِمْ.

ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا فِي هَذَا الْمَوْقِفِ الْعَظِيمِ الَّذِي وَصَفْتَهُ هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ الْمُشْرِفَةُ، يَجْمَعُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ، وَتَأْتِي الْأُمَّةَ، وَتَأْتِي هَذِهِ الْأُمَّةَ خَلْفَ أَنْبِيَائِهَا؛ يَشْهَدُ عَلَى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدٌ مِنْهُمْ، وَيَجِيءُ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَهِيدًا عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ الْخَاتَمَةِ، وَعِنْدَيْدِ فَاضَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْذَّمِّ بِكَاءٍ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا تَمَثُّلاً لِلْوُقُوفِ بَيْنَ يَدَيْهِ فِي الْمَوْقِفِ الْأَعْظَمِ وَالْمَشْهَدِ الْأَكْبَرِ.

قَالَ: فَقَالَ لِي: «حَسْبُكَ الْآنَ»؛ يَعْنِي يَكْفِي مَا قَرَأْتَ.

قَالَ: فَالْتَفَتْتُ يَعْنِي إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَلَعَلَّ الَّذِي جَعَلَ ابْنَ مَسْعُودٍ يَلْتَفِتُ إِلَى الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ تَغْيِيرُ نِعْمَةِ الصَّوْتِ الَّتِي قَالَ بِهَا لَهُ حَسْبُكَ الْآنَ؛ لِأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَتْ عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ الذَّمِّ

الْمِدْرَارَ الْغَزِيرَ، فَلَمَّا أَنْ كَانَ فِي تِلْكَ الْحَالَةِ، تَأَثَّرَ صَوْتُهُ بَعْضَ تَأَثُّرٍ، فَقَالَ لِابْنِ مَسْعُودٍ: «حَسْبُكَ الْآنَ»، فَكَانَ فِي نَبْرَةِ الصَّوْتِ تَأَثُّرُهُ وَبِكَأُوهُ.

قَالَ: فَالْتَمْتُ فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذَرِفَانِ صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالرَّيْسَانِ (*).

رَمَضَانَ بِكَرَامَتِهِ وَحُرْمَتِهِ يَسْتَحِقُّ مِنْكَ - أَيُّهَا الصَّائِمُ - أَنْ تَحْفَظَهُ عَنِ الْبَاطِلِ وَسَمَاعِهِ فِي جِلْسَاتِكَ وَلِقَاءَاتِكَ، فَكُلُّ بَاطِلٍ سَمَاعُهُ بَاطِلٌ إِذَا كَانَ اسْتِمَاعٌ تَلَقَّ وَرِضًا وَإِعْجَابًا.

يَا أذُنُ لَا تَسْمَعِي غَيْرَ الْهُدَى أَبَدًا إِنَّ اسْتِمَاعَكَ لِلسُّؤَارِ أَوْزَارُ

وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ حِفْظَ السَّمْعِ مِنْ أَحْصَى صِفَاتِ الْمُؤْمِنِينَ؛ فَفِي الصِّفَاتِ الْعَشْرِ الَّتِي وَصَفَ اللَّهُ بِهَا الْمُؤْمِنِينَ فِي «سُورَةِ الْمُؤْمِنُونَ» يَأْتِي الْإِعْرَاضُ عَنِ اللَّغْوِ فِي الْمَرْتَبَةِ الثَّانِيَةِ مُبَاشَرَةً بَعْدَ الْخُشُوعِ فِي الصَّلَاةِ؛ حَيْثُ قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا:

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ١-٣].

فَالْمُؤْمِنُونَ لِسَمَاعِهِمُ الْخَيْرَ؛ فَهُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ، وَلَكِنِّي يُحَافِظُوا عَلَى ذَلِكَ فَهُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ؛ لِأَنَّ سَمَاعَ الشَّرِّ يُضَيِّعُ رَصِيدَ الْقَلْبِ مِنْ سَمَاعِ الْخَيْرِ، وَيَشْوِشُ عَلَى النَّفْسِ قِيمَ الْحَقِّ.

قَالَ - تَعَالَى - مُزَكِّيًّا فِعْلَ مَنْ طَهَّرُوا أَسْمَاعَهُمْ: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلِكُمْ سَلَمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْغِي الْجَاهِلِينَ﴾ [القصص: ٥٥].

(* مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «شَرَفُ حَمَلَةِ الْقُرْآنِ ٤» - خُطْبَةُ الْجُمُعَةِ ٢٠ مِنْ رَجَبٍ

وَكَمَا تَتَضَاعَفُ فِي رَمَضَانَ مَسْئُولِيَّةُ الْأُذُنِ فِي عَدَمِ سَمَاعِ الْبَاطِلِ فَإِنَّهَا تَعْظُمُ فِي سَمَاعِ الْحَقِّ، فَالصَّلَوَاتُ الْجَهْرِيَّةُ، وَصَلَاةُ الْقِيَامِ الْجَمَاعِيَّةُ تَقُومُ عَلَى حُسْنِ الْإِسْتِمَاعِ لِمَا يُتْلَى، وَكَذَلِكَ حَلَقُ الذِّكْرِ وَمَجَالِسُ الْعِلْمِ تَقْتَضِي بِقِطَّةِ السَّمَاعِ وَحُسْنَ إِنْصَاتِهِ.

وَسَمَاعُ الْقُرْآنِ عِبَادَةٌ عَظِيمَةٌ، تَنْزَلَ الْقُرْآنُ بِالْأَمْرِ بِهَا وَالشَّاءِ عَلَى أَهْلِهَا، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤].

وَقَدْ تَنْزَلَ الْقُرْآنُ بِالشَّاءِ عَلَى الْجِنِّ وَهُمْ فِي عَالَمِهِمُ الْمَحْجُوبِ، يَشْكُرُ لَهُمْ حُسْنَ اسْتِمَاعِهِمْ وَجَمِيلَ إِنْصَاتِهِمْ لِلْقُرْآنِ وَهُوَ يُتْلَى، وَنَزَلَتْ بِشَأْنِ ذَلِكَ سُورَةٌ مِنْ الْقُرْآنِ هِيَ «سُورَةُ الْجِنِّ»: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾ [الجن: ١].

تَرَى مَنْ مِنَ الْإِنْسِ قَالُوا عِنْدَمَا اسْتَمَعُوا الْقُرْآنَ مِثْلَ مَا قَالَتِ الْجِنُّ: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾ ١ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَتَأْمَنَّا بِهِ، وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ [الجن: ١-٢]؟!!!

كَمْ مِنَ الْإِنْسِ وَعَوْا مَا وَعَوْا وَدَعَوْا إِلَى مَا دَعَوْا؟!!!

لَقَدْ دَعَوْا قَوْمَهُمْ إِلَى الْإِسْتِجَابَةِ لِذَلِكَ الرُّشْدِ الَّذِي يَهْدِي إِلَيْهِ الْقُرْآنُ؛ فَقَالُوا: ﴿يَقَوْمَنَا أَحِبُّوا دَاعِيَ اللَّهِ وَءَامِنُوا بِهِ، يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأحقاف: ٣١].

إِنَّ اسْتِمَاعَ الْقُرْآنِ يَتَحَقَّقُ الْإِنْتِفَاعُ بِهِ عِنْدَمَا تَتَحَقَّقُ شُرُوطُ وَصُولِهِ مِنَ الْأُذُنِ إِلَى الْقَلْبِ، فَالْإِنْتِفَاعُ بِهِ يَحْتَاجُ حُضُورَ قَلْبِكَ، وَإِنْصَاتَ سَمْعِكَ، وَيَقِظَةَ عَقْلِكَ؛

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾
[ق: ٣٧].

إِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنْ يُحْسِنُوا اسْتِمَاعَ كَلَامِهِ؛ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ، وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤].

وَهَذَا تَشْرِيفٌ لِنَتْلِكَ الْأَسْمَاعِ وَتَطْهِيرٌ لَهَا، وَتِلْكَ الْأَسْمَاعُ نَفْسُهَا مِنْهُ تَحْتَاجُ إِلَى امْتِنَانٍ، وَنِعْمَةٌ تَحْتَاجُ الشُّكْرَ وَالْعِرْفَانَ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [السجدة: ٩].

وَشُكْرُ اللَّهِ - تَعَالَى - عَلَى نِعْمَةِ السَّمْعِ تَكُونُ بِقَصْرِهِ عَلَى الْخَيْرِ، وَمَنْعِهِ مِنَ الشَّرِّ، وَرَمَضَانُ مَجَالٌ رَحْبٌ لِتَحْلِيَةِ الْأَسْمَاعِ بِالطَّاعَاتِ، وَتَخْلِيَتِهَا عَنِ الْمُخَالَفَاتِ، فَعَلَى السَّمْعِ عِبُودِيَّاتٌ مَخْصُوصَاتٌ تَحَدَّثَ عَنْهَا الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ، فَقَالَ: «وَهِيَ وَجُوبُ الْإِنْصَاتِ وَالِاسْتِمَاعِ لِمَا أَوْجَبَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ عَلَيْهِ؛ مِنْ اسْتِمَاعِ الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ وَفُرُوضِهِمَا، وَكَذَلِكَ اسْتِمَاعُ الْقِرَاءَةِ فِي الصَّلَاةِ إِذَا جَهَرَ بِهَا الْإِمَامُ، وَاسْتِمَاعُ خُطْبَةِ الْجُمُعَةِ فِي أَصَحِّ قَوْلِي الْعُلَمَاءِ.

وَيَحْرَمُ عَلَيْهِ اسْتِمَاعُ الْكُفْرِ وَالْبِدْعِ، إِلَّا حَيْثُ يَكُونُ فِي اسْتِمَاعِهِ مَصْلَحَةٌ رَاجِحَةٌ؛ كَرَدِّهِ، أَوْ كَالشَّهَادَةِ عَلَى قَائِلِهِ، أَوْ زِيَادَةِ قُوَّةِ الْإِيمَانِ وَالسُّنَّةِ بِمَعْرِفَةِ ضِدِّهِمَا مِنَ الْكُفْرِ وَالْبِدْعَةِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَمِنَ الْمُحَرَّمَ أَيضًا: اسْتِمَاعُ أَسْرَارِ مَنْ يَهْرَبُ عَنْكَ بِسِرِّهِ، وَلَا يُحِبُّ أَنْ يُطْلِعَكَ عَلَيْهِ مَا لَمْ يَكُنْ مُتَضَمِّنًا لِحَقِّ اللَّهِ يَجِبُ الْقِيَامُ بِهِ، أَوْ لِأَدْنَى مُسْلِمٍ يَتَعَيَّنُ نُصْحُهُ وَتَحْذِيرُهُ مِنْهُ.

وَكَذَلِكَ اسْتِمَاعُ أَصْوَاتِ النِّسَاءِ الَّتِي تُخْشَى الْفِتْنَةَ بِأَصْوَاتِهِنَّ، إِذَا لَمْ تَدْعُ إِلَيْهِ حَاجَةٌ مِنْ شَهَادَةٍ، أَوْ مُعَامَلَةٍ، أَوْ اسْتِفْتَاءٍ، أَوْ مُحَاكَمَةٍ، أَوْ مُدَاوَاةٍ وَنَحْوِهَا.

وَكَذَلِكَ اسْتِمَاعُ الْمَعَارِفِ، وَالْآلِ الطَّرَبِ وَاللَّهْوِ؛ كَالْعُودِ وَالطُّنْبُورِ وَنَحْوِهَا، وَلَا يَجِبُ عَلَيْهِ سَدُّ أُذُنِهِ إِذَا سَمِعَ الصَّوْتِ، وَهُوَ لَا يُرِيدُ سَمَاعَهُ، إِلَّا إِذَا خَافَ السُّكُونَ إِلَيْهِ وَالْإِنْصَاتَ بِالْإِقْبَالِ عَلَيْهِ؛ فَحِينَئِذٍ يَجِبُ تَجَنُّبُ سَمَاعِهَا وَجُوبُ سَدِّ الذَّرَائِعِ.

وَأَمَّا السَّمْعُ الْمُسْتَحَبُّ فَكَاسْتِمَاعِ الْمُسْتَحَبِّ مِنَ الْعِلْمِ، وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، وَذِكْرِ اللَّهِ، وَاسْتِمَاعِ كُلِّ مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ، وَلَيْسَ بِفَرْضٍ، وَالْمَكْرُوهُ عَكْسُهُ، وَهُوَ اسْتِمَاعُ كُلِّ مَا يُكْرَهُ وَلَا يُعَاقَبُ عَلَيْهِ، وَأَمَّا الْمُبَاحُ فَأَمْرُهُ ظَاهِرٌ^(١).

فَعَلَى الْمُسْلِمِ فِي رَمَضَانَ أَنْ يَشْغَلَ نَفْسَهُ وَأَنْ يَشْغَلَ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ فِيمَا فِيهِ مَصْلَحَتُهُ، وَمَا يَعُودُ عَلَيْهِ بِالْفَائِدَةِ وَالْعَائِدَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛ لِأَنَّ الْعُمَرَ أَنْفَاسٌ كُلَّمَا خَرَجَ نَفْسٌ اقْتَرَبَ الْمَرْءُ مِنَ النَّهَائَةِ نَفْسًا، وَإِنَّمَا هِيَ أَنْفَاسٌ مَعْدُودَاتٌ، هِيَ نِهَائِيَّةٌ وَلَيْسَتْ بِلَا نِهَائِيَّةٍ، فَلَا بُدَّ أَنْ تَنْتَهِيَ عِنْدَمَا يَأْذُنُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَذَلِكَ غَيْبٌ مَحْجُوبٌ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا عَلَامُ الْغُيُوبِ وَسِتِيرُ الْعُيُوبِ. (*)



(١) «مدارج السالكين» لابن القيم (١/١٣٦.. والتي تليها).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ: «مَجَالِسُ رَمَضَانَ ١٤٣٩ هـ» - الْإِثْنَيْنِ ٥ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٩ هـ | ٢١ -

الْحَثُّ عَلَى تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ وَتَفْهَمِهِ

إِنَّ قِرَاءَةَ الْقُرْآنِ يَنْبَغِي أَلَّا تَقِفَ عِنْدَ حُدُودِ التَّلَاوَةِ دُونَ فَهْمِ بِلَعَانِي الْقُرْآنِ وَمَقَاصِدِهِ وَغَايَاتِهِ، وَتَأْمَلِ لُجَوَانِبِ عَظَمَتِهِ؛ حَيْثُ يَقُولُ تَعَالَى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢].

«يَأْمُرُ - تَعَالَى - بِتَدَبُّرِ كِتَابِهِ، وَهُوَ التَّأْمُّلُ فِي مَعَانِيهِ، وَتَحْدِيقُ الْفِكْرِ فِيهِ، وَفِي مَبَادِيئِهِ وَعَوَاقِبِهِ، وَلَوَازِمِ ذَلِكَ؛ فَإِنَّ فِي تَدَبُّرِ كِتَابِ اللَّهِ مِفْتَاحًا لِلْعُلُومِ وَالْمَعَارِفِ، وَبِهِ يُسْتَنْجَى كُلُّ خَيْرٍ، وَتُسْتَخْرَجُ مِنْهُ جَمِيعُ الْعُلُومِ، وَبِهِ يَزْدَادُ الْإِيمَانُ فِي الْقَلْبِ وَتَرْسَخُ شَجَرَتُهُ؛ فَإِنَّهُ يَعْرِفُ بِالرَّبِّ الْمَعْبُودِ، وَمَا لَهُ مِنْ صِفَاتِ الْكَمَالِ، وَمَا يُنَزَّهُ عَنْهُ مِنْ سِمَاتِ النَّقْصِ، وَيَعْرِفُ الطَّرِيقَ الْمَوْصِلَةَ إِلَيْهِ وَصِفَةَ أَهْلِهَا، وَمَا لَهُمْ عِنْدَ الْقُدُومِ عَلَيْهِ، وَيَعْرِفُ الْعَدُوَّ الَّذِي هُوَ الْعَدُوُّ عَلَى الْحَقِيقَةِ، وَالطَّرِيقَ الْمَوْصِلَةَ إِلَى الْعَذَابِ، وَصِفَةَ أَهْلِهَا، وَمَا لَهُمْ عِنْدَ وُجُودِ أَسْبَابِ الْعِقَابِ.

وَكُلَّمَا ازْدَادَ الْعَبْدُ تَأْمُلًا فِيهِ ازْدَادَ عِلْمًا وَعَمَلًا وَبَصِيرَةً؛ لِذَلِكَ أَمَرَ اللَّهُ بِذَلِكَ، وَحَثَّ عَلَيْهِ، وَأَخْبَرَ أَنَّهُ هُوَ الْمَقْصُودُ بِإِنزَالِ الْقُرْآنِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [ص: ٢٩]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبِ أَقْفَالِهِمْ ﴾ [محمد: ٢٤].

وَمِنْ فَوَائِدِ التَّدْبِيرِ لِكِتَابِ اللَّهِ: أَنَّهُ بِذَلِكَ يَصِلُ الْعَبْدُ إِلَى دَرَجَةِ الْيَقِينِ وَالْعِلْمِ
بِأَنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ؛ لِأَنَّهُ يَرَاهُ يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضًا، وَيُؤَافِقُ بَعْضُهُ بَعْضًا، فَتَرَى الْحَكَمَ
وَالْقِصَّةَ وَالْإِخْبَارَاتِ تُعَادُ فِي الْقُرْآنِ فِي عِدَّةِ مَوَاضِعَ، كُلُّهَا مُتَوَافِقَةٌ مُتَصَادِقَةٌ، لَا
يَنْقُضُ بَعْضُهَا بَعْضًا؛ فَبِذَلِكَ يُعْلَمُ كَمَالُ الْقُرْآنِ، وَأَنَّهُ مِنْ عِنْدِ مَنْ أَحَاطَ عِلْمُهُ
بِجَمِيعِ الْأُمُورِ؛ فَلِذَلِكَ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا
كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢] أَي: فَلَمَّا كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَمْ يَكُنْ فِيهِ اخْتِلَافٌ أَصْلًا^(١).

وَجَوَابُ الْعِظْمَةِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ لَا تَعُدُّ وَلَا تُحْصَى؛ فَالْقُرْآنُ الْكَرِيمُ حَبْلُ اللَّهِ
الْمُتِينُ، وَالنُّورُ الْمُبِينُ الَّذِي لَا يَنَالُهُ التَّخْرِيفُ، وَلَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ
خَلْفِهِ، وَلَا تَنْقُضِي عَجَائِبُهُ، يَقُولُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِكُلِّ
شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ فِي أَصُولِ الدِّينِ وَفُرُوعِهِ، وَفِي
أَحْكَامِ الدَّارَيْنِ، وَكُلُّ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْعِبَادُ فَهُوَ مُبَيَّنٌ فِيهِ أَتَمَّ تَبْيِينٍ بِالْفَاطِظِ وَاصِحَّةٍ
وَمَعَانٍ جَلِيلَةٍ؛ حَتَّى إِنَّهُ -تَعَالَى- يُثَنِّي فِيهِ الْأُمُورَ الْكِبَارَ الَّتِي يَحْتَاجُ الْقَلْبُ
لِمُرُورِهَا عَلَيْهِ كُلِّ وَقْتٍ، وَإِعَادَتِهَا فِي كُلِّ سَاعَةٍ، وَيُعِيدُهَا وَيُبِيدُهَا بِالْفَاطِظِ
مُخْتَلِفَةٍ وَأَدَلَّةٍ مُتَنَوِّعَةٍ؛ لِسِتْقَرِّ فِي الْقُلُوبِ فَتُشَمِّرُ مِنَ الْخَيْرِ وَالْبِرِّ بِحَسَبِ ثُبُوتِهَا
فِي الْقَلْبِ، وَحَتَّى إِنَّهُ -تَعَالَى- يَجْمَعُ فِي اللَّفْظِ الْقَلِيلِ الْوَاضِحِ مَعَانِي كَثِيرَةً
يَكُونُ اللَّفْظُ لَهَا كَالْقَاعِدَةِ وَالْأَسَاسِ.

(١) «تفسير السعدي» (ص ١٨٩).

فَلَمَّا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ تَبَيَّنَا لِكُلِّ شَيْءٍ؛ صَارَ حُجَّةَ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ كُلِّهِمْ، فَانْقَطَعَتْ بِهِ حُجَّةُ الظَّالِمِينَ، وَانْتَفَعَ بِهِ الْمُسْلِمُونَ، فَصَارَ هُدًى لَهُمْ يَهْتَدُونَ بِهِ إِلَى أَمْرِ دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ، وَرَحْمَةً يَنَالُونَ بِهِ كُلَّ خَيْرٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛ فَالْهُدَى مَا نَالُوا بِهِ مِنْ عِلْمٍ نَافِعٍ وَعَمَلٍ صَالِحٍ، وَالرَّحْمَةُ مَا تَرْتَّبَ عَلَى ذَلِكَ مِنْ ثَوَابِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛ كَصَلَاحِ الْقَلْبِ وَبِرِّهِ وَطُمَأْنِينَتِهِ، وَتَمَامِ الْعَقْلِ الَّذِي لَا يَتِمُّ إِلَّا بِتَرْبِيَّتِهِ عَلَى مَعَانِيهِ الَّتِي هِيَ أَجَلُ الْمَعَانِي وَأَعْلَاهَا، وَالْأَعْمَالِ الْكَرِيمَةِ وَالْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ، وَالرِّزْقِ الْوَاسِعِ، وَالنَّصْرِ عَلَى الْأَعْدَاءِ بِالْقَوْلِ وَالْفِعْلِ، وَنَيْلِ رِضَا اللَّهِ -تَعَالَى- وَكَرَامَتِهِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي لَا يَعْلَمُ مَا فِيهَا مِنَ النِّعَمِ الْمُقِيمِ إِلَّا الرَّبُّ الرَّحِيمُ» (١).

إِنَّ الْمَعْنَى الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يَظَلَّ عَالِقًا فِي الدَّهْنِ وَنَحْنُ نَتَحَدَّثُ عَنْ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ فِي رَمَضَانَ وَفِي غَيْرِ رَمَضَانَ؛ هُوَ أَنَّ نَوْقِنَ بِأَنَّ التَّدْبِيرَ وَتَفْهَمَ مَعَانِي كَلَامِ اللَّهِ هُوَ مَقْصُودُ التَّلَاوَةِ؛ لِذَلِكَ جَعَلَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ أَوَّلَ سَبَبٍ مِنَ الْأَسْبَابِ الْعَشْرَةِ الْمَوْجِبَةِ لِمَحَبَّةِ اللَّهِ: «قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ بِالتَّدْبِيرِ وَالتَّفْهَمِ لِمَعَانِيهِ وَمَا أُرِيدَ بِهِ كِتَابُ الْكِتَابِ الَّذِي يَحْفَظُهُ الْعَبْدُ وَيَسْرُحُهُ لِيَتَفَهَّمَ مُرَادَ صَاحِبِهِ مِنْهُ» (٢).

وَقَدْ قَالَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «إِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَأَوْا الْقُرْآنَ رَسَائِلَ مِنْ رَبِّهِمْ، فَكَانُوا يَتَدَبَّرُونَهَا بِاللَّيْلِ، وَيَتَفَقَّدُونَهَا فِي النَّهَارِ» (٣).

(١) «تفسير السعدي» (ص ٤٤٦).

(٢) «مدارج السالكين» (٣/ ١٨) ط. دار الكتاب، بيروت.

(٣) «التبيان في آداب حملة القرآن» للنوي (ص ٥٤).

وَقَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ رَحِمَهُ اللهُ: «يَنْبَغِي لِتَالِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ أَنْ يَنْظُرَ كَيْفَ لَطَفَ اللهُ -تَعَالَى- بِخَلْقِهِ فِي إِيْصَالِ مَعَانِي كَلَامِهِ إِلَى أَفْهَامِهِمْ، وَأَنْ يَعْلَمَ أَنَّ مَا يَقْرَأُهُ لَيْسَ مِنْ كَلَامِ الْبَشَرِ، وَأَنْ يَسْتَحْضِرَ عَظَمَةَ الْمُتَكَلِّمِ -سُبْحَانَهُ-، وَيَتَدَبَّرَ كَلَامَهُ» (١).

لِذَلِكَ فَإِنَّ مَنَّةَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ظَاهِرَةٌ جَلِيَّةٌ أَنْ أَدِنَ لِمَخْلُوقَاتٍ صَعِيفَةٍ مِثْلِنَا أَنْ تَنَاجِيَهُ، وَتَبْحَثَ فِي كِتَابِهِ وَكَلَامِهِ، وَتَتَدَبَّرَ مَعَانِيَهُ.

قَالَ ابْنُ الصَّلَاحِ رَحِمَهُ اللهُ: «قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ كَرَامَةٌ أَكْرَمَ اللهُ بِهَا الْبَشَرَ؛ فَقَدْ وَرَدَ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ لَمْ يُعْطَوْا ذَلِكَ، وَأَنَّهَا حَرِيصَةٌ -يَعْنِي: الْمَلَائِكَةَ- عَلَى اسْتِمَاعِ الْقُرْآنِ مِنْ الْإِنْسِ» (٢).

وَمَعَ امْتِنَانِ الْكَرِيمِ الْمَنَّانِ -تَعَالَى- عَلَى عِبَادِهِ بِالْإِذْنِ فِي مُنَاجَاتِهِ، وَالنَّظَرِ فِي كَلِمَاتِهِ؛ فَقَدْ ائْتَنَّا عَلَيْهِمْ -أَيْضًا- أَنْ أَعْطَاهُمْ أَعْظَمَ الْمَنَازِلِ عَلَى ذَلِكَ، فَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُؤْفِقَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِّنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٢٩-٣٠]. (*)



(١) «مختصر منهاج القاصدين» (ص ٥٣).

(٢) «فتاوى ابن الصلاح» (ص ٢٣٤).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضِرَةِ: «رَمَضَانُ وَالْقُرْآنُ ٢» - الْجُمُعَةُ ٢ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٩ هـ | ١٨ -

مَعْنَى تَدْبِيرِ الْقُرْآنِ وَثَمَرَاتِهِ

لِلْقُرْآنِ بِرَمَضَانَ مَزِيدُ اخْتِصَاصٍ؛ فَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ -تَعَالَى- الْقُرْآنَ فِي شَهْرِ
رَمَضَانَ، وَلِنَزُولِ الْقُرْآنِ فِي رَمَضَانَ أَوْجَبَ اللَّهُ -تَعَالَى- صِيَامَهُ.
وَلِلنَّبِيِّ ﷺ بِالْقُرْآنِ فِي رَمَضَانَ مَزِيدُ عِنَايَةٍ وَرِعَايَةٍ، وَمَوْصُولُ تَدَارُسٍ
وَتَدْبِيرٍ.

وَلِلْمُسْلِمِ فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْأُسُوءَةُ الْحَسَنَةُ؛ لِأَنَّ تَدْبِيرَ الْقُرْآنِ أَصْلُ صِلَاحِ
الْقَلْبِ، وَفَلَاحِهِ، وَثَبَاتِهِ.

وَلَا شَيْءَ مِثْلَهُ فِي تَثْبِيتِ قَوَاعِدِ الْإِيمَانِ فِي الْقَلْبِ، وَإِرْسَاءِ دَعَائِمِهِ؛
«لِأَنَّ اللَّهَ أَمَرَ بِتَدْبِيرِ كِتَابِهِ، وَالتَّفَكُّرِ فِي مَعَانِيهِ، وَالِإِهْتِدَاءِ بِآيَاتِهِ، وَأَثْنَى عَلَيَّ
الْقَائِمِينَ بِذَلِكَ، وَجَعَلَهُمْ فِي أَعْلَى الْمَرَاتِبِ، وَوَعَدَهُمْ أَسْنَى الْمَوَاهِبِ.

فَلَوْ أَنْفَقَ الْعَبْدُ جَوَاهِرَ عُمُرِهِ فِي هَذَا التَّدْبِيرِ؛ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ كَثِيرًا فِي جَنْبِ مَا
هُوَ أَفْضَلُ الْمَطَالِبِ، وَأَعْظَمُ الْمَقَاصِدِ، وَأَصْلُ الْأُصُولِ كُلِّهَا، وَقَاعِدَةُ أُسَاسِ
السَّعَادَةِ فِي الدَّارَيْنِ، وَصِلَاحُ أُمُورِ الدِّينِ وَالْدُنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَكَانَتْ حَيَاةَ الْعَبْدِ
زَاهِرَةً بِالهُدَى وَالْخَيْرِ وَالرَّحْمَةِ، وَطِيبَ الْحَيَاةِ، وَالْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ»^(١).

(١) «القواعد الحسان لتفسير القرآن» ضمن مجموع مؤلفات السعدي: المقدمة، (٣/ ٣٣٥).

قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - (١): «لَيْسَ شَيْءٌ أَنْفَعَ لِلْعَبْدِ فِي مَعَاشِهِ وَمَعَادِهِ، وَأَقْرَبَ إِلَى نَجَاتِهِ مِنْ تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ، وَإِطَالَةِ التَّأَمُّلِ، وَجَمْعِ الْفِكْرِ عَلَى مَعَانِي آيَاتِهِ.

فَإِنَّهَا تُطَلِّعُ الْعَبْدَ عَلَى مَعَالِمِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ بِحَدَافِيرِهِمَا، وَعَلَى طُرُقَاتِهِمَا، وَأَسْبَابِهِمَا، وَغَايَاتِهِمَا، وَثَمَرَاتِهِمَا، وَمَالَ أَهْلِيهِمَا، وَتَلُّ فِي يَدِهِ - أَيُّ: تَجْعَلُ مُسْتَقِرًّا فِي يَدِهِ - مَفَاتِيحَ كُنُوزِ السَّعَادَةِ وَالْعُلُومِ النَّافِعَةِ.

وَتُبْتُ قَوَاعِدَ الْإِيمَانِ فِي قَلْبِهِ، وَتَشِيدُ بُنْيَانَهُ، وَتُوَطِّدُ أَرْكَانَهُ (٢)، وَتُرِيهِ صُورَةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ فِي قَلْبِهِ، وَتَحْضِرُهُ بَيْنَ الْأُمَمِ، وَتُرِيهِ أَيَّامَ اللَّهِ فِيهِمْ. وَتُبْصِرُهُ مَوَاقِعَ الْعَبْرِ، وَتَشْهَدُهُ عَدْلَ اللَّهِ وَفَضْلَهُ، وَتُعَرِّفُهُ ذَاتَهُ، وَأَسْمَاءَهُ وَصِفَاتِهِ، وَأَفْعَالَهُ، وَمَا يُحِبُّهُ وَمَا يُبْغِضُهُ، وَصِرَاطَهُ الْمُوَصِّلَ إِلَيْهِ، وَمَا لِسَالِكِيهِ بَعْدَ الْوُصُولِ وَالْقُدُومِ عَلَيْهِ، وَقَوَاطِعِ الطَّرِيقِ وَأَفَاتِهَا.

وَتُعَرِّفُهُ النَّفْسَ وَصِفَاتِهَا، وَمُنْهَسِدَاتِ الْأَعْمَالِ وَمُصَحِّحَاتِهَا، وَتُعَرِّفُهُ طَرِيقَ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَهْلِ النَّارِ، وَأَعْمَالَهُمْ، وَأَحْوَالَهُمْ، وَسِيمَاهُمْ، وَمَرَاتِبَ أَهْلِ السَّعَادَةِ وَأَهْلِ الشَّقَاوَةِ، وَأَفْسَامَ الْخَلْقِ، وَاجْتِمَاعَهُمْ فِيمَا يَجْتَمِعُونَ فِيهِ، وَافْتِرَاقَهُمْ فِيمَا يَفْتَرِقُونَ فِيهِ.

(١) «مدارج السالكين»: (١ / ٤٥٠).

(٢) «توطِّدُ»، أَي: تَبْسِطُ.

انظر «لسان العرب»: (٣ / ٤٦١، مادة: وطد).

وَفِي تَأْمَلِ الْقُرْآنِ وَتَدَبُّرِهِ وَتَفْهَمِهِ أَضْعَافٌ أَضْعَافٍ مَا ذُكِرَ مِنَ الْحِكْمِ
وَالْفَوَائِدِ.

وَبِالْجُمْلَةِ؛ فَهُوَ أَعْظَمُ الْكُنُوزِ، طَلَّسُمُهُ - أَيُّ: الْمُزِيلُ لِعُمُوضِهِ، الْمَوْضِحُ
لِمَعَانِيهِ، الْمَفْسِّرُ لِمُبْهَمِهِ - الْغَوْصُ بِالْفِكْرِ إِلَى قَرَارِ مَعَانِيهِ.

فَتَدَبَّرِ الْقُرْآنَ إِنْ رُمْتَ الْهُدَى فَالْعِلْمُ تَحْتَ تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ (١)

«وَبِالْجُمْلَةِ؛ فَلَا شَيْءَ أَنْفَعُ لِلْقَلْبِ مِنْ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ بِالتَّدَبُّرِ وَالتَّفَكُّرِ؛
فَإِنَّهُ جَامِعٌ لِجَمِيعِ مَنَازِلِ السَّائِرِينَ، وَأَحْوَالِ الْعَامِلِينَ، وَمَقَامَاتِ الْعَارِفِينَ،
وَهُوَ الَّذِي يُورِثُ الْمَحَبَّةَ وَالشُّوقَ، وَالْخَوْفَ وَالرَّجَاءَ، وَالْإِنَابَةَ وَالتَّوَكُّلَ،
وَالرِّضَا وَالتَّفْوِيضَ، وَالشُّكْرَ وَالصَّبْرَ، وَسَائِرَ الْأَحْوَالِ الَّتِي بِهَا حَيَاةُ الْقَلْبِ
وَكَمَالُهُ، وَكَذَلِكَ يَزْجُرُ عَنْ جَمِيعِ الصِّفَاتِ وَالْأَفْعَالِ الْمَذْمُومَةِ الَّتِي بِهَا
فَسَادُ الْقَلْبِ وَهَلَاكُهُ.

فَلَوْ عَلِمَ النَّاسُ مَا فِي قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ بِالتَّدَبُّرِ؛ لَأَشْتَغَلُوا بِهَا عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهَا،
فَإِذَا قَرَأَهُ بِتَفَكُّرٍ حَتَّى مَرَّ بِآيَةٍ هُوَ مُحْتَاجٌ إِلَيْهَا فِي شِفَاءِ قَلْبِهِ؛ كَرَّرَهَا وَلَوْ مِائَةَ مَرَّةٍ،
وَلَوْ لَيْلَةً كَامِلَةً؛ فَقِرَاءَةُ آيَةٍ بِتَفَكُّرٍ وَتَفْهَمٍ خَيْرٌ مِنْ قِرَاءَةِ خْتَمَةٍ بغيرِ تَدَبُّرٍ وَتَفْهَمٍ،
وَأَنْفَعُ لِلْقَلْبِ، وَأَدْعَى إِلَى حُصُولِ الْإِيمَانِ وَذَوْقِ حَلَاوَةِ الْقُرْآنِ.

(١) البيت لشمس الدين محمد بن أبي بكر، ابن قيم الجوزية (المتوفي سنة ٧٥١هـ)، في
«الكافية الشافية»: فصل في التفريق بين الخلق والأمر، (ص ٤٩)، وهي نونيته

وَهَذِهِ كَانَتْ عَادَةَ السَّلَفِ، يُرَدُّ أَحَدُهُمُ الْآيَةَ إِلَى الصَّبَاحِ (١)، وَقَدْ ثَبَتَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ: «قَامَ بِآيَةٍ يُرَدُّهَا حَتَّى الصَّبَاحِ، وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨]» (٢). رَوَاهُ النَّسَائِيُّ، وَابْنُ مَاجَةَ عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ بِشَوَاهِدِهِ.

(١) أخرج ابن المبارك في «الزهد»: (ص ٣١، رقم ٩٤)، ووكيع في «الزهد»: (ص ٣٨٨-٣٨٩، رقم ١٥٠ و ١٥١)، وأبو عبيد القاسم بن سلام في «فضائل القرآن»: (ص ١٤٥)، وابن أبي شيبة في «المصنف»: (٢/٤٧٧)، والمروزي في قيام الليل (اختصار المقرئ: ص ١٤٩)، بإسناد قوي: أن تميما الداري قرأ سورة الجاثية، فلما أتى هذه الآية بكى ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [الجاثية: ٢١] فجعل يرددنها ويبكي حتى أصبح.

وفي رواية: ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

وجاء ذلك أيضا عن عبد الله بن مسعود، وعبد الله بن الزبير، وعن أسماء وعائشة ابنتي أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وعن سعيد بن جبيرة والحسن بن أبي الحسن يسار البصري، وعامر بن عبد قيس، والربيع بن خثيم، وهارون بن رباب الأسدي، والحسن بن حيي، نحوه.

انظر: قيام الليل للمروزي (اختصار المقرئ: ص ١٤٨-١٥١)، و«نتائج الأفكار» لابن حجر: (٣/١٩١).

(٢) أخرجه النسائي في «المجتبى»: كتاب الافتتاح: ترديد الآية، (١٠١٠)، وابن ماجه في «السنن»: كتاب إقامة الصلاة: باب ما جاء في القراءة في صلاة الليل، (١٣٥٠)، من حديث: أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وفي رواية - عند أحمد -: قال أبو ذر: صلى رسول الله ﷺ ليلة فقرأ آية حتى أصبح، يركع بها ويسجد بها: ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، فلما أصبح،

فَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ بِالتَّفَكُّرِ هِيَ أَصْلُ صَلاَحِ الْقَلْبِ؛ لِهَذَا قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه:
«لَا تَهْذُوا الْقُرْآنَ هَذَا الشَّعْرَ، وَلَا تَنْثُرُوهُ نَثْرَ الدَّقْلِ».

وَالدَّقْلُ: وَاحِدُهُ دَقَلَةٌ: وَهُوَ رَدِيءُ التَّمْرِ وَيَابِسُهُ، وَمَا لَيْسَ لَهُ اسْمٌ خَاصٌّ؛
فَتَرَاهُ لَيْبِسُهُ وَرَدَاءَتِهِ لَا يَجْتَمِعُ، يَكُونُ مَنثورًا.

«لَا تَهْذُوا الْقُرْآنَ هَذَا الشَّعْرَ، وَلَا تَنْثُرُوهُ نَثْرَ الدَّقْلِ، وَقِفُوا عِنْدَ عَجَائِبِهِ،
وَحَرِّكُوا بِهِ الْقُلُوبَ، لَا يَكُنْ هُمْ أَحَدِكُمْ آخِرَ السُّورَةِ»^(١) أَي: أَنْ يَخْتِمَهَا فَقَطْ.

قلت: يا رسول الله، ما زلت تقرأ هذه الآية حتى أصبحت، تركع بها وتسجد بها قال: «إني
سألت ربي الشفاعة لأمتي فأعطانيتها، وهي نائلة إن شاء الله لمن لا يشرك بالله شيئاً».
والحديث صححه الحاكم (١/٢٤١)، وحسن إسناده النووي في «خلاصة الأحكام»:
(١/٥٩٥/رقم ٢٠٢٧)، وصحح إسناده العراقي في تخريج الإحياء: (٢/٧٠٤/
رقم ٨٤٦)، والبوصيري في زوائد ابن ماجه (١/١٥٩)، وقال الهيثمي في «مجموع الزوائد»
(٢/٢٧٣) وابن حجر في «نتائج الأفكار» (٣/١٩٧): «رجاله ثقات»، وقال الألباني في
«صفة الصلاة» (٢/٥٣٤): «فالحديث أقل أحواله أنه حسن، وهو صحيح قطعاً بشاهده»،
أي: حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ رَدَدَ آيَةَ حَتَّى أَصْبَحَ.

(١) أخرجه أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم في «الآثار»: (ص ٤٦، رقم ٢٣٢ و ٢٣٣)،
ومحمد بن الحسن الشيباني في «الآثار»: (ص ٢٧٧، رقم ٢٦٨)، وسعيد بن منصور في
«السنن»: (٢/٤٤٤-١٤٧-التفسير)، وابن أبي شيبة في «المصنف»: (٢/٥٢١/
رقم ٨٨٢٥) و(١٠/٥٢٥ رقم ٣٠٧٨٢)، والمروزي في قيام الليل (اختصار المقرئزي:
ص ١٣٢)، والفريابي في «فضائل القرآن»: (ص ٢٢٦، رقم ١٤٧)، والآجري في «أخلاق
أهل القرآن»: (ص ٣٨، رقم ١)، والبيهقي في «السنن الكبير»: (٣/١٣ رقم ٤٧٧٨)،

وَرَوَى أَيُّوبُ عَنْ أَبِي جَمْرَةَ قَالَ: قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ: «إِنِّي سَرِيعُ الْقِرَاءَةِ، إِنِّي أَقْرَأُ الْقُرْآنَ فِي ثَلَاثٍ».

قَالَ: «لَأَنْ أَقْرَأَ سُورَةً مِنَ الْقُرْآنِ فِي لَيْلَةٍ فَاتَدَبَّرَهَا وَأَرْتَلَّهَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ كَمَا تَقْرَأُ»^(١).

وفي «شعب الإيمان»: (٣/٤٠٧/١٨٨٤)، بإسناد صحيح، عن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: «لا تهذوا القرآن كهذا الشعر، ولا تشروه نثر الدقل، وقفوا عند عجائبه، وحركوا به القلوب».

وفي رواية - عند أبي يوسف والمروزي والآجري والبيهقي - بلفظ: «اقرأوا القرآن، وحركوا به القلوب، ولا يكن هم أحدكم آخر السورة».

وفي رواية - عند الفريابي - بلفظ: «من قرأ القرآن في أقل من ثلاث فهو راجز، هذا كهذا الشعر، ونثرا كنثر الدقل».

والرجز: بحر من بحور الشعر معروف ونوع من أنواعه يكون كل مصراع منه مفردا، وتسمى قصائده أراجيز، واحدها أرجوزة، وهي كهيئة السجع إلا أنه في وزن الشعر، ويسمى قائله راجزا كما يسمى قائل بحور الشعر شاعرا، إنما سماه راجزا؛ لأن الرجز أخف على لسان المنشد.

(١) أخرجه أبو عبيد القاسم بن سلام في «فضائل القرآن»: (ص ١٥٧)، والمروزي في قيام الليل (اختصار المقرئ: ص ١٤٩)، والآجري في «أخلاق أهل القرآن»: (ص ١٦٩، رقم ٨٩)، والبيهقي في «السنن الكبير»: (٢/٣٩٦/٤١١٧)، وفي «شعب الإيمان»: (٣/٤٠٦/١٨٨٢)، بإسناد صحيح، عن أيوب بن أبي تميمة كيسان السخيتاني، عن أبي جمرة نصر بن عمران الضبعي، قال: قلت لابن عباس: إني سريع القراءة... فذكره.

ورواه معمر بن راشد وحماد بن سلمة وشعبة بن الحجاج وعبد الله بن شوذب، أربعتهم عن أبي جمرة الضبعي، به، بمثله إلا أن في حديث حماد: «أحب إلي من أن أقرأ القرآن أجمع هذرمة»، والهذرمة: السرعة في القراءة.

وَالْتَفَكُّرُ فِي الْقُرْآنِ نَوْعَانِ:

* تَفَكُّرٌ فِيهِ لِيَقَعَ عَلَى مُرَادِ الرَّبِّ - تَعَالَى - مِنْهُ.

* وَتَفَكُّرٌ فِي مَعَانِي مَا دَعَا عِبَادَهُ إِلَى التَّفَكُّرِ فِيهِ.

فَالأَوَّلُ تَفَكُّرٌ فِي الدَّلِيلِ الْقُرْآنِيِّ، وَالثَّانِي تَفَكُّرٌ فِي الدَّلِيلِ الْعِيَانِيِّ.

الأَوَّلُ تَفَكُّرٌ فِي آيَاتِهِ الْمَسْمُوعَةِ، وَالثَّانِي تَفَكُّرٌ فِي آيَاتِهِ الْمَشْهُودَةِ؛

وَلِهَذَا أَنْزَلَ اللَّهُ الْقُرْآنَ لِيَتَدَبَّرَ وَيَتَفَكَّرَ فِيهِ، وَيَعْمَلَ بِهِ، لَا لِمُجَرَّدِ تِلَاوَتِهِ مَعَ
الإِعْرَاضِ عَنْهُ.

قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (١): «أَنْزَلَ الْقُرْآنَ لِيَعْمَلَ بِهِ، فَاتَّخَذُوا تِلَاوَتَهُ

عَمَلًا!» (٢) (٣).

ورواه طالوت أبو سعيد القرشي، عن ابن عباس، بمثله.

(١) هُوَ شَيْخُ أَهْلِ الْبَصْرَةِ وَسَيِّدُ أَهْلِ زَمَانِهِ عِلْمًا وَعَمَلًا: الْحَسَنُ بْنُ أَبِي الْحَسَنِ: يَسَارٍ، أَبُو

سَعِيدٍ الْبَصْرِيِّ، ثِقَةٌ فقيه فاضل مشهور، مات سنة عشر ومائة، وقد قارب التسعين.

انظر: «سير أعلام النبلاء»: (٤/٥٦٣/ترجمة ٢٢٣).

(٢) كَذَا نَسَبَهُ إِلَى الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ ابْنِ قَتِيْبَةَ فِي «تأويل مشكل القرآن»: (ص ١٤٨)،

وَأَخْرَجَهُ الْآجِرِيُّ فِي «أخلاق أهل القرآن»: (ص ١٠٢، رقم ٣٧)، وَالخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ

فِي «اقتضاء العلم العمل»: (ص ٧٥، رقم ١١٦)، بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ، عَنِ الْفَضِيلِ بْنِ

عِيَاضٍ، مِنْ قَوْلِهِ.

(٣) «مفتاح دار السعادة» لابن القيم: (١/٥٣٥-٥٣٧).

«إِذَا أَرَدْتَ الْإِنْتِفَاعَ بِالْقُرْآنِ؛ فَاجْمَعْ قَلْبَكَ عِنْدَ تِلَاوَتِهِ وَسَمَاعِهِ، وَأَلْقِ سَمْعَكَ، وَاحْضِرْ حُضُورَ مَنْ يُخَاطِبُهُ بِهِ مَنْ تَكَلَّمَ بِهِ -سُبْحَانَهُ- مِنْهُ إِلَيْهِ؛ فَإِنَّهُ خِطَابٌ مِنْهُ لَكَ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧].

وَذَلِكَ أَنْ تَمَامَ التَّأثيرِ لَمَّا كَانَ مَوْقُوفًا عَلَى مُؤَثِّرٍ مُقْتَضٍ، وَمَحَلِّ قَابِلٍ، وَشَرْطٍ لِحُصُولِ الأثرِ وَانْتِفَاءِ المَانِعِ الَّذِي يَمْنَعُ مِنْهُ؛ تَضَمَّنَتِ الأيَةُ بَيَانَ ذَلِكَ كُلَّهُ بِأَوْجَزِ لَفْظٍ وَأَبْيَنِهِ وَأَدَلِّهِ عَلَى المُرَادِ.

فَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا﴾: إِشَارَةٌ إِلَى مَا تَقَدَّمَ مِنْ أَوَّلِ السُّورَةِ إِلَى هَاهُنَا، وَهَذَا هُوَ المَوْثُرُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾: هَذَا هُوَ المَحَلُّ القَابِلُ، وَالمُرَادُ بِهِ: القَلْبُ الحَيُّ الَّذِي يَعْقِلُ عَنِ اللهِ ﷻ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾ (٦٩) لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا ﴿يس: ٦٩ - ٧٠﴾، أَي: حَيِّ القَلْبِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ﴾ أَي: وَجَهَ سَمْعَهُ وَأَصْغَى حَاسَةً سَمْعِهِ إِلَى مَا يُقَالُ لَهُ، وَهَذَا شَرْطُ التَّأثيرِ بِالكَلَامِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ أَي: شَاهِدُ القَلْبِ، حَاضِرٌ غَيْرٌ غَائِبٍ، قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ (١): «اسْتَمَعَ كِتَابَ اللهِ وَهُوَ شَاهِدُ القَلْبِ وَالفَهْمِ، لَيْسَ بِغَافِلٍ وَلَا سَاهٍ».

وَهُوَ إِشَارَةٌ إِلَى المَانِعِ مِنْ حُصُولِ التَّأثيرِ، وَهُوَ سَهْوُ القَلْبِ وَعَيْبَتُهُ عَن تَعَقُّلِ مَا يُقَالُ لَهُ، وَالنَّظَرِ فِيهِ، وَتَأَمُّلِهِ، فَإِذَا حَصَلَ المَوْثُرُ وَهُوَ القُرْآنُ، وَالمَحَلُّ

(١) «غريب القرآن»: (ص ٤١٩).

الْقَابِلُ وَهُوَ الْقَلْبُ الْحَيُّ، وَوُجِدَ الشَّرْطُ وَهُوَ الْإِصْغَاءُ، وَانْتَفَى الْمَانِعُ وَهُوَ
اشْتِغَالُ الْقَلْبِ وَذَهْوُهُ عَنْ مَعْنَى الْخِطَابِ، وَانْصِرَافُهُ عَنْهُ إِلَى شَيْءٍ آخَرَ؛ حَصَلَ
الْأَثَرُ، وَهُوَ الْإِنْتِفَاعُ وَالتَّذَكُّرُ^(١).

وَأَمَّا مَا عَدَا ذَلِكَ فَهُوَ مَعْدُودٌ فِي هَجْرِ الْقُرْآنِ؛ لِأَنَّ «هَجَرَ الْقُرْآنِ أَنْوَاعٌ:

أَحَدُهَا: هَجْرُ سَمَاعِهِ، وَالْإِيمَانِ بِهِ، وَالْإِصْغَاءِ إِلَيْهِ.

وَالثَّانِي: هَجْرُ الْعَمَلِ بِهِ، وَالْوُقُوفِ عِنْدَ حَلَالِهِ وَحَرَامِهِ؛ وَإِنْ قَرَأَهُ وَآمَنَ بِهِ.

وَالثَّلَاثُ مِنْ أَنْوَاعِ هَجْرِ الْقُرْآنِ: هَجْرُ تَحْكِيمِهِ وَالتَّحَاكُمِ إِلَيْهِ فِي أَصُولِ
الدِّينِ وَفُرُوعِهِ، وَاعْتِقَادُ أَنَّهُ لَا يُفِيدُ الْيَقِينَ، وَأَنَّ أَدْلَتَهُ لَفْظِيَّةٌ لَا تُحْصِلُ الْعِلْمَ.

وَالرَّابِعُ: هَجْرُ تَدَبُّرِهِ وَتَفَهُّمِهِ، وَمَعْرِفَةِ مَا أَرَادَ الْمُتَكَلِّمُ بِهِ مِنْهُ.

وَالْخَامِسُ: هَجْرُ الْإِسْتِشْفَاءِ وَالتَّدَاوِيِّ بِهِ فِي جَمِيعِ أَمْرَاضِ الْقُلُوبِ
وَأَدْوَائِهَا، فَيَطْلُبُ شِفَاءَ دَائِهِ مِنْ غَيْرِهِ، وَيَهْجُرُ التَّدَاوِيَ بِهِ!!

وَكُلُّ هَذَا دَاخِلٌ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَرْبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ
مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: ٣٠]، وَإِنْ كَانَ بَعْضُ الْهَجْرِ أَهْوَنَ مِنْ بَعْضٍ، وَكَذَلِكَ الْحَرْجُ
الَّذِي فِي الصُّدُورِ مِنْهُ^(٢)؛ فَإِنَّهُ تَارَةٌ يَكُونُ حَرْجًا مِنْ إِنْزَالِهِ وَكَوْنِهِ حَقًّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ،

(١) «الفوائد» لابن القيم: (ص ٣).

(٢) يشير إلى قوله تعالى: ﴿فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ﴾ [الأعراف: ٢]، أي: شك، وأصل
الحرَج: الضيق، والشاك في الأمر يضيق صدرا؛ لأنه لا يعلم حقيقته، فسمى الشك
حرجا.

وَتَارَةً يَكُونُ مِنْ جِهَةِ التَّكَلُّمِ بِهِ، وَمِنْ كَوْنِهِ مَخْلُوقًا مِنْ بَعْضِ مَخْلُوقَاتِهِ أَلْهَمَ غَيْرَهُ أَنْ تَكَلَّمَ بِهِ، وَتَارَةً يَكُونُ مِنْ جِهَةِ كِفَايَتِهِ وَعَدَمِهَا، وَأَنَّهُ لَا يَكْفِي الْعِبَادَ، بَلْ هُمْ مُحْتَاجُونَ مَعَهُ إِلَى الْمَعْقُولَاتِ وَالْأَقْيَسَةِ أَوْ الْأَرَاءِ أَوْ السِّيَاسَاتِ، وَتَارَةً يَكُونُ مِنْ جِهَةِ دَلَالَتِهِ وَمَا أُرِيدَ بِهِ حَقَائِقُهُ الْمَفْهُومَةُ مِنْهُ عِنْدَ الْخُطَابِ، أَوْ أُرِيدَ بِهِ تَأْوِيلُهَا وَإِخْرَاجُهَا عَنْ حَقَائِقِهَا إِلَى تَأْوِيلَاتٍ مُسْتَكْرَهَةٍ مُشْتَرَكَةٍ، وَتَارَةً يَكُونُ مِنْ جِهَةِ كَوْنِ تِلْكَ الْحَقَائِقِ وَإِنْ كَانَتْ مُرَادَةً فَهِيَ ثَابِتَةٌ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ، أَوْ أَوْهَمَ أَنَّهَا مُرَادَةٌ لِضَرْبٍ مِنَ الْمَصْلَحَةِ؛ فَكُلُّ هَؤُلَاءِ فِي صُدُورِهِمْ حَرَجٌ مِنَ الْقُرْآنِ، وَهُمْ يَعْلَمُونَ ذَلِكَ مِنْ نَفْسِهِمْ، وَيَجِدُونَهُ فِي صُدُورِهِمْ، وَلَا تَجِدُ مُبْتَدِعًا فِي دِينِهِ قَطُّ إِلَّا وَفِي قَلْبِهِ حَرَجٌ مِنَ الْآيَاتِ الَّتِي تُخَالِفُ بَدْعَتَهُ، كَمَا أَنَّكَ لَا تَجِدُ ظَالِمًا فَاجِرًا إِلَّا وَفِي صَدْرِهِ حَرَجٌ مِنَ الْآيَاتِ الَّتِي تَحُولُ بَيْنَهُ وَيَبِينُ إِرَادَتِهِ؛ فَتَدَبَّرْ هَذَا الْمَعْنَى، ثُمَّ ارْضَ لِنَفْسِكَ بِمَا تَشَاءُ! (١).

«تأمل خطاب القرآن تجد ملكًا له الملك كله، وله الحمد كله، أزمنة الأمور كلها بيده، ومصدرها منه، ومردّها إليه، مستويًا على سرير ملكه، لا تخفى عليه خافية في أقطار مملكته، عالمًا بما في نفوس عبيده، مطلعًا على أسرارهم وعلايتهم، منفردًا بتدبير المملكة، يسمع ويرى، ويعطي ويمنع، ويثيب ويعاقب، ويكرم ويهين، ويخلق ويرزق، ويحيي ويميت، ويقدر ويقضي ويدبر. الأمور نازلة من عنده دقيقة وجليلها، وصاعدة إليه، لا تحرك ذرة إلا بإذنه، ولا تسقط ورقة إلا بعلمه.

(١) «الفوائد»: (ص ٨٢).

فَتَأْمَلْ كَيْفَ تَجِدُهُ يُثْنِي عَلَى نَفْسِهِ، وَيَمَجِّدُ نَفْسَهُ، وَيَحْمَدُ نَفْسَهُ، وَيَنْصَحُ عِبَادَهُ، وَيَذَكِّرُهُمْ عَلَى مَا فِيهِ سَعَادَتُهُمْ وَفَلَاحُهُمْ، وَيُرَغِّبُهُمْ فِيهِ، وَيُحَذِّرُهُمْ مِمَّا فِيهِ هَلَاكُهُمْ، وَيَتَعَرَّفُ إِلَيْهِمْ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَيَتَحَبَّبُ إِلَيْهِمْ بِنِعْمِهِ وَالْآيَةِ؛ فَيَذَكِّرُهُمْ بِنِعْمِهِ عَلَيْهِمْ، وَيَأْمُرُهُمْ بِمَا يَسْتَوْجِبُونَ بِهِ تَمَامَهَا، وَيُحَذِّرُهُمْ مِنْ نِقَمِهِ، وَيَذَكِّرُهُمْ بِمَا أَعَدَّ لَهُمْ مِنَ الْكِرَامَةِ إِنْ أَطَاعُوهُ، وَمَا أَعَدَّ لَهُمْ مِنَ الْعُقُوبَةِ إِنْ عَصَوْهُ، وَيُخْبِرُهُمْ بِصُنْعِهِ فِي أَوْلِيَائِهِ وَأَعْدَائِهِ، وَكَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ، وَيُثْنِي عَلَى أَوْلِيَائِهِ بِصَالِحِ أَعْمَالِهِمْ، وَأَحْسَنِ أَوْصَافِهِمْ، وَيَذُمُّ أَعْدَاءَهُ بِسَيِّئِ أَعْمَالِهِمْ، وَقَبِيحِ صِفَاتِهِمْ.

وَيَضْرِبُ الْأَمْثَالَ، وَيُنَوِّعُ الْأَدْلَةَ وَالْبَرَاهِينَ، وَيَجِيبُ عَنْ شُبُهَةِ أَعْدَائِهِ أَحْسَنَ الْأَجُوبَةِ، وَيُصَدِّقُ الصَّادِقَ، وَيَكْذِبُ الْكَاذِبَ، وَيَقُولُ الْحَقَّ، وَيَهْدِي السَّبِيلَ، وَيَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ، وَيَذَكِّرُ أَوْصَافَهَا وَحُسْنَهَا وَنَعِيمَهَا، وَيُحَذِّرُ مِنْ دَارِ الْبَوَارِ، وَيَذَكِّرُ عَذَابَهَا وَقَبْحَهَا وَالْآمَهَا، وَيَذَكِّرُ عِبَادَهُ فَقْرَهُمْ إِلَيْهِ وَشِدَّةَ حَاجَتِهِمْ إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ، وَأَنَّه لَا غِنَى لَهُمْ عَنْهُ طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَيَذَكِّرُ غِنَاهُ عَنْهُمْ وَعَنْ جَمِيعِ الْمَوْجُودَاتِ، وَأَنَّهُ الْغَنِيُّ بِنَفْسِهِ عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ، وَكُلُّ مَا سِوَاهُ فَقِيرٌ إِلَيْهِ بِذَاتِهِ، وَأَنَّهُ لَا يَنَالُ أَحَدٌ ذَرَّةً مِنَ الْخَيْرِ فَمَا فَوْقَهَا إِلَّا بِفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ، وَلَا ذَرَّةً مِنَ الشَّرِّ فَمَا فَوْقَهَا إِلَّا بِعَدْلِهِ وَحِكْمَتِهِ.

وَيَشْهَدُ مِنْ خِطَابِهِ عِتَابَهُ لِأَحْبَابِهِ الْأَطْفَافِ عِتَابًا، وَأَنَّهُ مَعَ ذَلِكَ مُقْبِلٌ عَشْرَاتِهِمْ، وَغَافِرٌ زَلَّاتِهِمْ، وَمُقِيمٌ أَعْدَارَهُمْ، وَمُصْلِحٌ فَسَادَهُمْ، وَالِدَّافِعُ عَنْهُمْ،

وَالْمُحَامِي عَنْهُمْ، وَالنَّاصِرُ لَهُمْ، وَالْكَفِيلُ بِمَصَالِحِهِمْ، وَالْمُنْجِي لَهُمْ مِنْ كُلِّ كَرْبٍ، وَالْمُوفِي لَهُمْ بِوَعْدِهِ، وَأَنَّهُ وَلِيُّهُمْ الَّذِي لَا وِلِيَّ لَهُمْ سِوَاهُ؛ فَهُوَ مَوْلَاهُمْ الْحَقُّ، وَنَصِيرُهُمْ عَلَى عَدُوِّهِمْ؛ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ.

فَإِذَا شَهِدَتِ الْقُلُوبُ مِنَ الْقُرْآنِ مَلِكًا عَظِيمًا رَحِيمًا جَوَادًا جَمِيلًا هَذَا شَأْنُهُ؛ فَكَيْفَ لَا تُحِبُّهُ، وَتُنَافِسُ فِي الْقُرْبِ مِنْهُ، وَتُنْفِقُ أَنْفَاسَهَا فِي التَّوَدُّدِ إِلَيْهِ، وَيَكُونُ أَحَبَّ إِلَيْهَا مِنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ، وَرِضَاهُ أَثَرٌ عِنْدَهَا مِنْ رِضَا كُلِّ مَا عَدَاهُ؟! وَكَيْفَ لَا تَلْهَجُ بِذِكْرِهِ، وَيَصِيرُ حُبُّهُ وَالشُّوقُ إِلَيْهِ وَالْأُنْسُ بِهِ غِذَاءَهَا وَقُوَّتَهَا وَدَوَاءَهَا؛ بِحَيْثُ إِنْ فَقَدَتْ ذَلِكَ فَسَدَتْ وَهَلَكَتْ، وَلَمْ تَنْتَفِعْ بِحَيَاتِهَا؟! (١).

لَقَدْ قَالَ اللَّهُ -تَعَالَى- فِي سُورَةِ ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ [ق: ١] مَا دَلَّنَا عَلَى عَظِيمِ مَا خَلَقَ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ عَجَائِبِ حِكْمَتِهِ فِي خَلْقِهِ، ثُمَّ ذَكَرَ الْمَوْتَ وَعَظِيمَ شَأْنِهِ، وَذَكَرَ النَّارَ وَعَظِيمَ شَأْنِهَا، وَذَكَرَ الْجَنَّةَ وَمَا أَعَدَّ فِيهَا لِأَوْلِيَائِهِ، فَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿هُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٥]، إِلَى آخِرِ الْآيَةِ.

ثُمَّ قَالَ بَعْدَ ذَلِكَ كُلِّهِ: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧]، فَأَخْبَرَ -جَلَّ ذِكْرُهُ- أَنَّ الْمُسْتَمِعَ بِأُذُنَيْهِ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ مُشَاهِدًا بِقَلْبِهِ مَا يَتْلُو وَمَا يَسْمَعُ؛ لِيَنْتَفِعَ بِتِلَاوَتِهِ لِلْقُرْآنِ وَبِالِاسْتِمَاعِ مِمَّنْ يَتْلُوهُ، ثُمَّ

(١) «الفوائد»: (ص ٢٨-٢٩).

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى حَثَّ خَلْقَهُ عَلَى أَنْ يَتَدَبَّرُوا الْقُرْآنَ، فَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

أَلَا تَرَوْنَ - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - إِلَى مَوْلَاكُمُ الْكَرِيمِ كَيْفَ يَحُثُّ خَلْقَهُ عَلَى أَنْ يَتَدَبَّرُوا كَلَامَهُ، وَمَنْ تَدَبَّرَ كَلَامَهُ عَرَفَ الرَّبَّ تَعَالَى، وَعَرَفَ عَظِيمَ سُلْطَانِهِ وَقُدْرَتِهِ، وَعَرَفَ عَظِيمَ تَفْضُلِهِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَعَرَفَ مَا عَلَيْهِ مِنْ فَرَضِ عِبَادَتِهِ؛ فَالزَّمْ نَفْسَهُ الْوَاجِبَ، فَحَدِرْ مِمَّا حَدَرَهُ مَوْلَاهُ الْكَرِيمُ، وَرَغَّبْ فِيَمَا رَغَّبَهُ فِيهِ، وَمَنْ كَانَتْ هَذِهِ صِفَتُهُ عِنْدَ تِلَاوَتِهِ لِلْقُرْآنِ، وَعِنْدَ اسْتِمَاعِهِ مِنْ غَيْرِهِ؛ كَانَ الْقُرْآنُ لَهُ شِفَاءً؛ فَاسْتَغْنَى بِلَا مَالٍ، وَعَزَّ بِلَا عَشِيرَةٍ، وَأَنَسَ بِمَا يَسْتَوْحِشُ مِنْهُ غَيْرُهُ، وَكَانَ هَمُّهُ عِنْدَ التَّلَاوَةِ لِلسُّورَةِ إِذَا افْتَتَحَهَا: مَتَى أَتَعَطُّ بِمَا أَتَلُو؟ وَلَمْ يَكُنْ مُرَادُهُ: مَتَى أَخْتَمُ السُّورَةَ؟! وَإِنَّمَا مُرَادُهُ: مَتَى أَعْقِلُ عَنِ اللَّهِ الْخِطَابَ؟ مَتَى أَزْدَجِرُ؟ مَتَى أَعْتَبِرُ؟ لِأَنَّ تِلَاوَتَهُ لِلْقُرْآنِ عِبَادَةٌ، وَالْعِبَادَةُ لَا تَكُونُ بِغَفْلَةٍ.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «لَا تَشْرُوهُ نَشْرَ الدَّقْلِ» (١)، وَلَا تَهْدُوهُ هَذَا الشُّعْرَ، فِقُوا عِنْدَ عَجَابِهِ، وَحَرِّكُوا بِهِ الْقُلُوبَ، وَلَا يَكُنْ هُمْ أَحَدِكُمْ آخِرَ السُّورَةِ» (٢).

(١) «الدَّقْل»: رديء التمر ويابس.

(٢) تقدم تخريجه.

وَقَالَ الْحَسَنُ: «الزُّمُّوا كِتَابَ اللَّهِ ﷻ، وَتَبَعُوا مَا فِيهِ مِنَ الْأَمْثَالِ، وَكُونُوا فِيهِ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرِ، ثُمَّ قَالَ: رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا عَرَضَ نَفْسَهُ وَعَمَلَهُ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ، فَإِنْ وَافَقَ كِتَابَ اللَّهِ؛ حَمِدَ اللَّهُ وَسَأَلَهُ الزِّيَادَةَ، وَإِنْ خَالَفَ كِتَابَ اللَّهِ؛ أَعْتَبَ نَفْسَهُ، وَرَجَعَ مِنْ قَرِيبٍ» (١).

وَعَنْ أَبِي كِنَانَةَ، أَنَّ أَبَا مُوسَى الْأَشْعَرِيَّ جَمَعَ الَّذِينَ قَرَأُوا الْقُرْآنَ - وَهُمْ قَرِيبٌ مِنْ ثَلَاثِ مِائَةٍ -، فَعَظَّمَ الْقُرْآنَ، وَقَالَ: «إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ كَأَنَّ لَكُمْ ذُخْرًا - أَيُّ: ثَوَابًا مُدَّخِرًا -، وَكَأَنَّ عَلَيْكُمْ وَزْرًا؛ فَاتَّبِعُوا الْقُرْآنَ وَلَا يَتَّبِعْكُمْ؛ فَإِنَّهُ مَنْ اتَّبَعَ الْقُرْآنَ هَبَطَ بِهِ عَلَى رِیَاضِ الْجَنَّةِ، وَمَنْ اتَّبَعَهُ الْقُرْآنُ رَجَّ فِي قَفَاهُ، فَقَذَفَهُ فِي النَّارِ» (٢).

وَعَنِ الْحَسَنِ قَالَ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَعْلَمَ مَا هُوَ - أَيُّ: مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَعْلَمَ حَالَهُ: هَلْ هُوَ مِنَ الصَّالِحِينَ، أَمْ مِنَ الطَّالِحِينَ -؛ فَلْيَعْرِضْ نَفْسَهُ عَلَى الْقُرْآنِ» (٣).

(١) «أخلاق أهل القرآن»: (ص ٣٩، رقم ٢)، وإسناده صحيح.

(٢) «أخلاق أهل القرآن»: (ص ٤٠، رقم ٣)، وأخرجه أيضاً أبو عبيد القاسم بن سلام في «غريب الحديث»: (٥/ ١٩٥ / رقم ٨٣٥)، وفي «فضائل القرآن»: (ص ٨١ و ٨٢)، وسعيد بن منصور في «السنن»: (١/ ٤٩ / رقم ٨ - تفسير)، وابن أبي شيبة في «المصنف»: (١٠/ ٤٨٤ / رقم ٣٠٦٣٦) و(١٣/ ٣٨٦ / رقم ٣٥٩٦٧)، والدارمي في «المسند»: (٤/ ٢٠٩٦ / رقم ٣٣٧١)، وابن الضريس في «فضائل القرآن»: (ص ٤٨، رقم ٦٧)، والفريابي في «فضائل القرآن»: (ص ١٢٨، رقم ٢٢)، بإسناد صحيح، عن أبي كنانة القرشي، به.

(٣) «أخلاق أهل القرآن»: (ص ٤١، رقم ٤)، وأخرجه أيضاً ابن المبارك في «الزهد» رواية الحسين المروزي: (ص ١٣، رقم ٣٧)، وإسماعيل بن القاسم أبو القاسم الحلبي في حديثه (٩ - مخطوط)، بإسناد صحيح.

وَعَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ ﷺ: «يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ» [البقرة: ١٢١]: قَالَ: يَعْمَلُونَ بِهِ حَقَّ عَمَلِهِ (١) (٢).

فَهَكَذَا يَنْبَغِي أَنْ نَتَعَامَلَ مَعَ الْقُرْآنِ؛ خَاصَّةً فِي الشَّهْرِ الَّذِي أَنْزَلَ اللَّهُ -تَعَالَى- فِيهِ الْقُرْآنَ؛ وَإِلَّا مَا اسْتَفَدْنَا مِنْهُ مَا نَرَجُوهُ، وَمَا حَقَّقْنَا مِنْهُ مَا نَطْلُبُهُ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ، وَعَلَيْهِ التُّكْلَانُ. (*).



(١) «أخلاق أهل القرآن»: (ص ٤٢ و ١٠٠، رقم ٥ و ٣٥)، وأخرجه أيضا ابن المبارك في «الزهد» رواية الحسين المروزي: (ص ٢٧٣، رقم ٧٩٢)، وأبو عبيد القاسم بن سلام في «فضائل القرآن»: (ص ١٣١)، وسعيد بن منصور «السنن»: (٢/٦٠٥/رقم ٢١١- تفسير)، وأبو نصر المروزي في «تعظيم قدر الصلاة»: (١/٣٩٦-٣٩٧/رقم ٣٨٤ و ٣٨٥ و ٣٨٧)، وابن جرير الطبري في «جامع البيان»: (١/٥٢٠) و (١٧/١٢)، وعبد الرحمن ابن الحسن الهمداني في «تفسير مجاهد»: (ص ٢١٢)، وأبو طاهر المخلص في المخلصيات: (انتقاء ابن أبي الفوارس: ١/٣٠٥/رقم ٤٦٦)، بإسناد صحيح. وفي رواية عنه أنه قال: «يتبعونه حق اتباعه».

(٢) «أخلاق أهل القرآن» للأجري: (ص ٣٥-٤٢).

(*): مَا مَرَّ ذِكْرُهُ بِتَصْرُفٍ يَسِيرٍ مِنْ خُطْبَةٍ: «شَأْنُ الْقُرْآنِ فِي رَمَضَانَ» - الْجُمُعَةُ ٢١ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٨ هـ - ١٦-٦-٢٠١٧ م.

قُوَّةُ تَأْتِيرِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

إِنَّ مِنْ جَوَانِبِ الْعُظْمَةِ فِي الْقُرْآنِ: قُوَّةُ تَأْتِيرِهِ عَلَى كُلِّ مَا يَتَّصِلُ بِهِ؛ حَيْثُ يَقُولُ تَعَالَى: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأُمَمُ نَضِرَ بِهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَنْفَكِرُونَ﴾ [الحشر: ٢١].

لَوْ أَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا أَنْزَلَ الْقُرْآنَ تَكْلِيْفًا وَتِلَاوَةً عَلَى جَبَلٍ فِي وُجُورَتِهِ وَقَسْوَتِهِ وَصَلَادَتِهِ وَصَلَابَتِهِ، فِي حُزُونَتِهِ وَسُمُوقِهِ وَارْتِفَاعِهِ وَثَبَاتِهِ، لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدٌ ﷺ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ؛ وَلَكِنْ أَنْعَمَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا عَلَيْكُمْ يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ بِأَنْ ثَبَّتْكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُقُونَ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ، ثُمَّ زَادَ فِي الْإِنْعَامِ عَلَيْكُمْ فَيْسَّرَهُ لَكُمْ، وَلَوْ لَا ذَلِكَ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْهُ حَرْفًا.

لَإِنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا ذَكَرْنَا بِالْإِنْعَامِ عَلَيْنَا وَاصْطِفَائِنَا، فَقَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا إِنَّ ظَالِمَنَا الَّذِي يَظْلِمُ نَفْسَهُ هُوَ مِنَ الْمُصْطَفَيْنِ الْأَخْيَارِ، كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا فِي كِتَابِهِ الْعَظِيمِ. فَمَا تَقُولُ فِي أُمَّةٍ ظَالِمَهَا مِمَّنْ اصْطَفَاهُ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا؟!!

يَقُولُ رَبُّنَا جَلَّ وَعَلَا فِي كِتَابِهِ الْعَظِيمِ: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِنْدَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ، وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِنَ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ [فاطر: ٣٢].

اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ جَعَلَ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ تَتَفَاعَلُ مَعَهُ كَثِيرٌ مِنَ الْمَوْجُودَاتِ (*)،
 أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ فِي «الصَّحِيحِ» (٢) بِسَنَدِهِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، عَنْ أَبِيهِ
 (رضي الله عنه)، لَمَّا أَوْفَدْتَهُ قُرَيْشٌ لِيُكَلِّمَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي أُسَارَى بَدْرٍ، فَدَخَلَ الْمَدِينَةَ،
 فَوَافَى النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي الْمَغْرِبَ بِأَصْحَابِهِ، يَقْرَأُ سُورَةَ الطُّورِ، قَالَ:
 «سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ فِي الْمَغْرِبِ بِالطُّورِ، وَقَالَ (رضي الله عنه): فَسَمِعْتُ قَوْلَ اللَّهِ
 جَلَّ وَعَلَا ﴿ أَمْ خَلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا
 يُوقِنُونَ ﴾ [الطور: ٣٥-٣٦]، قَالَ: فَكَادَ قَلْبِي أَنْ يَطِيرَ».

وَفِي رِوَايَةٍ (٣): «فَذَلِكَ حِينَ دَخَلَ الْإِسْلَامُ قَلْبِي»، لَمَّا سَمِعَ هَذِهِ الْآيَةَ. (*٢/).

وَهَذَا أَسِيدُ بْنُ الْحَضِيرِ (رضي الله عنه) فِي مَرْبَدِهِ ذَاتَ لَيْلَةٍ - وَالْمَرْبَدُ: هُوَ الْمَكَانُ
 الَّذِي يُبَسُّ فِيهِ التَّمْرُ وَيَجْفَفُ -، فَأَسِيدُ (رضي الله عنه) فِي مَرْبَدِهِ، وَفَرَسُهُ مَرْبُوطَةٌ بِشَطْنِ
 -أَي: بِحَبْلِ - هُنَالِكَ، وَعِنْدَهَا وَلَدُهُ يَحْيَى.

أَخَذَ أَسِيدٌ يَتَلَوُ كَلَامَ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا، وَأَخَذَتِ الْفَرَسُ تَجُولُ -أَي: تَتَحَرَّكُ فِي
 مَوْضِعِهَا، تَرْفَعُ حَوَافِرَهَا وَتَخْفِضُهَا -، فَسَكَتَتْ فَسَكَتَتْ.

(* مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «شَرَفُ حَمَلَةِ الْقُرْآنِ ١» - خُطْبَةُ الْجُمُعَةِ ٢٨ مِنْ جُمَادَى الثَّانِي
 ١٤٢٣هـ | ٦-٩-٢٠٠٢م.

(٢) «صحيح البخاري» (رقم ٤٨٥٤)، وأخرجه أيضا (رقم ٧٦٥) ومواضع، ومسلم (رقم
 ٤٦٣).

(٣) «صحيح البخاري» (رقم ٤٠٢٣)، بلفظ: «...، وَذَلِكَ أَوَّلَ مَا وَقَرَ الْإِيمَانَ فِي قَلْبِي».
 (*٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ» - الْجُمُعَةُ ٢٣ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ ١٤٣٢هـ | ٢١-

ثُمَّ قَرَأَ أُسَيْدٌ، فَجَالَتِ الْفَرَسُ، فَسَكَتَ فَسَكَتَتْ.

ثُمَّ قَرَأَ، فَجَالَتِ الْفَرَسُ، وَكَانَ يَحْيَى قَرِيبًا مِنْهَا، فَخَشِيَ أَنْ تَطَّأَ يَحْيَى بِحَافِرِهَا، فَقَامَ فَنَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ، فَرَأَى كَمِثْلَ الظُّلَّةِ فِيهَا كَأَمْثَالِ السُّرُجِ؛ غَيْرَ أَنَّهَا تَعْرُجُ فِي السَّمَاءِ حَتَّى ذَهَبَتْ، فَخَشِيَ عَلَى يَحْيَى فَسَكَتَ.

ثُمَّ غَدَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنِّي كُنْتُ أَقْرَأُ الْقُرْآنَ الْبَارِحَةَ.

قَالَ: «أَقْرَأَ يَا ابْنَ حُضَيْرٍ».

قَالَ: ثُمَّ إِنِّي قَرَأْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ.

قَالَ: «أَقْرَأَ يَا ابْنَ حُضَيْرٍ».

قَالَ: ثُمَّ إِنِّي قَرَأْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ.

قَالَ: «أَقْرَأَ يَا ابْنَ حُضَيْرٍ».

قال: يَا رَسُولَ اللَّهِ! خِفْتُ عَلَى يَحْيَى أَنْ تَطَّاهُ الْفَرَسُ بِحَافِرِهَا، ثُمَّ إِنِّي رَأَيْتُ كَمِثْلَ الظُّلَّةِ فِيهَا كَأَمْثَالِ السُّرُجِ، فَلَمَّا سَكَتُ تَوَارَتْ، وَعُرِجَ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ.

فَقَالَ: «تِلْكَ الْمَلَائِكَةُ، وَلَوْ أَنَّكَ ظَلَلْتَ فِي قِرَاءَتِكَ وَعَدَيْتَهَا؛ لَأَصْبَحَ النَّاسُ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ فِي مَدِينَةِ النَّبِيِّ ﷺ» (١).

(١) أخرجه البخاري (رقم ٥٠١٨)، ومسلم (رقم ٧٩٦)، من حديث: أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بلفظ: «تِلْكَ الْمَلَائِكَةُ دَنَتْ لِصَوْتِكَ، وَلَوْ قَرَأْتَ لَأَصْبَحَتْ يَنْظُرُ النَّاسُ إِلَيْهَا، لَا تَتَوَارَى مِنْهُمْ».

﴿قُلِ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرُهُ﴾ [عبس: ١٧]؛ وَلَكِنَّ الْإِنْسَانَ وَحْدَهُ الَّذِي يَصُلِدُ قَلْبُهُ فَوْقَ صَالِدَةِ الْجِبَالِ، وَيَصْلُبُ فُؤَادَهُ فَوْقَ صَلَابَتَيْهَا!! فَاللَّهُمَّ لِيَنَّ قُلُوبَنَا بِذِكْرِكَ وَلِذِكْرِكَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ. (*).

وَلَقَدْ تَحَدَّى اللَّهُ - تَعَالَى - الْإِنْسَ وَالْجِنَّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِهِ، أَوْ بِعَشْرِ سُورٍ مِنْ مِثْلِهِ، أَوْ بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ، فَعَجَزُوا عَنْ ذَلِكَ كُلِّهِ، قَالَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿قُلْ لِيَنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨].

قُلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ لِأَيِّمَةِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ تَوَهَّمُوا أَنَّ الْقُرْآنَ مِنْ صُنْعِكَ، وَحَاوَلُوا إِغْرَاءَكَ بِتَبْدِيلِ مَا كَرِهُوا مِنَ الْقُرْآنِ، قُلْ لَهُمْ: أَقْسِمُ لَكُمْ لِيَنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ، وَاتَّفَقُوا عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ فِي إِعْجَازِهِ الْبَيِّنِيِّ، وَالْعِلْمِيِّ، وَالتَّشْرِيْعِيِّ، وَفِي سَائِرِ وُجُوهِ إِعْجَازِهِ؛ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى ذَلِكَ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ مُعِينًا. (* / ٢).

وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرْتَهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [يونس: ٣٨].

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «شَرَفُ حَمَلَةِ الْقُرْآنِ ١» - خُطْبَةُ الْجُمُعَةِ ٢٨ مِنْ جُمَادَى الثَّانِي ١٤٢٣ هـ | ٦-٩-٢٠٠٢ م.

(* / ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةٍ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيْقُ عَلَى مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» - [الإسراء: ٨٨].

﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ أَي: الْمُكَذِّبُونَ بِهِ عِنَادًا وَبَغْيًا: ﴿أَفْتَرَنَاهُ﴾ مُحَمَّدٌ عَلَى اللَّهِ
وَاخْتَلَقَهُ!! ﴿قُلْ﴾ لَهُمْ -مُلْزِمًا لَهُمْ بِشَيْءٍ- إِنْ قَدَرُوا عَلَيْهِ؛ أَمْكَنَ مَا ادَّعَوْهُ؛ وَإِلَّا
كَانَ قَوْلُهُمْ بَاطِلًا.

﴿فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ يُعَاوِنُكُمْ
عَلَى الْإِتْيَانِ بِسُورَةٍ مِثْلِهِ، وَهَذَا مُحَالٌ، وَلَوْ كَانَ مُمَكِّنًا لَادَّعَوْا قُدْرَتَهُمْ عَلَى
ذَلِكَ، وَلَا تَوَا بِمِثْلِهِ»^(١).

وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ أَفْتَرَنَاهُ قُلْ فَأَتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا
مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [هود: ١٣].

﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ أَفْتَرَنَاهُ أَي: افْتَرَى مُحَمَّدٌ هَذَا الْقُرْآنَ؟! فَأَجَابَهُمْ بِقَوْلِهِ: قُلْ
لَهُمْ: فَأَتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ، ﴿وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ
صَادِقِينَ﴾ أَنَّهُ قَدْ افْتَرَاهُ؛ فَإِنَّهُ لَا فَرْقَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ فِي الْفَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ وَأَنْتُمْ
الْأَعْدَاءُ حَقًّا، الْحَرِيصُونَ بِغَايَةِ مَا يُمَكِّنُكُمْ عَلَى إِبْطَالِ دَعْوَتِهِ، فَإِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ؛
فَأَتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ»^(٢).



(١) «تفسير السعدي» (ص ٣٦٤).

(٢) «تفسير السعدي» (ص ٣٧٨).

عَظَمَةُ الْخَالِقِ وَقُدْرَتُهُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

إِنَّ الْمَتَأَمَّلَ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﷻ يَجِدُهُ عَامِرًا بِالآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى عَظَمَةِ الْخَالِقِ - سُبْحَانَهُ - ، وَبَيَانَ مَظَاهِرِ قُدْرَتِهِ؛ سِوَاءً فِي خَلْقِ الْكَوْنِ، أَوْ فِي خَلْقِ الْإِنْسَانِ؛ فَقَدْ أَوْدَعَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ عِلْمَ كُلِّ شَيْءٍ؛ حَيْثُ يَقُولُ سُبْحَانَهُ: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ تُرَى إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٨].

﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ أَي: مَا أَهْمَلْنَا وَلَا أَغْفَلْنَا فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ شَيْئًا مِنَ الْأَشْيَاءِ، بَلْ جَمِيعُ الْأَشْيَاءِ صَغِيرَهَا وَكَبِيرَهَا مُثَبَّتَةٌ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ، فَتَقَعُ جَمِيعُ الْحَوَادِثِ طَبَقَ مَا جَرَى بِهِ الْقَلَمُ.

وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْكِتَابَ الْأَوَّلَ قَدْ حَوَى جَمِيعَ الْكَائِنَاتِ، وَهَذَا أَحَدُ مَرَاتِبِ الْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ؛ فَإِنَّهَا أَرْبَعُ مَرَاتِبَ: عِلْمُ اللَّهِ الشَّامِلُ لِجَمِيعِ الْأَشْيَاءِ، وَكِتَابَةُ الْمُحِيطِ بِجَمِيعِ الْمَوْجُودَاتِ، وَمَشِيئَتُهُ وَقُدْرَتُهُ النَّافِذَةُ الْعَامَّةُ لِكُلِّ شَيْءٍ، وَخَلْقُهُ لِجَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ؛ حَتَّى أَفْعَالِ الْعِبَادِ.

وَيُحْتَمَلُ أَنَّ الْمُرَادَ بِالْكِتَابِ: هَذَا الْقُرْآنَ، وَأَنَّ الْمَعْنَى كَالْمَعْنَى فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩] (١).

(١) «تفسير السعدي» (ص ٢٥٥).

إِنَّ التَّمَامِلَ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَمَا وَرَدَ فِيهِ عَن هَذَا الْكَوْنِ الْوَاسِعِ يَسْتَشْعِرُ عَظَمَةَ الْخَالِقِ وَقُدْرَتَهُ؛ فَالْكَوْنُ كُلُّهُ يَسِيرُ وَفَقَ نِظَامٍ دَقِيقٍ، وَتَرْتِيبٍ بَدِيعٍ، وَتَنْسِيقٍ مُحْكَمٍ، وَإِتْقَانٍ يُبْهِرُ الْعُقُولَ، وَلَا عَجَبَ فِي ذَلِكَ؛ فَبِتِلْكَ صُنْعُهُ بَدِيعِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٨٨].

وَتَرَى الْجِبَالَ - أَيُّهَا الرَّائِي - تَظُنُّهَا مُتَمَاسِكَةً لَا حَرَكَةَ لِدَرَاتِهَا، وَلَا سِيرَ لَهَا فِي جُمَّلَتِهَا، وَهِيَ فِي وَاقِعِ حَالِهَا تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ الَّذِي تَتَحَرَّكُ ذَرَاتُهُ تَحَرُّكًا دَاخِلِيًّا، وَيَسِيرُ فِي جُمَّلَتِهِ مِنْ مَوْقِعٍ إِلَى مَوْقِعٍ فِي السَّمَاءِ، وَكَذَلِكَ حَالُ الْجِبَالِ وَسَائِرِ مَا فِي الْأَرْضِ؛ إِذْ ذَرَّاتُ كُلِّ شَيْءٍ تَتَحَرَّكُ حَرَكَاتٍ فِي دَوَائِرٍ وَأَقْفَالٍ مُتَقَفَلَةٍ.

وَجُمَّلَةُ الْأَرْضِ مَعَ جِبَالِهَا تَمُرُّ سَائِرَةً فِي دَوْرَةٍ يَوْمِيَّةٍ حَوْلَ نَفْسِهَا، وَفِي دَوْرَةٍ سَنَوِيَّةٍ حَوْلَ الشَّمْسِ.

صَنَعَ اللَّهُ ذَلِكَ صُنْعَ الَّذِي أَحْكَمَ صُنْعَهُ، وَجَعَلَهُ مُطَابِقًا لِلْمَقْصُودِ مِنْهُ. (*).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾

[المؤمنون: ١١٥]، وَقَالَ ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعِبَادٍ﴾ (٣٨)

خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الدخان: ٣٨-٣٩]. (* / ٢).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَى مُخْتَصِرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» - [النمل: ٨٨].

(* / ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ: «الرَّدُّ عَلَى الْمُلْحِدِينَ» (المُحَاضِرَةُ الثَّلَاثَةُ عَشْرَةَ: مِنْ الْأَدِلَّةِ

الْمَادِيَّةِ عَلَى وُجُودِ اللَّهِ) - الْخَمِيسُ ١٦ مِنْ صَفَرٍ ١٤٣٥ هـ | ١٩-١٢-٢٠١٣ م.

وَتَأْمَلُ فِي كُلِّ مَا فِي الْكَوْنِ مِنْ ذَرَّاتٍ وَعَنَاصِرٍ، وَنُظْمٍ وَقَوَانِينٍ وَنَوَامِيسٍ،
وَنَسَبٍ وَرَوَابِطٍ وَعَلَائِقٍ، وَأَقْدَارٍ وَأَحْجَامٍ وَأَوْزَانٍ، وَمُدَدٍ وَأَوْقَاتٍ وَأَزْمَانٍ، وَصُورٍ
وَأَشْكَالٍ وَأَلْوَانٍ، وَحَرَكَاتٍ وَسَكَنَاتٍ وَأَوْضَاعٍ، وَأَجْنَاسٍ وَأَصْنَافٍ وَأَنْوَاعٍ.

وَتَعَالَ تَتَّصَوَّرُ عَدَدَ مَا فِي الْعَالَمِ -عَالَمِ الْخَلْقِ- مِنْ شَيْءٍ فِي مَلَكُوتِ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنَ الذَّرَّةِ إِلَى الْمَجْرَّةِ، وَتَصَوَّرُ عَدَدَ مَا يَرْبِطُ بَيْنَهَا فِي عَالَمِ
الْأَمْرِ مِنْ رَوَابِطٍ وَعَلَائِقٍ عَلَى اخْتِلَافِ النُّوَامِيسِ وَالْأَقْدَارِ وَالْمُدَدِ، وَالْأَشْكَالِ
وَالْحَرَكَاتِ وَالْأَوْضَاعِ، ثُمَّ تَعَالَ نَدْرُسُ فِي ضَوْءِ الْعِلْمِ وَالْقُرْآنِ بَعْضَ مَا فِي هَذَا
الْعَالَمِ مِنْ تَقْدِيرٍ وَاتِّزَانٍ، وَتَنْظِيمٍ وَتَرْتِيبٍ وَإِحْكَامٍ وَإِنْتِقَانٍ.

مِنْ جُمْلَةِ الْآيَاتِ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩].

﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ بِنَقْدِيرٍ﴾ [الفرقان: ٢].

﴿وَكُلَّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ [الرعد: ٨].

﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوْسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾

[الحجر: ١٩].

﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ [الحجر: ٢١].

﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ﴾ [المؤمنون: ١٨].

﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْفَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٨٨].

﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ [السجدة: ٧].

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤].

﴿مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوُّتٍ﴾ [الملك: ٣].

﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [يونس: ١٠١].

﴿وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾

[يوسف: ١٠٥].

﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾

[فصلت: ٥٣].

هَذَا بَعْضُ كَلَامِ اللَّهِ الَّذِي نَزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
وَسَلَّمَ، النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ، سَلِيلِ الْقَبِيلَةِ الْأُمِّيَّةِ، وَرَيْبِ الْبَيْتَةِ الْأُمِّيَّةِ مُنْذُ أَرْبَعَةِ عَشَرَ قَرْنًا
مِنَ الزَّمَانِ. (*).

وَدِينُ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ يَأْمُرُنَا بِأَنْ نَعْبُدَ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَأَنْ نَجْتَهِدَ فِي النَّظَرِ
فِي الْآفَاقِ، وَفِي الْأَنْفُسِ، وَفِيمَا بَثَّ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي تَضَاعِيفِ هَذَا الْكَوْنِ مِنَ
الْآيَاتِ؛ لِكَيْ نَضَعَ أَيْدِينَا عَلَى الْأَسْرَارِ الَّتِي تَرْتَقِي بِهَا الْحَيَاةُ. (* / ٢).



(* / ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ بِتَصَرُّفٍ يَسِيرٍ مِنْ سِلْسِلَةِ: «الرَّدُّ عَلَى الْمُلْحِدِينَ» (الْمُحَاضِرَةُ الرَّابِعَةُ: مِنْ

الْأَدِلَّةِ الْعَقْلِيَّةِ عَلَى وُجُودِ الْخَالِقِ) - السَّبْتُ ١١ مِنْ صَفَرٍ ١٤٣٥هـ | ١٤-١٢-٢٠١٣م.

(* / ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ «شَرْحِ الدَّلَائِلِ الْقُرْآنِيَّةِ فِي أَنَّ الْعُلُومَ وَالْأَعْمَالَ النَّافِعَةَ الْعَصْرِيَّةَ

دَاخِلَةٌ فِي الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ» - الْمُحَاضِرَةُ الْأُولَى - السَّبْتُ ١٤ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ

١٤٣٤هـ | ١٩-١٠-٢٠١٣م.

جُمْلَةٌ مِنْ آدَابِ حَمَلَةِ الْقُرْآنِ

عِبَادَ اللَّهِ! «يَنْبَغِي لِمَنْ عَلَّمَهُ اللَّهُ - تَعَالَى - الْقُرْآنَ، وَفَضَّلَهُ عَلَى غَيْرِهِ مِمَّنْ لَمْ يَحْمِلْهُ، وَأَحَبَّ أَنْ يَكُونَ مِنْ أَهْلِ الْقُرْآنِ وَأَهْلِ اللَّهِ - تَعَالَى - وَخَاصَّتِهِ، وَمِمَّنْ وَعَدَهُ اللَّهُ مِنَ الْفَضْلِ الْعَظِيمِ وَالثَّوَابِ الْكَرِيمِ، وَمَنْ قَالَ اللَّهُ ﷻ فِيهِمْ: ﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ [البقرة: ١٢١]: قِيلَ فِي التَّفْسِيرِ: يَعْمَلُونَ بِهِ حَقَّ عَمَلِهِ، وَمِمَّنْ قَالَ فِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَهُوَ مَاهِرٌ بِهِ مَعَ الْكِرَامِ السَّفَرَةِ، وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ لَهُ أَجْرَانِ»^(١)، وَقَالَ عَيْسَى بْنُ يُونُسَ: «إِذَا خَتَمَ الْعَبْدُ الْقُرْآنَ؛ قَبَّلَ الْمَلِكُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ»، مَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ كَذَلِكَ؛ فَيَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعًا لِقَلْبِهِ، يَعْمُرُ بِهِ مَا خَرِبَ مِنْ قَلْبِهِ، وَيَتَادَّبُ بِآدَابِ الْقُرْآنِ، وَيَتَخَلَّقُ بِأَخْلَاقِ شَرِيفَةٍ تَبِينُ بِهِ^(٢) عَنِ سَائِرِ النَّاسِ مِمَّنْ لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ.

(١) «صحيح مسلم» (رقم ٧٩٨)، وأخرجه أيضا البخاري «صحيحه» (رقم ٤٩٣٧)، بلفظ: «مثل الذي يقرأ القرآن، وهو حافظ له مع السفرة الكرام البررة، ومثل الذي يقرأ، وهو يتعاهده، وهو عليه شديد فله أجران».

قال النووي في «شرح صحيح مسلم» (٦/ ٨٤): «الماهر: الحاذق الكامل الحفظ الذي لا يتوقف ولا يسق عليه القراءة بجودة حفظه وإتقانه».

(٢) تبين به؛ أي: يتميز بها.

فَأَوَّلُ مَا يَنْبَغِي لَهُ: أَنْ يَسْتَعْمَلَ تَقْوَى اللَّهِ -تَعَالَى- فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ؛
 بِاسْتِعْمَالِ الْوَرَعِ فِي مَطْعَمِهِ، وَمَشْرَبِهِ، وَمَلْبَسِهِ، وَمَسْكَنِهِ، بِصِيرًا بِزَمَانِهِ وَفَسَادِ
 أَهْلِهِ؛ فَهُوَ يَحْذَرُهُمْ عَلَى دِينِهِ، مُقْبِلًا عَلَى شَأْنِهِ، مَهْمُومًا بِإِصْلَاحِ مَا فَسَدَ مِنْ أَمْرِهِ،
 حَافِظًا لِللسَانَةِ، مُمَيِّزًا لِكَلَامِهِ، إِنْ تَكَلَّمَ تَكَلَّمَ بِعِلْمٍ إِذَا رَأَى الْكَلَامَ صَوَابًا، وَإِنْ
 سَكَتَ سَكَتَ بِعِلْمٍ إِذَا كَانَ السُّكُوتُ صَوَابًا، قَلِيلَ الْخَوْضِ فِيمَا لَا يَعْنِيهِ، يَخَافُ
 مِنْ لِسَانِهِ أَشَدَّ مِمَّا يَخَافُ مِنْ عَدُوِّهِ، يَحْبِسُ لِسَانَهُ كَحَبْسِهِ لِعَدُوِّهِ؛ لِيَأْمَنَ شَرَّهُ
 وَسُوءَ عَاقِبَتِهِ، قَلِيلَ الضَّحِكِ مِمَّا يَضْحَكُ مِنْهُ النَّاسُ؛ لِسُوءِ عَاقِبَةِ الضَّحِكِ، إِنْ سَرَّ
 بِشَيْءٍ مِمَّا يُوَافِقُ الْحَقَّ تَبَسَّمَ، يَكْرَهُ الْمُزَاحَ خَوْفًا مِنَ اللَّعِبِ، فَإِنْ مَرَحَ قَالَ حَقًّا،
 بِأَسْطِ الْوَجْهِ، طَيِّبَ الْكَلَامِ، لَا يَمْدَحُ نَفْسَهُ بِمَا فِيهِ؛ فَكَيْفَ بِمَا لَيْسَ فِيهِ؟!!!

يَحْذَرُ نَفْسَهُ أَنْ تَغْلِبَ عَلَى مَا تَهْوَى مِمَّا يُسْخِطُ مَوْلَاهُ، لَا يَغْتَابُ أَحَدًا، وَلَا
 يَحْتَرُّ أَحَدًا، وَلَا يَسُبُّ أَحَدًا، وَلَا يَشْتُمُ بِمُصِيبَةٍ، وَلَا يَنْبَغِي عَلَى أَحَدٍ، وَلَا
 يَحْسُدُهُ، وَلَا يُسِيءُ الظَّنَّ بِأَحَدٍ إِلَّا بِمَنْ^(١) يَسْتَحِقُّ، يَحْسُدُ بِعِلْمٍ، وَهِيَ الْغِبْطَةُ،
 وَيَظُنُّ بِعِلْمٍ، وَيَتَكَلَّمُ بِمَا فِي الْإِنْسَانِ مِنْ عَيْبٍ بِعِلْمٍ، وَيَسْكُتُ عَنْ حَقِيقَةِ مَا فِيهِ
 بِعِلْمٍ، قَدْ جَعَلَ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ وَالْفِقْهَ دَلِيلَهُ إِلَى كُلِّ خُلُقٍ حَسَنٍ جَمِيلٍ، حَافِظًا
 لِجَمِيعِ جَوَارِحِهِ عَمَّا نَهَى عَنْهُ، إِنْ مَشَى مَشَى بِعِلْمٍ، وَإِنْ قَعَدَ قَعَدَ بِعِلْمٍ.

يَجْتَهِدُ لِيَسْلَمَ النَّاسُ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَلَا يَجْهَلُ، فَإِنْ جُهِلَ عَلَيْهِ حَلْمٌ، وَلَا
 يَظْلِمُ، وَإِنْ ظَلِمَ عَفَى، وَلَا يَنْبَغِي، وَإِنْ بُغِيَ عَلَيْهِ صَبَرَ، يَكْظُمُ غَيْظَهُ لِيَرْضَى رَبَّهُ،
 وَيَغِيظُ عَدُوَّهُ، مُتَوَاضِعٌ فِي نَفْسِهِ، إِذَا قِيلَ لَهُ الْحَقُّ قَبْلَهُ مِنْ صَغِيرٍ أَوْ كَبِيرٍ، يَطْلُبُ

(١) كذا وفي الأصل: [لمن].

الرُّفْعَةَ مِنَ اللَّهِ ﷻ، لَا مِنْ الْمَخْلُوقِينَ، مَا قِتًّا لِلْكَبِيرِ، خَائِفًا عَلَى نَفْسِهِ مِنْهُ، لَا يَتَأَكَّلُ بِالْقُرْآنِ، وَلَا يُحِبُّ أَنْ تُقْضَى لَهُ بِهِ الْحَوَائِجُ، وَلَا يَسْعَى بِهِ إِلَى أُنْبَاءِ الْمُلُوكِ، وَلَا يُجَالِسُ بِهِ الْأَغْنِيَاءَ لِيُكْرِمُوهُ، إِنْ كَسَبَ النَّاسُ مِنَ الدُّنْيَا الْكَثِيرَ بِلَا فِقْهِ وَلَا بِصِيرَةٍ؛ كَسَبَ هُوَ الْقَلِيلَ بِفِقْهِ وَعِلْمِهِ، إِنْ لَبَسَ النَّاسُ اللَّيْنَ الْفَاحِرَ، لَبَسَ هُوَ مِنَ الْحَلَالِ مَا يَسْتُرُ بِهِ عَوْرَتَهُ، إِنْ وَسَّعَ عَلَيْهِ وَسَّعَ، وَإِنْ أَمْسَكَ عَلَيْهِ أَمْسَكَ، يَقْتَعُ بِالْقَلِيلِ فَيْكْفِيهِ، وَيَحْذَرُ عَلَى نَفْسِهِ مِنَ الدُّنْيَا مَا يُطْغِيهِ.

يَتَّبِعُ وَاجِبَاتِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، يَأْكُلُ الطَّعَامَ بِعِلْمِهِ، وَيَشْرَبُ بِعِلْمِهِ، وَيَلْبَسُ بِعِلْمِهِ، وَيَنَامُ بِعِلْمِهِ، وَيُجَامِعُ أَهْلَهُ بِعِلْمِهِ، وَيَصْحَبُ إِخْوَانَهُ بِعِلْمِهِ، وَيَزُورُهُمْ بِعِلْمِهِ، وَيَسْتَأْذِنُ عَلَيْهِمْ بِعِلْمِهِ، وَيَسَلِّمُ عَلَيْهِمْ بِعِلْمِهِ، وَيُجَاوِرُ جَارَهُ بِعِلْمِهِ، يُلْزِمُ نَفْسَهُ بَرًّا وَالِدِيهِ، فَيُخْفِضُ لَهُمَا جَنَاحَهُ، وَيُخْفِضُ لِمُصَوِّتَيْهَا صَوْتَهُ، وَيَبْذُلُ لَهُمَا مَالَهُ، وَيَنْظُرُ إِلَيْهِمَا بِعَيْنِ الْوَقَارِ وَالرَّحْمَةِ، يَدْعُو لَهُمَا بِالْبَقَاءِ، وَيَشْكُرُ لَهُمَا عِنْدَ الْكَبِيرِ، لَا يَضْجُرُ بِهِمَا، وَلَا يَحْقِرُهُمَا، إِنْ اسْتَعَانَا بِهِ عَلَى طَاعَةِ أَعَانَهُمَا، وَإِنْ اسْتَعَانَا بِهِ عَلَى مَعْصِيَةٍ لَمْ يُعْنَهُمَا عَلَيْهَا، وَرَفَقَ بِهِمَا فِي مَعْصِيَتِهِمَا، أَيُّ: عِنْدَمَا يَرْفُضُ طَاعَتَهُمَا فِي الْمَعْصِيَةِ؛ فَلْيَكُنِ الرَّفْضُ بِأَدَبٍ وَرَفِيقٍ، بِحُسْنِ الْأَدَبِ؛ لِيَرْجِعَا عَنْ قَبِيحِ مَا أَرَادَا مِمَّا لَا يَحْسُنُ بِهِمَا فِعْلُهُ.

يَصِلُ الرَّحِمَ، وَيَكْرَهُ الْقَطِيعَةَ، مَنْ قَطَعَهُ لَمْ يَقْطَعْهُ، وَمَنْ عَصَى اللَّهَ فِيهِ أَطَاعَ اللَّهَ فِيهِ، يَصْحَبُ الْمُؤْمِنِينَ بِعِلْمِهِ، وَيُجَالِسُهُمْ بِعِلْمِهِ، مَنْ صَحِبَهُ نَفَعَهُ، حَسَنُ الْمُجَالَسَةِ لِمَنْ جَالَسَ، إِنْ عَلَّمَ غَيْرَهُ رَفِيقًا بِهِ، لَا يُعْنَفُ مِنْ أَخْطَاءِ، وَلَا يُخَجِّلُهُ، رَفِيقٌ فِي أُمُورِهِ، صَبُورٌ عَلَى تَعْلِيمِ الْخَيْرِ، يَأْنَسُ بِهِ الْمُتَعَلِّمُ، وَيَفْرَحُ بِهِ الْمُجَالِسُ، مُجَالَسَتُهُ تُفِيدُ خَيْرًا، مُؤَدَّبٌ لِمَنْ جَالَسَهُ بِأَدَبِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ، إِنْ أُصِيبَ بِمُصِيبَةٍ فَالْقُرْآنُ وَالسُّنَّةُ لَهُ

مُؤَدَّبَانِ، يَحْزَنُ بِلَعْمٍ، وَيَبْكِي بِلَعْمٍ، وَيَصْبِرُ بِلَعْمٍ، وَيَتَطَهَّرُ بِلَعْمٍ، وَيُصَلِّي بِلَعْمٍ، وَيُزَكِّي بِلَعْمٍ، وَيَتَصَدَّقُ بِلَعْمٍ، وَيَصُومُ بِلَعْمٍ، وَيَحُجُّ بِلَعْمٍ، وَيُجَاهِدُ بِلَعْمٍ، وَيَكْتَسِبُ بِلَعْمٍ، وَيُنْفِقُ بِلَعْمٍ، وَيَنْبَسِطُ فِي الْأُمُورِ بِلَعْمٍ، وَيَنْقَبِضُ عَنْهَا بِلَعْمٍ، قَدْ آدَبَهُ الْقُرْآنُ وَالسُّنَّةُ، يَتَصَفَّحُ الْقُرْآنَ لِيُؤَدِّبَ بِهِ نَفْسَهُ، لَا يَرْضَى مِنْ نَفْسِهِ أَنْ يُؤَدِّيَ مَا فَرَضَ اللَّهُ ﷻ بِجَهْلٍ، قَدْ جَعَلَ الْعِلْمَ وَالْفِقْهَ دَلِيلَهُ إِلَى كُلِّ خَيْرٍ.

إِذَا دَرَسَ الْقُرْآنَ فَبِحُضُورٍ فَهْمٍ وَعَقْلٍ، هِمَّتُهُ إِيقَاعِ الْفَهْمِ لِمَا أَلْزَمَهُ اللَّهُ ﷻ مِنْ اتِّبَاعِ مَا أَمَرَ، وَالْإِنْتِهَاءِ عَمَّا نَهَى، لَيْسَ هِمَّتُهُ مَتَى أَحْتَمِ السُّورَةَ، هِمَّتُهُ مَتَى أَسْتَعْنِي بِاللَّهِ عَنْ غَيْرِهِ، مَتَى أَكُونُ مِنَ الْمُتَّقِينَ، مَتَى أَكُونُ مِنَ الْمُحْسِنِينَ، مَتَى أَكُونُ مِنَ الْمُتَوَكِّلِينَ، مَتَى أَكُونُ مِنَ الْخَاشِعِينَ، مَتَى أَكُونُ مِنَ الصَّابِرِينَ، مَتَى أَكُونُ مِنَ الصَّادِقِينَ، مَتَى أَكُونُ مِنَ الْخَائِفِينَ، مَتَى أَكُونُ مِنَ الرَّاجِينَ، مَتَى أَرْهَدُ فِي الدُّنْيَا، مَتَى أَرْعَبُ فِي الْآخِرَةِ، مَتَى أَتُوبُ مِنَ الذُّنُوبِ، مَتَى أَعْرِفُ النِّعَمَ الْمُتَوَاتِرَةَ، مَتَى أَشْكُرُ عَلَيْهَا، مَتَى أَعْقِلُ عَنِ اللَّهِ -جَلَّتْ عَظَمَتُهُ- الْخِطَابَ، مَتَى أَفْقَهُ مَا أَتْلُو، مَتَى أَعْلِبُ نَفْسِي عَلَى مَا تَهْوَى، مَتَى أَجَاهِدُ فِي اللَّهِ -تَعَالَى- حَقَّ الْجِهَادِ، مَتَى أَحْفَظُ لِسَانِي، مَتَى أَعْضُ طَرْفِي، مَتَى أَحْفَظُ فَرْجِي، مَتَى أَسْتَحْيِي مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ، مَتَى أَشْتَغِلُ بَعِيْبِي، مَتَى أَصْلِحُ مَا فَسَدَ مِنْ أَمْرِي، مَتَى أُحَاسِبُ نَفْسِي، مَتَى أَتَزَوَّدُ لِيَوْمِ مَعَادِي، مَتَى أَكُونُ عَنِ اللَّهِ رَاضِيًا، مَتَى أَكُونُ بِاللَّهِ وَاثِقًا.

مَتَى أَكُونُ بِزَجْرِ الْقُرْآنِ مُتَعِظًا، مَتَى أَكُونُ بِذِكْرِهِ عَنْ ذِكْرِ غَيْرِهِ مُشْتَغَلًا، مَتَى أَحِبُّ مَا أَحَبَّ، مَتَى أَبْغِضُ مَا أَبْغَضَ، مَتَى أَنْصَحُ لِلَّهِ، مَتَى أُخْلِصُ لَهُ عَمَلِي، مَتَى أَقْصِرُ أَمَلِي، مَتَى أَتَاهَبُ لِيَوْمِ مَوْتِي وَقَدْ غَيْبَ عَنِّي أَجَلِي، مَتَى أَعْمُرُ قَبْرِي، مَتَى أَفَكِّرُ فِي الْمَوْقِفِ وَشِدَّتِهِ، مَتَى أَفَكِّرُ فِي خَلَوَاتِي مَعَ رَبِّي، مَتَى أَفَكِّرُ فِي الْمُتَقَلَّبِ،

مَتَى أَحْذَرُ مِمَّا حَذَرَنِي مِنْهُ رَبِّي؛ مِنْ نَارٍ حَرَّهَا شَدِيدٌ، وَقَعْرَهَا بَعِيدٌ، وَغَمَّهَا طَوِيلٌ، لَا يَمُوتُ أَهْلُهَا فَيَسْتَرِيحُوا، وَلَا تُقَالُ عَشْرَتُهُمْ، وَلَا تُرَحَّمُ عِبْرَتُهُمْ، طَعَامُهُمُ الزَّقُّومُ، وَشَرَابُهُمُ الْحَمِيمُ، ﴿كَلِمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بِدَلْنَهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ [النساء: ٥٦].

نِدِمُوا حَيْثُ لَا يَنْفَعُهُمُ النَّدَمُ، وَعَضُّوا عَلَى الْأَيْدِي أَسْفًا عَلَى تَقْصِيرِهِمْ فِي طَاعَةِ اللَّهِ - تَعَالَى -، وَرُكُونِهِمْ لِمَعَاصِي اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا، فَقَالَ مِنْهُمْ قَائِلٌ: ﴿يَلَيْتَنِي قَدَمْتُ لِحَيَاتِي﴾ [الفجر: ٢٤].

وَقَالَ قَائِلٌ: ﴿رَبِّ أَرْجِعُونِي ۖ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ [المؤمنون: ٩٩-١٠٠].

وَقَالَ قَائِلٌ: ﴿يَوَيْلَنَا مَا لِي هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾ [الكهف: ٤٩].

وَقَالَ قَائِلٌ: ﴿يَوَيْلَتِي لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٨].

وَقَالَتْ فِرْقَةٌ مِنْهُمْ وَوَجُوهُهُمْ تَتَّقَلَّبُ فِي أَنْوَاعِ الْعَذَابِ: ﴿يَلَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ﴾ [الأحزاب: ٦٦].

فَهَذِهِ النَّارُ - يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، يَا حَمَلَةَ الْقُرْآنِ - حَذَرَهَا اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنْ كِتَابِهِ؛ رَحْمَةً مِنْهُ بِالْمُؤْمِنِينَ (١)، ثُمَّ حَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَغْفُلُوا عَمَّا

(١) في الأصل زيادة: فقال ﷺ: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِكُوا نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحریم: ٦]، وقال ﷺ: ﴿وَأَتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٣١]، وقال ﷺ: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مِمَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨].

فَرِضَ عَلَيْهِمْ، وَمَا عَهْدُهُ إِلَيْهِمْ إِلَّا يُضِيعُوهُ، وَأَنْ يَحْفَظُوا مَا اسْتَرَعَاهُمْ مِنْ حُدُودِهِ، وَلَا يَكُونُوا كَغَيْرِهِمْ مِمَّنْ فَسَقَ عَنْ أَمْرِهِ فَعَذَّبَهُمْ بِأَنْوَاعِ الْعَذَابِ.

فَالْمُؤْمِنُ الْعَاقِلُ إِذَا تَلَا الْقُرْآنَ؛ اسْتَعْرَضَ الْقُرْآنَ -أَيَ: عَرَضَهُ عَلَى حَالِهِ-، فَكَانَ كَالْمَرْأَةِ، يَرَى بِهَا مَا حَسَنَ مِنْ فِعْلِهِ، وَمَا قَبِحَ مِنْهُ، فَمَا حَذَّرَهُ مَوْلَاهُ حَذْرَهُ، وَمَا خَوَّفَهُ بِهِ مِنْ عِقَابِهِ خَافَهُ، وَمَا رَغَّبَهُ فِيهِ مَوْلَاهُ رَغَبَ فِيهِ وَرَجَاهُ.

فَمَنْ كَانَتْ هَذِهِ صِفَتُهُ، أَوْ مَا قَارَبَ هَذِهِ الصِّفَةَ؛ فَقَدْ تَلَا الْقُرْآنَ حَقًّا تِلَاوَتِهِ، وَرَعَاهُ حَقَّ رِعَايَتِهِ، وَكَانَ الْقُرْآنُ لَهُ شَاهِدًا وَشَفِيعًا وَأَنْيسًا وَحِرْزًا، وَمَنْ كَانَ هَذَا وَصْفَهُ؛ نَفَعَ نَفْسَهُ، وَنَفَعَ أَهْلَهُ، وَعَادَ عَلَى وَالِدَيْهِ وَعَلَى وَلَدِهِ كُلِّ خَيْرٍ فِي الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ.

عَنْ حَيْثِمَةَ قَالَ: «مَرَّتْ امْرَأَةٌ بِعَيْسَى ابْنِ مَرْيَمَ عليه السلام، فَقَالَتْ: طُوبَى لِحِجْرِ حَمَلِكْ، وَلِثَدْيِي رَضَعْتَ مِنْهُ، فَقَالَ عَيْسَى: طُوبَى لِمَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ ثُمَّ عَمِلَ بِهِ ^(١)» ^(٢)؛ يُرِيدُ عليه السلام الْوَحْيَ. (*)

(١) «أخلاق أهل القرآن»: (ص ٨٢، رقم)، وأخرجه أيضا أبو جعفر محمد بن سعدان المقرئ في «الوقف والابتداء»: (ص ٦٦، رقم ٧)، وابن أبي شيبة في «المصنف»: (١٠/٤٨٤/رقم ٣٠٦٣٨) و(١١/٥٤٨/رقم ٣٢٥٣٩) و(١٣/١٩٣/رقم ٣٥٣٧٢)، وأحمد في «الزهد»: (ص ٥١، رقم ٣١٩)، وأبو نعيم الأصبهاني في «حلية الأولياء»: (٤/١١٩)، بإسناد صحيح، عن حيثمة، به، وهو الفقيه الثقة: حيثمة بن عبد الرحمن بن أبي سبرة الجعفي الكوفي، من الوسطى من التابعين، مات بعد سنة ثمانين.

(٢) «أخلاق أهل القرآن» للأجري: (ص ٧٧-٨٢)، باختصار يسير.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «شَأْنُ الْقُرْآنِ فِي رَمَضَانَ» - الْجُمُعَةَ ٢١ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٨ هـ -

الاجتهاد في قراءة وتدبر القرآن في رمضان

عباد الله! الحاصل أن هذا الشهر ينبغي على الإنسان أن يجتهد في تلاوة القرآن فيه، وأن يتعلم كيف يتلو كتاب الله تبارك وتعالى إذا كان لا يتلو كتاب الله تبارك وتعالى تلاوةً صحيحةً، فيجلس إلى من يحسن التلاوة؛ من أجل أن يتعلم كيفية التلاوة، فإن كان متقناً محسناً للتلاوة؛ فعليه أن يجتهد في تلاوة القرآن على الأقل مرة في الشهر، فإن كان ذلك في الصلاة -يعني: في القيام- يسمعه من الإمام؛ فذلك؛ وإلا فليجتهد هو في تلاوة كتاب الله تبارك وتعالى.

وعلى الإنسان أن يجتهد في قيام هذا الشهر؛ لأن النبي ﷺ أخبر أن «من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»^(١)، وكذلك «من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»^(٢)؛ فنص على فضل الصيام، وعلى فضل القيام.

(١) أخرجه البخاري (٢٠٠٨)، ومسلم (٧٥٩).

(٢) أخرجه البخاري (١٩٠١)، ومسلم (٧٦٠).

بَشَّرَنَا النَّبِيُّ ﷺ فِي الْقِيَامِ بِبُشْرَى عَظِيمَةٍ، فَقَالَ: «مَنْ صَلَّى مَعَ الْإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ؛ كُتِبَ لَهُ قِيَامُ لَيْلَةٍ»^(١)، يَعْنِي: لَوْ كَانَ الْإِمَامُ يُخَفِّفُ فِي التَّلَاوَةِ وَفِي الصَّلَاةِ، وَلَكِنْ لَا يُخَالِفُ السُّنَّةَ، يُرَاعِي أَحْوَالَ الْمُصَلِّينَ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «صَلِّ بِصَلَاةِ أَوْعَفِهِمْ»^(٢)، فَيَصَلِّي مَعَ الْإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ، «مَنْ صَلَّى مَعَ الْإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ؛ كُتِبَ لَهُ قِيَامُ لَيْلَةٍ»، فَكَأَنَّمَا قَامَ اللَّيْلَ كُلَّهُ.

يَتَّبَعِي بَعْدَ ذَلِكَ وَقْتُ لَمْ يُنْفَقْ فِي الصَّلَاةِ -فِي الْقِيَامِ-، فَلْيُنْفِقْهُ هُوَ فِي تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ، فِي الذِّكْرِ، فِي الدُّعَاءِ، فِي الْإِقْبَالِ عَلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِالْإِنَابَةِ، وَالْخُشُوعِ، وَالرَّجَاءِ، أَلْوَانُ الْعِبَادَاتِ كَثِيرَةٌ جِدًّا، وَكُلُّ مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَيَرْضَاهُ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ فَهُوَ عِبَادَةٌ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، يُثَابُ عَلَيْهَا الْعَبْدُ. (*)

لِيَكُنْ مِنْ وُكُودِكُمْ عِنْدَ تِلَاوَتِكُمْ كِتَابَ رَبِّكُمْ أَنْ تَتَدَبَّرُوهُ، عَيْبٌ كَبِيرٌ أَنْ نَعْكُفَ عَلَى الْكِتَابِ مِنْ فَاتِحَتِهِ إِلَى خَاتِمَتِهِ لَا نَدْرِي الْمَقْصِدَ، وَلَا نُحِيطُ بِشَيْءٍ

(١) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (١٣٧٥)، وَالتِّرْمِذِيُّ (٨٠٦) وَغَيْرُهُمَا عَنْ أَبِي ذَرِّ بَلْفِظٍ: «إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا صَلَّى مَعَ الْإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ حُسِبَ لَهُ قِيَامُ لَيْلَةٍ»؛ وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الْإِرْوَاءِ» (٤٤٧).

(٢) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (١٦٢٧٠)، وَأَبُو دَاوُدَ (٥٣١) وَغَيْرُهُمَا عَنْ عُمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اجْعَلْنِي إِمَامَ قَوْمِي، قَالَ: «أَنْتَ إِمَامُهُمْ وَأَقْتَدِ بِأَوْعَفِهِمْ وَاتَّخِذْ مُؤَدِّنَا لَا يَأْخُذُ عَلَيَّ أَذَانِهِ أَجْرًا» وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الْإِرْوَاءِ» (١٤٩٢).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَةٍ: «رَمَضَانُ وَالْقُرْآنُ ١».

مِنَ الْمَعَانِي، وَلَا تَتَعَطُّ بِوَاعِظٍ، وَلَا نَنْزَجِرُ بِزَاجِرٍ، وَلَا نَتَأَمَّلُ وَلَا نَتَدَبَّرُ فِي آيَاتِ
اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا، وَمَا أَنْزَلَهَا إِلَّا لِتَدَبَّرَ. (*)

نَسَأَلُ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يُوفِّقَنَا لِصِيَامِ هَذَا الشَّهْرِ وَقِيَامِهِ عَلَى النَّحْوِ الَّذِي
يَرْضَى بِهِ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَنَّا، حَتَّى يَنْسَلِخَ عَنَّا الشَّهْرُ إِنْ أَحْيَانَا اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى
وَقَدْ غَفَرَ لَنَا؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «رَغِمَ أَنْفُ عَبْدٍ انْسَلَخَ عَنْهُ رَمَضَانُ فَلَمْ
يُغْفَرْ لَهُ» (٢).

فَمَنْ خَرَجَ مِنْ رَمَضَانَ غَيْرَ مَغْفُورٍ لَهُ؛ فَقَدْ دَعَا النَّبِيَّ عَلَيْهِ بِالذُّلِّ «رَغِمَ أَنْفُهُ»:
يَعْنِي: التَّصَقُّ بِالرَّغَامِ، يَعْنِي: بِالتُّرَابِ، وَالْأَنْفُ يَشْمَخُ بِهِ الْعَبْدُ، وَهُوَ مَحَطُّ عِزَّتِهِ
وَشُمُوحِهِ، فَإِذَا كَانَ فِي التُّرَابِ؛ فَهَذَا دُعَاءٌ عَلَيْهِ بِالذُّلِّ، الَّذِي كَانَ يَدْعُوهُ هُوَ
جَبْرِيلُ، وَالَّذِي أَمَّنَ عَلَى الدُّعَاءِ هُوَ الرَّسُولُ «رَغِمَ أَنْفُ عَبْدٍ انْسَلَخَ عَنْهُ رَمَضَانُ

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «شَأْنُ الْقُرْآنِ فِي رَمَضَانَ» - الْجُمُعَةَ ٢١ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٨ هـ -
١٦-٦-٢٠١٧ م.

(٢) أَخْرَجَهُ ابْنُ خَزِيمَةَ فِي «صَحِيحِهِ» (١٨٨٨)، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «الْكَبْرِيِّ» (٨٥٠٤)
وغيرهما عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَقِيَ الْمِنْبَرَ فَقَالَ: «أَمِينَ، أَمِينَ، أَمِينَ»،
فَقِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا كُنْتَ تَصْنَعُ هَذَا فَقَالَ: «قَالَ لِي جَبْرِيلُ: أَرغَمَ اللَّهُ أَنْفَ عَبْدٍ
-أَوْ بَعْدَ- دَخَلَ رَمَضَانَ فَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ، فَقُلْتُ: أَمِينَ، ثُمَّ قَالَ: رَغِمَ أَنْفُ عَبْدٍ -أَوْ بَعْدَ-
أَدْرَكَ وَالِدِيهِ أَوْ أَحَدَهُمَا لَمْ يُدْخِلْهُ الْجَنَّةَ، فَقُلْتُ: أَمِينَ، ثُمَّ قَالَ: رَغِمَ أَنْفُ عَبْدٍ
-أَوْ بَعْدَ- ذُكِرَتْ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْكَ، فَقُلْتُ: أَمِينَ». وَقَالَ الْأَبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ
الترغيب» (١٦٨٠): «حسن صحيح» (رَغِمَ) بكسر الغين المعجمة؛ أي: لصق
بالرغام، وهو: التراب ذلاً وهواناً.

فَلَمْ يُعْفَرْ لَهُ؛ فَاحْذَرْ هَذِهِ؛ لِأَنَّكَ إِنْ خَرَجْتَ مِنْ رَمَضَانَ غَيْرَ مَغْفُورٍ لَكَ؛ نَزَلَ بِالْأَبْعَدِ مِنَ الذُّلِّ وَالْهَوَانِ مَا اللَّهُ بِهِ عَلِيمٌ. (*).

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ -، وَأَقْبِلُوا عَلَى الْعِبَادَةِ وَالطَّاعَةِ بِقُلُوبٍ خَاشِعَةٍ، وَنُفُوسٍ ذَلِيلَةٍ لِرَبِّهَا، عَلَيْهِ مُقْبَلَةٌ، عَنْ سِوَاهُ مُدْبِرَةٌ، وَاللَّهُ يَرَعَاكُمْ، وَيَسُدُّ خُطَاكُمْ، وَيَنْفَعُكُمْ بِكِتَابِهِ دُنْيَا وَآخِرَةً. (* / ٢).

نَسْأَلُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ أَنْ يُيسِّرَ لَنَا تِلَاوَةَ وَفَهْمَ كِتَابِهِ الْعَزِيزِ، وَأَنْ يَجْعَلَنَا مِنَ التَّالِينَ لَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ، الْعَامِلِينَ بِهِ، الثَّابِتِينَ عَلَيْهِ، الدَّاعِينَ إِلَيْهِ حَتَّى نَلْقَى وَجْهَهُ الْكَرِيمِ.

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ. (* / ٣).



(* / ١) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضِرَةٍ: «رَمَضَانُ وَالْقُرْآنُ ١».

(* / ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ حُطْبَةٍ: «شَأْنُ الْقُرْآنِ فِي رَمَضَانَ» - الْجُمُعَةُ ٢١ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٨ هـ - ١٦-٦-٢٠١٧ م.

(* / ٣) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضِرَةٍ: «رَمَضَانُ وَالْقُرْآنُ ٢» - الْجُمُعَةُ ٢ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٩ هـ | ١٨-٥-٢٠١٨ م.

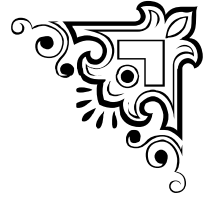
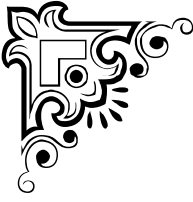


الفهرس

فهرس خُطبة:
كَيْفَ نَسْتَقْبِلُ شَهْرَ الصِّيَامِ؟

- ٥ الْمُقَدِّمَةُ
- ٦ مَوَاسِمُ الطَّاعَاتِ رَحْمَةً مِنَ اللَّهِ بِالْأُمَّةِ
- ٧ جُمْلَةٌ مِنْ فَضَائِلِ الصِّيَامِ
- ١٠ اسْتِقْبَالُ رَمَضَانَ بِالْفَرَحِ بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ
- ١١ اسْتِقْبَالُ رَمَضَانَ بِالتَّوْبَةِ وَتَطْلِيقِ الْعَادَاتِ السَّيِّئَةِ
- ١٢ اسْتِقْبَالُ رَمَضَانَ بِتَطْهِيرِ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ
- ١٦ بَيْنَ يَدَيْ رَمَضَانَ، وَالتَّحْذِيرُ مِنَ الْوُقُوعِ فِي الْمُحَرَّمَاتِ



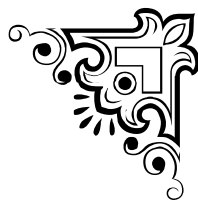
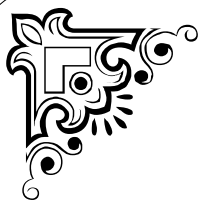


فَهْرَسُ خُطْبَةٍ:

اسْتِيقْبَالُ رَمَضَانَ بِتَطْهِيرِ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ

- ٢١ الْمُقَدِّمَةُ
- ٢٢ عَلَى أَبْوَابِ مَوْسِمِ الرَّحْمَةِ وَالْمَغْفِرَةِ
- ٢٣ تَحْذِيرُ الصَّائِمِينَ مِنْ ظَاهِرَةِ الْإِفْلَاسِ الْخُلُقِيِّ
- ٢٥ الْإِسْتِعْدَادُ لِرَمَضَانَ
- ٢٦ الْإِسْتِعْدَادُ لِرَمَضَانَ بِتَطْهِيرِ اللِّسَانِ مِنْ آفَاتِهِ
- ٣١ الْإِسْتِعْدَادُ لِرَمَضَانَ: بِتَطْهِيرِ الْقَلْبِ وَتَصْحِيحِ الْإِعْتِقَادِ
- ٣٣ نَصِيحَةٌ غَالِيَةٌ إِلَى طُلَّابِ الْعِلْمِ
- ٣٦ رِسَالَةٌ إِلَى أبنَاءِ الْأُمَّةِ قَبْلَ رَمَضَانَ





فهرس خُطبة:
الاستعداد لرمضان.. وكيف نحياه؟

- ٤٣ المُقَدِّمَةُ
- ٤٤ النَّفْسُ الْإِنْسَانِيَّةُ كَالرَّحَى الدَّائِرَةِ!!
- ٤٥ إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا عَلَيْكُمْ!
- ٤٩ مُصَاحِبَةُ الْأَتْقِيَاءِ الذَّاكِرِينَ
- ٥٨ تَهْيِئَةُ النَّفْسِ وَإِعْدَادُ الْعُدَّةِ لِلدُّخُولِ عَلَى رَمَضَانَ
- ٦٥ الصِّيَامُ مُعَامَلَةٌ بَيْنَ الْعَبْدِ وَرَبِّهِ
- ٦٩ الْإِسْتِعْدَادُ الْحَقُّ لِرَمَضَانَ
- ٧٨ مِنْ خَصَائِصِ شَهْرِ رَمَضَانَ
- ٨٢ رَمَضَانَ كَيْفَ نَحْيَاهُ؟
- ٩٠ أَهْمِيَّةُ الْإِسْتِعْدَادِ لِرَمَضَانَ





فَهْرَسُ خُطْبَةٍ:

فَضَائِلُ رَمَضَانَ وَجُمْلَةٌ مِنْ أَحْكَامِ الصِّيَامِ وَآدَابِهِ

- ٩٥ الْمُقَدِّمَةُ
- ٩٦ مِنْ فَضَائِلِ شَهْرِ رَمَضَانَ
- ٩٩ فَضَائِلُ صَوْمِ رَمَضَانَ
- ١٠٢ جُمْلَةٌ مِنْ أَحْكَامِ الصِّيَامِ
- ١٠٣ عَلَى مَنْ يَجِبُ صِيَامُ شَهْرِ رَمَضَانَ؟
- ١٠٥ أَرْكَانُ الصَّوْمِ
- ١٠٧ الْأَعْدَارُ الْمُبِيحَةُ لِلْفِطْرِ
- ١٠٩ مَكْرُوهَاتُ الصِّيَامِ
- ١١١ جُمْلَةٌ مِنَ السُّنَنِ النَّبَوِيَّةِ فِي رَمَضَانَ



فهرس خُطبة:
فَضْلُ الصَّيَامِ وَسُلُوكِ الصَّائِمِينَ

- المُقَدِّمَةُ ١٢١
- جُمْلَةٌ مِنْ فَضَائِلِ الصَّوْمِ ١٢٣
- مِنْ فَوَائِدِ الصَّيَامِ وَمَقَاصِدِهِ ١٣٩
- سُلُوكِ الصَّائِمِينَ الْمُتَّقِينَ ١٤٤
- الصَّائِمُونَ الْمُفْلِسُونَ ١٤٩
- احذروا مِنْ ذُنُوبِ الْخَلَوَاتِ !! ١٥٢
- تَحْقِيقُ مَقْصُودِ الصَّيَامِ وَهُوَ التَّقْوَى ١٦٠
- رَمَضَانُ.. كَيْفَ نَحْيَاهُ؟ ١٦١
- اشكروا نِعْمَةَ اللَّهِ أَنْ أَدْرَكْتُمْ هَذَا الشَّهْرَ الْمُبَارَكَ ١٦٥



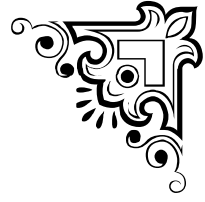
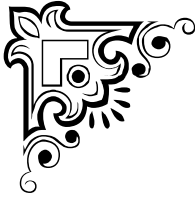
فَهْرَسُ خُطْبَةٍ:

رَمَضَانُ شَهْرُ الْمُرَاقَبَةِ الذَّائِبَةِ وَصِنَاعَةِ الضَّمِيرِ الْحَيِّ

- المُقَدِّمَةُ ١٧١
- اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ١٧٢
- مَقَامُ الْمُرَاقَبَةِ وَالْإِحْسَانِ ١٧٤
- رَمَضَانُ شَهْرُ التَّرْبِيَةِ عَلَى الْمُرَاقَبَةِ الذَّائِبَةِ وَرِعَايَةِ الضَّمِيرِ ١٧٨
- ضُرُورَةُ مُرَاقَبَةِ السِّرِّ وَرِعَايَةِ الضَّمِيرِ ١٨٠
- مِنْ عِلَامَاتِ رِقَابَةِ السِّرِّ وَرِعَايَةِ الضَّمِيرِ: الْخَوْفُ مِنَ النِّفَاقِ ١٨٣
- عَاقِبَةُ إِهْمَالِ مُرَاقَبَةِ الْقُلُوبِ وَرِعَايَةِ الضَّمَائِرِ ١٨٨
- ثَمَرَاتُ الْمُرَاقَبَةِ وَرِعَايَةِ الضَّمَائِرِ ٢٠٠
- رِقَابَةُ السِّرِّ وَالضَّمِيرِ مِنْ سُبُلِ تَفْرِيجِ الْكُرْبَاتِ ٢٠٣
- مُرَاقَبَةُ اللَّهِ وَالضَّمِيرِ الْحَيِّ فِي الْعَمَلِ ٢٠٨
- * مِنْ مُرَاقَبَةِ اللَّهِ فِي الْعَمَلِ: آدَاءُ الْعَمَلِ بِأَمَانَةٍ ٢٠٨

- * مِنْ مُرَاقَبَةِ اللَّهِ فِي الْعَمَلِ: حُرْمَةُ تَحْصِيلِ الْمُوظَّفِ أَمْوَالًا غَيْرَ رَاتِيهِ فِي
 ٢٠٩ أَثْنَاءِ الْعَمَلِ.
- * مِنْ مُرَاقَبَةِ اللَّهِ وَرِعَايَةِ الضَّمِيرِ فِي التِّجَارَةِ: عَدَمُ الْغِشِّ فِي الْبَيْعِ ٢٠٩
- مَثَلٌ عَجِيبٌ فِي رِقَابَةِ السَّرِّ وَرِعَايَةِ الضَّمِيرِ ٢١٢
- رِقَابَةُ الضَّمِيرِ وَرِعَايَةُ السَّرِّ فِي زَحْمَةِ الْحَيَاةِ وَصِرَاعَاتِهَا!! ٢١٧
- الصِّيَامُ تَدْرِيْبٌ عَلَى مُرَاقَبَةِ اللَّهِ تَعَالَى ٢٢٢





فَهْرَسُ خُطْبَةٍ:

ذِكْرُ اللَّهِ فِي رَمَضَانَ

- المُقَدِّمَةُ ٢٢٧
- ذِكْرُ اللَّهِ حَيَاةً ٢٢٨
- ذِكْرُ اللَّهِ هُوَ رُوحُ الْعِبَادَةِ فِي الْإِسْلَامِ ٢٣١
- أَفْضَلُ الصُّوَامِ أَكْثَرُهُمْ ذِكْرًا لِلَّهِ ٢٣٥
- ذِكْرُ اللَّهِ وَدُعَاؤُهُ عِنْدَ الْإِفْطَارِ ٢٣٨
- قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ فِي رَمَضَانَ ٢٤٤
- تَدْبِيرُ الْقُرْآنِ فِي رَمَضَانَ وَثَمَرَاتُهُ ٢٤٧
- ذِكْرُ اللَّهِ فِي الْمَسْجِدِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ ٢٥٠
- ذِكْرُ اللَّهِ رُوحُ الْإِعْتِكَافِ ٢٥٢
- الدُّعَاءُ مِنْ أَكْرَمِ الْأَذْكَارِ عَلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ٢٥٣
- الْحَثُّ عَلَى الْإِجْتِهَادِ فِي الدُّعَاءِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ ٢٥٥
- الْإِكْتِنَارُ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ ٢٥٩
- حَثُّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ عَلَى عِبَادَةِ الذِّكْرِ ٢٦٣

- ٢٦٤ فَصَائِلُ ذِكْرِ اللَّهِ وَثَمَرَاتُهُ.
- ٢٧٢ الذِّكْرُ هُوَ بَابُ الْفَتْحِ الْأَعْظَمِ.
- ٢٧٧ ذِكْرُ اللَّهِ فِي خِتَامِ رَمَضَانَ.
- ٢٨٠ أَقْبِلُوا عَلَيَّ ذِكْرَ اللَّهِ!



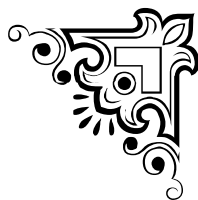
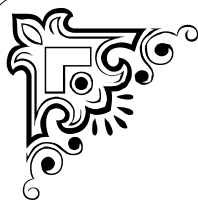


فَهْرَسُ خُطْبَةٍ:

رَمَضَانُ شَهْرٌ إِجَابَةُ الدُّعَاءِ، وَالْإِنْتِصَارَاتِ الْعَظِيمَةِ

- المُقَدِّمَةُ ٢٨٥
- مَعْنَى الدُّعَاءِ ٢٨٦
- جُمْلَةٌ مِنْ آدَابِ الدُّعَاءِ، وَشُرُوطِ قَبُولِهِ ٢٩١
- اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يُحِبُّ أَنْ يُدْعَى ٢٩٥
- الْحَثُّ عَلَى الْإِجْتِهَادِ فِي الدُّعَاءِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ ٢٩٧
- شَهْرُ رَمَضَانَ هُوَ شَهْرُ الْأَحْدَاثِ الْعَظِيمَةِ ٢٩٩
- الْأَسْبَابُ الْحَقِيقِيَّةُ لِنَكْسَةِ عَامِ (١٩٦٧ م) ٣١٥
- نَضْرُ الْعَاشِرِ مِنْ رَمَضَانَ، وَشِعَارُ «اللَّهُ أَكْبَرُ» ٣١٧
- أَسْبَابُ نَضْرِ الْعَاشِرِ مِنْ رَمَضَانَ ٣١٩

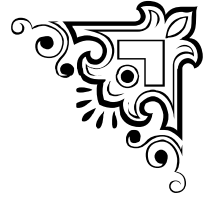
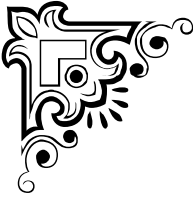




فهرس خُطبة:
رَمَضانُ دَعْوَةٌ لِلوَحْدَةِ وَالإِتِّلافِ

- المُقدِّمة ٣٢٥
- النَّبِيُّ ﷺ دَاعِيَةٌ مَحَبَّةٍ وَإِتِّلافٍ ٣٢٦
- مَظَاهِرُ وَحْدَةِ الأُمَّةِ فِي العِبَادَاتِ ٣٢٨
- مَعَالِمُ الوَحْدَةِ وَالإِتِّلافِ فِي رَمَضانَ ٣٣٢
- الحَثُّ عَلَى الإِتِّلافِ وَالإِجْتِمَاعِ ٣٣٥
- مُراعَاةُ المَصْلَحَةِ العُلَيَا لِالأُمَّةِ سَبِيلٌ لِوَحْدَتِهَا ٣٣٨





فَهْرَسُ خُطْبَةٍ:
رَمَضَانُ شَهْرُ الْجُودِ وَالْعَطَاءِ

- المُقَدِّمَةُ ٣٤٣
- تَرْبِيَةُ النَّبِيِّ ﷺ وَالصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، عَلَى الْجُودِ ٣٤٤
- اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكَرَمَ وَأَهْلَهُ ٣٤٧
- الْجُودُ وَالْإِيثَارُ فِي رَمَضَانَ ٣٤٩
- الْحَثُّ عَلَى أَلْوَانٍ مِنَ الصَّدَقَاتِ فِي رَمَضَانَ ٣٥٤





فهرس خُطبة:

رَمَضَانُ شَهْرُ الْبِرِّ وَالصَّلَةِ وَالتَّعَرُّضِ لِرَحْمَاتِ اللَّهِ

- المُقدِّمة ٣٦١
- رَمَضَانُ شَهْرُ الْعِبَادَاتِ وَالْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ ٣٦٢
- رَمَضَانُ شَهْرُ الْبِرِّ وَالْإِطْعَامِ ٣٦٦
- رَمَضَانُ شَهْرُ الْبِرِّ بِالْأَرْحَامِ وَصِلَتِهِمْ ٣٧٢
- رَمَضَانُ شَهْرُ التَّعَرُّضِ لِرَحْمَاتِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ٣٨٥
- التَّعَرُّضُ لِلرَّحْمَاتِ فِي الْعَشْرِ وَكَيْلَةِ الْقَدْرِ ٣٩٤
- أَحْكَامُ زَكَاةِ الْفِطْرِ ٤٠١



فَهْرَسُ خُطْبَةٍ: رَمَضَانُ شَهْرُ الْقُرْآنِ
دَعْوَةٌ لِلتَّامُّلِ فِي عَظَمَةِ كِتَابِ اللَّهِ ﷻ

- المُقَدِّمَةُ ٤١٥
- رَمَضَانُ وَالْقُرْآنُ ٤١٦
- حَالُ السَّلَفِ مَعَ الْقُرْآنِ فِي رَمَضَانَ ٤١٩
- مِنْ فَضَائِلِ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ ٤٢٢
- الْحَثُّ عَلَى تَدْبِيرِ الْقُرْآنِ وَتَفْهَمِهِ ٤٣٢
- مَعْنَى تَدْبِيرِ الْقُرْآنِ وَثَمَرَاتِهِ ٤٣٦
- قُوَّةُ تَأْثِيرِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ٤٥١
- عَظَمَةُ الْخَالِقِ وَقُدْرَتُهُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ٤٥٦
- جُمْلَةٌ مِنْ آدَابِ حَمَلَةِ الْقُرْآنِ ٤٦٠
- الِاجْتِهَادُ فِي قِرَاءَةِ وَتَدْبِيرِ الْقُرْآنِ فِي رَمَضَانَ ٤٦٦
- * الفَهْرَسُ ٤٧١
- فَهْرَسُ خُطْبَةٍ: كَيْفَ نَسْتَقْبِلُ شَهْرَ الصِّيَامِ؟ ٤٧٣

- ٤٧٤ فهرسُ خُطْبَةٍ: اسْتِقْبَالُ رَمَضَانَ بِتَطْهِيرِ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ
- ٤٧٥ فهرسُ خُطْبَةٍ: الاسْتِعْدَادُ لِرَمَضَانَ.. وَكَيْفَ نَحْيَاهُ؟
- ٤٧٦ فهرسُ خُطْبَةٍ: فَضَائِلُ رَمَضَانَ وَجُمْلَةٌ مِنْ أَحْكَامِ الصِّيَامِ وَأَدَابِهِ
- ٤٧٧ فهرسُ خُطْبَةٍ: فَضْلُ الصِّيَامِ وَسُلُوكُ الصَّائِمِينَ
- ٤٧٨ فهرسُ خُطْبَةٍ: رَمَضَانَ شَهْرُ الْمُرَاقَبَةِ الذَّائِبَةِ وَصِنَاعَةِ الضَّمِيرِ الْحَيِّ
- ٤٨٠ فهرسُ خُطْبَةٍ: ذِكْرُ اللَّهِ فِي رَمَضَانَ
- ٤٨٢ فهرسُ خُطْبَةٍ: رَمَضَانَ شَهْرُ إِجَابَةِ الدُّعَاءِ، وَالْإِنْتِصَارَاتِ الْعَظِيمَةِ
- ٤٨٣ فهرسُ خُطْبَةٍ: رَمَضَانَ دَعْوَةٌ لِلْوَحْدَةِ وَالْإِتِّلَافِ
- ٤٨٤ فهرسُ خُطْبَةٍ: رَمَضَانَ شَهْرُ الْجُودِ وَالْعَطَاءِ
- ٤٨٥ فهرسُ خُطْبَةٍ: رَمَضَانَ شَهْرُ الْبِرِّ وَالصَّلَةِ وَالتَّعَرُّضِ لِرَحْمَاتِ اللَّهِ
- ٤٨٦ فهرسُ خُطْبَةٍ: رَمَضَانَ شَهْرُ الْقُرْآنِ.. دَعْوَةٌ لِلتَّأَمُّلِ فِي عَظْمَةِ كِتَابِ اللَّهِ ﷻ

